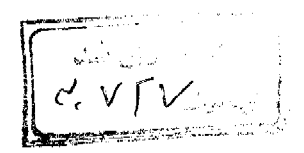
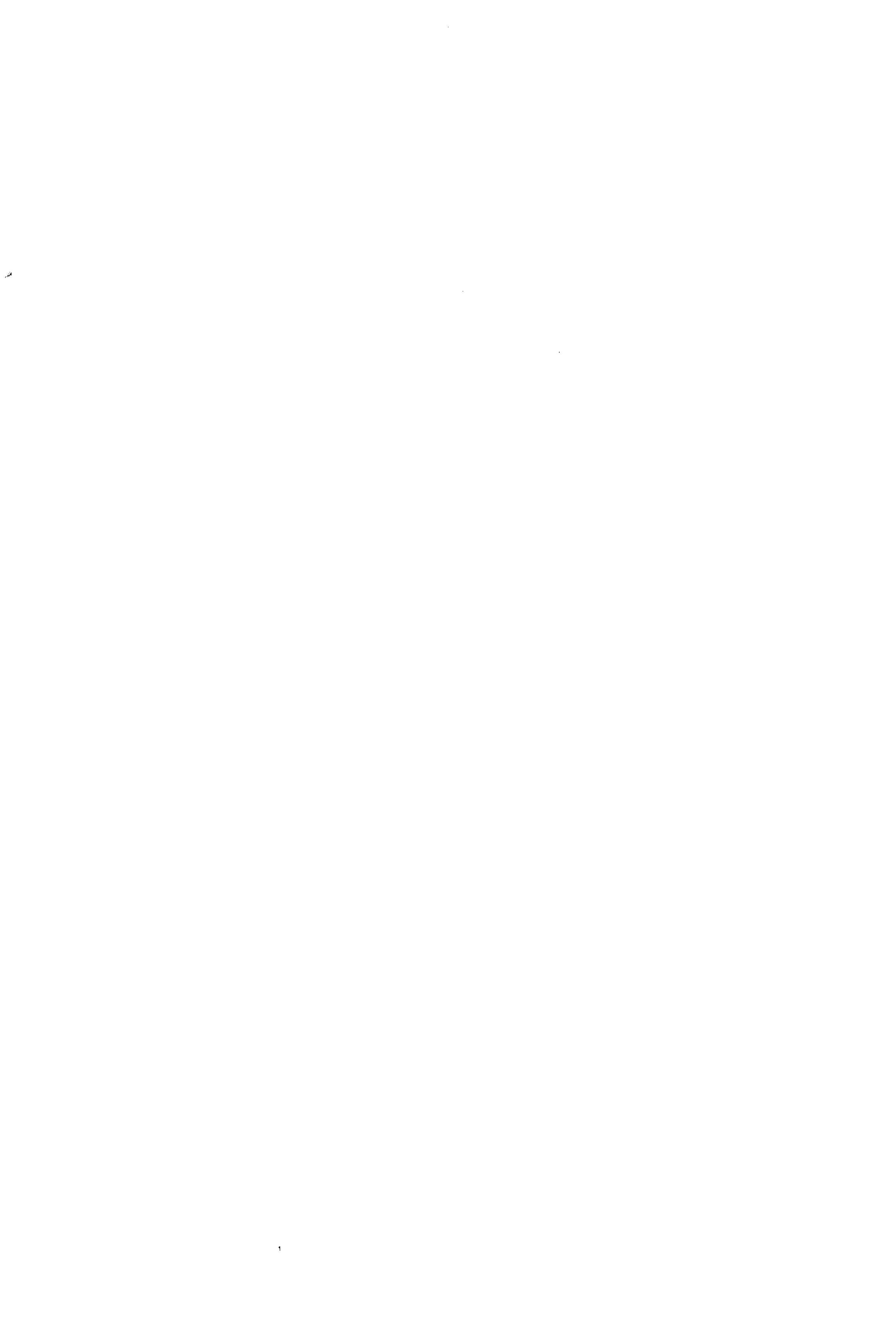


بسم الله الرحمن الرحيم





في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد الرابع



دار امير كبير للنشر
تهران: ١٣٧٦



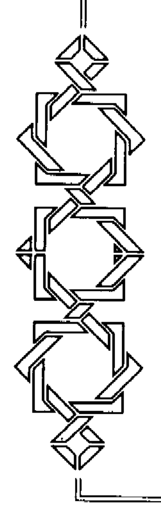
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الرابع)
المصنف : الشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ١٩١ ٤ - ١١٣٦٥

الفصل الثامن

في الإمامة الخاصّة





١[1]

من الكتاب (٢١)

(ومنه) فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ، إِمَامُ ٱلْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَعَدُوُّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم؛ وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰه عَلَيْهِ وَآلِـهِ: إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَـيَمْنَعُهُ ٱللّٰـهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا ٱلْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ ٱللّٰهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُـلَّ مُنَافِقِ ٱلْجَنَانِ، عَالِمِ ٱللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

قول المصنّف: ومنه: انّما قال: «ومنه» لأنّ قبله «فإن استطعتم يا أهـل مصر أن تصدّق أقوالكم أفعالكم، وأن يتوافق سرّكم وعلانيتكم، ولا يخالف ألسنتكم قلوبكم؛ فافعلوا. عصمنا الله وإيّاكم، وسلك بنا وبكم المحجّة الوسطى، وإيّاكم ودعوة الكذّاب ابن هند، وتأمّلوا واعلموا».

قوله عليه السلام «فإنّه لا سواء، إمام الهدى وإمام الردى»: أي: الهلكة. قال (ابن أبي الحديد) يعنى عليه السلام بإمام الهدى؛ نفسه، وبإمام الردى؛ معاوية كما قال تعالى

---

(١) قال الشارح، ويأتي في العناوين ٣٢، ٣٣، ٣٤ من الفصل التاسع كلامه عليه السلام في المهدي عليه السلام.

﴿وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار﴾[١].

قلت: إنّه عليه السلام وإن قال ذلك، وكان في قباله معاوية في ذلك الوقت إلّا أنّه عليه السلام أراد بإمام الردى غيره مطلقاً، معاوية والثلاثة المتقدّمة عليه، ففي رواية الثقفي لعهده عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر الّذي هذا الكلام جزء منه ـ وقد نقله ـ (ابن أبي الحديد) نفسه عند قوله عليه السلام: «وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة»:

«واعلَموا عِبادَ الله إنّكُم إن اتَقَيْتُم رَبَّكُم، وحفظتم نبيّكم في أهل بيته، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، وذكرتموه بأفضل ما ذكر، وشكرتموه بأفضل ما شكر، وأخذتم بأفضل الصبر، وجاهدتم بأفضل الجهاد، وإن كان غيركم أطول صلاة منكم، وأكثر صياماً، إذ كنتم أتقى لله، وأنصح لأولياء الله من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأخشع»[٢].

وهل كان معاوية إلّا تابعاً لهم، وسالكاً سبيلهم، وفي كتاب معاوية إلى محمّد ابن أبي بكر ـ وكان ازرى على معاوية قيامه في قباله عليه السلام ـ «فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جوراً فأبوك أسّه، ونحن شركاؤه وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، فعب أباك ما بدا لك أو دع».

وفيه أيضاً «ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله، ونصرته له ومواساته إيّاه في كل خوف وهول، ـ إلى أن قال: ـ وقد كنّا ـ وأبوك معنا ـ في حياة من نبيّنا؛ نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا. فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٠، والآية ٤١ من سورة القصص.

(٢) رواه الثقفي في الغارات ١: ٢٣٦ ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٢٦ شرح الخطبة ٦٦.

عليهما فهمّا، به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما لا يشركانه ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قبضا» ـ رواه المسعودي ونصر بن مزاحم وأشار إليه الطبري لكنّه كفّ عن نقله عناداً وقال: لا تحتمله العامة[1].

كما أنّ ما قاله من أنه عليه السلام أراد بإمام الهدى نفسه؛ صحيح، لكن لم يُرِدْ نفسه بالخصوص بل مع عترته، وكان عليه السلام ميزاناً في تمييز المؤمنين من المنافقين من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي عترته: ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[2].

«ووليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم» قال تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[3].

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته): ذكر الثعلبي في (تفسيره) عن السدّي، وعتبة بن أبي حكيم، وغالب بن عبدالله قالوا: أُنزلت آية ﴿إنّما وليكم الله﴾ في عليّ عليه السلام مرّ به سائل وهو في المسجد راكع فأعطاه خاتمه[4].

وروى الثعلبي أيضاً مسنداً عن أبي ذر قال: صلّيت يوماً صلاة الظهر في المسجد والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حاضر فقام سائل فسأل. فلم يعطه أحد شيئاً ـ إلى أن قال ـ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم وأنا محمّد صفيّك ونبيّك فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به أزري أو قال ظهري، قال أبوذر: فوالله ما استتم الكلام حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمّد اقرأ ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الّذين يقيمون

---

(1) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢ وابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٩ والبلاذري في انساب الاشراف ٢: ٣٩٦ واشار اليه الطبري في تاريخه ٣: ٥٥٧ سنة ٣٦.

(2) الرعد: ٧.

(3) المائدة: ٥٥.

(4) تذكرة الخواص: ١٥.

الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المتواتر: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته): روى أحمد بن حنبل في (مسنده) وفي (فضائله)، والترمذي في (سننه) عن زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول في الرحبة وهو ينشد الناس: أُنشد الله رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول في يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقام ثلاثة عشر رجلاً من الصحابة فشهدوا أنّهم سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك[٢].

وروى في فضائله عن رياح بن حارث قال: جاء رهط إلى علي عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا مولانا ـ وكان بالرحبة ـ فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» ـ قال رياح: فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

وعن عبدالملك بن عطية العوفي قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له: إنَّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم الغدير وأنا أحبّ أن أسمعه منك فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت: ليس عليك منّي بأس فقال: نعم. كنّا بالجحفة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا ظهرا وهو آخذ بعضد علي عليه السلام فقال: أيُّها الناس! ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى، فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» قالها أربع مرات[٤].

وعن البراء بن عازب قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلنا بغدير خم، فنودي

---

(١) تذكرة الخواص: ١٥. والآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٨.

(٣ و ٤) تذكرة الخواص: ٢٩.

فينا الصلاة جامعة، وكسح للنبي ﷺ بين شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام وقال: «اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه» قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب؛ أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[١].

وفي (تاريخ أعثم الكوفي) ـ وهو من رجالهم أيضاً ـ أنّ ابن الزبير لمّا كان يحثّ خالته على الخروج، وأنكر أن يكون النّبيّ ﷺ قال: إنّ عليّاً وليُّ الناس قالت له أُمّ سلمة: إن لم تكن سمعت ذلك فهذه خالتك عائشة سلها هل النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام أنت خليفتي في حياتي، وبعد مماتي؟ فقالت عائشة: نعم. سمعت ذلك[٢].

وفي (استيعاب ابن عبد البر): روى بريدة وأبو هريرة، وجابر، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم كل واحد منهم عن النبي ﷺ أنّه قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه»[٣].

وفي (أُسد الغابة) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّا في الرحبة يناشد الناس: أُنشد الله من سمع النبي ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» لما قام، قال عبدالرحمن: فقام اثنا عشر بدريّا كأنّي أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا: نشهد أنّا سمعنا النبي ﷺ يقول يوم غدير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أُمهاتهم؟ قلنا: بلى فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»[٤].

«وعدوّ النبي ﷺ» قال ابن أبي الحديد: جعل أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٩.

(٢) الفتوح لابن أعثم ٢: ٢٨٢ والنقل بتلخيص.

(٣) الاستيعاب ٣: ٣٦.

(٤) أُسد الغابة ٤: ٢٨.

معاوية عدوّ النبيّ صلى الله عليه وآله لكونه عدوّه عليه السلام وقد قال صلى الله عليه وآله له: «وليُّك وليِّي، ووليِّي وليُّ الله، وعدوُّك عدوِّي، وعدوِّي عدوُّ الله» ولأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه، ومن أفعاله، وقد قال أصحابنا في هذا المعنى أشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصاً من كتب شيخنا أبي عبدالله وكتب أبي جعفر الاسكافي وأبي القاسم البلخي[1].

قلت: وان صحّ ما قاله من كون معاوية عدواً للنبي صلى الله عليه وآله بما ذكره من القياس إلّا أنه كان عدوّاً له صلى الله عليه وآله بالأساس أيضاً. روى المسعودي في (مروجه): أنّ المغيرة بن شعبة قال لمعاوية: بلغت أملك، فلو أظهرت عدلاً. فقال له: إنّ أخا هاشم يُصَرَّحُ به في كل يوم خمس مرات «أشهد ان محمداً رسول الله» فأيُّ أمل يبقى مع هذا لا أُمّ لك لا والله إلّا دفناً دفناً[2].

وفي (الطبري) عن كتاب المأمون الذي أمر بإنشائه في لعن معاوية «ومنه الحديث المرفوع المشهور أنّه صلى الله عليه وآله قال: إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان (فيقال له) آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»[3]؟

وفي (صفين نصر بن مزاحم) مسنداً عن رجل شامي صحابي قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «شرّ خلق الله خمسة: ابليس، وابن آدم الّذي قتل أخاه، وفرعون ذوالأوتاد، ورجل من بني اسرائيل ردّهم عن دينهم، ورجل من هذه الامّة يبايع على كفره عند باب لدّ» قال الرجل: إنّي لمّا رأيت معاوية بايع عند باب لدّ ذكرت قول النبي صلى الله عليه وآله فلحقت بعلي عليه السلام فكنت معه[4].

---

(١) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٥٠ والنقل بالمعنى.

(٢) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ٤٥٤ والنقل بتصرف.

(٣) رواه الطبري في تاريخه ٨: ١٨٦ سنة ٢٨٤.

(٤) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢١٧.

«ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي لا أخاف على امّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله (أي يقهره ويذلّه) بشركه، ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجَنان، عالم اللّسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون» لقد صدق ـ صلوات الله عليه ـ فكل فتنة كانت في الإسلام كانت من المسلمين الّذين وصفهم عليه السلام؛ جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبابكر كصاحبه في جيش أُسامة لئلّا يوجب الفتنة بعده، فتخلّف عنه مع تأكيداته حتّى لعن المتخلّف عن الجيش، حتّى ينال الإمرة، ولمّا نال مرامه أراد التلبيس على الناس بأنه لابدَّ أن يجري أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجيش.

فروى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن ابن عمر؛ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية فيهم أبوبكر وعمر، واستعمل عليهم أُسامة. فكان الناس طعنوا فيه. فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فصعد المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الناس قد طعنوا في إمارة أُسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله، وإنّهما لخليقان لها ـ الخبر ـ[١].

وفي (الطبري): نادى منادي أبيبكر من بعد الغد من متوفّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتمّ بعث أُسامة، ألا لا يبقينَّ بالمدينة أحد من جند أُسامة إلّا خرج إلى عسكره بالجرف[٢].

وفيه ايضاً قال أبوبكر: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردَّ قضاءً قضى به النبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

وفيه أيضاً ان عمر قال له: ان الأنصار أمروني أن أُبلغك وإنّهم يطلبون

(١) طبقات ابن سعد ٢، ق ٢: ٤١ و٤٤، ق ١: ٤٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٦٠ سنة ١١.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٤٦٢ سنة ١١.

إليك أن تولّي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أُسامة. فوثب أبوبكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر وقال له: ثكلتك أُمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله النّبيّ، وتأمرني أن أنزعه[١].

وهذا عمر، يقول النبي ﷺ: إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال: دعوه إنّه ليهجر[٢].

وفي (طبقات كاتب الواقدي) عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: هلمّ اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال عمر: انّ رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ـإلى أن قال ـ

فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[٣].

ثم يقول ذلك الرجل من ولهه بزعمهم بعد قبض النبي ﷺ: انّه ما مات ولكنّه غاب. ففي (الطبري): لما توفي النبيّ ﷺ قام عمر فقال: إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله توفّي، وإنّ رسول الله والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة. ثم رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله. فليقطِّعنَّ أيدي رجال وأرجلهم، يزعمون أن رسول الله مات[٤].

وانّما فعل ذلك ليصل إليه أبوبكر ـوكان غائباًـ حتى يدبّر أمر السقيفة، وفي كتاب ابن عباس الى الحسن عليه السلام بعد أبيه «واعلم أنَّ علياً أباك عليه السلام إنّما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه آسى بينهم في ٱلفيء، وسوّى بينهم في

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٦٢ سنة ١١.

(٢) أخرج هذا الحديث جماعة منهم البخاري في صحيحه ١: ٣٢ و٤: ٧ و٢٧١ ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٢، ق ٢: ٣٧.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٢ سنة ١١.

العطاء، فثقل عليهم، واعلم أنّك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتّى ظهر امر الله فلمّا وحّد الرب ومحق الشرك، وعزّ الدين؛ أظهروا الايمان وقرأُوا القرآن مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدّوا الفرائض وهم لها كارهون فلمّا رأوا أنّه لا يعزّ في الدين إلّا الأتقياء الأبرار؛ توسّموا بسيما الصالحين ليظنّ المسلمون بهم خيراً، فما زالوا بذلك حتّى شركوهم في أماناتهم، وقالوا: حسابهم على الله فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين، وقد منيت بأُولئك، وبأبنائهم وبأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلّا غيّاً، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلّا مقتاً»[1].

٢

من الخطبة (٣٣)

أَما وَاللّهِ إنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِها؛ مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا؛ فَلَأَنْقُبَنَّ ٱلْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ ٱلْحَقُّ مِنْ جَنْبِه. مَالِي وَلِقُرَيْش! وَٱللّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كافِرِين، وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ؛ وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ ٱلْيَوْمَ.

من الخطبة (١٠٢)

وَأَيْمُ ٱللّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا ، وَٱسْتَوْثَقَتْ قِيَادَهَا ؛ مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ. وَأَيْمُ ٱللّهِ لَأَبْقُرَنَّ ٱلْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ ٱلْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

أقول: قاله عليه السلام في ذى قار لمّا أراد الجمل كما صرّح به في الأوّل.

«وأيم الله» في الثاني بمعنى «أما والله» في الاول.

---

(١) رواه المدائني، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٨ وغيره.

قال الجوهري: أيمُنُ اللهِ اسم وضع للقسم قال: وربما حذفوا منه النون فقالوا: أيمُ الله وأيمِ الله أيضاً بكسر الهمزة[١].

«إن كنت» في الأوّل بمعنى «لقد كنت» في الثاني لأنّ «ان» فيه مخففة من الثقيلة.

«لفي ساقتها» وفي الثاني «من ساقتها» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] و(الخطيّة) لا «في ساقتها» كما في (المصرية)، وساقة جمع سائق كقادة في قائد من ساقة الجيش، وفي (الأساس): رأيته يكرّ في سوق الحرب: أي في حومة القتال ووسطه[٣].

«حتّى» هكذا في (المصرية)، والصواب: «حتّى تولت» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤] وكما في الثاني: أي: انقضت.

«بحذافيرها»: أي بأسرها وتمامها وجميع نواحيها.

قوله عليه السلام في الثاني «واستوثقت قيادها» هكذا في المصرية، والصواب «واستوسقت في قيادها» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطبة)[٥] وفي (المصباح) قال الخليل: القود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها ـ إلى أن قال ـ والمِقود بكسر الميم: الحبل يقاد به والجمع مقاود، والقياد مثل المِقود ـ الخ ـ[٦] واستوسقت: أي اجتمعت وانتظمت.

قوله عليه السلام فيهما «ما ضعفت» هكذا في (المصرية) وفي (ابن أبي الحديد)

---

(١) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢١ مادة (يمن)، والنقل بتقطيع.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٩ لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢١ مثل المصرية أيضاً.

(٣) أساس البلاغة: ٢٢٥ مادة (سوق).

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٦ وشرح ابن ميثم ٢: ٧٢ «ولّت» أيضاً.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٩ وشرح ابن ميثم ٣: ٢١.

(٦) المصباح المنير ٢: ٢٠٣ مادة (قود).

ولكن في (ابن ميثم والخطية)[١]: «ما عجزت»، وكيف كان فالمراد أنه عليه السلام لم يعجز ولم يضعف في سياقة غزوات الإسلام وسلطته كما عجز وضعف باقيهم.

وفي (الإرشاد) روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح عن الأعمش عن أبي اسحاق عن ابن أبي عبدالله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لمّا عالجت باب خيبر جعلته مجنّاً لي. فقاتلتهم به. فلمّا أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في خندقهم. فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً. فقال: ما كان إلّا مثل جُنّتي الّتي في يدي في غير ذلك المقام، وفيه يقول الشاعر:

إنّ امرأً حمل الرتاج بخيبر ... يوم اليهود بقدرةٍ لمؤَيَّدُ
حمل الرتاج رتاج باب قموصها ... والمسلمون وأهل خُيبر حُشَّد
فرمى به ولقد تكلف ردّه ... سبعون كلهم له يتشدّد
ردّوه بعد تكلّف ومشقّة ... ومقال بعضهم لبعض ارددوا[٢]

«ولا جبنت»: أي: كما جبنوا، ففي خيبر أخذ الراية أوّلاً، الأوّل ثمّ الثاني ورجعا منهزمين يجبّنان أصحابهما ويجبّنهما أصحابهما.

وفي (الإرشاد): روى أبو محمّد الحسن بن جمهور قال: قرأت على أبي عثمان المازني الشاعر:

بعث النبي براية منصورة ... عمر بن حنتمة الدلام الأدلما
فمضى بها حتى إذا برزوا له ... دون القماص ثنى وهاب وأحجما

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٦ و١٩٩، وايضاً شرح ابن ميثم ٢: ٧٢، و٣: ٢١ «ضعفت» نعم في بعض نسخ شرح ابن ميثم في الاول «عجزت».

(٢) الارشاد: ٦٧.

فأتـى النـبي بـرايـة مـردودة الا تـخوف عـارها فـتذمما
فـبكى النـبي له وانّـبه بـها ودعا امـرأً حسـن البـصيرة مـقدما
فـغدا بـها فـي فـيلق ودعـا له ألّا يُـصَد بـها وألّا يُـهزَما
فزوى اليهود الى القموص وقد كسا كـبش الكـتيبة ذا غـرار مـخذما
وثـنى بـناس بـعدهم فـقراهـم طـلس الذئـاب وكـل نسـرقشعما[1]

«ولا خُنْتُ ولا وَهَنْتُ» كما خان ووهن غيري، وفي (السير): لما انصرف النبيّ صلى الله عليه وآله من أُحد إلى المدينة استقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل به وجهه ولحقه علي عليه السلام ـ وقد خضب الدم يده الى كتفه ومعه ذوالفقار، فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: خذي هذا السيف. فقد صدقني اليوم وأنشأ يقول.

أفـاطم هـاك السـيف غـير ذمـيم فـلست بـرعديد ولا بـمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحـمد وطـاعة رب بـالعباد عـليم
امـيطي دمـاء القـوم عـنه فـإنّه سـقى آل عـبد الدار كأس حـميم

وقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش»[2]، فإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا بعث الله تعالى ـ كما قال قبل هذا الكلام ـ ساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم، وبلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام ـ كما قال هنا ـ معيناً له من أوّله إلى آخره، والمتصدّي لغزواته عليه السلام بلا ضعف ولا جبن ولا خيانة ولا وهن، كغيره ممّن ادّعى الأمر في قباله كما ستعرف، فلابدّ بحكم العقل أن يكون هو خليفته وقائماً مقامه، ومن أنكر فقد كابر البداهة، ومن خالف فقد خالف مقتضى العقول.

---

(١) الارشاد: ٦٨.

(٢) رواه المفيد في الارشاد: ٤٨.

وقد صرّحت بذلك سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها وعلى أبيها ـ فقالت في خطبتها يوم أبي‌بكر ـ كما في (بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي) من رجالهم «فأنقذكم الله برسوله بعد اللتيا والّتي، وبعد ما مني بهم الرجال، وذؤبان العرب ومَردة أهل الكتاب كلّما حشوا ناراً للحرب أطفاها، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون حتّى إذا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم دار أنبيائه؛ ظهرت خلة النفاق، وسمل جلباب الدّين، ونطق كاظم الغاوين» ـ إلى آخرها[1].

وروى المصنّف في (خصائصه) باسناد مرفوع الى الأعمش عن ابن عطية قال: لمّا خرج عمر الى الشام ـ وكان العباس معه يسايره ـ وكان من يستقبله ينزل. فيبدأ بالعباس، فيسلّم عليه، يقدّر الناس أنّه الخليفة، لجماله وبهائه وهيبته فقال عمر: لعلك تقدّر أنّك أحق بهذا الأمر منّي. فقال له العبّاس: أحق به منّي ومنك من خلّفناه بالمدينة. فقال عمر: من ذلك، قال: من ضربنا بسيفه حتّى قادنا بالاسلام، يعني علياً عليه السلام[2].

وروى أبوبكر بن الأنباري في (أماليه) ـ ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ أنّ علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد، وعنده ناس. فلمّا قام عرّض واحد بذكره، ونسبه إلى التيه والعجب. فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأُمّة، وذو سابقتها وذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم عنه. قال: كرهناه على حداثة السن

---

(١) بلاغات النساء: ٢٤.

(٢) خصائص الائمة: ٤٨.

وحبّه بني عبدالمطلب[1].

قلت: لقد أجابه ابن عباس عن حداثة سنّه بأنّ الله تعالى ما استحدث سنّه حيث انزل جبرئيل ليأخذ سورة براءة من صاحبه أبي بكر، وأمّا حبّه بني عبدالمطلب، فهل كان الّا حبّ أهل بيت النبيّ ﷺ ومن قال تعالى فيهم ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾[2]؟ كره الرجل منه عليه السلام حبّه لبني عبدالمطلب أقارب النبيّ ﷺ وأحبّائه. فلم يدع الأمر يصل إليه، ولم يكره من عثمان تهالكه وتفدية نفسه لبني أُمية أعداء النبيّ ﷺ وأعداء الإسلام فدبّر الأمر له، والحَكَم الله تعالى.

وروى محمّد بن بابويه في (خصاله) عن محمّد بن الحنيفة، أنّ رأس اليهود أتى إلى أميرالمؤمنين عليه السلام عند منصرفه من وقعة النهروان، وهو جالس في مسجد الكوفة فقال له: إنّي أُريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ أو وصي نبيّ. قال: سل عمّا بدا لك يا أخا اليهود. قال: إنّا نجد في الكتب أنّ الله ـعزّ وجلّ ـ إذا بعث نبيّاً أوحى إليه أن يتّخذ من أهل بيته من يقوم بأمر اُمّته من بعده، وأن يعهد إليهم فيه عهداً يحتذى به ويعمل به في أُمته من بعده، وأنّ الله ـعزّ وجلّ ـ يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء، ويمتحنهم بعد وفاتهم ـإلى أن قال ـ

فقال له علي عليه السلام: إنّ الله تعالى يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن ليبتلي طاعتهم. فإذا رضي طاعتهم ومحنتهم أمر الأنبياء أن يتّخذوهم أولياء في حياتهم، وأوصياء بعد وفاتهم ـ إلى أن قال ـ

قال الرجل: صدقت. فأخبرني كم امتحنك الله في حياة محمّد، وكم

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١١٥ شرح الخطبة ٢٢٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

امتحنك بعد وفاته، وإلى ما يصير آخر أمرك؟ فأخذ علي عليه السلام بيده وقال: انهض انبّئك. فقام إليه جماعة من أصحابه. فقالوا: أنبئنا بذلك معه. فقال: انّي أخاف ألّا تحتمله قلوبكم. قالوا: وَلِمَ؟ قال: لأُمور بدت من كثير منكم. فقام إليه الأشتر فقال له: أنبئنا بذلك فوالله إنّا لنعلم أنّه ما على ظهر الأرض وصي نبي سواك، وإنّا لنعلم أنّ الله تعالى لا يبعث بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم نبياً، وأنّ طاعتك موصولة بطاعة نبيّنا. قال: فجلس عليّ عليه السلام وأقبل على اليهودي وقال له: إنّ الله ـعزّ وجلّ ـ امتحنني في حياة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في سبعة مواطن فوجدني فيهن ـمن غير تزكية لنفسي، بنعمة الله ـ مطيعاً. قال: فيم وفيم.

قال: أما أوّلهن: فانّ الله ـعزّ وجلّ ـ أوحى إلى نبيّنا وأنا أحدث أهل بيته سنّاً أخدمه في بيته، وأسعى في قضاء حوائجه بين يديه في أمره، فدعا صغير بني عبدالمطّلب وكبيرهم إلى شهادة ألا إله إلّا الله، وأنّه رسوله فامتنعوا من ذلك، وأنكروا عليه وهجروه، ونابذوه، واعتزلوه، واجتنبوه، وسائر الناس مقصين له، ومخالفين عليه، قد استعظموا ما أورده عليهم ممّا لم تحتمله قلوبهم، وتدركه عقولهم. فأجبته وحدي مسرعاً إلى ما دعا إليه مطيعاً موقناً لم يخالجني شك في ذلك، فمكثنا بذلك ثلاث حِجج، وما على وجه الأرض خلق يصلي أو يشهد له بما أتاه غيري وغير ابنة خويلد ـرحمها الله ـ وقد فعل.

ـ ثم أقبل على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أميرالمؤمنين.

فقال: وأمّا الثانية: فإنّ قريشاً لم تزل تجيل الآراء، وتعمل الحيل في قتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار، (دار الندوة) وابليس اللعين حاضر في صورة أعور ثقيف، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتّى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كلّ فخذ من قريش رجل ثمّ يأخذ كلّ رجل منهم سيفه ثمّ يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله وهو نائم على فراشه.

فيضربونه بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، واذا قتلوه منعت قريش رجالها، ولم تسلمها فيمضي دمه هدرا. فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك، وأخبره بالليلة الّتي يجتمعون فيها والساعة الّتي يأتون فراشه، وأمره بالخروج في الوقت الّذي خرج فيه إلى الغار. فاخبرني النبيّ صلى الله عليه وآله بالخبر وأمرني أن اضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي. فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً بأن أقتل دونه، فمضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما استوى بي وبهم البيت الّذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله.

ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام : وأمّا الثالثة يا أخا اليهود، فإنّ ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وكانوا فرسان قريش دعوا إلى البراز يوم بدر فلم يبرز لهم خلق من قريش. فأنهضني مع صاحبَيّ -رضي الله عنهما- وقد فعل، وأنا أحدث أصحابي سنّاً وأقلهم للحرب تجربة فقتل الله -عزّوجلّ- بيدي وليداً وشيبة سوى من قتلت من حجاحجة قريش في ذلك اليوم، وسوى من أسرت، وكان منّي أكثر ممّا كان من أصحابي، واستشهد ابن عمي في ذلك -رحمة الله عليه-.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال: وأمّا الرابعة؛ فإنّ أهل مكة أقبلوا إلينا على بكرة أبيهم قد استجابوا من يليهم من قبائل العرب طالبين بثار مشركي قريش في يوم بدر. فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك. فذهب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعسكر بأصحابه في سدّ احد، وأقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد، واستشهد من المسلمين من استشهد، وكان من بقي، من المنهزمة، وبقيت مع

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومضى المهاجرون والأنصار إلى المدينة كلّ يقول: قتل النّبيّ وقتل أصحابه. ثم ضرب الله ـ عزّ وجلّ ـ وجوه المشركين، وقد جرحت بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نيّفا وسبعين جرحة، منها هذه وهذه، ثم ألقى عليه السلام رداءه وأمرّ يده على جراحاته، وكان منّي في ذلك ما على الله ـ عزّ وجلّ ـ ثوابه، ثم التفت الى أصحابه، فقال: اليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال: واما الخامسة يا أخا اليهود، فان قريشا والعرب تجمعت وعقدت عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتّى تقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقتلنا معاشر بني عبدالمطلب معه، ثم أقبلت بحدّها وحديدها حتّى أناخت علينا بالمدينة واثقة بأنفسها في ما توجّهت له، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار، فقدمت قريش فأقامت على الخندق، محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوّة وفينا الضعف تُرعد وتبرق، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يدعوها إلى الله تعالى ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى، ولا يزيدها ذلك إلّا عتوّاً، وفارسها وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز، ويرتجز، ويخطر برمحه مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم ولا يطمع فيه طامع، ولا حميّة تهيجُه، ولا بصيرة تشجّعه، فأنهضني إليه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعمّمني بيده وأعطاني سيفه هذا ـ وضرب بيده إلى ذي‌الفقار وعمّمني ـ فخرجتُ إليه، ونساء أهل المدينة توالي إشفاقاً عليّ من ابن عبد ود فقتله الله ـ عزّ وجلّ ـ بيدي، والعرب لا تعدّ لها فارساً غيره، وضربني هذه الضربة ـ وأومأ بيده إلى هامته ـ فهزم الله قريشاً والعرب بذلك وبما كان مني فيهم من النكاية. ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال: وأمّا السادسة يا أخا اليهود؛ فإنّا وردنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدينة

أصحابك خيبر على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها. فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، وهم في أمنع واد وأكثر عدد، كلّ ينادي ويدعو، ويبادر الى القتال. فلم يبرز اليهم أحد من أصحابه إلّا قتلوه حتى إذا احمرّت الحدق ودعيت إلى النزال، وأهمّت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابه إلى بعض، وكلٌّ يقول: يا أبا الحسن! إنهض، أنهضني النبيّ ﷺ إلى دارهم. فلم يبرز إليّ أحد منهم إلّا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلّا طحنته، ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتّى أدخلتهم جوف مدينتهم مشدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي، حتّى دخلت عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجد من نسائها، حتى أفتتحتها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون الّا الله وحده.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

قال: وأما السابعة؛ فإن النبيّ ﷺ لمّا توجّه لفتح مكّة أحب أن يعذر اليهم ويدعوهم الى الله -عزّ وجلّ- آخراً كما دعاهم أوّلاً، فكتب إليهم كتاباً يحذّرهم فيه، وينذرهم عذاب الله، ويعدهم الصفح، ويمنّيهم مغفرة ربهم. ونسخ لهم في آخره سورة براءة ليقرؤوها عليهم ثمّ عرض على جميع أصحابه المضى به فكلهم يرى التثاقل فيهم، فلمّا رأى ذلك ندب منهم رجلاً. فوجّهه به فأتاه جبرئيل فقال: يا محمّد لا يؤدّي عنك الّا أنت أو رجل منك. فأنبأني النبيّ ﷺ بذلك، ووجّهني بكتابه ورسالته إلى أهل مكّة، وأهلها من قد عرفتم وليس أحد منهم الّا ولو قدر أن يضع كل جبل مني اربا لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله وولده وماله، فبلّغتهم رسالة النبيّ ﷺ وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقاني بالتهديد والوعيد، ويبدي لي البغضاء، ويظهر الشحناء، من رجالهم ونسائهم، فكان مني في ذلك ما قد رأيتم.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى...[١].

وفي (العقد الفريد): عن الشعبي ـ في وفود أم الخير بنت حريش على معاوية وسؤال معاوية أصحابه عن كلامها في صفين فذكر له بعضهم كلامها، ومن جملته «فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصهره، وأبي سبطيه، خلق من طينته، وتفرّع من نبعته، وخصّه بسِّره، وجعله باب مدينته، وأعلم بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، وها هو ذا مفلّق الهام، ومكسّر الأصنام، صلّى؛ والناس مشركون، وأطاع؛ والناس كارهون. فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرّق به جمع هوازن، فيالها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً وردّةً وشقاقاً، وزادت المؤمنين ايماناً» ...ـ[٢].

وفي (بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي) في قصة منع أبي بكر فدك من فاطمة عليها السلام «لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في لمة من حفدتها تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها مُلاءة. ثم أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، وارتجّ المجلس. فأملهت حتى سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم. فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم. فلما أمسكوا عادت في كلامها. فقالت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[٣]. فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمّي دون

---

(١) رواه عن محمد ابن الحنفية والامام الباقر عليه السلام الصدوق في الخصال ٢: ٣٦٤ ح ٥٨ باب السبعة، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) العقد الفريد ١: ٣٠٢.

(٣) التوبة: ١٢٨.

رجالكم فبلّغ النذارة صادعاً بالرسالة، مائلاً على مدرجة المشركين ضارباً لثجهم، آخذاً بكظمهم. يهشم الأصنام، وينكت الهام حتّى هزم الجمع وولّوا الدبر، وتغرى الليل عن صبحه، واسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من النار؛ مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون الورق أذلة خاشعين تخافون ان يتخطّفكم الناس من حولكم. فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتي، وبعد ما مُنِيَ بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما حشوا ناراً للحرب اطفأها، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين؛ قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون...[1].

وقال محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد في (إرشاده) ـفي ذكر غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله: وأنّ الفتح فيها كان على يد أمير المؤمنين عليه السلام ـ غزاة بدر أول حرب كان به الامتحان، وملأت رهبةً صدور المعدودين من المسلمين في الشجعان، وراموا التأخر عنها لخوفهم منها، وكراهتهم لها على ما جاء به محكم الذكر في التبيان حيث يقول جل اسمه: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون * يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ ـإلى أن قال ـ[2].

ولم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقتل واحداً بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين، وكانوا سبعين رجلاً، تولّى كافة من حضر بدراً من المسلمين مع

---

(١) بلاغات النساء: ٢٣.

(٢) الانفال: ٥ ـ ٦.

ثلاثة آلاف من الملائكة المسوّمين قتل الشطر منهم، وتولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله تعالى له وتأييده وتوفيقه ونصره، وكان الفتح له بذلك على يديه، وقد أثبتت رواة العامة والخاصة أسماء الّذين تولّى عليه السلام قتلهم على اتفاق في ما نقلوه فكان ممّن سمّوه:

١ ـ الوليد بن عتبة، وكان شجاعاً جريئاً وقاحاً فاتكاً تهابه الرجال.

٢ ـ العاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال، وهو الّذي حاد عنه عمر.

٣ ـ طعيمة بن عدي بن نوفل، وكان من رؤوس أهل الضلال.

٤ ـ نوفل بن خويلد، وكان من أشد المشركين عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قريش تقدّمه وتعظّمه وتطيعه، وهو الّذي قرن أبابكر وطلحة قبل الهجرة بمكة وأوثقهما بحبل وعذّبهما يوماً إلى اللّيل حتى سئل في أمرهما، ولمّا عرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حضوره بدراً سأل الله تعالى أن يكفيه أمره فقال: اللّهمّ اكفني نوفل بن خويلد. فقتله أمير المؤمنين.

٥ ـ زمعة بن الأسود.

٦ ـ عقيل بن الأسود.

٧ ـ الحارث بن زمعة.

٨ ـ النضر بن الحارث بن عبد الدار.

٩ ـ عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عم طلحة.

١٠ و ١١ ـ عثمان ومالك ابنا عبيدالله، أخوا طلحة.

١٢ ـ مسعود بن أبي أميّة بن المغيرة.

١٣ ـ حنظلة بن أبي سفيان.

١٤ ـ عمرو بن مخزوم.

١٥ ـ أبو المنذر بن أبي رفاعة.

١٦ ـ منبه بن الحجاج السهمي

١٧ ـ العاص بن المنبه.

١٨ ـ علقمة بن كلدة.

١٩ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي.

٢٠ ـ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص.

٢١ ـ لوذان بن ربيعة.

٢٢ ـ عبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة.

٢٣ ـ مسعود بن أُميّة بن المغيرة.

٢٤ ـ حاجب بن السائب بن عويمر.

٢٥ ـ أوس بن المغيرة ابن لوذان.

٢٦ ـ زيد بن مليص.

٢٧ ـ عاصم بن أبي عوف.

٢٨ ـ سعيد ابن وهب حليف بني عامر.

٢٩ ـ معاوية بن عبدالقيس.

٣٠ ـ عبدالله ابن جميل بن زهير بن الحارث بن اسد.

٣١ ـ السائب بن مالك.

٣٢ ـ أبو الحكم بن الاخنس.

٣٣ ـ هشام بن أبي أُميّة بن المغيرة، فذلك ثلاثة وثلاثون رجلاً. سوى من اختلف فيه أو شرك عليه‌السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر.

وفي ما صنعه عليه‌السلام ببدر قال أُسيد بن أبي إياس يحرّض مشركي قريش عليه:

فــي كــلّ مــجمع غـاية اخـزاكـم	جــذع ابـتر عـلى المـذاكـى القـرّح
لله درّكـــــــم ألمّـــــا تـــــنكروا	قـد يـنكر الحـر الكـريم ويسـتحي
هــذا ابــن فــاطمة الّـذي أفـناكـم	ذبـــحاً وقـــتلاً قــعصة لم يــذبح
أَعــطُوه خـرجـا واتّـقوا تـضريبه	فــعل الذليــل وبـيعة لم تــربح
ايــن الكـهول؟ وأيـن كـل دعـامة	في المعضلات؟ وأين زين الابطح؟
افــناهم قــعصاً وضــرباً يـفتري	بــالسيف يــعمل حـدّه لم يـصفح

قال المفيد: ثم تلت بدراً غزاة أُحد، وكان الفتح له في هذه الغزاة كما كان له ببدر سواء، واختص بحسن البلاء فيها والصبر وثبوت القدم عـندما زلّت من غيره الاقدام، وكان له من العناء بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن لسواه من اهل الإسلام، وقتل الله بسيفه رؤوس أهل الشرك والضلال، وفرّج الله به الكرب عن نبيّه، وخطب بفضله عليه السلام فـي ذلك المـقام جـبرئيل عليه السلام فـي مـلائكة الأرض والسماء، وأبان نبي الهدى عليه السلام من اختصاصه عليه السلام به ما كان مستوراً عـن عامة الناس ـإلى أن قال ـ:

قال الراوي للحديث وهو زيد بن وهب: قلت لابن مسعود: إنهزم الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق معه إلّا عليّ بن أبيطالب، وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟ فقال: إنهزم الناس إلّا علي بن أبي طالب وحده، وثاب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفر، وكان أولهم عاصم بن ثابت، وأبو دجانة، وسهل بـن حـنيف، ولحـقهم طلحة ابن عبيدالله فقلت له: واين كان أبوبكر وعمر؟ قال: كانا ممّن تنّحىٰ. قلت: وأين كان عثمان؟ قال جاء بعد ثلاثة من الوقعة. فـقال له النـبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لقـد ذهبت فيها عريضة. فقلت له: واين كنت؟ قال: كنت ممّن تنحّى قلت: إن ثبوت عليّ عليه السلام في ذلك المقام لعجب فقال: إن تعجبت مـن ذلك فـقد تـعجَّبتْ مـنه الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يـعرج إلى السـماء: لا

سيف إلّا ذوالفقار، ولا فتى إلّا عليّ؟ قلت: فمن أين علم ذلك من جبرئيل. فقال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك. فسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه. فقال: ذاك جبرئيل.

قال: وروى سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: لو رأيت مقام علي عليه السلام يوم أحد لوجدته قائماً على ميمنة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يذبّ عنه بالسيف، وقد ولّى غيره الأدبار.

قال: وروى محمّد بن مروان عن عمارة عن عبدالله قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لمّا انهزم الناس يوم أُحد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم -إلى أن قال- فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله الى كتيبة قد اقبلت إليه. فقال لي: ردّ عنّي يا علي هذه الكتيبة. فحملت عليها بسيفي اضربها يميناً وشمالاً حتّى ولّوا الأدبار. فقال لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اما تسمع مديحك في السماء ان ملكاً يقال له رضوان ينادي: «لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي» فبكيت سروراً، وحمدت الله تعالى على نعمته.

قال: وفي حديث عمران بن حصين: لمّا تفرّق الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد جاء عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه حتّى قام بين يديه فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه اليه فقال له: ما بالك لم تفرّ مع الناس! فقال: أرجع كافراً بعد اسلامي؟! فأشار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له إلى قوم انحدروا من الجبل. فحمل عليهم فهزمهم. ثم أشار إلى قوم آخرين فحمل عليهم فهزمهم. فجاء جبرئيل عليه السلام فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقد عجبت الملائكة وعجبنا معها من حسن مواساة عليّ عليه السلام لك بنفسه. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: وما يمنعه من هذا وهو منّي وأنا منه. فقال جبرئيل له: وأنا منكما.

قال:وقد ذكر أهل السير قتلى أُحد من المشركين وكان جمهورهم قتلى أميرالمؤمنين عليه السلام. فروى عبدالملك بن هشام عن زياد بن عبدالله عن محمّد

بن إسحاق قال: كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن أبي طلحة من عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب، وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة، وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة وقتل عبدالله بن حميد بن أسد بن عبدالعزى، وقتل ابا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أخاه أُميّة بن أبي حذيفة، وقتل أرطاة بن شرحبيل، وقتل هشام بن أُميّة، وعمرو بن عبدالله الجمحي وبشر بن مالك، وقتل ثواباً مولى بني عبدالدار، وكان الفتح له أولاً، ورجوع الناس من هزيمتهم الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الآخر بمقامه يذبّ عنه دونهم، وتوجّه العتاب من الله تعالى الى كافّتهم بهزيمتهم يومئذٍ، سواه، ومن ثبت معه من رجال الأنصار، وكانوا ثلاثة، وقيل: أربعة أو خمسة قال: وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أُحد، وعنائه في الحرب، وحسن بلائه، يقول الحجاج بن علاط السلمي:

لله أيّ مـذبّب عـن حـزبه	أعني ابن فاطم المعمَّ المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة	تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم	بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن	لتردّه حرّان حتى ينهلا

قال: ولمّا توجّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني النضير، عمد إلى حصارهم فضرب قبّته في أقصى بني حطمة من البطحاء. فلما جنّ الليل رمى رجل منهم اليهم بسهم فأصاب القبّة، فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يحوّل قبّته الى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار، فلمّا فقد الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام. فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا نرى علياً. فقال صلى الله عليه وآله: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الّذي رمى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـوكان يقال له عزورـ فطرحه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: كيف صنعت يا أبا الحسن؟! فقال عليه السلام: إني

رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً فكمنت له وقلت: ما أجرأه ان يخرج إذا اختلط اللّيل يطلب منّا غرّة. فاقبل مصلتا بسيفه في تسعة نفر من اليهود. فشددت عليه، وقتلته. فأفلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإنّي أرجو أن أظفر بهم، فبعث معه عشرة فيهم أبو دجانة وسهل بن حنيف. فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن. فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إليه. فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير وفي تلك اللّيلة قتل كعب بن أشرف، واصطفى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أموال بني النضير، وكانت أول صافية قسّمها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين الاوّلين، وأمر علياً عليه السلام فحاز ما له منها فجعله صدقة، وكان في يده مدّة حياته عليه السلام ثم في يد أميرالمؤمنين عليه السلام بعده، وهو في يد ولد فاطمة عليها السلام حتّى اليوم.

وفي ما كان من أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وقتله اليهودي ومجيئه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم برؤوس النفر التسعة؛ يقول حسان بن ثابت:

لله أيُّ كـريهة أبـليتها ببني قريظة والنفوس تطلّع

أودى رئيسهم وآب بتسعة طوراً يشلّهم وطوراً يدفع

قال: وكانت غزوة الأحزاب بعد بني النضير، وذلك أنّ جماعة من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضيري، وحيّ بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وهوذة بن قيس الوالبي، وأبو عمارة الوالبي في نفر من بني والبة، خرجوا حتى قدموا مكّة. فصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتسرّعه إلى قتاله فذكروا له ما نالهم منه وسألوه المعونة لهم على قتاله. فقال لهم: أنا لكم حيث تحبّون. فاخرجوا إلى قريش فادعوهم إلى حربه، واضمنوا النصرة لهم والثبوت معهم حتى تستأصلوه، فطافوا على وجوه قريش، ودعوهم الى حرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا لهم: أيدينا مع أيديكم، ونحن

معكم حتى نستأصله ثم خرجوا حتى جاءوا غطفان، وقيس عيلان، فدعوهم الى حربه، وضمنوا لهم النصرة والمعونة، وأخبروهم باتّباع قريش لهم على ذلك، واجتمعوا معهم وخرجت قريش، وقائدها اذ ذاك أبو سفيان، وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحرث بن عوف في بني مرّة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع. فلما سمع النبيّ ﷺ باجتماع الأحزاب عليه، وقوة عزيمتهم في حربه؛ استشار أصحابه، فاجتمع رأيهم على المقام بالمدينة، وحرب القوم ان جاءوا إليهم على أنقابها، فأشار سلمان رضي الله عنه على النبيّ ﷺ بالخندق ـإلى أن قال ـ:

روى الواقدي عن عبدالله بن جعفر بن أبي عون عن الزهري قال: جاء عمرو ابن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة، وضرار بن الخطاب في يوم الخندق فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقا منه فيعبرون، حتى انتهوا الى مكان أكرهوا خيولهم فيه فعبرت، وجعلوا يجيلون خيولهم في ما بين الخندق وسلع، والمسلمون وقوف لا يقدم منهم أحد عليهم. وجعل عمرو بن عبد ود يدعو الى البراز ويعرِّض بالمسلمين ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز؟

وفي كل ذلك يقوم علي بن أبي طالب عليه السلام ليبارزه فيأمره بالجلوس انتظاراً منه ليتحرك غيره، والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبد ود، والخوف منه، وممّن معه، ومن وراءه، فلمّا طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام عليّ عليه السلام قال له النبي ﷺ: أُدنُ منّي يا عليّ. فدنا منه. فنزع عمامته من رأسه، وعمّمه بها، وأعطاه سيفه، وقال له: إمضِ لشأنك، ثم قال: اللهم أعنه. فسعى نحو عمرو ومعه جابر الأنصاري لينظر ما يكون منه، ومن

عمرو. فلما انتهى عليه‌السلام إليه قال له: يا عمرو! انّك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث، ـ واللات والعزى ـ الّا قبلتها أو واحدة منها؟ قال: أجل، قال: فإني أدعوك إلى شهادة ألّا اله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسوله، وأن تسلم لربّ العالمين. قال: يا ابن أخي! أخِّرْ هذه عنّي. فقال عليه‌السلام: أما إنّها خير لك لو أخذتها، ثم قال: فهاهنا أُخرى. قال: وما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت. قال: لا تحدّث نساء قريش بهذا أبداً ـ قال: ـ فهاهنا أُخرى. قال: وما هي؟ قال: فتنزل وتقاتلني. فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني عليها، إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلَك، وقد كان أبوك لي نديماً. قال عليه‌السلام: لكنّي أُحبّ أن أقتلك؛ فانزل إن شئت. فاسف عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع. قال جابر: فثارت بينهما قترة فما رأيتهما فسمعت التكبير تحتها. فعلمت أنّ علياً عليه‌السلام قد قتله. فانكشف أصحابه حتّى طفرت خيولهم الخندق، وتبادر أصحاب النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم. فوجدوا نوفل بن عبدالله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه. فجعلوا يرمونه بالحجارة. فقال لهم: قتلة أجمل من هذه، ينزل إليّ بعضكم أُقاتله. فنزل إليه أمير المؤمنين عليه‌السلام فضربه حتى قتله، ولحق هبيرةَ فأعجزه، وسقطت درع كانت له، وفرّ عكرمة، وهرب ضرار بن الخطاب فقال جابر. فما شبّهت قتل علي عليه‌السلام عمراً إلّا بما قصّ الله تعالى من قصّه داود وجالوت حيث يقول ـ جلّ شأنه ـ: ﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت﴾[1].

قال: وقد روى قيس بن الربيع قال: حدّثنا أبو هارون العبدي عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له: يا عبدالله إنّا لنتحدّث عن علي ومناقبه فيقول لنا اهل البصرة: إنّكم لتفرطون في علي، فهل أنت محدّثي

---

(١) البقرة: ٢٥١.

بحديث فيه، فقال حذيفة: يا ربيعة! وما تسألني عن عليّ! فوالّذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّد في كفّة من الميزان منذ بعث الله محمّداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل عليّ عليه السلام في الكفة الأُخرى لرجح عمل عليّ عليه السلام على جميع أعمالهم. فقال ربيعة: هذا الّذي لا يقام له، ولا يقعد، فقال حذيفة: يا لكع! كيف لا تحمل واين كان أبوبكر وعمر وحذيفة، وجميع أصحاب محمّد يوم عمرو بن عبد ود، وقد دعا إلى المبارزة. فاحجم الناس كلهم ما خلا علياً عليه السلام فإنّه برز إليه وقتله الله على يده، والّذي نفس حذيفة بيده! لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد إلى يوم القيامة.

قال: وروى عمر بن أبي الأزهر عن عمرو بن عبيد عن الحسن؛ أنّ علياً عليه السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ود؛ إحتزّ رأسه وحمله فألقاه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقام أبوبكر وعمر فقبّلا رأس عليّ عليه السلام.

وروى علي بن الحكم الأودي قال: سمعت أبابكر بن عياش يقول: لقد ضرب علي عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها، ولقد ضُرِبَ عليه السلام ضربة ما ضُرِبَ في الإسلام أشأم منها، يعني ضربة ابن ملجم ـ لعنه الله ـ له.

قال: وفي الأحزاب أنزل تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا* هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً ـ إلى ـ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[1] فتوجّه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع، ولم ينج من ذلك أحد بالاتّفاق إلّا اميرالمؤمنين عليه السلام اذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عليه السلام عمراً، ونوفل بن عبدالله سبب هزيمة المشركين. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الاحزاب: ١٠ ـ ٢٥.

بعد قتله عليه السلام هؤلاء: الآن نغزوهم ولا يغزونا.

قال: وقد روى يوسف بن كليب، عن سفيان بن زيد، عن قرة وغيره، عن عبدالله بن مسعود انه كان يقرأ «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وكان الله قوياً عزيزاً»[1] وفي قتل عمرو بن عبد ود يقول حسّان بن ثابت:

امسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي بجنوب يثرب غارة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تقصر

ويقال: انه لمّا بلغ شعر حسّان، بني عامر أجابه فتى منهم. فقال: يردّ عليه في افتخاره بالأنصار:

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبدالله أحمد في الوغى بكفّ عليّ نِلْتُمُ ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد ببأسكم ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
عليُّ الّذي في الفخر طال بناؤه ولا تُكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم شيوخ قريش جهرة وتأخّروا

إلى أن قال:

فجال عليٌّ جولة هاشمية فدمّرهم لمّا عتوا وتكبّروا
فليس لكم فخرٌ علينا بغيرنا وليس لكم فخر يُعَدُّ ويُذكر

وقالت أُخته:

فاذهب عليٌّ فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
والثأر عندي يا عليُّ فليتني أدركته والعقل منّي كامل
ذلّت قريش بعد مقتل فارس فالذُّلُّ مُهلكها وخزيٌ شامل

ثم قالت: والله لا ثارت قريش بأخي ما حنّت النيب.

---

(١) الأحزاب: ٢٥. ولفظ المصحف «وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً».

قال: ولما انهزم الأحزاب، وولّوا عن المسلمين الدبر؛ عمد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على قصد بني قريظة، وأنفذ إليهم أميرالمؤمنين عليه السلام في ثلاثين من الخزرج ـإلى أن قال ـ قال عليه السلام: وسرت حتى دنوت من سورهم. فاشرفوا عليّ. فلمّا رأوني صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل عليٌّ عمرا ... صاد عليٌّ صقرا

قصم عليٌّ ظهرا ... أبرم عليّ أمرا

هتك عليٌّ سرّا

فقلت: الحمد لله الّذي أظهر الإسلام، وقمع الشرك ـإلى أن قال ـ فأقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حاصراً لهم خمسا وعشرين حتّى سألوه النزول على حكم سعد ابن معاذ، فحكم بقتل الرجال، وسبي الذراري والنساء، وقسمة الاموال. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» وأمر بإنزال الرجال منهم، وكانوا تسعمائة، فجيء بهم الى المدينة، وقسّم الاموال، واسترق الذراري والنسوان، ولما جيء بالأسارى إلى المدينة حبسوا في دار من دور بني النجار، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى موضع سوق اليوم فخندق فيه خنادق، وحضر أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمر بهم أن يخرجوا، وتقدم إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم في الخندق، فأُخرجوا أرسالاً، وفيهم حيٌّ بن أخطب، وكعب بن أسد، وهما اذ ذاك رئيسا القوم ـإلى أن قال ـ:

ثم أُقيم حيٌّ بن أخطب بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف فقال عليه السلام: إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرارهم

يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الأشراف الأخيار، والسعادة لمن قتله الارذال الكفار. فقال: صدقت؛ لا تسلبني حلّتي. فقال عليه السلام: هي أهون عليّ من ذاك. فقال: سَتَرْتَني سترك الله، ومدّ عنقه فضربها عليّ عليه السلام، ولم يسلبه من بينهم قال: وكان الظفر ببني قريظة، وفتح الله على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأميرالمؤمنين عليه السلام وما كان من قتله من قتل منهم وما ألقاه الله ـ عزّ وجلّ ـ في قلوبهم من الرعب، وماثلت هذه الفضيلة ما تقدمها من فضائله عليه السلام.

قال: وقد كان منه عليه السلام في غزوة وادي الرمل، ويقال: ذات السلسلة؛ ما حفظه العلماء، ودوّنه الفقهاء، ونقله أصحاب الآثار، ورواه نقلة الأخبار، ممّا ينضاف إلى مناقبه عليه السلام في الغزوات، ويماثل فضائله في الجهاد؛ أنّ أصحاب السِيَر ذكروا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالساً إذ جاء أعرأبي فجثا بين يديه، ثم قال: إنّي جئت لأنصحك. قوم من العرب قد عمدوا على أن يبيّتوك بالمدينة. ووصفهم له؛ فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة جامعة. فاجتمعوا فصعد المنبر وأثنى عليه ثم قال: «أيُّها الناس! ان هذا عدوّ الله وعدوّكم قد أقبل إليكم يزعم أنّه يبيّتكم بالمدينة فمن للوادي؟» فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا. فناوله اللواء، وضمّ إليه سبعمائة رجل، وقال له: إمضِ. فمضى فوافى القوم ضحوة. فقالوا: من الرجل؟ قال: رسول للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: إمّا أن تقولوا: لا إله الّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أو لأضربنّكم بالسيف. قالوا له: إرجع إلى صاحبك فإنّا في جمع لا تقوم له. فرجع فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من للوادي؟» فقام رجل آخر من المهاجرين فقال: أنا. فدفع إليه الراية ومضى وعاد لمثل ما عاد صاحبه الأوّل فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أين علي بن أبي طالب؟» فقام عليه السلام فقال: أنا ذا قال: «امض الى الوادي» قال: نعم، وكانت له عصابة لا يعتصب بها حتى يبعثه في وجه شديد. فمضى الى منزل

فاطمة عليها السلام فالتمس العصابة منها، فقالت: أين تريد؟ وأين بعثك أبي؟ قال: إلى وادي الرمل. فبكت إشفاقاً عليه. فدخل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي على تلك الحال. فقال لها: «تبكين! أتخافين أن يقتل بعلك؟! كلّا ـ إن شاء الله تعالى ـ».

فقال علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تنفس عليّ بالجنّة، ثم خرج ومعه لواء النبيّ صلى الله عليه وآله فمضى حتّى وافى القوم بسحر. فأقام حتّى أصبح ثمّ صلّى بأصحابه الغداة وصفّهم صفوفاً، واتّكأ على سيفه مقبلاً على العدو. فقال: يا هؤلاء! أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله أو لأضربنّكم بالسيف. قالوا له: إرجع كما رجع صاحباك. قال: أنا لا أرجع. لا والله حتّى تسلموا أو أضربكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي‌طالب بن عبدالمطلب. فاضطرب القوم لمّا عرفوه ثم اجترأوا على مواقعته. فواقعهم فقتل منهم ستّة أو سبعة، وانهزم المشركون وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، وتوجّه عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فروي عن أُم سلمة قالت: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعا من منامه فقلت له: الله جارك قال: صدقتِ، الله جاري، لكن هذا جبرئيل يخبرني انّ علياً قادم. ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام. فقام المسلمون له صفّين مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلما بصر عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ترجل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان، فبكى عليه السلام وتسلّم المسلمون الغنائم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟ قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلّا انّه لم يؤمّ بنا في صلاة إلّا قرأ بنا فيها بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سأسأله عن ذلك. فلمّا جاءه قال له: لِم لم تقرأ بهم في فرائضك إلّا بسورة الإخلاص؟ فقال عليه السلام: أحببتها. قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فإنّ الله

قد أحبّك كما أحببتها. ثم قال له: يا علي! لولا اشفق ان تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بملأ منهم الّا اخذوا التراب من تحت قدميك.

قال: فكان الفتح في هذه الغزاة لأميرالمؤمنين عليه السلام خاصّة بعد ان كان من غيره فيها من الافساد ما كان، واختصّ عليه السلام من مديح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بها بفضائل لم يحصل منها شيء لغيره.

قال: وقد ذكر كثير من أصحاب السِيَر أنّ في هذه الغزاة نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿والعاديات ضبحاً﴾[1] إلى آخر السورة فتضمنت ذكر الحال في ما فعله أميرالمؤمنين عليه السلام فيها.

قال: ثم كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء، وكان الفتح له في هذه الغزاة بعد أن أُصيب يومئذٍ ناس من بني عبدالمطلب، وقتل عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه، وأصاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منهم سبياً كثيراً وقسّمه في المسلمين، وكان ممّن أُصيب يومئذٍ من السبايا جويرية بنت حارث، فأعتقها النبي صلى الله عليه وآله وجعلها في جملة ازواجه.

قال: ثم تلا ببني المصطلق الحديبيّة، وكان اللواء يومئذٍ إلى أميرالمؤمنين عليه السلام كما كان إليه في المشاهد قبلها، وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صفّ القوم في الحرب والقتال ما ظهر خبره، واستفاض ذكره، وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه والعهود اليهم في الصبر، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام المبايع للنساء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت بيعته لهن يومئذٍ أن طرح ثوباً بينهن وبينه ثم مسحه بيده فكانت مبايعتهن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمسح الثوب، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ثوب عليّ عليه السلام مما يليه، ولما

(١) العاديات: ١.

رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم؛ ضرع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح، ونزل عليه الوحي بالاجابة إلى ذلك، وأن يجعل أميرالمؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذٍ والمتولي لعقد الصلح بخطه. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: وهذا الكتاب بيننا وبينك يا محمّد. فافتتحه بما نعرفه، واكتب «باسمك اللهم» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: امح ما كتبت واكتب «باسمك اللهم» فقال عليه السلام: لولا طاعتك ما محوت «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم محاها وكتب باسمك اللهم.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اكتب «هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب الّذي بيننا إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة فسواء شهدت على نفسي بالرضا بذلك أو أطلقته من لساني، أُمحُ هذا الإسم واكتب: «هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبدالله» فقال له علي عليه السلام: إنّه والله رسول الله حقّاً على رغم أنفك. فقال سهيل: اكتب اسمه يمضي الشرط فقال عليه السلام: ويلك يا سهيل كفّ عن عنادك.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: أُمحها. فقال: إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فضع يدي عليها. فمحاها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال لعلي عليه السلام: «ستُدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض» ثمّ تمّم الكتاب. ولمّا تمّ الصلح نحر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هَدْيَه في مكانه فكان نظام تدبير هذه الغزاة متعلقاً بأميرالمؤمنين عليه السلام، وكان ما جرى فيها من البيعة، وصفّ الناس للحرب ثم الهدنة والكتاب كلّه لأميرالمؤمنين عليه السلام، وكان في ما هيّأه الله له من ذلك حقن الدماء، وصلاح أمر الإسلام.

قال: وقد روى الناس له عليه السلام في هذه الغزاة ـ بعد الّذي ذكرناه ـ فضيلتين اختص بهما وانضافتا إلى فضائله العظام، ومناقبه الجسام.

فروى إبراهيم بن عمر، عن رجاله، عن فائد مولى عبدالله بن سالم قال: لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد فيها ماء، فبعث سعد بن مالك بالروايا حتى اذا كان غير بعيد رجع وقال: ما أستطيع أن أمضي لقد وقفت قدماي رعباً من القوم. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : إجلس، ثم بعث آخر. فخرج بها حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأوّل رجع، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لِمَ رجعت؟ قال: والّذي بعثك بالحق نبيّاً ما استطعت أن أمضي رعباً، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أميرالمؤمنين عليه السلام فارسله بها، وخرج السقاة، وهم لا يشكّون في رجوعه لما رأوا من جزع من تقدمه. فخرج عليه السلام بالروايا حتى ورد الحرار واستقى. ثم أقبل بها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولها زجل، فلما دخل كبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له بخير.

قال: وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمّد إنَّ أرقّائنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى تبين الغضب في وجهه ثم قال: لتنتهيُنَّ يا معشر قريش أو ليبعثَنَّ الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر: أبوبكر ذلك الرجل؟ قال: لا، قال: فعمر؟ قال: لا. ولكنّه خاصف النعل في الحجرة، فتبادر الناس الى الحجرة ينظرون من الرجل. فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وقد روى هذا الحديث جماعة عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وقالوا فيه: إنّ علياً عليه السلام قصّ هذه القصة ثم قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار» وكان الّذي أصلحه عليه السلام من نعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شسعها فإنّه كان انقطع فخصف موضعه وأصلحه.

قال: ثم تلت الحديبية خيبر وكان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام بلا

ارتياب، وظهر من فضله في هذه الغزاة ما أجمع على نقله الرواة، وتفرد عليه السلام فيها من المناقب بما لم يشركه فيها أحد من الناس. فروى محمّد بن يحيى الأزدي عن مسعدة بن اليسع، وعبدالله بن عبدالرحيم عن عبدالملك بن هشام ومحمّد بن إسحاق، وغيرهما من أصحاب الآثار، قالوا: حاصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خيبر بضعاً وعشرين ليلة، وكانت الراية يومئذٍ لأميرالمؤمنين عليه السلام. فلحقه رمد فمنعه من الحرب وكان المسلمون يناوشون اليهود من بين أيدي حصونهم، وجنباتها، فلما كان ذات يوم فتحوا الباب وكانوا خندقوا على أنفسهم خندقاً، وخرج مرحب برجله يتعرض للحرب. فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله أبابكر. فقال له: خذ الراية. فأخذها في جمع من المهاجرين فلم يغن شيئاً، فعاد يؤنّب القوم الّذين اتبعوه ويؤنّبونه، فلما كان من الغد تعرّض لها عمر فسار بها غير بعيد ثم رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه فقال: ليست هذه الراية لمن حملها جيئوني بعلي بن أبي طالب. فقيل له: انه ارمد قال: ارونيه تروني رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يأخذها بحقّها ليس بفرّار فجاءوا بعليّ عليه السلام يقودونه إليه فقال له: ما تشتكي؟ قال: رمد ما أُبصِرُ معه، وصداع برأسي. فقال له عليه السلام: إجلس وَضَعْ رأسك على فخذي ففعل عليه السلام ذلك. فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتفل في يده فمسح بها على عينه ورأسه. فانفتحت عيناه، وسكن ما يجده من الصداع وقال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه له: اللهمَّ قِهِ الحر والبرد، وأعطاه الراية وكانت راية بيضاء وقال: خذها وامض بها فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم انهم يجدون في كتابهم أنّ الّذي يدمِّر عليهم، اسمه إيليا فإذا لقيتهم فقل: أنا عليّ فإنّهم يخذلون إن شاء الله تعالى قال عليه السلام: فمضيت بها حتّى أتيت الحصن فخرج مرحب، وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقلت:

أنا الذي سمتني أُمّي حيدرة كليث غابات شديد قسورة

اكيلكم بالسيف كيل السندرة

واختلفنا ضربتين فبدرته وضربته. فقددت الحجر والمغفر ورأسه حتّى وقع السيف في أضراسه فخرّ صريعاً.

قال: وجاء في الحديث انّه عليه السلام لما قال: أنا علي بن أبي طالب قال حَبْر من أحبارهم: غُلبتم وما أُنزل على موسى. فدخل على قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به، ولما قتل عليه السلام مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه عليه السلام، فصار إليه، فعالجه حتّى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ عليه السلام باب الحصن، فجعله على الخندق جسراً لهم حتّى عبروا، فظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، فلمّا انصرفوا من الحصن أخذ الباب بيمناه. فدحا به اذرعاً من الأرض وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً، ولما فتح عليه السلام الحصن، وقتل مرحباً، وأغنم الله المسلمين أموالهم استأذن حسّان النبيّ صلى الله عليه وآله أن يقول فيه عليه السلام شعراً فقال له: قل، فانشأ يقول:

وكان عليٌّ أرمد العين يبتغي دواءً فلما لم يحسَّ مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيا وبورك راقيا

وقال سأُعطي الراية اليوم صارماً كميّاً محبّاً للرسول مواليا

يحبّ إلهي والإله يحبّه به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفى بها دون البرية كلها عليّاً وسمّاه الوزير المؤاخيا[1]

(١) هذا تلخيص كلام المفيد في الارشاد: ٣٨ ـ ٦٧.

قلت: ولبروز تلك القوة الإلهية منه عليه السلام في خيبر ضلّ فيه جمع. فزعموا إلهيته. قال شاعرهم:

إنّما خالق الخلائق من زعـ ـزع أركان خيبر جذبا
قد رضينا به إلهاً وسجد نـا له مولى وربّا

قال: ثم تلا غزاة خيبر مواقف لم تجر مجرى ما تقدمها فنعمد لذكرها وأكثرها كان بعوثاً لم يشهدها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كان الاهتمام بها كالاهتمام بما سلف لضعف العدو، وغناء بعض المسلمين عن غيرهم فيها فأضربنا عن تعدادها وان كان لأميرالمؤمنين عليه السلام في جميعها حظ وافر من قول او عمل.

قال: ثم كانت غزوة الفتح، وهي التي وطّدت أمر الإسلام، ومَهّدتْ الدين بما منّ الله سبحانه على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فيها، وكان الوعد بها تقدم في قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً﴾[1] وقوله ـ عزّ وجلّ ـ قبلها بمدة طويلة ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون﴾[2] وكانت الاعين اليها ممتدة، والرقاب إليها متطاولة، ودبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأمر فيها بكتمان مسيره إلى مكّة، وسرّ عزيمته عن مراده بأهلها، وسأل الله تعالى أن يطوي خبره عن أهلها حتى يبغتهم بدخولها، وكان المؤتمن على هذا السرّ من بين الجماعة أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان الشريك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الرأي ثم أنماه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى جماعة بعد، واستتبَّ الأمر فيه على أحوال كان أميرالمؤمنين عليه السلام في جميعها متفرّداً من الفضل بما لم يشركه فيه غيره من الناس.

---

(١) النصر: ١ ـ ٢.

(٢) الفتح: ٢٧.

قال: فمن ذلك أنه لمّا كتب حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل مكّة، وقد شهد بدراً مع النبيّ ﷺ كتاباً إلى أهل مكّة يطلعهم على سرّ رسول الله ﷺ في المسير إليهم. فجاء الوحي إلى النبيّ ﷺ بما صنع، وبنفوذ كتاب حاطب إلى القوم؛ تلافى النبي ﷺ ذلك بأميرالمؤمنين عليه السلام، ولو لم يتلافه به لفسد التدبير الّذي بتمامه كان نصر المسلمين.

قال: ولما دخل أبو سفيان المدينة لتجديد العهد بينه وبين قريش عندما كان من بني بكر في خزاعة، وقتلهم من قتلوا منها فقصد أبوسفيان ليتلافى الفارط من القوم، وقد خاف من نصرة النبيّ ﷺ لهم، وأشفق مما حلّ بهم يوم الفتح فأتى النبيّ ﷺ، وكلّمه في ذلك. فلم يردّ عليه جواباً. فقام من عنده فلقيه أبوبكر فتشبث به، فظن انه يوصله إلى بغيته من النبيّ ﷺ. فقال: ما أنا بفاعل ذلك لعلمه بأنّ سؤاله في ذلك لا يغني شيئاً. فظنّ أبوسفيان بعمر ما ظنه بأبي بكر فكلّمه في ذلك. فدفعه بغلظة وفظاظة كاد أن يفسد الرأي على النبي ﷺ. فعدل إلى بيت أميرالمؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له وعنده فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. فقال له: إنّك امسّ القوم بي رحماً، وأقربهم منّي قرابة. فلا ارجعن كما جئت خائباً اشفع لى في ما قصدته. فقال له عليه السلام: ويحك يا أباسفيان! لقد عزم النبيّ ﷺ على أمر لا نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفت أبوسفيان إلى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنت محمد! هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس. فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر. فقالت: ما بلغ بنيّاي أن يجيرا بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله، فتحيَّر أبو سفيان وسقط في يديه.

ثم أقبل على أمير المؤمنين فقال له: أرى الأُمور التبست عليّ فانصح لي

فقال عليه السلام له: ما أرى شيئاً يغني عنك ولكنّك سيّد بني كنانة، قم واجر بين الناس ثم الحق بارضك. قال: فترى ذلك مغنياً عنّي شيئاً قال: لا والله، ما أظن ولكن ما أجد غير ذلك.

فقام أبوسفيان في المسجد. فقال: أيّها الناس! إنّي قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق فلمّا قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمّداً فكلّمته فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم لقيت ابن الخطاب فوجدته فظّا غليظاً لا خير فيه، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم لي، وأشار عليَّ بشيءٍ فصنعته. فوالله ما أدرى يغني عنّي شيئاً أم لا. قالوا: بما أمرك؟ قال: أمرني أن أُجير بين الناس ففعلت. فقالوا: هل أجاز ذلك محمّد قال: لا. قالوا: ويلك فوالله ما زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك.

فقال أبوسفيان: لا. والله ما وجدت غير ذلك، وكان الّذي فعله أميرالمؤمنين عليه السلام من أصوب رأى لتمام أمر المسلمين، وأصحّ تدبير، وتمّ به للنبيّ صلى الله عليه وآله في القوم ما تم، ألا ترى أنّه عليه السلام صدق أبا سفيان عن الحال ثم لان له بعض اللين حتّى خرج عن المدينة، وهو يظنّ أنّه على شيء فانقطع بخروجه على تلك الحال موادّ كيده الّتي كان يتشعث بها الأمر على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك انّه لو خرج آيسا حسب ما آيسه الرجلان لتجدد للقوم من الرأي في حربه عليه السلام، والتحرز منه ما لم يخطر لهم ببال مع مجيء أبيسفيان إليهم بما جاء اذ كان يقيم بالمدينة على التمحُّل لتمام مراده بالاستشفاع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيتجدّد بذلك أمر يصدّه عن قصد قريش أو يثبّطه عنهم تثبيطا يفوته معه المراد، وكان التوفيق من الله تعالى لرأي أميرالمؤمنين عليه السلام في ما رآه من تدبير الأمر مع أبيسفيان حتّى انتظم بذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من فتح مكّة ما أراد.

قال: ولمّا أمر النبيّ صلى الله عليه وآله سعد بن عبادة بدخول مكّة بالراية غلظ على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، فدخل وهو يقول «اليوم يوم الملحمة. اليوم تسبى الحرمة» فسمعها العباس. فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: أما تسمع ما يقول سعد بن عبادة، وإنّي لا آمن أن يكون له في قريش صولة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين عليه السلام أدرك سعدا فخذ الراية منه، وكن أنت الّذي تدخل بها مكّة. فأدركه عليه السلام فأخذها منه ولم يمتنع عليه سعد من دفعها إليه، وكان تلافي الفارط من سعد في هذا الأمر بأميرالمؤمنين عليه السلام، ولم ير النبيّ صلى الله عليه وآله أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سواه عليه السلام، وعلم أنّه لو رام ذلك غيره لامتنع سعد عليه، وكان في امتناعه فساد التدبير واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين، ولمّا لم يكن سعد يخفض جناحه لأحد من المسلمين وكافة الناس سوى النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يكن وجه الرأي توليه صلى الله عليه وآله أخذ الراية منه بنفسه؛ ولّى ذلك من يقوم مقامه ولا يتميز عنه، ولا يعظم أحد من المقرين بالملة عن الطاعة له، ولا يراه دونه في الرتبة، وفي هذا من الفضل الّذي يخصّصه بالنبيّ صلى الله عليه وآله ما لم يشركه فيه أحد، ولا ساواه في نظير له مساو، وكان علم الله تعالى ورسوله في تمام المصلحة بإنفاذ أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ما كشف به عن اصطفائه لجسيم الأُمور، كما كان علم الله تعالى في من اختاره للنبوّة، وكمال المصلحة ببعثه؛ كاشفاً عن كونه أفضل الخلق أجمعين.

ثم ذكر فتح مكّة وما وقع وقال: وفي ما ذكرنا من أعمال أميرالمؤمنين عليه السلام في قتل من قتل من أعداء الله بمكّة، وإخافة من أخاف، ومعونته النبيّ صلى الله عليه وآله على تطهير المسجد من الأصنام، وشدّة بأسه في الله، وقطعه الأرحام في الله ـ عزّ وجلّ ـ أدلّ دليل على تخصيصه من الفضل بما لم

يكن لأحد منهم سهم فيه حسبما قدّمناه.

قال: ثم اتّصل بفتح مكّة إنفاذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ابن عامر ـ وكانوا بالغميصاء ـ يدعوهم إلى الله، وإنّما أنفذه للترة التي كانت بينه وبينهم، وذلك أنّهم كانوا أصابوا في الجاهلية نسوة من بني المغيرة، وقتلوا الفاكه بن المغيرة عم خالد بن الوليد، وقتلوا عوفاً أبا عبدالرحمن بن عوف. فأنفذه لذلك، وأنفذ معه عبدالرحمن بن عوف للترة الّتي كانت بينه وبينهم، ولولا ذلك لما رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خالدا أهلا للامارة على المسلمين، وكان من أمره ما قدّم ذكره، فخالف عهد الله، وعهد رسوله، وعمل فيه على سنّة الجاهلية، واطّرح حكم الإسلام وراء ظهره فبرأ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من صنيعه، وتلافى فارطه بأميرالمؤمنين عليه السلام[1].

قلت: وفي (تاريخ أحمد بن أبي يعقوب) لمّا أصلح علي عليه السلام ما أفسده خالد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لما فعلت أحبّ إليّ من حمر النعم، ويومئذٍ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: فداك أبواى[2].

وفي (الطبري): بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فلمّا رأوا خالداً أخذوا السلاح فقال لهم: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا. فلمّا وضعوه أمر بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف[3].

ثم ذكر (إرشاد المفيد) بعدما مر، غزوة حنين وقال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عشرة آلاف، وأعجب أبابكر الكثرة يومئذ فقال: «لن نغلب اليوم من قلة» وكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وفي ذلك أنزل تعالى: ﴿ويوم حنين إذ

---

(١) هذا تلخيص كلام المفيد في الارشاد: ٦٨ ـ ٧٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٦١.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٤١ سنة ٨.

أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين * ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[١] يعني أميرالمؤمنين عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم وهم يومئذٍ ثمانية.

قال: فانظر الى مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة، وتأملها، وفكّر في معانيها تجده عليه السلام قد تولّى كل فضل كان فيها، واختصّ من ذلك بما لم يشركه فيه أحد من الأُمة، وذلك أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ثبت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند انهزام الناس كافة الّا النفر الّذين كان ثبوتهم بثبوته عليه السلام، وذلك أنّا قد احطنا علما بتقدمه في الشجاعة والبأس، والصبر والنجدة، على العباس وابنه الفضل، وأبي سفيان بن الحرث، والنفر الباقين لظهور أمره في المقامات الّتي لم يحضرها احد منهم، واشتهار خبره في منازلة الأقران، وقتل الأبطال، ولم يعرف لأحد من هؤلاء مقام من مقاماته، ولا قتيل عزي إليهم بالذكر، فعلم بذلك أنّ ثبوتهم كان به عليه السلام، ولولاه كانت الجناية على الدين لا تتلافى، وأنَّ بمقامه ذلك المقام، وصبره مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان رجوع المسلمين إلى الحرب، وتشجعهم في لقاء العدو.

ثم ما كان من قتله عليه السلام أبا جرول متقدم المشركين ما كان هو السبب في هزيمة القوم وظفر المسلمين بهم.

وكان من بلية المتقدم عليه في مقام الخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ان عان المسلمين باعجابه بالكثرة، وكانت هزيمتهم بسبب ذلك أو كان أحد اسبابها.

ثم ما كان من صاحبه ـ أي عمر ـ من قتل الاسرى من القوم، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عن قتلهم، ما ارتكب به عظيم الخلاف لله تعالى ولرسوله حتى أغضبه ذلك، وآسفه فأنكره وأكبره، وكان من صلاح أمر الأنصار بمعونة

---

(١) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

أميرالمؤمنين عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في جمعهم وخطابهم ما قوي به الدين، وزال به الخوف من الفتنة التي أظلّت القوم بسبب القسمة. فساهم أميرالمؤمنين عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في فضل ذلك، وشركه فيه دون من سواه، وتولّى من أمر العباس ابن مرداس ما كان سبب استقرار الإيمان في قلبه وزوال الريب في الدين من نفسه، والانقياد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الطاعة لأمره، والرضا بحكمه.

ثم جعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحكم على المعترض في قضائه علَماً على حق أميرالمؤمنين عليه السلام في فعاله، وصوابه في حروبه، ونبّه صلى الله عليه وآله وسلم على وجوب طاعته صلى الله عليه وآله وسلم، وحظر معصيته، وأنّ الحق في حيّزه وجنبه، وشهد له بأنّه خير الخليقة، وهذا يباين ما كان من خصومة الغاصبين لمقامه من الفعال، ويضادّ ما كانوا عليه من الأعمال، ويخرجهم من الفضل الى النقص الذي يوبق صاحبه أو يكاد، فضلاً عن سموّه على أعمال المخلصين في تلك الغزاة، وقربهم بالجهاد الذي تولّوه، فبانوا به ممّن ذكرناه بالتقصير الّذي وصفناه.

قال: ولما فضّ الله جمع المشركين بحنين تفرقوا فرقتين. فأخذت الأعراب ومن تبعهم إلى أوطاس، وأخذت ثقيف ومن تبعها إلى الطائف ـ إلى أن قال ـ:

ثم سار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الى الطائف فحاصرهم أيّاماً، ثم أنفذ أميرالمؤمنين عليه السلام في خيل وأمره ان يطأ ما وجد، ويكسر كلّ صنم وجده، فخرج حتّى لقيته خيل خثعم في جمع كثير. فبرز لهم رجل من القوم يقال له شهاب في غبش الصبح فقال له: هل من مبارز فقال عليه السلام: من له؟ فلم يقم اليه أحد فبرز عليه السلام إليه وهو يقول:

ان على كلّ رئيس حقا ... أن يروى الصعدة او تدقّا

ثم ضربه فقتله، ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام، وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو محاصرأهل الطائف. فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كبّر للفتح، وأخذ بيده فخلا به، وناجاه طويلا.

فروى عبد الرحمن بن سيابة، والأجلح جميعاً عن أبي الزبير عن جابر الأنصاري أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا خلا بعلي عليه السلام يوم الطائف أتاه عمر بن الخطاب. فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به فقال: يا عمر! ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه، فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين. فلم ندخله وصدّونا. فناداه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لم أقل لكم إنكم تدخلونه في ذلك العام، ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان في خيل من ثقيف فلقيه أميرالمؤمنين ببطن وجّ فقتله، وانهزم المشركون، ولحق القوم الرعب. فنزل جماعة منهم الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا. وكان حصار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الطائف بضعة عشر يوماً، وهذه الغزاة أيضاً ممّا خصّ الله سبحانه فيها أميرالمؤمنين عليه السلام بما انفرد به من كافة الناس، وكان الفتح فيها على يده وقتل من قتل من خثعم، به دون من سواه، وحصل له من المناجاة الّتي أضافها النبي صلى الله عليه وآله إلى الله ـ عزّ اسمه ـ ما ظهر به من فضله، وخصوصيته من الله تعالى بما بان به من كافة الخلق، وكان من عدوّه فيها ما دلّ على باطنه، وكشف الله عن حقيقة سرّه وضميره، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب.

قال: ثم كانت غزوة تبوك فأوحى الله ـ عزّ اسمه ـ إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ان يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج، وأعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدوّ، وأنّ الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبّده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم ليتميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم،

فاستنفرهم الى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتد القيظ عليهم. فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ وبُعد المسافة، ولقاء العدو. ثم نهض بعضهم على استثقال وتخلّف آخرون، ولمّا أراد الخروج استخلف أميرالمؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره وقال له: إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك.

وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علم من خبث نيات الأعراب، وكثير من أهل مكّة، ومن حولها ممّن غزاهم، وسفك دماءهم. فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن معرّتهم، وايقاع الفساد في دار هجرته، والتخطّي إلى ما يشين أهله ومخلّفيه، وعلم أنّه لا يقوم مقامه في ارهاب العدو وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام، فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصّ عليه بالإمامة نصّاً جلياً.

وذلك في ما تظاهرت به الرواية أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله له عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنّها تتحرّس به، ولا يكون فيها للعدوّ مطمع. فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الإفساد، والاختلاط عند نأي النبيّ صلى الله عليه وآله، وخلّوها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلّف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا بأميرالمؤمنين عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إكراماً له وإجلالاً ومودّة، وانّما خلّفه استثقالاً له. فبهتوه بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالجنّة تارة، وبالشعر أُخرى، وبالسحر مرة، وبالكهانة أُخرى، وهم يعلمون ضدّ ذلك ونقيضه كما علم المنافقون ضدّ ما أرجفوا به على

أميرالمؤمنين وخلافه، وأنّه كان أخصّ الناس به، وأحبّ الناس إليه، وأسعدهم عنده، وأحظاهم وأقضاهم لديه، فلمّا بلغه عليه السلام إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم، واظهار فضيحتهم؛ فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّ المنافقين يزعمون انك إنّما خلّفتني استثقالا لي ومقتاً. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «إرجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبيّ بعدي».

فتضمن هذا القول من النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصه على أميرالمؤمنين بالإمامة، وإبانته من الكافة بالخلافة، ودلّ به على فضلٍ لم يشركه فيه أحد سواه، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلّا المستثنى منها لفظاً وعقلاً.

وقد علم كل من تأمل معاني القرآن، وتصفّح الروايات والأخبار أنّ هارون كان أخا موسى عليه السلام لأبيه وأمّه وشريكه، ووزيره على نبوّته، وتبليغ رسالات ربّه، وأنّ الله سبحانه شدّ به أزره، وأنّه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة؛ كامامته وفرض طاعته، وأنّه كان أحبّ قومه إليه، وأفضلهم لديه قال عزّ وجلّ حاكيا عن موسى ﴿رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيرا﴾[1]. فأجاب الله مسألته وأعطاه سؤله في ذلك وأمنيته حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾[2] وقال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٣٤.

(٢) طه: ٣٦.

وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾[1].

فلمّا جعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلّا ما خصّه العرف من الأُخوة، واستثناه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لفظاً من النبوّة، وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أميرالمؤمنين عليه السلام، ولا ساواه في معناه ولا قاربه فيها على حال، ولو علم الله تعالى أنّ لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب لما أذن له في تخليفه عنه بالمدينة حسب ما قدّمناه، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه، وأنّ إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال فدبّر الله تعالى الخلق والدين بما قضاه في ذلك، وامضاه على ما بيّناه وشرحناه.

قال: ولما انصرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك قدم عليه عمرو بن معديكرب. فآمن به وآمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم ثم انّ عمراً نظر إلى أُبيّ ابن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته ثم جاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أعدني على هذا الفاجر الذي قتل أبي.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية» فانصرف عمرو مرتدّاً فأغار على قوم من بني الحرث بن كعب، ومضى إلى قومه، فاستدعى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّره على المهاجرين، وأنفذه إلى بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب، وأمره أن يعمد لجعفي، وإذا التقيا فأمير الناس عليّ عليه السلام فسار أميرالمؤمنين عليه السلام، واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص، واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري. فأمّا جعفى فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين، فذهبت فرقة الى اليمن، وانضمّت الفرقة الأُخرى إلى بني زبيد. فبلغ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام: فكتب إلى

---

(١) الاعراف: ١٤٢.

خالد بن الوليد أن قف حيث أدركك رسولي. فلم يقف. فكتب إلى خالد بن سعيد تعرَّضْ له حتّى تحبسه، فاعترض له حتّى حبسه، وأدركه أميرالمؤمنين عليه السلام. فعنّفه على خلافه. ثمّ سار حتّى لقي بني زبيد بواد يقال له كسر.

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة قال: سيعلم إن لقيني، وخرج عمرو فقال: من يبارز فنهض أميرالمؤمنين عليه السلام إليه. فصاح به صيحة، فانهزم عمرو وقتل اخوه، وابن أخيه، وأُخِذَت امرأته ركانة بنت سلامة، وسبي منهم نسوان، وانصرف أميرالمؤمنين عليه السلام وخلّف عليهم خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمّن من عاد إليه من هرّابهم مسلما.

فرجع عمرو واستأذن على خالد، فأذن له. فعاد إلى الإسلام، فكلّمه في امرأته وولده. فوهبهم له، وقد كان عمرو لمّا وقف بباب خالد، وَجَد جزوراً قد نحرت فجمع قوائمها فضربها بسيفه فقطعها جميعاً وكان يسمّى سيفه الصمصامة فوهبه لخالد.

قال: وكان أميرالمؤمنين عليه السلام قد اصطفى من السبي جارية فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: تقدم الجيش إليه. فأعلمه بما فعل عليٌّ من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، وقَع فيه، فسار بريدة حتى انتهى إلى باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فلقيه عمر. فسأله عن حال غزوتهم، وعن الّذي أقدمه. فأخبره أنّه إنّما جاء ليقع في عليٍّ وذكر له اصطفاء الجارية من الخمس لنفسه. فقال له عمر: إمض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته ممّا صنع عليٌّ. فدخل بريدة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعه كتاب من خالد بن الوليد بما ارسل به بريدة. فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقرأه ووجهه يتغيّر. فقال له بريدة: انّك إن رخّصت للناس في مثل هذا اذهب فيئهم.

فقال النبيّ ﷺ: ويحك يا بريدة احدثت نفاقاً. إنَّ علياً يحلّ له من الفيء ما يحلّ لي، انّ علياً خير الناس لك ولقومك، وخير من أُخلّف من بعدي لكافة أُمّتي، يا بريدة احذر أن تبغض عليّاً فيبغضك الله. قال بريدة: فتمنيت أنّ الأرض انشقت لي فسخت فيها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله، وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي، فلن ابغض علياً أبداً، ولا أقول فيه إلّا خيراً، فاستغفر له.

قال: وفي هذه الغزاة من المنقبة له عليه السلام ما لا يماثلها منقبة لأحد سواه والفتح فيها كان على يديه عليه السلام خاصّة، وظهر من فضل أميرالمؤمنين عليه السلام ومشاركته للنبيّ ﷺ في ما احلّ الله له من الفيء واختصاصه من ذلك بما لم يكن لغيره من الناس، وبان من مودّة النبي ﷺ له وتفضيله إيّاه ما كان خفياً على من لا علم له بذلك، وكان من تحذير النبي ﷺ بريدة وغيره من بغضه وعداوته وحثّه له على مودّته وولايته وردّ كيد أعدائه في نحورهم ما دلّ على أنّه افضل البريّة عند الله تعالى وعند النبي ﷺ. وأحقهم بمقامه بعده وأخصّهم به في نفسه وآثرهم عنده[1].

قال: فمن ذلك أنّ النبيّ ﷺ جمع خاصّة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلى الإسلام فعرض عليهم الإيمان، واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان، وضمن لهم على ذلك الحظوة في الدنيا والشرف وثواب الجنان، فلم يجبه أحد منهم إلّا أميرالمؤمنين. فنحله بذلك تحقيق الأُخوة والوزارة والوراثة والخلافة، وأوجب له به الجنة، وذلك في حديث الدار الّذي أجمع على صحّته نقّاد الآثار حين جمع النبي ﷺ بني عبدالمطّلب في دار أبي‌طالب وهم أربعون رجلاً يومئذٍ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً ـ في ما ذكره

---

(١) هذا تلخيص كلام المفيد في الارشاد: ٧٤ ـ ٨٦.

الرواة ـ وأمر أن يصنع لهم طعامٌ، فخذ شاة مع مدّ من برّ، وان يعدّ لهم صاع من اللبن، وقد كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذَعة في مقام واحد، وبشرب الفرق من الشراب في ذلك المقعد، فأراد النبيّ ﷺ بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية في شبعهم وريّهم ممّا كان لا يشبع واحداً منهم ولا يرويه، ثمّ أمر النبيّ ﷺ بتقديمه لهم. فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملّوا منه، ولم يبن ما أكلوه منه وشربوا، فبهرهم بذلك، وبيّن لهم آية نبوّته، وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى.

ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب: يا بني عبدالمطّلب! إنّ الله بعثني إلى الخلق كافّة، وبعثني اليكم خاصّة. فقال ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم، وتدخلون بهما الجنّة، وتنجون بهما من النار «شهادة الّا إله إلّا الله وأنّي رسول الله». فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويوازرني عليه، وعلى القيام به يكن أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي. فلم يجبه أحد منهم.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: فقمت بين يديه من بينهم، وأنا أصغرهم سنّاً، واحمشهم ساقاً، وأرمصهم عيناً. فقلت: أنا يا رسول الله أُوازرك على هذا الأمر. فقال: اجلس.

ثم أعاد على القوم القول ثانية، فاصمتوا. فقمت أنا و قلت مثل مقالتي الأُولى فقال: اجلس. ثم أعاد على القوم ثالثة. فلم ينطق أحد منهم بحرف. فقمت وقلت: انا اوازرك يا رسول الله على هذا الأمر فقال: اجلس. فأنت أخي، ووصيي، ووزيري ووارثي، وخليفتي من بعدي. فنهض القوم، وهم يقولون لأبي طالب: «ليهنأك اليوم ان دخلت في دين

ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك».

وهذه منقبة جليلة اختصّ بها أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار، ولا أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدل لها من الفضل ولا مقارب على حال، وفي الخبر بها ما يفيد أنّ بأميرالمؤمنين عليه السلام تمكّن النبيّ صلى الله عليه وآله من تبليغ الرسالة واظهار الدعوة والصدع بالإسلام ولولاه لم تثبت الملّة، ولا استقرّت الشريعة ولا ظهرت الدعوة فهو ناصر الإسلام، ووزير الداعي إلى الإسلام من قبل الله ـ عزّ وجلّ ـ وبضمانه له النصرة تمّ له في النبوّة ما أراد، وفي ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلاً، ولا تعادله الفضائل كلها محلاً وقدراً.

قال: ومن ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أمره بالهجرة عند اجتماع الملأ من قريش على قتله، فلم يتمكن من مظاهرتهم بالخروج عن مكّة، وأراد الاستسرار بذلك، وتعمية خبره عنهم ليتم له الخروج على السلامة منهم؛ ألقى خبره إلى أميرالمؤمنين عليه السلام واستكتمه إيّاه، وكلّفه الدفاع عنه بالمبيت على فراشه من حيث لا يعلمون انّه هو البائت على الفراش، ويظنّون أنّه النبيّ صلى الله عليه وآله بائتاً على حاله الّتي كان يكون عليها في ما سلف من اللّيالي.
فوهب عليه السلام نفسه لله تعالى، وشراها من الله تعالى في طاعته، وبذلها دون نبيّه عليه السلام لينجو به من كيد الأعداء، ويتمّ له بذلك السلامة والبقاء، وينتظم له به الغرض في الدعاء إلى الملة، وإقامة الدين، وإظهار الشريعة.

فبات على فراشه متستراً بإزاره، وجاءه القوم الذين تمالأُوا على قتله فأحدقوا به وعليهم السلاح يرصدونه طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً، فيذهب دمه فرغا بمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل، ولا يتمُّ لهم الأخذ بثأره منهم لاشتراك الجماعة في دمه، وقعود كل قبيلة عن قتال رهطه، ومباينة

أهله، فكان ذلك سبب نجاة النبي صلى الله عليه وآله وحفظ دمه، وبقائه حتى صدع بأمر ربه.

ولولا أميرالمؤمنين عليه السلام وما فعله من ذلك؛ لما تمّ له التبليغ والأداء، ولا استدام له العمر والبقاء، ولظفر به الحسدة والأعداء. فلمّا أصبح القوم وأرادوا الفتك به؛ ثار أميرالمؤمنين عليه السلام إليهم فتفرّقوا عنه حين عرفوه، وكان بذلك انتظام الايمان وإرغام الشيطان، وخذلان أهل الكفر والعدوان، ولم يشاركه في هذه المنقبة أحد من أهل الإسلام، ولا أُحيط بنظير لها على حال، ولا مقارب لها في الفضل بصحيح الاعتبار.

وفي أميرالمؤمنين عليه السلام ومبيته على الفراش أنزل سبحانه ﴿ومن الناس من يشري نفسه ٱبتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد﴾.

قال: ومن ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين قريش على ودائعهم، فلمّا فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكّة؛ لم يجد في قومه وأهله من يأتمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أميرالمؤمنين عليه السلام، فاستخلفه في ردّ الودائع إلى أربابها، وقضاء ما كان عليه دَين لمستحقيه، وجمع بناته ونساء أهله، وأزواجه والهجرة بهم اليه، ولم ير أنّ أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس، فوثق بأمانته، وعوّل على نجدته وشجاعته، واعتمد في الدفاع عن أهله وحامّته على بأسه وقدرته، واطمأنّ إلى ثقته على أهله وحرمه، وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن معه النفس إلى أمانته على ذلك، فقام عليه السلام به أحسن القيام، وردّ كلّ وديعة إلى أهلها، وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه، وحفظ بنات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه، وهاجر بهم ماشياً على قدميه يحوطهم من الأعداء، ويكلأهم من الخصماء، ويرفق بهم في المسير حتّى أوردهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة على أتمّ صيانة وحراسة، ورفق ورأفة، وحسن تدبير، فأنزله

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند وروده المدينة داره وأحلّه قراره، وخلطه بحرمه وأولاده، ولم يميّزه من خاصة نفسه، ولا احتشمه في باطن أمره وسرّه.

وهذه منقبة توحّد أميرالمؤمنين عليه السلام بها من كافة أهل بيته وأصحابه، ولم يشركه فيها أحد من أشياعه وأتباعه، ولم يحصل لغيره من الخلق فضل سواها يعادلها عن السبر، ولا يقاربها على الامتحان، وهي مضافة الى ما قدّمناه من مناقبه القاهر فضلها، الباهرة بشرفها قلوب العقلاء، قال: ومن ذلك ما أجمعت عليه السِيَرُ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم الى الإسلام وأنفذ معه جماعة من المسلمين فيهم البراء بن عازب، وأقام خالد على القوم ستّة أشهر يدعوهم فلم يجبه أحد منهم، فساء ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فدعا أميرالمؤمنين عليه السلام وأمره أن يقفل خالداً ومن معه، وقال له: إن أراد ممّن مع خالد أن يعقب معك فاتركه. قال البراء: فكنت في من عقب معه، فلمّا انتهينا إلى أوايل أهل اليمن، وبلغ القوم الخبر تجمّعوا له. فصلّى بنا الفجر ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قرأ على القوم كتاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب عليه السلام بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاستبشر، وابتهج، وخرّ ساجداً شكراً لله تعالى، ثم رفع رأسه وجلس وقال «السلام على همدان» ـ ثم تتابع بعد اسلام همدان ـ أهل اليمن على الإسلام.

وهذه أيضاً منقبة له عليه السلام ليس لأحد من الصحابة مثلها ولا مقاربها، وذلك أنّه لما وقف الأمر في ما بعث له خالد وخيف الفساد لم يوجد من يتلافى ذلك سواه، فندب عليه السلام له فقام به أحسن قيام، وجرى على عادة الله تعالى عنده في التوفيق لما يلائم إيثار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان بيمنه ورفقه وحسن تدبيره، وخلوص نيّته في طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ هداية من اهتدى بهديه من الناس،

واجابة من أجاب إلى الإسلام وعمارة الدين، وقوة الايمان وبلوغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما آثره من المراد وانتظام الأمر على ما قرّت به عينه، وظهر استبشاره به و سروره بتمامه لكافّة أهل الإسلام، وقد ثبت أنّ الطاعة تعظم بتعاظم النفع فيها كما تعظم المعصية بتعاظم الضرر بها، ولذلك صار الأنبياء عليهم السلام أعظم الخلق ثواباً لتعاظم النفع بدعوتهم على سائر المنافع بأعمال من سواهم من الناس.

قال: ومثل ذلك أيضاً ما جاء في قصّة «براءة» وقد دفعها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر لينبذ بها عهد المشركين. فلمّا سار غير بعيد نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: انّ الله يقرؤك السلام ويقول: «لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك» فاستدعى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وقال له: إركب ناقتي العضباء وألحق أبابكر فخذ «براءة» من يده وامض بها إلى مكّة، وانبذ بها عهد المشركين إليهم وخيّر أبابكر بين أن يسير مع ركابك أو يرجع إليّ، فركب عليه السلام ناقته العضباء، وسار حتّى لحق أبابكر. فلمّا رآه فزع من لحوقه به واستقبله وقال: فيم جئت يا أبا الحسن؟ أسائر أنت معي أم لغير ذلك؟ فقال عليه السلام له: أمرني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن ألحقك، فأقبض منك الآيات من «براءة» وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أُخيّرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه. فقال: بل أرجع إليه، وعاد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: إنّك أهّلتني لأمر طالت الأعناق إليّ فيه. فلمّا توجّهت له رددتني عنه، مالي؟ أنزل فيّ قرآن؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا. ولكنّ الأمين جبرئيل عليه السلام هبط إليّ عن الله ـ عزّ وجلّ ـ بأنّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وعليّ منّي ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ ـ في حديث مشهور ـ.

وكان نبذ العهد مختصاً بمن عقده او بمن يقوم مقامه في فرض الطاعة وجلالة القدر، وعلو الرتبة، وشرف المقام، ومن لا يرتاب بفعاله، ولا يعترض عليه في مقاله، ومن هو كنفس العاقد وأمره أمره. فإذا حكم بحكم مضى

واستقر، وامن الاعتراض فيه، وكان بنبذ العهد قوة الإسلام، وكمال الدين، وصلاح أمر المسلمين، وفتح مكّة، فأحبّ الله تعالى أن يجعل ذلك في يد من ينوّه باسمه، ويعلي ذكره، وينبّه على فضله، ويدلّ على علو قدره، ويُبيّنه به عمّن سواه.

قال: وأمثال ما عدّدناه كثير ان عمدنا إلى ايراده طال الكتاب، وفي ما أثبتناه كفاية لذوي الألباب[1].

قلت: ولمّا قال عمر لابن عباس: إنّ قريشا قدّموا أبابكر وأخّروا صاحبك لأنّهم استصغروه؛ قال له ابن عباس: لكن الله لم يستصغره حيث أمره أن يأخذ براءة من صاحبك[2].

وقال هشام بن الحكم العجب من إخواننا نصبوا من عزله الله تعالى من السماء، وعزلوا من نصبه من السماء[3].

قوله عليه السلام في الأوّل «وإنّ مسيري هذا لمثلها»: أي وإنّ مسيري إلى أهل الجمل مثل مسيري في غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من بدر إلى حنين، ويشهد لكون غزواته بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل غزواته مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قول عمّار في صفين مشيراً إلى معاوية «لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الرابعة ما هي بأبرّ وأتقى من تلك»[4].

هذا، وجعل (إرشاد المفيد) هذه الفقرة بعد الفقرة الآتية «والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنّهم مفتونين» وفيه «وان مسيري

---

(١) هذا تلخيص كلام المفيد في الارشاد: ٢٩ ـ ٣٨.

(٢) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات، عنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٥، شرح الخطبة ٢٢٦، والجوهري في السقيفة: ٧٠ وغيرهما والنقل بالمعنى.

(٣) رواه في تكملة فهرست ابن النديم: ٢٢٤، والنقل بالمعنى.

(٤) روى هذا المعنى ابن مزاحم في وقعة صفين: ٣٤٠.

هذا عن عهد إليّ فيه»[١].

ومسيره الأوّل كان على تنزيل القرآن، ومسيره الأخير على تأويله وفي (إرشاد) محمّد بن محمّد بن النعمان روى إسماعيل بن علي العمي، عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر محمّد بن علي، عن أبيه عليه السلام قال: انقطع شسع نعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فدفعها إلى عليّ عليه السلام يصلحها ثم مشى في نعل واحد غلوة أو نحوها، وأقبل على أصحابه، وقال: إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل. فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟ قال: لا. قال: فأمسك القوم، ونظر بعضهم إلى بعض. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لكنّه خاصف النعل وأومأ بيده إلى علي عليه السلام وانّه يقاتل على التأويل اذا تركت سنّتي ونبذت، وحرّف كتاب الله، وتكلّم في الدين من ليس له ذلك. فيقاتلهم عليٌّ على إحياء دين الله تعالى[٢][٣].

«والله لقد قاتلتهم كافرين ولأُقاتلنّهم مفتونين» قال ابن أبي الحديد: «هذا الكلام يؤكّد قول أصحابنا إنّ أصحاب صفّين والجمل ليسوا بكفّار خلافاً للامامية»[٤].

قلت: إنّ الإماميّة لا يدّعون أنّهم كانوا كافرين ظاهراً بل باطناً، وكونهم كافرين باطناً لا يمنع من اطلاق اسم المسلمين المفتونين عليهم، ومن مقابلتهم للكافرين الظاهرين.

ويشهد لقول الاماميّة بكفرهم باطنا قوله تعالى: ﴿فمنهم من

---

(١) الارشاد: ١٣٢.

(٢) الإرشاد: ٦٥.

(٣) في الأولى فقرة «فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه» فأخره الشارح وفقرة «مالي ولقريش» فأسقط شرحه.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٦.

آمن ومنهم من كفر﴾[1] روى نصر بن مزاحم ـ وهو من رجالهم ـ في (صفّينه) عن يحيى عن علي بن حزّور، عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين، هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم، الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة، والحجّ واحد، فبِمَ نسمّيهم؟ قال: تسمّيهم بما سمّاهم الله في كتابه قال: ما كل في الكتاب أعلمه قال: أما سمعت الله تعالى قال ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـ إلى ـ ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[2] فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله، وبالكتاب وبالنبيّ وبالحق. فنحن الّذين آمنوا، وهم الّذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدىً بمشية الله ربّنا وارادته[3].

ثم ما يفعل بأهل النهروان فظاهر كلامه عليه السلام كونهم أيضاً من المفتونين لا الكافرين مع أنّ أصحابه أيضاً يقولون بكفرهم.

والإمامية لا يقتصرون على أصحاب الجمل وصفّين، بل يطردون كلامه عليه السلام في معنى الآية في الثلاثة المتقدّمين عليه ويأتون في ذلك ببراهين كما مرَّ نُبَذٌ مراراً، ويأتي نُبَذٌ كراراً.

«وإنّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم» إلى هنا العنوان الأول في نسخنا وزاد ابن أبي الحديد بعده «والله ما تنقم منّا قريش إلّا أنّ الله اختارنا عليهم. فادخلناهم في حيّزنا فكانوا كما قال الاول:

(١ و ٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) وقعة صفين: ٣٢٢.

ادمت لعمري شربك المحض صابحا

واكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن

عليّا وحطنا حولك الجرد والسّمرا[1]

وابن ميثم أيضاً اقتصر على ما في نسخنا لكن قال: قد نقل في بعض النسخ في تمام هذه الخطبة «لتضجّ قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوّة والخلافة والله ما أتينا إليهم إلّا إنّا اجترأنا عليهم» ـالخ ـ[2].

هذا، وفي (إرشاد المفيد): هذه الخطبة خطب عليه السلام بها لمّا نزل الربذة في توجهه إلى البصرة، فلقيه بها آخر الحاج. فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه، وهو في خبائه. قال ابن عباس: فأتيته فوجدته يخصف نعلاً فقلت له: نحن إلى ان تصلح أمرنا أحوج إلى ما تصنع. فلم يكلّمني حتى فرغ من نعله. ثم ضمّها إلى صاحبتها، وقال لي: قوّمها. فقلت: ليس لهما قيمة. قال: على ذاك. قلت: كسر درهم. قال: والله لهما أحبّ إليّ من أمركم هذا إلّا أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً قلت إنّ الحاجّ اجتمعوا ليسمعوا من كلامك. فتأذن لي في أن أتكلم فإن كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان منّي؟ قال: لا. أنا أتكلّم. ثم وضع يده على صدري وكان شثن الكفين فآلمني ثم قام فاخذت بثوبه، وقلت: نشدتك الله والرحم! قال: لا تنشدني ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد! فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة، فساق الناس إلى منجاتهم أمَ والله ما زلت في ساقتها ـالى آخر ما مر[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٧٥.

(٣) رواه المفيد في الارشاد: ١٣٢، والنقل بتصرف يسير في غير المتن.

قوله عليه السلام في الأوّل «فلأنقبّن الباطل حتّى يخرج الحق من جنبه» وفي الثاني «وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أُخرج الحق من خاصرته» دالٌّ على أنّ المتقدّمين عليه لبسوا الحقّ بالباطل على حدّ بلّعوا الباطل الحق حتّى صار الحقّ في جوف الباطل، وأنّه عليه السلام يجدّ ويسعى في أنّ ينقب الباطل ويبقر بطنه حتى يخرج الحق من جنبه وخاصرته.

وكان بلغ من لبسهم على الناس بتبليغاتهم الباطلة أنّ مسلم بن عقبة لمّا حضره الموت قال: اللهمَّ إنّك تعلم أنّي لم أغشّ خليفة قطُّ في سرّ وعلانية، وان أزكى عمل عملته بعد شهادة ألّا اله إلّا الله قتلي أهل الحرّة، ولئن دخلت النار بعد قتلهم إنّي لشقي، وقال لطبيبه الّذي بعثه يزيد معه لمرضه: اليك عنّي إنّما كنت أُحبّ أن أبقى حتّى أشتفي من قتلة عثمان، وقد أدركت ما أردت فما شيء أحبّ إليّ من أن أموت على طهارتي قبل أن أُحدث حدثاً، فإنّ الله قد طهّرني بقتل هؤلاء الأرجاس.

وفي (الصحاح): «نَقَبَ البيطارُ سرّة الدابة ليخرج منها ما اصفرَّ، وتلك الحديدة مِنْقَبٌ، والمكان مَنْقَبٌ بالفتح قال اقبّ لم ينقب البيطار سرّته» وقولهم أبقرها عن جنينها: أي: شق بطنها عن ولدها، والخصر وسط الانسان[1].

٣
الخطبة (٣٧)

ومن كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة:

«فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ ٱللّٰهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَٱسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا. كَالْجَبَلِ لَاتُحَرِّكُهُ ٱلْقَوَاصِفُ،

---

(١) صحاح اللغة ١: ٢٢٧ مادة نقب.

وَلَا تُزِيلُهُ ٱلْعَوَاصِفُ؛ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ؛ ٱلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ، وَٱلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْه. رَضِينَا عَنِ ٱللَّهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ. أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وآله ؟! وَٱللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي؛ فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَت بَيْعَتِي؛ وَإِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي».

أقول: قال الصاحب بن عبّاد مخاطباً له عليه السلام مشيراً إلى نحو ما عدّده عليه السلام من صفاته:

أيا ابن عم رسول الله أفضل من	ساد الأنام وساس الهاشمينا
يا بدرة الدين يا فرد الزمان أصِخْ	لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سيفك في الإسلام لو عرفوا	وهذه الخصلة الغرّاء تكفينا
هل مثل علمك إنْ زلّوا وإنْ وَهَنُوا	وقد هُدِيتَ كما أصبحت تهدينا
هل مثل قولك إذ قالوا مجاهرة	لولا عليٌّ هلكنا في فتاوينا
هل مثل جمعك للقرآن تعرفه	لفظاً ومعنىً وتأويلاً وتبيينا
هل مثل صبرك إذ خانوا وإذ فشلوا	حتى جرى ما جرى في يوم صفّينا
هل مثل بذلك للعاني الأسير وللـ	ـطِّفل الصغير وقد أعطَيتَ مسكينا

وفي (مجالس المفيد): سئل الفضل بن شاذان عن الدليل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام قال: الدليل عليه من كتاب الله تعالى ومن سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، ومن إجماع المسلمين. فأمّا كتاب الله فقوله تعالى ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[1] فدعانا إلى طاعة أُولي الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله، فاحتجنا إلى معرفة أُولي الأمر كما يوجب

---

(١) النساء: ٥٩.

علينا معرفة الله، ومعرفة رسوله فنظرنا في أقاويل الأمّة فوجدناهم قد اختلفوا، وأجمعوا في الآية على ما يوجب كونها في أميرالمؤمنين، فقال بعضهم: أُولو الأمر هم أُمراء السرايا، وقال بعضهم هم العلماء وقال بعضهم: هم القُوّام على الناس، والآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، وقال بعضهم: هم عليٌّ بن أبي‌طالب، والأئمة من ذريته.

فسألنا الفرقة الأُولى، فقلنا لهم: أليس علي بن أبي طالب من أُمراء السرايا؟ فقالوا بلى: وقلنا للثانية: ألم يكن علي من العلماء؟ فقالوا: بلى، وقلنا للثالثة: أليس عليٌّ كان من القوّام على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقالوا: بلى. فصار أميرالمؤمنين عليه السلام معيّناً بالآية باتفاق الأمّة وإجماعها، وتيقّنّا ذلك بإقرار المخالف لنا في إمامته، والموافق عليها، فوجب أن يكون إماماً بهذه الآية لوجود الاتّفاق على أنّه معنيّ بها، ولم يجز العدول الى غيره والاعتراف بإمامة سواه لوجود الاختلاف في ذلك، وعدم الاتفاق وما يقوم مقامه في البرهان.

وأما السنّة؛ فإنّا وجدنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استقضى عليّاً عليه السلام على اليمن، وأمّره على الجيوش، وولّاه الأموال، وأمره بأدائها إلى بني جذيمة الّذين قتلهم خالد بن الوليد ظلماً، واختار عليّاً عليه السلام لأداء رسالات الله ـ عزّ وجلّ ـ والإبلاغ عنه سورة براءة، واستخلفه عند غيبته على من خلّف، ولم نجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سنّ هذه السنن في غيره، ولا اجتمعت هذه السنن في أحد بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما اجتمعت في عليٍّ عليه السلام، وسنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واجبة بعد موته كوجوبها في حياته، وإنّما تحتاج الأمّة لهذه الخصال الّتي ذكرناها. فإذا وجدناها في رجل قد سنّها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه كان أولى بالإمامة ممّن لم يسنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه شيئاً من ذلك.

وأمّا الاجماع؛ فإنّ إمامته تثبت من وجوه؛ منها أنّهم قد أجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام قد كان إماماً، ولو يوماً واحداً، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الملّة. ثم اختلفوا فقالت طائفة: كان إماماً في وقت كذا دون كذا، وقالت طائفة: كان إماماً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع أوقاته، ولم تجتمع الأُمّة على غيره إنّه كان إماماً في الحقيقة طرفة عين، والاجماع أحق أن يتّبع من الخلاف.

ومنها أنهم أجمعوا جمعاً على أنّ عليّاً عليه السلام كان يصلح للإمامة، وأنّ الإمامة تصلح لبني هاشم، واختلفوا في غيره؛ فقالت طائفة: لم تكن تصلح لغير علي عليه السلام، ولا تصلح لغير بني هاشم، والإجماع حق لا شبهة فيه والاختلاف لا حجة فيه.

ومنها أنّهم أجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام كان بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ظاهر العدالة واجبة له الولاية. ثم اختلفوا فقال قوم: انّه كان مع ذلك معصوماً من الكبائر والضلال، وقال آخرون: لم يكن معصوماً ولكن كان عدلاً برّاً تقيّاً لا يشوب ظاهره الشوائب. فحصل الإجماع على عدالته، واختلفوا في نفي العصمة عنه، ثم أجمعوا كلّهم على أنّ أبابكر لم يكن معصوماً واختلفوا في عدالته. فقالت طائفة: كان عدلاً وقالت أُخرى: لم يكن عدلاً لأنّه أخذ ما ليس له. فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا في عصمته أولى بالإمامة ممّن اختلفوا في عدالته، وأجمعوا على نفي العصمة عنه[1].

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة» قال ابن أبي الحديد: هذه فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض، وإنّما الرضيُّ التقطها من كلام له عليه السلام طويل منتشر قاله بعد النهروان، ذكر فيه حاله منذ توفي

(١) ليس هذا في مجالس المفيد بل رواه المفيد في العيون والمحاسن وعنه الفصول المختارة ١: ٨٢، والنقل بتصرف يسير.

النبيّ ﷺ إلى آخر وقته.

الفصل الأوّل: قوله عليه السلام «فقمت ـ إلى ـ واستبددت برهانها» يذكر فيه مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيّام أحداث عثمان، وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا ولم يواجهوه بما كان هو عليه السلام يواجهه به وينهاه عنه.

والفصل الثاني: قوله عليه السلام «كالجبل ـ إلى ـ رضينا» ذكر فيه حاله عليه السلام بعد أيّام خلافته.

والفصل الثالث: من قوله عليه السلام «رضينا ـ إلى ـ فنظرت» قاله عليه السلام لما تفرّس من قوم في عسكره أنّهم يتّهمونه في ما يخبرهم به عن النبيّ ﷺ من الملاحم والغائبات.

والفصل الرابع، من قوله «فنظرت» الى آخره، يذكر فيه حاله بعد وفاة النبيّ ﷺ وأنّه كان معهوداً إليه أن لا ينازع في الأمر[1].

قلت: قلنا في أوّل الكتاب[2]: إن ما ينسبه إلى الرضي رحمه الله انّه يسرد ما يلتقط من كلام واحد أو متعدد؛ خلاف طريق المحاورة، ولا يناسب مع البلاغة الّتي جعلها الرضي موضوع كتابه، وإنّا رأينا الرضيّ رحمه الله يقول في ما اذا ما حذف من خطبة او كلام او كتاب «ومنها» و«ومنه» فإن كان له هنا في ما قاله سند فليأت به، وان كان قاله: حدساً، فالظن لا يغني من الحق شيئاً.

وممّا يدل على بطلان زعمه في خصوص الفصلين الأولين، ورود مضمونيهما متصلين في زيارته عليه السلام في المبعث «وقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تعتعوا، ومضيت بنور الله اذ وقفوا، فمن اتّبعك فقد اهتدى. كنت

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧ والنقل بتلخيص.

(٢) مر في شرح فقرة «ولا أقصد التقالي» من خطبة المصنف.

اوّلهم كلاماً. وأشدّهم خصاماً، وأصوبهم منطقاً، وأسدّهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم يقيناً وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور. كنت للمؤمنين أباً رحيماً. إذ صاروا عليك عيالاً؛ فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمّرت إذ جبنوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، كنت على الكافرين عذاباً صبّاً، وغلظة وغيظاً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً وعلماً، لم تفلل حجتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك. كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ قوياً في بدنك متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً في السماء، لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لخلق فيك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، يوجد الضعيف الذليل عندك قوياً عزيزا حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيفاً ذليلاً حتّى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وعزم، ورأيك علم وحزم. إعتدل بك الدين، وسهل بك العسير، وأُطفئت بك النيران، وقوي بك الإيمان، وثبت بك الإسلام»[١].

وما أنكر ابن أبي الحديد من اتصالهما مع كون كليهما وصف حاله وشرح صفاته، ويشهد لاتصالهما أيضاً ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني في (كافيه) مسنداً عن أسيد الصحابي قال: لمّا كان اليوم الّذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض النبي ﷺ، وجاء رجل باكياً وهو يقول: «اليوم إنقطعت خلافة النبوّة» حتى وقف على باب البيت الّذي فيه أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: «رحمك الله يا أبا الحسن، كنت

---

(١) رواه المجلسي في بحار الانوار ١٠٠: ٣٧٦، وبتفاوت هو في المصدر ١٠٠: ٣٢٢ عن طرق.

أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله، وآمنهم على أصحابه، أفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله، وأشبههم به هدياً وخُلقاً وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه. فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً. قويتَ حين ضعف أصحابه، وبرزتَ حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله إذ همّ أصحابه، كنت خليفته حقّاً لم تنازع ولم تضرع، برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وضغن الفاسقين. فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فُهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً، وأقلّهم كلاماً، وأصوبهم نطقاً، وأكبرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور، كنت والله يعسوباً للدّين أوّلاً وآخراً. الأول حين تفرّق الناس، والآخر حين فشلوا. كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً. فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمَّرت إذ اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا ـ إلى أن قال ـ وبكى، وبكى أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ طلبوه فلم يصادفوه[1].

ومن أين أنّ ما جعله الفصل الثالث والرابع لم يكن ربطهما بقرائن حالية عرفها الشاهدون كأن يكون قوله عليه السلام «رضينا» إلى آخر كلامه جواباً لتعبير المنافقين له بقوده كالجمل المخشوش لبيعة أبي‌بكر، وأنّ ما يدّعيه من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «إنّ الأمّة ستغدر بك»[2] افتراءً منه عليه السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم

(١) رواه الكليني في الكافي ١: ٤٥٤ ح ٤.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و١٤٢، والثقفي في تاريخه، وعنه تلخيص الشافي ٣: ٥٠ و٥١، وغيرهما.

وأنّه عليه السلام كان مأموراً من قبله صلى الله عليه وآله بالصبر على ما يرى بعده منهم، مع أنّه لو تجمد على ربط حاقّ اللفظ كان عليه أن يجعل كلامه عليه السلام فصولاً خمسة لأنّ قوله عليه السلام «أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله» إلخ أربط له بقوله عليه السلام «رضينا عن الله قضاءه...» وقد جعلهما كلاماً واحداً، ثمّ على فرض كون كلامه فصولاً من أين أنّ المراد بها ما قاله؟ فهو رجم بالغيب وستعرف المراد بها مع الشواهد، مع أنّ قوله: «أنّ الفصل الأوّل يذكر عليه السلام فيه مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيّام أحداث عثمان، وكون المهاجرين كلّهم لم ينكروا ولم يواجهوا عثمان بما كان عليه السلام يواجهه به وينهاه عنه»[1] غلط فإنّ عثمان لم يكن له رفعة حتّى يفتخر عليه السلام بذلك، والمهاجرون كلّهم أنكروا عليه، مؤمنوهم ومنافقوهم، حتّى عمرو بن العاص، وكيف ومن رؤوس المهاجرين عندهم طلحة والزبير وعائشة، وهم الذين سبّبوا قتله؟ وأمر عثمان كان أمراً أنكره كلّ برّ وفاجر، واشترك في قتله المهاجرون والأنصار والتابعون، وانكار جمع سيّرهم إلى الشام لانكارهم مذكور في السِيَر، وانكارات أبي‌ذر حتّى سيّره أوّلاً إلى الشام، ثمّ إلى الربذة؛ معروفة، وإنكارات عمّار حتّى داسوا بطنه لذلك، وحدث به فتق وخيف هلاكه؛ معلومة، ولم نعلم في المهاجرين من لم ينكر على عثمان، اللّهمّ إلّا أن يريد بما قال أبا سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة، وباقي بني أُميّة وذويه ممّن قاموا معه «يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع»[2]، نعم تصدّى عليه السلام أيّام عثمان لبعض الأُمور ممّا لم يجترئ عليه غيره. كمشايعته أباذر لمّا أخرجه عثمان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧.

(٢) هذا جزء من الخطبة الشقشقية رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ١: ٣٥، الخطبة ٣.

إلى الربذة ظلماً، وإقامته عليه السلام الحدّ على أخي عثمان لأُمّه الوليد بن عقبة لمّا سكر وصلّى الصبح بالناس أربعاً وغنّى في صلاته.

«فقمت بالأمر حين فشِلوا» بالكسر: أي جبنوا. روى الطبري: أنّ يوم أُحد لمّا قَتل عليّ عليه السلام أصحاب الألوية؛ أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من مشركي قريش. فقال لعلي عليه السلام: إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم كراراً وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي. فقال جبرئيل عليه السلام يا رسول الله: انّ هذه للمواساة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً: لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي[1].

وروى أيضاً أن أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك، انتهى إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم. فقال: ما يجلسكم قالوا: قتل محمّد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم استقبل القوم فقاتل ـ إلى أن قال ـ

وفشا في الناس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أُبيّ. فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان. يا قوم! انّ محمّداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم.

قال أنس بن النضر: يا قوم! إن كان محمّد قد قتل فإنّ ربّ محمّد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. اللّهم إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء ثمّ شدّ بسيفه فقاتل حتّى قتل ـ إلى أن قال ـ فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ للّذين قالوا: انّ محمّداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧ سنة ٣.

ينقلب على عقبيه فلن يضرّالله شيئاً﴾[١].

وهو وإن أجمل في الذيل؛ إلّا أنّ إفصاح الصدر يكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

«**وتطلّعت حين تقبّعوا**» يقال: قبع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده.

قال القمّي: كانت راية قريش يوم اُحد مع طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمّد! تزعمون أنّكم تجهّزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهّزكم بأسيافنا إلى الجنّة؛ فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إليّ. فبرز إليه أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال له طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب، قال: قد علمت يا قضيم أنّه لا يجسر عليّ غيرك ـ إلى أن قال ـ:

سئل أبوعبدالله عليه السلام عن معنى قول طلحة له عليه السلام: يا قضيم! فقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان بمكّة، ولم يجسروا عليه لمكان أبي طالب يغرون به صبيانهم. فكانت صبيانهم إذا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يرمونه بالحجارة والتراب. فشكا ذلك إلى علي عليه السلام. فقال له: بأبي أنت واُمّي! إذا خرجت فأخرجني معك. فخرج معه، وتعرّض الصبيان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كعادتهم، فحمل عليهم علي عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم، وآنافهم، وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم، ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي، فسمّي لذلك القضيم[٢].

وفي (الطبري): فرّ يوم اُحد عثمان بن عفان، ورجلان من الأنصار، حتى بلغوا الجلعب ـ جبل بناحية المدينة ـ فأقاموا به ثلاثاً ـ الخبر[٣].

ولما كان يوم الأحزاب، وبرز عمرو بن عبد ود وطلب المبارز مرّة بعد

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٩ سنة ٣، والآية ١٤٤ من آل عمران.

(٢) تفسير القمي ١: ١١٢ و١١٤ والنقل بتقطيع وتصرّف.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٣ سنة ٣.

مرّة حتى بحّ صوته، فتقبعوا وأدخلوا رؤسهم في أعناقهم كالقنفذ؛ تطلّع عليه السلام إليه وبادر الى حربه حتى قتله.

وممّا يدلّ على فشل صحابتهم الذين يبخبخون بهم، وعلى تقبّعهم ما رواه الطبري في الأحزاب عن محمّد بن كعب قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة: يا أبا عبدالله! رأيتم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون. قال: والله لقد رأيتنا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخندق، وصلّى هويّا من اللّيل ثم التفت إلينا قال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشرط له رسول الله أنّه يرجع ادخله الله الجنّة. قال: فما قام منّا رجل. قال: ثم صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هوياً من اللّيل ثم التفت إلينا. فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم. ثم يرجع ويشرط له رسول الله الرجعة، وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة. قال: فما قام رجل من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد، فلمّا لم يقم أحد دعاني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني ـ الخبر[1].

وما رواه الطبري في الحديبيّة عن المسوّر قال: لمّا فرغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من قضيته قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلمّا لم يقم أحد قام فدخل على أُم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس[2].

وروي عن ابن عباس قال: حلق يوم الحديبية، وقصّر آخرون. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يرحم الله المحلّقين قالوا: والمقصّرين يا رسول الله. قال صلى الله عليه وآله: يرحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: يرحم الله المحلقين

(١) تاريخ الطبري ١: ٢٤٤ سنة ٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٨٣، سنة ٦.

قالوا يا رسول الله والمقصرين. قال: يرحم الله المحلقين والمقصّرين قالوا: يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلّقين دون المقصرين قال: لأنّهم لم يشكّوا[1].

قلت: وقصّة شك عمر ذلك اليوم وإنكاره على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم معروفة قال الطبري قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عمرو بن لؤي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا له: إيت محمّداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا. فوالله لا تحدّث العرب أنّه دخل علينا عنوة أبداً. قال: فأقبل سهيل ـ إلى أن قال ـ فلمّا انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلّم. فأطال الكلام وتراجعا. ثم جرى بينهما الصلح. فلمّا التام الأمر، ولم يبق إلّا الكتاب، وثب عمر. فأتى أبابكر فقال: يا أبابكر! أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين. قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنيّة في ديننا. ـ إلى أن قال ـ ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! ألست برسول الله. قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين. قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين. قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال: أنا عبدالله ورسوله لن أُخلف أمره ولن يضيعني[2].

وزاد في خبر آخر: فقام عمر مغضباً وقال: والله لو أجد أعواناً ما أعطيت الدنيّة أبداً ـ إلى أن قال ـ:

فلما كان يوم الفتح وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مفتاح الكعبة قال: أُدعوا لي عمر فجاء فقال هذا الذي كنت وعدتكم به[3].

«ونطقت حين تمنّعوا» هكذا في (المصرية) والصواب «تعتعوا» كما في

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٨٣، سنة ٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٨٠ سنة ٦.

(٣) لم يوجد في تاريخ الطبري نعم روى هذا المعنى الواقدي في المغازي ١: ٦٠٧ و٦٠٩.

(ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1] والتعتعة التردد في الكلام من حصر أوعيّ، وقال الشاعر:

اخاطب جهراً اذ لهن تخافت   وشتّان بين الجهر والمنطق الخفت

وفي الآثار أنّ رجلين اختصما إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بقرة قتلت حماراً، فقال أحدهما يا رسول الله بقرة هذا الرجل قتلت حماري. فقال: اذهبا إلى أبي‌بكر فاسألاه عن ذلك فجاءا إليه، وقصا عليه قصّتهما. قال: كيف تركتما النبيّ وجئتماني؟! قالا: هو أمرنا بذلك. فقال لهما: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربّها. فعادا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاخبراه.

فقال لهما: إمضيا إلى عمر فمضيا، فقال لهما: كيف تركتما النبي وجئتماني؟! فقالا: إنّه أمرنا، قال: كيف لم يأمركما بالمصير إلى أبي‌بكر؟ قالا: قد أمرنا وصرنا إليه، قال: فما الّذي قال؟ قالا: كيت وكيت قال: ما أرى إلّا رأي أبي بكر فعادا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال لهما: إذهبا إلى عليّ بن أبي طالب. فمضيا إليه. فقال عليه السلام: إن كانت البقرة دخلت على الحمار في مأمنه. فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل على البقرة في مأمنها فقتلته فلا غرم على صاحبها. فعادا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فأخبراه بقضيّته. فقال عليه السلام: لقد قضى عليّ بن أبي‌طالب بينكما بقضاء الله تعالى، ثم قال: الحمد لله الّذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود في القضاء[2].

«ومضيت بنور الله حين وقفوا» لما كان حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكّة يخبرهم بعزيمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على فتح مكّة، واعطى الكتاب امرأة سوداء

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧ وبعض نسخ شرح ابن ميثم ٢: ٩٢.

(٢) رواه المفيد في الارشاد: ١٠٦ والسروي في المناقب ٢: ٣٥٤ والنقل بتصرف يسير.

كانت وردت المدينة لتستميح الناس، وجعل لها جعلاً ان توصله إلى قوم سمّاهم لها من أهل مكّة، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق؛ فنزل الوحي بذلك. فاستدعى النبي صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له: إنّ بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكّة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله تعالى أن يعمّي أخبارنا عليهم، والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها، وانزع الكتاب منها وخلّها. ثم استدعى النبي صلى الله عليه وآله الزبير، وقال: له إمض مع عليّ في هذا الوجه، فمضيا، وأخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الّذي معها. فأنكرته، وحلفت أنّه لا شيء معها، وبكت. فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً. فارجع بنا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله لنخبره ببراءة ساحتها. فقال عليه السلام: يخبرني النبي صلى الله عليه وآله أنّ معها كتاباً، ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت: لا كتاب معها، ثم اخترط سيفه، وتقدم إليها فقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك. ثم لأضربن عنقك. فقالت: إذا كان لابدَّ من ذلك. فأعرض بوجهك عنّي. فأعرض عليه السلام فكشفت قناعها، وأخرجت الكتاب من عقيصتها؛ فأخذه وصار به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله[1].

«وكنت أخفضهم صوتاً» خفض الصوت من ممدوح الصفات، وضدّه من مذمومها. قال تعالى حاكيا عن لقمان لابنه: ﴿واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[2]».

«وأعلاهم فوتاً» أي: من أن يفوت منه شيء ويسبق عليه، وفي النهاية «فاتنى فلان بكذا» اي سبقني به[3].

---

(١) رواه المفيد في الارشاد: ٣٣ والواقدي في المغازي ٢: ٧٩٧، وابن هشام في السيرة ٤: ٢٩.

(٢) لقمان: ١٩.

(٣) النهاية ٣: ٤٧٧ مادة فوت.

وفي (تفسير القمي): كانت هند بنت عتبة قد أعطت في غزوة أحد، وحشياً عهداً لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة لأُعطينَّك رضاك ـ وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشياً فقال لها: أمّا محمّد فلا أقدر عليه، وأمّا علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات، فلم أطمع فيه، ولكن أكمن لحمزة ـ إلخ[١].

«فطرت» الكلمة مركبة من فاء التعقيب، والمتكلم وحده من طار.

«بعنانها» أي: طرت بعنان فرس السبق. فقالوا في المضمار يستحق من سبق ولو بعنق فرسه من السبقة وما وقع عليه لراهنه، ويمكن أن تكون السبقة مشتركة بين المجلي والمصلي والتالي والبارع والمرتاع والخطي والعاطف والموئل واللطيم والسكيت دون الفسكل وهو الأخير لأنه يصدّق في كل من سواه التقدم على الآخر في الجملة، ولكن من كان سبقه كمن طار بعنان فرسه لابد أن يستقل بالرهان، ولا يكون له فيه شريك من باقي الفرسان[٢].

«كالجبل لا تحرّكه القواصف» أي: الرياح الكاسرة للأشجار.

«ولا تزيله العواصف» أي: الرياح الشديدة الناقلة للأشياء من محلّ إلى محلّ آخر.

ولما بعثه النبيّ ﷺ لقبض ما صالح عليه أهل نجران، ففعل ورجع، وقد كان النبيّ ﷺ توجّه وساق البدن، وأشركه عليه السلام في هديه تقدم عليه السلام على الجيش للقاء النبيّ ﷺ. ثم عاد إليهم، ووجدهم قد لبسوا الحلل الّتي كانت معهم فأنكر ذلك عليهم، وانتزعها منهم، وشدّها في الأعدال فاضطغنوا

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٦ والنقل بتصرف.

(٢) اسقط الشارح هنا شرح فقرة «واستبددت برهانها».

ذلك عليه، فلمّا دخلوا مكّة على النبيّ صلى الله عليه وآله أكثروا الشكاية منه عليه السلام. فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله منادياً ينادي في الناس «إرفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب فإنّه خشن في ذات الله -عزّ وجلّ- غير مداهن في دينه» فكفّوا[١].

«لم يكن لأحد فيَّ مهمز» أي: محل عيب. قيل للصادق عليه السلام: إنّ قوماً هاهنا ينتقصون علياً عليه السلام. قال: بِمَ ينتقصونه لا أباً لهم، وهل فيه موضع نقيصة. والله ما عرض لعليّ عليه السلام أمران قط كلاهما لله طاعة إلّا عمل بأشدّهما وأشقّهما، ولقد كان يعمل العمل كأنّه قائم بين الجنّة والنّار، ينظر الى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظر الى عقاب هؤلاء فيعمل له، وان كان ليقوم الى الصلاة، فإذا قال «وجّهت وجهي» تغيّر لونه حتّى يعرف ذلك في وجهه، ولقد أعتق ألف عبد من كدّ يده كلهم يعرق فيه جبينه وتحفى فيه كفّه، ولقد بُشِّرَ بعين انبعثت في ماله مثل عنق الجزور. فقال: «بشّر الوارث. بشّر الوارث» ثم جعلها صدقة على الفقراء والمساكين وابن السبيل -الخبر[٢].

«ولا لقائل فيَّ مغمز» أي: موضع طعن.

وإنّما أراد عمر الغمز فيه عليه السلام كباقي ستة الشورى فلم يجد شيئاً، فاضطر إلى أن يستهجن فضائله عليه السلام فأخرج حسن خلقه عليه السلام في لباس سوء، فسمّاه دعابة وتبعه عمرو بن العاص، وأراد معاوية همزه عليه السلام. ففضح نفسه والمؤسّسين له فكتب إليه عليه السلام: «انك كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى بايعت أبا بكر»[٣] فأجابه عليه السلام: «لقد أردتَ أن تذمَّ فمدحتَ، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن

---

(١) رواه المفيد في الارشاد: ٩١ و٩٢ والنقل بتلخيص.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧٣، شرح الخطبة ٥٧.

(٣) هذا المعنى جاء في رواية ابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، والشريف الرضي في نهج البلاغة ٣: ٣٣، الكتاب ٢٨، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٥٧، شرح الكتاب ٢٨، وأقرب الألفاظ لابن مزاحم.

شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه»[1].

«الذليل عندي عزيز حتّى آخذ الحق له» روى ابن عبد ربه في (عقده).

والبغدادي في (بلاغاته) في وفود سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية قالت له: لا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة، وهذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك. فقتل رجالي، وأخذ مالي يقول لي: فوهي بما أستعصم الله منه وألجأ إليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، وإمّا لا فعرفناك. فقال لها معاوية: أتهدّديني بقومك؛ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردّك إليه ينفّذ فيك حكمه. قال: فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلّى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والايمان مقرونا

فقال لها: ومن ذاك؟ قالت: عليّ بن أبيطالب. قال: وما صنع بك حتّى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمت عليه في رجل ولّاه صدقاتنا قدم علينا من قبله فكان بيني و بينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً لأشكو إليه ما صنع. فوجدته قائماً يصلّي. فلما نظر إليّ انفتل من صلاته. ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر. فبكى ثم قال: «اللهم إنّك أنت الشاهد عليّ وعليهم. أنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك».

ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بيّنة من ربكم ف﴿أوفوا الكيل والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقية الله خير لكم

---

(١) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٣: ٣٣، الكتاب ٢٨.

إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾[١] إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام». قالت: فاخذته منه والله ما ختمه بطين، ولا خزمه بخزام فقرأته. فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون ـ الخبر[٢].

والمراد بقول سودة «فوهي بما أستعصم الله منه»: أي سبّي عليّاً، وأستعيذ بالله من ذلك.

«والقوي عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه» في (المناقب): أخذ (علي) عليه السلام رجلاً من بني أسد في حدّ. فاجتمع قومه ليكلّموه فيه، وطلبوا إلى الحسن عليه السلام أن يصحبهم. فقال: إيتوه فهو أعلى بكم عيناً. فدخلوا عليه وسألوه، فقال: لا تسألوني شيئاً أملك إلّا أعطيتكم. قال: فخرجوا يرون انّهم قد أنجحوا، فسألهم الحسن عليه السلام فقالوا: أتينا خير مأتيّ، وحكوا له قوله. فقال: «ما كنتم فاعلين إذا جلد صاحبكم فاصنعوه» قال: فأخرجه عليٌّ عليه السلام فحدّه ثم قال: «هذا والله لست أملكه»[٣].

هذا ورووا ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ عن أسلم أبي زيد بن أسلم قال: خلا عمر لبعض شأنه وقال: أمسك عليَّ الباب. فطلع الزبير. فكرهته حين رأيته فأراد أن يدخل. فقلت: هو على حاجة قال: فلم يلتفت إليّ، وأهوى ليدخل فوضعت يدي في صدره. فضرب أنفي. فأدماه. ثم رجع فدخلت على عمر فقال: ما بك؟ قلت: الزبير. فأرسل الى الزبير، فلما دخل جئت فقمت لأنظر ما يقول له. فقال: ما حملك على ما صنعت ادميتني للناس، فقال

---

(١) هود: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد ١: ٢٩١، والبغدادي في بلاغات النساء: ٤٨ واللفظ للبغدادي.

(٣) رواه السروي في المناقب ٢: ١٤٧.

الزبير: ـيحكيه ويمطّط في كلامه ـ أدميتني. اتحتجب عنّا يا ابن الخطاب؟ فوالله ما احتجب عني رسول الله ولا أبوبكر. فقال عمر كالمعتذر: إنّي كنت في بعض شأني. قال اسلم فلمّا سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقي فخرج الزبير. فقال عمر: انّه الزبير وآثاره ما تعلم.

وفي (عيون ابن قتيبة): تنازع إثنان؛ أحدهما سلطاني والآخر سوقي، فضربه السلطاني فصاح واعمراه، ورفع خبره إلى المأمون، فأمر بإدخاله عليه. قال: من أين أنت؟ قال: من أهل فامية، فقال: إنّ عمر كان يقول: من كان جاره نبطياً واحتاج إلى ثمنه فليبعه فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه[1].

«رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره» يمكن ربط هذا بما قبله. انّه لمّا بيّن عليه السلام مقاماته، ورفعه على الباقين كرفع السماوات على الأرضين كان عليه السلام بمقتضى بداهة العقول مستحقاً لمقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أي: لسلطانه، وإلّا فمقام إمامته كان أمراً من عندالله تعالى وقد كان المتقدمون عليه حازوا سلطانه فسلّى نفسه بما قال «رضينا...».

«أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلّم» هكذا في (المصرية)، والصواب: «صلّى الله عليه وآله وسلم» كما في (ابن أبي الحديد) وغيره[2].

«والله لأنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب عليه» قد عرفت أنّ ابن أبي الحديد قال: انه كلام قاله عليه السلام لمّا تفرّس من جمع انّهم يتّهمونه في ما يخبرهم به عن النبيّ صلى الله عليه وآله من الملاحم والغائبات[3].

قلت: إذا كان عليه السلام يخبرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالملاحم لم يكن لهم دواع

---

(١) عيون الاخبار ١: ٣٣٠.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٧ وفي شرح ابن ميثم ٢: ٩٣ «عليه وآله».

(٣) مر في صدر هذا العنوان.

إلى تكذيبه، وانّما كان عليه السلام يخبرهم بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عيّنه خليفته ووصيّه وقائماً مقامه، وقد رووا أنفسهم ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الدار، يوم جمع بني عبدالمطلب وقال: أيّكم يوازرني على أن يكون خليفتي، ويوم تبوك لما قال المنافقون: خلّفه على المدينة استثقالاً له، ويوم غدير خم و قد رووه متواتراً[١]، ومواقع أُخر، فكان المنافقون إذا كان عليه السلام يخبرهم بذلك -وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يشير اليه عليه السلام من يوم بعثته إلى ساعة رحلته تصريحاً وتلويحاً وقولاً وعملاً- ينسبونه إلى الكذب على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي خبر رواه (الاحتجاج) عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي‌بكر وعمر: وكأنّي بكما قد سلبتماه ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا، ولكانّي بأهل بيتي، وهم المقهورون المشتّتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضي -ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى سالت دموعه- ثم قال: يا علي الصبر الصبر حتّى ينزل الأمر[٢].

وفي خبر سليم بن قيس أن الأشعث قال لأمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك حين بويع أخو تيم، وأخو عدي، وأخو أُميّة، أن تقاتل وتضرب بسيفك، وأنت لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلّا قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر «والله إنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم» فقال عليه السلام: منعني من ذلك أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعهده إليّ، أخبرني بما الأُمّة صانعة بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم به قبل ذلك.

---

(١) حديث يوم الدار والمنزلة والغدير مر تخريج كل منها كراراً في مواضعه.

(٢) رواه الطبرسي في الاحتجاج ١: ١٩٦، في ضمن حديث.

قال عليه السلام: فقلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: فما تعهد إليّ إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم وجاهدهم، وان لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك[1].

وروى المدائني منهم، عن عبدالله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أوّل أمارة عليّ عليه السلام. فمررت بمكّة فاعتمرت. ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج عليّ عليه السلام متقلداً سيفه. فشخصت الأبصار نحوه. فحمد الله تعالى وصلّى على رسوله. ثم قال: «أمّا بعد، فانّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن أهله وورثته، وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع إذ أنبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا. فصارت الإمرة لغيرنا. وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل. فبكت الأعين منا لذلك، وخشنت الصدور وجزعت النفوس ـ الخبر ـ[2].

«فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، واذا الميثاق في عنقي لغيري» قال ابن أبي الحديد: أي وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وامتثالي أمره سابق على بيعتي للقوم. فلا سبيل لي إلى الامتناع من البيعة لأنّه أمرني بها[3].

قلت: ما ذكره بلا محصّل وانّما معناه أنّ وجوب طاعته على جميع الناس كالنبيّ صلى الله عليه وآله بمقتضى قوله تعالى ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[4] المتفق على

---

(١) رواه سليم بن قيس في كتابه: ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.
(٢) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١١.
(٤) المائدة ٥٥.

نزوله فيه عليه السلام[1]، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله في المتواتر «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى. فقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه» حتّى أنّه قال ابن الخطاب في ما رواه أئمّتهم: «بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[2] سبق عليٌّ بيعته الاجبارية بالمقطوع للقوم، وكيف لا وقد هددوه بضرب عنقه يوم أبيبكر ويوم عثمان وعمر لم يكن ذا بيعة بعد نصب أبيبكر له، إلّا أنّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله الميثاق منه بعدم التكلّم كان يمنعه عن قيامه، لا تلك البيعة.

وروى الطبري أنّه عليه السلام قال يوم الشورى: «فنحن بيت النبوّة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب. لنا حقّ إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الابل ولو طال السرى. لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتّى نموت. لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق» ـ الخبر ـ[3].

وفي خبر المدائني المتقدم «وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين؛ لكنّا على غير ما كنّا لهم» ـ الخبر ـ[4].

ثم انّ ابن أبي الحديد قال في هذا العنوان: فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإماميّة قيل: ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين لأنّهم يزعمون أنّه الأفضل، والأحق بالإمامة، وأنّه لولا ما يعلمه الله ورسوله

---

(١) رواه جمع كثير من أهل الاثر وجمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٣ و٢٩٤ والمجلسي في بحار الانوار ٣٥: ١٨٣، باب ٤.

(٢) حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منه ما أخرجه من طرق كثيرة ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ ـ ٩٠، ح ٥٠٣ ـ ٥٩٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٠ سنة ٢٤.

(٤) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢.

من الأصلح للمكلّفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكاً.

فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره أنّ الإمامة حقه، وانّه أولى بها من الناس أجمعين.

وأعلمه أنّه في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلّفين، وأنّه يجب عليه أن يمسك عن طلبها، ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته؛ فامتثل ما أمره به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق، وقد صرّح شيخنا أبوالقاسم البلخي بهذا، وصرّح به تلامذته، وقالوا: لو نازع عقيب وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلّ سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر، وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنّه قال: «علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار» وقال له غير مرة: «حربك حربي وسلمك سلمي» وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول[1].

قلت: إنّي لأستحي للرجل ولأصحابه البغداديين من أهل العالم. فهل نزاعه عليه السلام مع الثلاثة أمر يلتبس بعد تواتر الأخبار به وملء السير منه؟ وما ذكره من عدم سلّه عليه السلام سيفه تخليط. فإنّما سلّ السيف لمن كان له سيف، والنفر الواحد أنّي يكون له سيف في قبال جميع الناس، فهو نظير أن يقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في مدة مقامه بمكّة نبيّاً لأنّه ما سلّ سيفاً وانّما كان نبيّاً حين هاجر وسلّ سيفه.

وما نقله عن البلخي وأتباعه من قولهم بتفسيق من نازعهم كأهل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١١.

الجمل وصفين، وتعديل من أغضى عنهم كالثلاثة؛ نظير أن يقول أحد إنّ المالك إذا لم يخف من الغاصب وادعى حقه. فالغاصب فاسق، وان خاف منه وسكت، فالغاصب عادل، وتهديدهم له بالقتل يوم السقيفة ويوم الشورى؛ ممّا اتّفق عليه التاريخ.

وما ذكره من أنّ تقدُّم الثلاثة عليه عليه السلام كان مصلحة للدين راجعة إلى المكلّفين؛ أعجب من كل عجيب. هل مصلحة الدين في تبديل الشريعة، والتسبب لإيجاد الفرق الضالّة والمذاهب الباطلة، وشيوع البدع، واذلال المؤمنين، وإعزاز المنافقين واستئصال عترة سيّد المرسلين، وإنّما كان في إملاء الله تعالى لهم حكمة، وهي امتحان الأُمّة ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون * ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[1].

كما أنّ في قعوده عليه السلام وسكوته مصالح، ومنها ما مر في خبر المدائني في قوله عليه السلام: «وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين؛ لكنّا لهم على غير ما كنّا لهم»[2].

وسأل الباقلّاني المفيد عن علّة سكوته فقال له: أولاً: إنّ الامام المعصوم من الخطأ والزلل لا اعتراض عليه في قيامه وقعوده، وثانياً: نعلم في الجملة أنّ قعوده لمصلحة أُبيَن بعض وجوهها، وهو أنّه عليه السلام علم أنّ في المخالفين من يرجع عن الباطل إلى الحق بعد مدة فكان ترك قتله مصلحة، ويمكن أن يكون الله علم أنّ في ظهورهم مؤمنين لا يجوز اجتياحهم فكان في ترك قتلهم مصلحة، ويمكن أن يكون أنّه شفقة منه على ولده وشيعته أن

---

(١) العنكبوت: ٢ ـ ٣.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢.

يصطلموا فينقطع نظام الإمامة[١]. وتقديم المفضول قبيح عقلي فكيف يرضاه الله تعالى.

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه) أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قام في صفين في الناس عشية الثلاثاء بعد العصر. فقال: «الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم، ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأُمّة، ولا من خلقه، ولا تنازعت الأُمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله» ـ الخبر ـ[٢].

هذا، ويناسب كلامه عليه السلام في العنوان كلام ابنه الحسن عليه السلام لمّا أرسله عليه السلام مع عمّار الى الكوفة لمّا أراد حرب البصرة. روى أبو مخنف عن عبدالرحمن بن أبي ليلى: أنّ الحسن عليه السلام قال بعد حمده تعالى: «أيّها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله، والى كتابه، وسنة رسوله، وإلى أفقه من تفقّه من المسلمين، وأعدل من تعدّلون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى من تبايعون. من لم يَعبهُ القرآن، ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة، إلى من قرّبه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون، وصلّى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدّقه وهم يكذبون. إلى من لم تردّ له راية ولم تكافأ له راية سابقة، وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحقّ»[٣].

---

(١) جاء في ضمن عدة رسائل الشيخ المفيد: ١٨٢.

(٢) وقعة صفين: ٢٢٥.

(٣) رواه عن أبي مخنف ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٩٦، شرح الكتاب ١.

٤
الخطبة (١٩٥)

(ومن كلام له عليه السلام):

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى ٱللّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ساعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي المَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيها الأَبْطالُ، وَتَتَأَخَّرُ الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي ٱللّهُ بِـهَا. وَلَـقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلى صَدْرِي، وَلَقَدْ سالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُها عَلَى وَجْهِي وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم وَالمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي؛ فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ : مَلأٌ يَهْبِطُ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ. فَـمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنّي حَيّاً وَمَيّتاً! فَانْفُذُوا عَلَى بَصائِرِكُمْ ، وَلْتَصْدُقْ نِيّاتُكُمْ فِي جِهادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنّي لَعَلَى جادَّةِ الحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىَ مَزَلَّةِ البَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللّهَ لِي وَلَكُمْ.

أقول: الخطبة من خطبه عليه السلام في صفين. روى نصر بن مزاحم في (صفينه) مسنداً عن أبي سنان الأسلمي قال: لمّا أُخبر علي بخطبة معاوية، وعمرو بن العاص، وتحريضهما الناس عليه عليه السلام أمر الناس فجمعوا. قال أبوسنان: وكأنّي أنظر إلى علي عليه السلام متوكّئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنده فهم يلونه واحب أن يعلم الناس أنّ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون عليه فحمد الله. ثم قال: «أيّها الناس! اسمعوا مقالتي، وعوا كلامي. فإنّ الخيلاء من التجبّر، وإنّ النخوة من التكبّر، وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل، ألا انّ المسلم أخو المسلم -إلى أن قال- ألا وإنّ من أعجب العجائب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي، وعمرو بن العاص

السهمي؛ أصبحا يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، وقد علمتم أنّي لم أُخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قطّ، ولم أعصِهِ في أمر قطّ. أقيه بنفسي في المواطن الّتي ينكص فيها الأبطال وترعد فيها الفرائص، نجدة أكرمني الله بها فله الحمد. ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لفي حجري، ولقد ولّيت غسله بيدي وحدي تقلبه الملائكة المقرّبون معي، وأيم الله ما اختلفت أُمّة قطّ بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها على حقّها، إلّا ما شاء الله.

فقال أبوسنان: فسمعت عمّار بن ياسر يقول: «أمّا أميرالمؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم انّ الأُمّة لن تستقيم عليه» قال: ثمّ تفرق الناس وقد نفذت بصائرهم[1]، ورواه الشيخان في أماليهما مسنداً عن الأصبغ مثل ما رواه نصر مع تبديل قوله «نجدة» بقوله «بقوة»[2].

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)، والصواب «ومن خطبة له عليه السلام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[3].

«ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله» قد عرفت أنّ في رواية (صفين والاماليين) بدل الجملة «وقد علمتم» لانّه خاطب الصحابة الّذين كانوا معه واجتمعوا حوله، ولفظ المصنّف أيضاً ورد في مواضع أُخر. ففي (غيبة النعماني): «قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته المشهورة الّتي رواها الموافق والمخالف «ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم عليه السلام -إلى أن قال-وقال علي عليه السلام في خطبته هذه «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّي وأهل بيتي مطهّرون»[4].

---

(١) وقعة صفين: ٢٢٣.

(٢) أمالي المفيد: ٢٣٣ ح ٥، المجلس ٢٧، وأمالي أبي علي الطوسي ١: ٩، الجزء ١.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤١، وشرح ابن ميثم ٣: ٤٣٩.

(٤) الغيبة للنعماني: ٢٨ و٢٩.

وفي (خصال الصدوق) مسنداً عن مكحول أنّه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله أنّه ليس فيهم رجل له منقبة إلّا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم ـ الخبر ـ[1].

قال ابن أبي الحديد يمكن أن يعنى بالمستحفظين الخلفاء الّذين تقدموا لأنّهم الّذين استحفظوا الإسلام أي جعلوا حافظين له، وحارسين لشريعته ويحوزونه، ويجوز أن يعني به العلماء والفضلاء من الصحابة لأنّهم استحفظوا الكتاب، أي: كلّفوا حفظه وحراسته[2].

قلت: فيه أوّلاً: إنّه واضح أنّ المراد بالمستحفظين هم الّذين وجدوا حافظين تذكراً للوقايع والأُمور ليكون مناسباً لقوله بعد «إنّي لم أردَّ على الله، ولا على رسوله ساعة قط» والاستفعال قد يجيء لاصابة الشيء على صفة، نحو: استعظمته أي: وجدته عظيماً، وهنا كذلك، وإلّا فأيّ ربط لحفظ الإسلام وحفظ الكتاب بكلامه عليه السلام ذاك.

وثانياً: إذا كان الاستفعال بمعنى الطلب، فمن أين كان المتقدمون عليه عليه السلام حافظين للاسلام، وقد قتل المسلمون ثالثهم بكفره لقوله تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون﴾[3].

وثالثاً: إنَّ خلفاءه الّذين قال: كيف يجعلهم أميرالمؤمنين عليه السلام شهداء لما وصف به نفسه، وقد كانوا أجهدوا غاية الجهد أن يوجدوا عليه عليه السلام طعناً في ردّه على الرسول صلى الله عليه وآله يوماً. فروى الزبير بن بكار في موفقياته عن ابن

(١) الخصال ٢: ٥٧٢ ح ١، باب السبعين.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤١.

(٣) المائدة: ٤٤.

عباس قال: خرجت أُريد عمر فلقيته راكباً حماراً، وقد ارتسنه بحبل أسود ـ إلى أن قال ـ:

قال لي عمر: فلم لا تخطب الى ابن عمّك ـ يعني علياً عليه السلام ـ قلت: ألم تسبقني إليه؟ قال: فالأخرى، قلت: هي لابن أخيه، قال: يا ابن عباس! إنّ صاحبكم إن وَليَ هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به. فليتني أراكم بعدي. قال: قلت: إنّ صاحبنا ما قد علمت أنّه ما غيّر ولا بدّل ولا أسخط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّام صحبته له. قال: فقطع عليَّ الكلام. فقال: ولا في ابنة أبي جهل لمّا أراد أن يخطبها على فاطمة؟ قال: قلت: قال الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ولم نجد له عزماً﴾[1] وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنّ الخواطر الّتي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه، وربما كانت من الفقيه في دين الله العالم العامل بأمر الله، فقال: يا ابن عباس! من ظن أنّه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتّى يبلغ قعرها. فقد ظن عجزاً. استغفر الله لي ولك، خذ في غير هذا. ثم أنشأ يسألني عن شيء من أمور الفتيا وأُجيبه. فيقول: أصبت أصاب الله بك، أنت والله أحق أن تتّبع[2].

قلت: وهذا من الرجل نظير سعيه على أن يوجد له عليه السلام صفة مذمومة. فسمّى حسن خلقه دعابة كما سمّى طلبه عليه السلام لحقه حرصاً، وسمّى عزّة نفسه عجباً وكبراً.

ثم أصله بهتان، ولو كان له حقيقة كيف يغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من شيء أحلّه الله تعالى، وجاء به نفسه من عنده تعالى، ولمّا اصطفى عليه السلام من سبي بني زبيد جارية بعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: تقدم

---

(١) طه: ١١٥.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٦، شرح الخطبة ٢٢٦.

الجيش إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأعلمه بما فعل عليّ من اصطفاء الجارية من الخمس لنفسه، وقَعْ فيه. فسار بريدة حتى انتهى الى باب النبيّ صلى الله عليه وآله. فلقيه عمر فسأله عن حال غزوتهم، وعن الّذي أقدمه. فأخبره أنه إنّما جاء ليقع في عليٍّ، وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه. فقال له عمر: إمض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته مما صنع. فدخل بريدة على النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه كتاب من خالد بما أرسل به. فجعل بريدة يقرأه، ووجه النبيّ صلى الله عليه وآله يتغيّر، فقال بريدة للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّك إن رخّصت للناس في مثل هذا ذهب فيئهم. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله ويحك يا بريدة! أحدثت نفاقاً. إنّ علي بن أبي‌طالب يحلّ له من الفيء ما يحلّ لي. انّ علياً خير الناس لك ولقومك وخير من اخلف بعدي لكافة أُمّتي. يا بريدة إحذر أن تبغض عليّاً فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنّيت أنّ الأُرض انشقّت فسخت فيها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله[1].

وقال النقيب ـ وقد نقله (ابن أبي الحديد) في شرح قوله عليه السلام لما قيل له: «كيف دفعكم قومكم عن هذا الأمر؟» في جملة ما قال ممّا فعل عمر لدفع أميرالمؤمنين عليه السلام عن الأمر: «عاب علياً عليه السلام بخطبته بنت أبي جهل فأوهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كرهه لذلك، ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص. فروى حديثاً افتعله واختلقه على النبيّ صلى الله عليه وآله قال سمعته يقول: «إن آل أبي طالب ليسوا الي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين» فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فهذا مولاه»[2].

قلت: قد عرفت أنّ أصل خبر الرجل وضع لمخالفته للكتاب كخبر

(١) رواه المفيد في الارشاد: ٨٥، والنقل بالمعنى.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٨، شرح الخطبة ٢٢٦.

صاحبه «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» وحينئذ فلو كان ابن أبي الحديد قال: إنّ المستحفظين غير خلفائه كان أحسن، وإن كان خلفاؤه، وباقي مخالفيه عليه السلام مقرّين بفضائله، وأنّ الخلافة حقه حتى مثل عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): أن عمرو بن العاص سئل عن خبر الولاية فقال: انه حق وقال للسائل: أزيدك. ليس أحد من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له مناقب مثل مناقب علي[1].

وفيه أنّ سعد بن أبي وقاص قال: إنّ علياً شاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه، وكان أحقنا كلّنا بالخلافة[2].

«إنّي لم أردّ على الله، ولا على رسوله ساعةً قطّ» قال ابن أبي الحديد: الظاهر أنّه عليه السلام يرمز إلى أمور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح فإنّ بعض الصحابة أنكر ذلك وقال: ألسنا بالمسلمين؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: بلى. قال: أو ليسوا بالكافرين؟ قال: بلى. قال: فكيف نعطي الدنيّة في ديننا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّما أعمل بما اومر به، وقال لقوم من الصحابة: ألم يكن وعدنا بدخول مكّة، ونحن قد صددنا عنها، ثم ينصرف بعد أن أعطينا الدنية من ديننا، والله لو أجد أعواناً لم أعط الدنية أبداً. فقال أبوبكر له: ويحك الزم غرزه. فوالله انّه لرسول الله، وان الله لا يضيعه ثم قال له: أقال لك: انّه سيدخلها هذا العام قال: لا قال: فسيدخلها فلما فتح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مكّة، وأخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال: هذا الذي وعدتم به[3].

---

(١) الإمامة والسياسة المنسوب الى ابن قتيبة ١: ١٠٩.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤١، والنقل بتصرف يسير.

قلت: إذا كان الخبر صحيحاً، ورواه الناس كلهم كما اعترف به في كلامه؛ فلم رمز عن عمر وقد اتفقت التواريخ أيضاً سوى الآثار على إنكار عمر في الحديبية على النبيّ ﷺ وردّه عليه، ومن الغريب اعتذار ابن أبي الحديد عنه بأنّ سؤاله كان التماساً لطمأنينة النفس كإبراهيم، وإن قول أبي بكر: «إلزم غزره فوالله انه لرسوله» تثبيت على عقيدته، ولا يدلُّ على الشك كما قال تعالى ﴿ولولا ان ثبّتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا﴾[1].

فعلى قول ابن أبي الحديد اذا صار عمر بالاعتراض على النبي ﷺ نبيّاً مرسلاً كإبراهيم، لِمَ لَمْ يعترض على الله حتى يصير عند ابن أبي الحديد إلهاً؟! نعوذ بالله من العصبية الى أي درجة تصل، وكيف يعتذر له بعدم الشك، وقد ذكر الثعلبي عند ذكر سورة الفتح، وغيره من الرواة أنّ عمر قال: «ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذٍ»[2].

ولنعم ما قال صاحب (الطرائف) في قول عمر «فَلِمَ نُعطي هذه الدنية في ديننا» فهلّا كانت هذه الشجاعة منه في يوم حنين، وخيبر وغيرهما من الغزوات الّتي هرب فيها وخالف الله ورسوله.

قال: ومن طريف ذلك أنّ عمر بعد ما أخبره نبيهم بالجواب عن سؤاله واعتذر عن دخول مكّة لا يلتفت إلى جواب نبيّهم، ولا اعتذاره، ويأتي إلى أبي بكر فيعيد عليه تلك الموافقة وشكّه في الإسلام، ويلتمس من أبي بكر الجواب، فأعاد عليه أبوبكر ما سمعه من نبيهم.

قال: ومن طريف ذلك: إقدامه على نبيّهم في مثل تلك الحال من شدّة الحاجة إلى عون المسلمين لنبيهم بالقول والفعل، فكان ذلك الموقف موقف

---

(١) الاسراء: ٧٤.

(٢) رواه عن الثعلبي وغيره ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٤١.

تعنيف وتخجيل، وفتح لأبواب الشك في النبوة، وتقوية حجة سهيل بن عمرو والكفار. اما يدل هذا على ضلال هائل وجهل خاذل؟

قال: ومن طريف ذلك أنّ بعد قول نبيهم لعمر «إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، يقول له عمر: «أولست كنت تحدّثنا انّا سنأتي البيت ونطوف به؟» قال: أما هذا تكذيب صريح لنبيّهم واستخفاف لنبوّته، وكسر لحرمته[1].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: «وقد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذه القصّة كقوله: دعني أضرب عنق أبيسفيان» وقوله: «دعني اضرب عنق عبدالله بن أُبيّ» وقوله: «دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة» ونهي النبيّ ﷺ عن التسرع الى ذلك، وجذبه ثوب النبي ﷺ حين قام على جنازة ابن سلول يصلي وقوله له: «كيف تستغفر لرأس المنافقين؟» قال: وليست في ذلك جميعه ما يدلّ على وقوع القبيح منه، وإنما الرجل كان مطبوعاً على الشدّة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها. وعلى أيّ حال كان، فلقد نال الإسلام بولايته وخلافته خيراً كثيراً[2].

قلت: أمّا في قوله دعني أضرب عنق فلان، وفلان وفلان. فهو أحق بما قيل في الحجاج:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ جبناء تصفر من صفير الصافر

هلّا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وقد أمر عمر بقتل رجلين خلافاً للنبيّ ﷺ فأمر النبيّ ﷺ يوم

(١) الطرائف ٢: ٤٤١ ـ ٤٤٢، والنقل بتلخيص.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٢.

حنين لما ارتفع النهار أن لا يقتل أسير من القوم، وأسر ذاك اليوم ابن الأكوع. فمر به عمر فأقبل على رجل من الأنصار، وقال: عدو الله الّذي كان عيناً علينا ها هو أسير. فاقتله فضرب الأنصاري عنقه. فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكرهه وقال: ألم آمركم أن لا تقتلوا أسيراً؟! وقتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير. فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب إلى الأنصار فقال: ما حملكم على قتله وقد جاءكم الرسول أن لا تقتلوا أسيراً؟! فقالوا: إنّما قتلناه بقول عمر. فأعرض النبيّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى كلّمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك[1].

وممن ردّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غير عمر أبو حذيفة بن عتبة. روى محمّد بن إسحاق أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: إنّي قد عرفت أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله (أي: في بدر) ومن لقي أبا البختري، فلا يقتله فإنّه إنّما أُخرج مستكرها. فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل آباءنا، وابناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنّه السيف، فسمعها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال لعمر: يا أبا حفص ـ قال عمر: والله إنّه لأوّل يوم كنّاني فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأبي حفص ـ أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف. فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة الّتي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً أبداً[2].

وقال محمد بن إسحاق أيضاً وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأُسارى غلظ عمر عليهم غلظة شديدة. فقال: يا

---

(١) رواه المفيد في الارشاد: ٧٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه عنه ابن هشام في السيرة ٢: ١٩٧، والطبري في تاريخه ٢: ١٥١، سنة ٢، والنقل بتصرف يسير.

رسول الله! أطعني في ما أُشير به عليك. فإنّي لا آلوك نصحاً. قدّم عمّك العباس. فاضرب عنقه بيدك، وقدّم عقيلاً إلى علي أخيه يضرب عنقه، وقدّم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله، فكره النبيّ ﷺ ذلك ولم يعجبه[١].

قلت: من الغريب أنّه يحكم بنفاق أبي حذيفة لمّا أراد مخالفة النبيّ ﷺ في قتل عمّه، ويستأذنه في ضرب عنقه، ثم بعد ذلك يشدّد بنفسه على النبيّ ﷺ في قتل عمه.

وأما قول ابن أبي الحديد وليس في جميع ذلك ما يدلّ على وقوع القبيح منه فأعجب، ولابد أن يقول بأنّه لم يقع في نسبته الهجر الى النبي ﷺ لما قال آتوني بدواة أكتب لكم ما لن تضلوا بعدي أبداً، ومنعه عن كتابة وصيّته، وفي ارادة إحراق بنت النبيّ ﷺ سيّدة نساء العالمين، وإحراق سيّدي شباب أهل الجنّة، وإحراق أميرالمؤمنين عليه السلام الّذي كان بمنزلة نفس النبيّ بنص القرآن[٢]، لانّه كان حلف أنّه يحرقهم لو لم يخرج للبيعة، وكان يفعل، ... أيضاً منه قبيح.

وأمّا قوله: «فإنّما الرجل كان مطبوعاً على الشراسة...» فلعمري كان خاله أبوجهل أيضاً مطبوعاً على تلك الشراسة فكان لا يقدر أن يضبط نفسه في عداوة النبيّ ﷺ فإن كان عمر معذوراً كان ذاك أيضاً معذوراً.

وأمّا قوله: «فقد نال الإسلام به...» فعلى فرض التسليم فالخمر والميسر أيضاً كان فيهما منافع للناس إلّا أنّ إثمهما أكبر من نفعهما مع أنّ فتوحاته كانت بسط يد للجبّارين وكيف وقد هيّأ أسباب تولية عثمان رئيس بني أُمية أعداء الدين وأعداء الإسلام، ولعمر الله إن من لم يكابر كان مسخه الإسلام

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٥٦، شرح الكتاب ٩.

(٢) أنظر قوله تعالى: ﴿...أنفسنا وأنفسكم...﴾ آل عمران: ٦١.

واضحاً، ولقد مرَّ أبوسفيان أيّام عثمان على قبر حمزة فضربه برجله، وقال: قم يا حمزة وانظر الدين الّذي تقتلوننا به في يد فتياتنا يلعبون به[١].

ثم لم خصّ الردّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالثاني. فقد كان الأوّل أيضاً يردّ عليه. روى المبرد في كامله ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى رجل ساجد. فقال: ألا رجل يقتله؟ فحسر أبوبكر عن ذراعه، وانتضى السيف، وصمد نحوه. ثم رجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أقتل رجلاً يقول لا إله إلّا الله. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ألا رجل يفعل؟ ففعل عمر مثل ذلك. فلمّا كان في الثالثة قصد له علي بن أبي‌طالب عليه السلام فلم يره. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لو قتل هذا ما اختلف في دين الله اثنان[٢].

وقد خالفاه عملاً وردّا عليه قولاً في تخلفهما عن جيش أُسامة مع أنّ ردّ الثانيّ لم يكن منحصراً بما نقل. فقد روى الحميدي عن عروة عن عائشة من المتفق على صحّته أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اعتمّ بالعشاء حتى ناداه عمر للصلاة. فقال: نام الصبيان والنساء. وفي رواية ابن شهاب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال «وما كان لكم أن تنزروا رسول الله على الصلاة» وذلك حين صاح عمر[٣].

وروى الحميدي من (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقيت عمر فأخبرته بالّذي بعثتني به. فضرب بين يدي ضربة خررت لأُستي، وقال: إرجع. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله له: ما حملك على ماصنعت. قال: أبعثت أباهريرة بنعليك من لقي يشهد ألّا إله الّا الله مستقينا بها قلبه بشّره بالجنة، قال: نعم. قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها فخلّهم يعملوا[٤].

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٥١، شرح الكتاب ٣٢.

(٢) رواه المبرد في الكامل ٧: ١١٠، والشيرازي في تفسيره وعنه الطرائف ٢: ٤٢٩.

(٣) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٤٢، وهو في صحيح مسلم ١: ٤٤١ ح ٢١٨.

(٤) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٣٧، والنقل بتلخيص وهو في صحيح مسلم ١: ٥٩ ح ٥٢.

وفي (الاستيعاب): في خالد بن ربعي في قصّته مع القعقاع أنزل تعالى ﴿لا تقدموا بين يدى الله ورسوله﴾[١] في قول أبي‌بكر للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: استعمل فلاناً وقول عمر له: استعمل فلاناً[٢].

وعدّ النقيب في أسباب تجرّي عمر على بيعة أبي‌بكر، والعدول عن علي عليه السلام انكاره أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بذبح النواضح[٣].

«ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص» أي: تحجم عنها يقال: نكص الرجل على عقبيه، أي: رجع.

«فيها الأبطال» جمع البطل، أي: الشجاع.

«وتتأخّر فيها» هكذا في (المصرية)، والكلمة زائدة لعدم وجود «فيها» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة»[٤].

«الأقدام» فلا تقدم ولا تتقدم.

قال ابن أبي الحديد: هذا ممّا اختص بفضيلته غير مدافع. ثبت معه يوم أُحد وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها من قبله.

قال: وروى المحدّثون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما ارتثّ يوم أحد قال الناس: قتل محمّد، رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى إلّا أنّه حيّ فصمدت له، فقال لعليّ عليه السلام: إكفني هذه. فحمل عليه السلام وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة ثالثة. فكذلك. فكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يقول: قال لي جبريل: يا محمّد! إنّ هذه للمواساة فقلت وما يمنعه وهو منّي وأنا منه. فقال جبريل وأنا

---

(١) الحجرات: ١.

(٢) الاستيعاب ١: ٤١٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٧، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٤) يوجد لفظة «فيها» في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤١، وشرح ابن ميثم ٣: ٤٣٩، ايضاً.

منكما[١]. قلت ورواه الطبري وروى ما بعده[٢].

قال: وروى المحدثون أيضاً أنّ المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: «لا سيف إلّا ذوالفقار، ولا فتى إلّا علي» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمن حضره: ألا تسمعون؟ هذا صوت جبريل.

قال: وأما يوم حنين. فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولّى المسلمون الأدبار، وحامى عنه، وقتل قوماً من هوازن بين يديه، حتى ثابت إليه الأنصار، وانهزمت هوازن، وغنمت أموالها، وأما يوم خيبر فقصّته مشهورة، الخ[٣].

قلت: لم خصّ تلك المواطن بأُحد وحنين وخيبر؟ ولِمَ لَمْ يذكر يوم الأحزاب، يوم عمرو بن عبد ود، وقد كان الفتح في جميع غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على يده، وتقدم الكلام فيها في الأوّل عند قوله عليه السلام: «أما والله إن كنت لفي ساقتها حتّى ولّت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت»[٤] ولم تكن مواساته عليه السلام مختصة بغزواته. لِمَ لَمْ يذكر ليلة المبيت، وقد ذكر الثعلبي منهم في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[٥] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أراد الهجرة خلّف علياً عليه السلام بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودايع الّتي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه. ففعل فأوحى -عزّ وجلّ- إلى جبرئيل وميكائيل: إنّي قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر. فأيكم يؤثر صاحبه بالحياة،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧ سنة ٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مر في عنوان ٢ من هذا الفصل.

(٥) البقرة: ٢٠٧.

فاختار كلاهما الحياة، فأوحى إليهما: ألا كنتما مثل علي! آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، فاهبطا إلى الارض. فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، فقال جبرئيل: بَخٍ بَخٍ. من مثلك يا ابن أبي‌طالب يباهي الله بك الملائكة. فأنزل الله تعالى على رسوله، وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[١] ولِمَ لم يذكر يوم البراءة.

«نجدة أكرمني الله بها» أي: شجاعة. جعله (ابن أبي الحديد) مفعولاً مطلقا حذف عامله[٢]، وجعله «خو» مفعولا له لقوله «ولقد واسيته»[٣]، والصواب: كونه خبراً، أي: تلك المواساة نجدة أكرمني الله بها.

رووا أنّه قيل لخلف الأحمر: أيّهما أشجع عنبسة وبسطام أم علي؟ فقال: إنّما يذكران مع البشر لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة. فقيل له: فعلى كل حال. فقال: والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما[٤].

«ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ رأسه لعلى صدري» قال الطبري: ان علياً عليه السلام كان يغسّله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه من ورائه[٥].

وفي (الإرشاد): والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قرب خروج نفسه قال له: ضع يا عليُّ رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى. فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وامسح بها وجهك ثم وجّهني، وتولّ امري، وصلّ عليَّ أوّل الناس، ولا تفارقني حتّى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى. فأخذ عليّ عليه السلام رأسه

---

(١) رواه عن الثعلبي ابن طاووس في الطرائف ١: ٣٧ ح ٢٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٢.

(٣) شرح الخوئي ٦: ٤٤.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٥٥، شرح الكتاب ٣٥.

(٥) تاريخ الطبري ٢: ٤٥١ سنة ١١.

في حجره فأُغمي عليه فأكبّت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيضَ يستسقى الغمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

ففتح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عينه وقال بصوت ضئيل: يا بنية! هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾[١] فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنو منه، فدنت منه فأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها له[٢].

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) عن أُم سلمة قالت: والّذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثه في حاجة غداة قبض فكان يقول: أجاء عليّ ـ ثلاث مرّات ـ فجاء علي قبل طلوع الشمس فخرجنا من البيت لمّا عرفنا أنّ له إليه حاجة. فأكبَّ عليه عليٌّ عليه السلام فكان آخر الناس به عهداً وجعل يسارّه ويناجيه[٣].

وعن الطبري في (الولاية) والدارقطني في (الصحيح)، والسمعاني في (فضائله) عن عائشة قالت: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بيتها: أُدعوا لي حبيبي. فدعوت له أبابكر فنظر إليه ثم وضع رأسه. ثم قال: أُدعوا لي حبيبي. فدعوا له عمر. فلمّا نظر إليه قال: أُدعوا لي حبيبي. فقلت: ويلكم أُدعوا له عليّاً. فوالله ما يريد غيره. فلمّا رآه أفرج الثوب الّذي كان عليه ثم أدخله فيه، ولم يزل يحتضنه حتّى قبض ويده عليه[٤].

وروى أحمد بن حنبل في (مسنده) عن ابن عباس قال: لمّا مرض

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الارشاد: ١٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٦: ٣٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٤) رواه عنهم السروي في مناقبه ١: ٢٣٦.

النبيّ ﷺ مرضه الّذي مات فيه قال: أُدعوا علياً. قالت عائشة: ندعو لك أبابكر وقالت حفصة: ندعو لك عمر. وقالت أُمّ الفضل، ندعو لك العبّاس. فلمّا اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً ﷺ، فسكت فقال عمر: قوموا عن رسول الله[1].

وروى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس أرأيت النبيّ ﷺ توفّي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفّي وهو لمستند إلى صدر علي عليه السلام. قلت: فإنّ عروة حدّثني عن عايشة أنّها قالت توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري. فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفي النبيّ ﷺ وأنّه لمستند إلى صدر عليّ عليه السلام وهو الّذي غسّله، وأخي الفضل، وأبى أبي أن يحضر، وقال: إنّ النبيّ ﷺ كان يأمرنا أن نستتر فكان عند الستر[2].

ومن المضحك أنّ عائشة خطبت يوم الجمل ـ كما في (بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي) ـ فقالت: قبض النبيّ بين سحري ونحري، وأنا إحدى نسائه في الجنّة له ادّخرني ربي، وحصنتي من كل بضع، وبي ميّز مؤمنكم من منافقكم[3] فقولها: «قبض النبيّ بين سحري ونحري» كقولها: «بي ميّز مؤمنكم من منافقكم» وعلى قولها يكون الله منافقاً حيث لم يرض خروجها وقال لها ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولى﴾[4] فضلاً عن جبرئيل وأميرالمؤمنين عليهما السلام حيث قال تعالى أيضاً ولصاحبتها: ﴿وان

(١) رواه عنهم السروي في مناقبه ١: ٢٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٥١.

(٣) بلاغات النساء: ١٢.

(٤) الاحزاب: ٣٣.

تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾[١] ولزم أن يكون مروان بن الحكم مؤمناً حيث ساعدها في الجمل.

قال ابن أبي الحديد: قالت الشيعة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم توفّي لليلتين بقيتا من صفر والأكثرون أنّه في شهر ربيع الأوّل بعد مضي أيّام منه[٢].

قلت: ما نسبه إلى الشيعة إنّما هو قول بعضهم؛ المفيد والطوسي وذهب الكليني في (كافيه): إلى كونه في الثاني عشر من ربيع الأول، وفي (إثبات الوصيّة) أيضاً: انّه في ربيع الأول[٣].

«ولقد سالت نفسه في كفّي فأمررتها على وجهي» روى ابن المغازلي في (مناقبه): أنّ عائشة سُئلت: من كان أحبّ الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت: فاطمة. فقيل لها: من الرجال؟ قالت: زوجها وما يمنعه منه، والله إن كان صوّاماً قوّاماً، ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يده فردّها إلى فيه[٤].

واختلاف قولها هذا مع قولها يوم الجمل المتقدم محمول على اختلاف المقامات في سخطها ورضاها، وأيضاً قد يُجري الله الحق على لسان أهل الباطل فيقرّون بها إتماماً للحجّة. ومر خبر كاتب الواقدي في تكذيب ابن عباس لها في قولها الأوّل.

ثم اختلف في المراد من سيلان نفسه صلى الله عليه وآله فالمفهوم من ابن أبي الحديد وابن ميثم كون المراد به سيلان الدم من قولهم «ذو نفس سائلة» فقالا: «يقال انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قاء دماً يسيراً وقت موته، وأنّ علياً عليه السلام مسح بذلك الدم

---

(١) التحريم: ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٣.

(٣) قاله المفيد في الارشاد: ١٠١،وفي تاريخه: ٦٣، والطوسي في التهذيب ٦: ٢، وأيضاً الراوندي في قصص الأنبياء، وعنه: البحار ٢٢: ٥١٤ وقال القول الثاني: الكليني في الكافي ١: ٤٣٩، والمسعودي في إثبات الوصية: ١٠٦.

(٤) رواه عن مناقب ابن المغازلي ابن طاووس في الطرائف ١: ١٥٧ ح ٢٤٤، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

وجهه»[١] والمفهوم من المفيد كون المراد به خروج روحه. ففي (إرشاده): قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويد اميرالمؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها الى وجهه فمسحه بها، فعبر بفيضان نفسه[٢].

وفي (الصحاح): «فاضت نفسه» أي: خرجت روحه. قال أبوعبيدة والفراء: هي لغة في تميم، ونقل عن الأصعمي عن أبي عمرو بن العلاء انّه قال بدل «فاضت نفسه» «فاظت نفسه»[٣].

فإن قيل: فما المراد؟ قلت: يمكن أن يكون المراد إمرار الكف الّتي تأثرت من خروج الروح فيها على الوجه.

«**ولقد ولّيت غسله والملائكة أعواني**» روى كاتب الواقدي في (طبقاته) مسنداً عن يزيد بن بلال قال: قال علي عليه السلام: أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يغسّله أحد غيري، فإنّه لا يرى أحد عورتي إلّا طمست عيناه. قال علي عليه السلام: فكان الفضل وأُسامة يناولاني الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين. قال علي عليه السلام: فما تناولت عضواً إلّا كانّما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً حتّى فرغت من غسله[٤].

قال ابن أبي الحديد: الغسل تولّاه عليّ عليه السلام بيده، وكان الفضل بن العباس يصبّ عليه الماء، ويروي الشيعة أنّ علياً عليه السلام عصب عيني الفضل حين صبّ عليه الماء، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أوصاه بذلك، وقال له: إنّه لا يبصر عورتي أحد غيرك إلّا عَمِيَ[٥].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٢، وشرح ابن ميثم ٣: ٤٤١.

(٢) الارشاد: ١٠٠.

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٠٩٩ و١١٧٧، مادة (فيض وفيظ).

(٤) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٦١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٣، والنقل بتلخيص.

قلت: لم يختص بذلك الشيعة. فقد عرفت رواية كاتب الواقدي له، وهو من نصّاب العامة، ونقل عن ابن بطة وابن المغازلي وهما أيضاً من العامة روايتهما لذلك[1] وقال الحميري مشيراً إلى ذلك:

هذا الّذي ولّيته عورتي ولو رأى عورتي سواه عَمِي

ومرَّ خبر ابن عباس خوف أبيه من حضور غسله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك.

وفي (تاريخ اليعقوبي): كان بعض نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أتين فاطمة عليها السلام في مرضها فقلن: يا بنت رسول الله صيّري لنا في حضور غسلك حظّاً. قالت: أتردن تقلن فيّ كما قلتن في أبي؟! لا حاجة لي في حضوركن[2].

«فضجت الدار والأفنية» جمع الفناء، وفناء الدار ما امتد من جوانبها.

«ملأ يهبط وملأ يعرج» قال الخوئي: روى (البحار) من (البصائر) عن أحمد بن محمّد عن القاسم بن يحيى، عن بعض أصحابنا عن الصادق عليه السلام: لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هبط جبرئيل عليه السلام ومعه الملائكة والروح الّذين كانوا يهبطون في ليلة القدر. ففتح لأميرالمؤمنين عليه السلام بصره. فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض يغسّلون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم معه، ويصلّون عليه معه ويحفرون له، والله ما حفر له غيرهم حتّى إذا وضع في قبره نزلوا مع من نزل فوضعوه[3].

قلت: الخبر ليس بالسند الّذي ذكر. ففي «باب ما يلقى إليهم عليهم السلام في ليلة القدر» من (البصائر) روى أوّلاً خبراً بذاك السند. ثم روى خبراً عن أحمد بن

---

(١) رواه ابن المغازلي في مناقبه: ٩٣ ح ١٣٧، وأيضاً الديلمي في الفردوس وعنه كنوز الحقائق ٢: ١٧٥، وأما ابن بطة فلم يروه بل نقل السروي في مناقبه ١: ٢٣٩ حديثاً آخر عن أبانة ابن بطة ثم قال «ورُوي» فذكر هذا الحديث والظاهر أن قوله «رُويَ» بلفظ المجهول.

(٢) رواه اليعقوبي في تاريخه ٢: ١١٥ والنقل بتلخيص وفيه «كما قلتن في أمّي».

(٣) شرح الخوئي ٦: ٥٨.

الحسن، عن أحمد بن محمّد، عن العباس بن حريش عن الجواد عليه السلام ثم قال «وبهذا الاسناد» وروى هذا الخبر[١]، وهو كما ترى إشارة إلى الخبر الأخير لا الأوّل.

«وما فارقت سمعي هينمة» أي: صوت خفي.

«منهم يصلّون عليه» روى (الكافي) عن أمير المؤمنين عليه السلام سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صحته وسلامته يقول: إنما أُنزلت آية: ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي، يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٢] في الصلاة عليّ بعد قبض الله تعالى لي[٣].

وفي (كامل الجزري): قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ضعوني على سريري على شفير قبري. ثم اخرجوا عنّي ساعة ليصلّي عليَّ جبرئيل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت مع الملائكة[٤].

ورواه الطبري عن ابن مسعود وزاد «قال: قلنا فمن يدخلك في قبرك يا نبيَّ الله؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم»[٥].

وقال ابن أبي الحديد: وصلّوا عليه إرسالاً لا يؤمّهم أحد، وقيل: إنّ عليّاً عليه السلام أشار بذلك فقبلوه. وأنا أعجب من ذلك لأنّ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كانت بعد بيعة أبي بكر فما الّذي منع من أن يتقدّم أبو بكر فيصلّي عليه إماماً[٦].

---

(١) يوجد الحديث بهذا السند في البصائر: ٢٤٥ ح ١٧، كما رواه المجلسي والخوئي وأمّا الحديث الثاني فهو قبل الحديث الاول في البصائر: ٢٦٢ و٢٦٣ ح ١٢ و١٤، بمتنين، سند أحدهما أحمد بن محمد عن الحسن بن العباس بن حريش، والآخر الحسن بن أحمد بن محمد عن أبيه عن الحسن بن العباس بن حريش.

(٢) الاحزاب: ٥٦.

(٣) الكافي ١: ٤٥١ ح ٣٨، والنقل بتصرف يسير.

(٤) رواه ابن الاثير في الكامل ٢: ٣٢٠، سنة ١١، وايضاً الطبري في تاريخه ٢: ٤٣٥، سنة ١١.

(٥) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦، سنة ١١.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٣.

قلت: كيف يصلّي عليه إماماً، وقد أمر النّبيّ ﷺ بصلاتهم عليه إرسالاً قد رووا أنّه ﷺ سئل عمّن يصلي عليه. فقال: «إذا غسّلتموني، وكفّنتموني، فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري. ثم اخرجوا عنّي ساعة. فإنّ أوّل من يصلّي عليَّ جليسي وحبيبي وخليلي جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة. ثم آدخلوا عليَّ فوجاً فوجاً فصلّوا عليّ وسلّموا -إلى أن قال- وليبدأ بالصلاة عليَّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد» وقد نقل الخبر ابن أبي الحديد نفسه في موضع آخر[1].

ومع ذلك فعجبه في محله فحيث تخلف أبوبكر عن جيش أُسامة ولم يقنع بذلك وتقدم إلى الصلاة في مكان النبيّ ﷺ حتّى يجعل ذلك وسيلة لتصديه الأمر حتّى خرج النبيّ ﷺ مع شدّة مرضه وعدم قدرته على المشي مستقلاً وأخّره؛ كيف لم يصلّ عليه بعد بيعتهم له؟ إلّا أنّه يرفع العجب أنّه كان نال غرضه حينئذٍ، ولم يبال بالصلاة عليه بعد، ولئلّا يطعن بمخالفته في ذلك أيضاً.

وروى (الكافي) في باب مولد النبيّ ﷺ عن الباقر عليه السلام قال: لمّا قبض النبيّ ﷺ بات آل محمّد ﷺ بأطول ليلة حتّى ظنّوا أن لا سماء تظلّهم، ولا أرض تقلّهم لأنّ النبيّ ﷺ وتر الأقربين والأبعدين في الله. فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت لا يرونه ويسمعون كلامه. فقال: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته. إنّ في الله عزاءً من كلّ مصيبة، ونجاةً من كلّ هلكة، ودركاً لما فات ﴿كلّ نفس ذائقة الموت، وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار، وأُدخل الجنّة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلّا متاع

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٩٠، شرح الخطبة ٢٣٣.

الغرور﴾[١] انّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم، وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزّوا بعزاء الله فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله ـعزّ وجلّ ـالّذين بهم تمّت النعمة ـإلى أن قال ـ:

وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكمل لكم الدين، وبيّن لكم سبيل المخرج. فلم يترك لجاهل حجّة، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، وأستودعكم الله، والسلام عليكم».

وسئل أبو جعفر عليه السلام ممّن أتاهم التعزية فقال: من الله تبارك وتعالى[٢].

«حتى واريناه في ضريحه» في مسند أحمد بن حنبل عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: لقد أعطيت في عليّ خمس خصال هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها ـإلى أن قال ـ:

وأمّا الرابعة: فساتر عورتي، ومسلّمي إلى ربي[٣].

وفي (الإرشاد): دخل أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس، وابنه الفضل، واسامة بن زيد ليتولّوا دفن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي! انّا نذكرك الله، وحقنا اليوم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب، أدخل منّا رجلاً يكون لنا به حظّ من مواراة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام: ليدخل أوس بن خولي ـوكان بدريا فاضلاً من بني عوف من الخزرج ـفلمّا دخل قال عليه السلام له: إنزل القبر. فنزل، ووضع عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على يديه، وولّاه في حفرته، فلمّا حصل

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) اخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٤٥ ح ١٩.

(٣) رواه عن مسند أحمد، ابن طاووس في الطرائف ١: ١٥٧ ح ٢٤٦، وعن فضائل أحمد؛ ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٣١، شرح الخطبة ١٥٢، لكن لم يوجد في نسختنا من مسند أحمد.

في الأرض قال عليه السلام له: اخرج فخرج، ونزل عليه السلام القبر فكشف عن وجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووضع خده على الأرض موجّها إلى القبلة على يمينه. ثم وضع عليه اللبن، وأهال عليه التراب[1].

وروى ابن أبي الحديد عند عنوان ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم قريباً منه وقال: من تأمل هذه الأخبار علم ان علياً عليه السلام كان الاصل والجملة والتفصيل في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجهازه. ألا ترى أنّ أوس بن خولي لا يخاطب أحداً من الجماعة غيره، ولا يسأل غيره في حضور الغسل والنزول في القبر. قال: ثم انظر إلى كرم علي عليه السلام وسجاحة أخلاقه، وطهارة شيمته كيف لم يضنّ بمثل هذه المقامات الشريفة عن أوس، وهو رجل غريب من الأنصار. فعرف له حقه، واطلبه بما طلبه فكم بين هذه السجيّة الشريفة وقول من قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسَّل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا نساؤه، ولو كان في ذلك المقام غيره من أُولي الطباع الخشنة، وأرباب الفظاظة والغلظة وقد سأل أوس ذلك؛ لزجر وانتهر، ورجع خائباً[2].

قلت: هل تستوي الظلمات والنور.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ثمّه نقلاً عن الطبري روايته عن ابن مسعود في خبر ـ بعد ذكر الغسل والصلاة ـ «قلنا فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرة يرونكم ولا ترونهم».

وقال ابن أبي الحديد: العجب لهم كيف لم يقولوا له في تلك الساعة «فمن يلي أُمورنا بعدك» لأنّ ولاية الأمر أهمّ من السؤال عن الدفن وعن كيفية الصلاة عليه[3].

---

(١) الارشاد ١٠١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٣، شرح الخطبة ٢٣٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٠، شرح الخطبة ٢٣٣، وما نقله عن تاريخ الطبري فهو فيه ٢: ٤٣٦، سنة ١١.

قلت: بل عيّن النبيّ ﷺ قبل من يلي أمورهم في حجّة وداعه في صحته، وأراد تجديده وتأكيده ذاك الوقت في مرضه فمنعه فاروقهم، وقد نقل ابن أبي الحديد نفسه عن الطبري عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم يبكي حتى تبل دموعه الحصباء. فقلنا له وما يوم الخميس؟ قال: يوم اشتدّ بالنبي ﷺ وجعه فقال: إئتوني باللوح والدواة ـ أو قال بالكتف والدواة ـ أكتب لكم ما لا تضلّون بعدي، فتنازعوا. فقال: «اخرجوا عنّي، ولا ينبغي عند نبي ان يتنازع» قالوا: ما شأنه؟ اهجر؟ استفهموه؟ فذهبوا يعيدون عليه. فقال: «دعوني فما أنا فيه خير مما يدعوني إليه»[١].

والطبري وان أجمل القائل «أهجر» إلّا انّ كاتب الواقدي وغيره صرّحوا في رواياتهم أنّ القائل «أهجر» عمر، ورووا عنه إقراره بأنّه منع النّبيّ ﷺ من الوصية[٢] لأنّه علم أنّه يريد أن يعيّن علياً ولم يكن صلاحا لإباء قريش عنه.

وقال ابن أبي الحديد: ثمه أيضاً روت عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن النبيّ ﷺ حتّى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل ليلة الأربعاء. وقال: فمن العجب كون عائشة وهو ﷺ في بيتها لا تعلم بدفنه حتّى سمعت صوت المساحي، أتراها أين كانت؟ قال: وقد سألت عن هذا جماعة. فقالوا: لعلّها كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عادة أهل الميت وتكون قد اعتزلت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٠، شرح الخطبة ٢٣٣، وما نقله عن تاريخ الطبري فهو فيه ٢: ٤٣٦، سنة ١١.

(٢) اخرجه بلا تصريح باسم عمر الطبري في تاريخه ٢: ٤٣٦، سنة ١٠، وجماعة أُخرى، وأخرجه مع تصريح البخاري في صحيحه ١: ٣٢، و٤: ٧ و٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢، وجمع آخر وروى اعتراف عمر بمنعه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٩٧، شرح الخطبة ٢٢٦.

بيتها وسكنت ذلك البيت[١].

قلت: بل الظاهر أنّها كأبيها وصاحبه أشفقت من بقاء الأمّة بلا والٍ فخلّت جنازته وكانت في تدبير ذلك معهما، وكيف تصبر على أن لا تشاهد إلى ما يصير أمر أبيها، وقد كانت في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثت إلى أبيها في صلاته بالناس عوض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

«فمن ذا أحق به مني حياً وميّتاً» من أحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من أميرالمؤمنين عليه السلام حياً وميتاً، وقد قال -عزّ وجلّ- في محكم كتابه فيه خصوصاً ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٢] وقال -عزّ وجلّ- ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾[٣] وفيه وفي أهل بيته المعصومين عموماً ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[٤] وقال تبارك اسمه ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾[٥] وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم -في المتواتر عنه بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم- «أيّها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٦].

ومن أحق به صلى الله عليه وآله وسلم حيّاً وميّتاً وقد قال سلمان -ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر- دخلت عليه صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه فقال

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩٣، شرح الخطبة ٢٣٣.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) الاحزاب: ٣٣.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير من أهل الحديث، منها ما أخرجه ابن عساكر بطرق كثيرة في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ - ٩٠ ح ٥٠٣ - ٥٩٣.

لي: يا سلمان لا تسألني عمّا كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي. فقلت: يا رسول الله ألّا أسهر الليلة معك بدله. فقال: لا هو أحق بذلك منك[١].

وقالت أم سلمة ـ كما رواه أحمد بن حنبل في (مسنده) ـ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أجاء عليّ؟ ـ مراراً ـ أظنّه كان بعثه في حاجة، فجاء بعد ذلك فظننت أنّ له إليه حاجة. فخرجنا من البيت. فقعدنا عند الباب فكنت أدنى إلى الباب. فأكبّ عليه عليٌّ عليه السلام فجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في يومه ذلك[٢].

وعن (أربعين الخطيب) ـ في خبر طويل ـ قال حذيفة: دخل عليٌّ عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو مريض، فإذا رأسه في حجر رجل أحسن الخلق، والنبيّ صلى الله عليه وآله نائم. فقال الرجل: أُدن إلى ابن عمّك. فأنت أحق به منّي، فوضع رأسه في حجره. فلمّا استيقظ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سأله عن الرجل قال عليٌّ: كان كذا وكذا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك جبرئيل كان يحدّثني حتّى خفّ عنّي وجعي[٣].

وفي (الطبري) مسنداً عن أبي رافع قال: لما قتل عليٌّ عليه السلام (يوم أُحد) أصحاب الألوية. أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من مشركي قريش. فقال لعليّ: إحمل عليهم فحمل عليهم، ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي، ثم أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي. فقال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه للمواساة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً: «لا سيف إلّا ذوالفقار

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧١، شرح الخطبة ٢٠٠.

(٢) اخرجه أحمد في مسنده ٦: ٣٠٠، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) رواه عن اربعين الخوارزمي السروي في مناقبه ٢: ٢٣٧، واخرجه ايضاً الخوارزمي في مناقبه: ٨٣.

ولا فتىً إلّا علي»[١].

وروى المرزباني: أنّ خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين (وقيل عبدالله بن سفيان الحرث بن عبدالمطلب) قال:

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى بقبلتهم وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن جبريل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن
فما الّذي ردّكم عنه فنعلمه ها إنّ بيعتكم من اغبن الغبن

وفي لفظ: «ها إنّ بيعتكم في أوّل الفتن»[٢].

وقال الحميري:

وكفاه تغسيله وحده أحمد ميتاً ووضعه في اللحد

وقال:

ومن ذا تشاغل بالنبيّ وغسله ورأى عن الدنيا بذاك عزاء

وقال العبدي:

من كان صنو النبي غير علي من غسّل الطهر ثم واراه

وقال العوفي:

من غسّل المرسل ومن أنزله في لحده وعنه الدين قضى

وروى ابن سعد ـ وهو من نصّابهم ـ في (طبقاته) عن جابر: أنّ كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر: ما كان آخر ما تكلم به

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧، سنة ٣.

(٢) رواه عن المرزباني المفيد في الارشاد: ٢٢، ورواه ايضاً المرتضى في الفصول المختارة ٢: ٢١٦، والسروي في مناقبه ٣: ١٩٦، بفرق.

النبيّ ﷺ ؟ فقال عمر: سل عليّاً. قال: أين هو؟ قال: هـو هـنا. فسأله. فـقال عليّ عليه السلام: أسندته إلى صـدري فـوضع رأسـه عـلى مـنكبي. فـقال: الصـلاة الصلاة، فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أُمروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسّله؟ قال: سل عليّاً. قال فسأله. فقال: كنت أنا أُغسّله، وكان عباس جالساً، وكان أُسامة وشقران يختلفان إليّ بالماء[1].

وروى أيضاً عن عمر بن علي قال: قال النبيّ ﷺ في مرضه: اُدعوا لي أخي. قال: فدعي له عليٌّ. فقال: أُدن منّي. قال: فدنوت منه. فاستند اليّ. فلم يزل مستنداً إليّ وإنه ليكلّمني حتّى إنّ بـعض ريـق الـنبيّ ﷺ ليـصيبني ـالخبر ـ[2].

ومـن أحـق بـه ﷺ مـنه عليه السلام حـيّاً ومـيّتاً، وقـد قـال ﷺ فـي المستفيض: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. فمن أراد المدينة. فليأت من بابها»[3]، وقد قال تعالى محيلاً إلى بداهة العقول ﴿هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكر أُولو الألباب﴾[4].

ثم الغريب روايتهم أنّ النبيّ ﷺ أمر أبابكر بالصلاة، وجعلوا ذلك دليل إمامته، فاستند إليه عمر في نصب أبي‌بكر جاعلاً له فوق الإمامة خلافة الرسول، فقال لأبي‌بكر: إنّ النبي اختارك لديننا بـصلاتك بـالناس. فكـيف لا نرضاك لدنيانا بالإمامة لنا، وهذا مع روايـتهم أنّ الـنبيّ ﷺ أمـر أبـابكر بخروجه في جيش أُسامة، ولعن المتخلّف، فكيف أمره بالصلاة بالناس ـمع

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٥١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٦ و١٢٧، والكلابي في مسنده، منتخبه: ٤٢٦ ح ٢، والبزّار فـي مسـنده، والديلمي في الفردوس، وعنهما ينابيع المودة: ٧٢ و٢٨٢، وغيرهم.

(٤) الزمر: ٩.

روايتهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: أُدعوا لي علياً فدعت عائشة وحفصة بأبويهما، فأعرض عنهما[١] ـ ومع روايتهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج بتلك الحال متّكئاً على رجلين وصلّى بهم قاعداً[٢].

ورووا في صلاة أبي‌بكر بالناس ما يبطل صدره ذيله، ويكذّب آخره أوّله، قال ابن أبي الحديد في عنوان «ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»: روى الأرقم ابن شرحبيل قال: سألت ابن عباس هل أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لا. قلت: فكيف كان فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه، ابعثوا إلى علي فادعوه. فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي‌بكر، وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر، فاجتمعوا عنده ـ هكذا لفظ الخبر على ما أورده الطبري في التاريخ ولم يقل: فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليهما ـ.

قال ابن عباس فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: انصرفوا فإن تكن لي حاجة ابعث اليكم فانصرفوا، وقيل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة، فقال: مروا أبابكر أن يصلّي بالناس. فقالت عائشة: ان أبابكر رجل رقيق فمر عمر. فقال: مروا عمر. فقال: عمر ما كنت لأتقدم وأبوبكر شاهد، فتقدم أبوبكر، فوجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خفّة فخرج. فلمّا سمع أبوبكر حركته تأخّر فجذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقامه مكانه وقعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ حيث انتهى أبوبكر.

ثم قال ابن أبي الحديد: عندي في هذه الواقعة كلام ويعترضني فيها شكوك واشتباه إذ كان قد أراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث إلى عليّ ليوصي إليه فنفست عائشة. فسألت أن يحضر أبوها، ونفست حفصة عليه، فسألت أن

---

(١) رواه السروي في مناقبه ١: ٢٣٦، عن الطبري في الولاية والدارقطني في سننه والسمعاني في الفضائل وأحمد في مسنده.

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه ١: ١٢٢ و١٢٦، ومسلم في صحيحه ١: ٣١١ ح ٩٠، وغيرهما.

يحضر أبوها، ثم حضرا ولم يُطلبا، فلا شبهة أنّ ابنتيهما طلبتاهما، هذا هو الظاهر وقول النبيّ ﷺ ـ وقد اجتمعوا عنده ـ «إنصرفوا فإن تكن لي حاجة بعثت إليكم» قولُ مَنْ عنده ضجر وغضب باطن بحضورهما، وتهمة للنساء في استدعائهما. فكيف يطابق هذا الفعل وهذا القول ما روي من انّ عائشة قالت: لمّا عيّن أبوها في الصلاة «إنّ أبي رجل رقيق فمروا عمر»؟ وأين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاستقالة؟ وهذا يوهم صحّة ما تقوله الشيعة من أنّ صلاة أبي بكر كانت عن أمر عائشة، وان كنت لا أقول بذلك، ولا أذهب إليه إلّا من تأمّل هذا الخبر، ولمح مضمونه يوهم ذلك فلعل هذا الخبر غير صحيح.

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: لِمَ قلت في صدر كلامك هذا: إنّه أراد أن يبعث إلى علي ليوصي إليه، ولِمَ لا يجوز أن يكون بعثَ إليه لحاجة له. قلت: لأنّ مخرج كلام ابن عباس هذا المخرج، ألا ترى أنّ أرقم بن شرحبيل الرواي لهذا الخبر قال: سألت ابن عباس هل أوصى النبيّ ﷺ؟ فقال: لا. فقلت: فكيف كان؟ فقال: إنّ النبيّ ﷺ قال في مرضه: إبعثوا إلى عليّ فادعوه. فسألته المرأة أن يبعث إلى أبيها، وسألته الأُخرى أن يبعث إلى أبيها. فلولا أنّ ابن عباس فهم من قوله ﷺ «ابعثوا إلى عليٍّ فادعوه» أنّه يريد الوصية لما كان لأخبار الأرقم بذاك متّصلاً بسؤاله عن الوصية معنى[1].

قلت: لقد أجاد في كلامه، ثم أيّ معنى لقراءة النبيّ ﷺ من حيث انتهى أبوبكر بعد عدم اقتداء النبيّ ﷺ به كما تضمّنه خبرهم؟ ثم أي استبعاد لصلاته بغير اذنه في مرضه مع صلاته بغير اذنه في صحته. روى مسلم والبخاري في (صحيحيهما) عن سهل الساعدي أنّ النبيّ ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم. فجاءت الصلاة. فجاء المؤذن إلى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٩١، شرح الخطبة ٢٣٣، والنقل بتصرف يسير.

أبي‌بكر. فقال: تصلي بالناس فأُقيم فقال: نعم. قال: فصلّى أبوبكر. فجاء النبيّ ﷺ فخرق الصفّ حتى قام عند الصف المقدم فرجع أبوبكر القهقرى[١]، ومن أين ان مبادرة النبيّ ﷺ إلى المسجد، وتأخير أبي‌بكر في الموضعين لا سيما في الأوّل الّذي كان في شدّة المرض للدلالة على عدم جواز الاقتداء به.

ومن الغريب أنّ الجزري قال: ولمّا اشتد مرضه اذّنه بلال بالصلاة. فقال: مروا أبابكر يصلي بالناس، قالت عائشة: فقلت: إنّه رجل رقيق، وانّه متى يقوم مقامك لا يطيق ذلك، فقال: مروا ابابكر فيصلي بالناس فقلت مثل ذلك، فغضب وقال: إنكنّ صواحب يوسف، مروا أبابكر يصلي بالناس. فتقدم أبوبكر. فلمّا دخل في الصلاة وجد النبيّ ﷺ خفّة فخرج بين رجلين. فلمّا دنا من أبي‌بكر تأخّر أبوبكر فأشار إليه أن قم مقامك. فقعد النبيّ ﷺ يصلّي إلى جنب أبي‌بكر جالساً، فكان أبوبكر يصلّي بصلاة النبي، والناس يصلّون بصلاة أبي‌بكر وصلّى أبوبكر بالناس سبع عشرة صلاة وقيل: ثلاثة أيّام ثمّ انّ النبيّ ﷺ خرج في اليوم الّذي توفّي فيه إلى الناس في صلاة الصبح. فكاد الناس يفتتنون في صلاتهم فرحاً بالنبيّ ﷺ وتبسّم النبيّ فرحاً لما رأى من هيئتهم في الصلاة ثم رجع[٢].

فإن فيه مضافاً إلى ما تقدم انّه أيّ ربط لقول النبيّ ﷺ «انكن صواحبات يوسف» مع قول عائشة «إنّ أبابكر رجل رقيق» وإنّما يناسب قول النبيّ ﷺ ذاك مع ما في الخبر الأوّل أنّ النبيّ ﷺ أمر بإحضار

---

(١) أخرجه بطرق البخاري في صحيحه ١: ١٢٥ و٢٠٨ و٢١١ و٢١٤، و٢: ١١١، و٤: ٢٤٢، ومسلم في صحيحه ١: ٣١٦ و٣١٧ح ١٠٢ ـ ١٠٤.

(٢) رواه ابن الاثير في الكامل ٢: ٣٢٢، سنة ١١.

أميرالمؤمنين عليه السلام فبعثتا إلى أبويهما وأحضرتاهما.

وأيّ ربط بين قوله: «فوجد خفة» وقوله: «فخرج بين رجلين» بل بينهما تضاد، ثم كيف أمر كراراً بأن يصلّي أبوبكر بالناس ثم لم يدعه بأن يتمّ صلاة واحدة بل يخرج بدخوله في الصلاة حتّى يتفرق خياله في الصلاة. إلى غير ذلك من المناقضات الّتي يفهمها كل من لم يكن ذا عصبيّة.

وإنّما الصحيح الّذي يشهد به أخبارهم بعد إسقاط متناقضاتها في تفصيل صلاة أبي‌بكر في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما ذكره محمّد بن محمّد بن النعمان في (إرشاده) فقال: وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذاك في بيت أُمّ سلمة. فأقام به يوماً أو يومين. فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، وسألت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، فأذنّ لها. فانتقل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت الّذي أسكنه عائشة، وآستمر به المرض فيه أيّاماً، وثقل فجاء بلال عند صلاة الصبح، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مغمور بالمرض. فنادى: «الصلاة رحمكم الله» فأُوذن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بندائه. فقال: يصلّى بالناس بعضهم فإنّي مشغول بنفسي. فقالت عائشة، مروا أبابكر، وقالت حفصة: مروا عمر. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع كلامهما ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتنانهما بذلك، والنبيّ حي: «اكففن فانكن صويحبات يوسف» ثم قام صلى الله عليه وآله وسلم مبادراً خوفاً من تقدم أحد الرجلين وقد كان أمرهما بالخروج مع أُسامة، ولم يكن عنده أنّهما قد تخلّفا فلمّا سمع من عائشة وحفصة ما سمع؛ علم أنّهما متأخران عن أمره. فبدر لكفّ الفتنة وإزالة الشبهة، فقام صلى الله عليه وآله وسلم وإنّه لا يستقلّ على الأرض من الضعف، فأخذ بيده علي بن أبي‌طالب عليه السلام والفضل بن العباس فاعتمد عليهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضعف، فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبابكر قد سبق إلى المحراب

فأومأ إليه بيده أن تأخّر. فتأخّر أبوبكر، فكبّر وابتدأ الصلاة الّتي كان قد ابتدأها أبوبكر، ولم يبن على ما مضى من فعاله، فلمّا سلم انصرف إلى منزله، واستدعى أبابكر وعمر وجماعة ممّن حضر بالمسجد ثم قال: ألم آمركم ان تنفذوا جيش أسامة. فقالوا: بلى. قال: فلم تأخّرتم عن أمري؟ قال أبوبكر: إنّي كنت خرجت ثم رجعت لأجدّد بك عهداً، وقال عمر: إنّي لم أخرج لأنّني لم أحبّ أن أسأل عنك الركبان، فقال النبيّ ﷺ: نفّذوا جيش أسامة. نفّذوا جيش أسامة. يكرّرها ثلاث مرّات ثم أغمي عليه من التعب الّذي لحقه، والأسف الّذي ملكه، فمكث هنيئة مغميّ عليه وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين، فأفاق النبيّ ﷺ فنظر إليهم ثم قال «إيتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبدا» ثم أغمي عليه فقام بعض من حضره يلتمس دواة وكتفاً. فقال له عمر: «إرجع فإنّه يهجر» فرجع وندم من حضر على ما كان منهم من المخالفة في إحضار الدواة والكتف وتلاوموا بينهم، وقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون لقد أشفقنا من خلاف النبيّ. فلمّا أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك بدواة وكتف. فقال: أبعد الّذي قلتم؟ لا، ولكنّي أوصيكم بأهل بيتي خيراً. وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا وبقي عنده العباس والفضل بن العباس وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته خاصّة[1].

ومن الغريب أنّ الشهرستاني روى في (ملله) عن (صحيح البخاري) ممانعة عمر عن وصيّة النبيّ ﷺ وانّه قال: «قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط، وان النبيّ ﷺ غضب وقال: «قوموا عنّي لا ينبغي عندي

(١) رواه المفيد في الارشاد: ٩٧، والنقل بتصرف يسير.

التنازع» وانّ ابن عباس قال: «الرزية كلّ الرزية منع نبيّنا عن وصيّته»[١].

وروى فيه أيضاً أنّ النبيّ ﷺ قال: «جهّزوا جيش أُسامة. لعن الله من تخلّف عنه» فقال قوم: «يجب علينا امتثال أمره» وقال قوم «اشتد مرضه» ثم قال: وإنّما اوردت هذين المتنازعين لانّ المخالفين ربّما عدّوا ذلك من الخلافات المؤثّرة في أمر الدين وليس كذلك وانّما كان الغرض كلّه إقامة مراسم الشرع ـ الخ[٢].

فتراه اعترف بأنّ منع النبيّ ﷺ عن الوصية، والتخلّف عن جيش لعن النبيّ ﷺ المتخلف عنه موجبان لافساد الدين، لكن اعتذر بما ذكره من الغرض، فهل كان عمر أعرف من الله ورسوله الّذي لا ينطق عن هوى بل بوحي من السماء، فليقولوا بأنّا ندين بدين أبي‌بكر وعمر لا بدين نبي الإسلام وكان الحطيئة يقول لما سمع خلافة أبي‌بكر:

أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً فيالهفتا ما بال دين أبي‌بكر

وهؤلاء أهل سنة أبي‌بكر وعمر يقولون بلسان الحال وإن أنكروه في المقال:

عصينا رسول الله اذ كان حاضراً وانّما

نطيع ونخضع لدين أبي‌بكر

ومن راجع في ماكتبوا في امر السقيفة يعلم كما يعلم بالشمس في رابعة النهار أنّ غرضهما لم يكن إلّا نيل الرياسة والسلطنة مثل معاوية إلّا أنّ معاوية لم ينافق وجهر بمراده وكون غرضه الإمرة وهما لبسا بارادة الدين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٣٢، و٣: ٧ و٢٧١، ورواه عنه الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢٩، واللفظ للشهرستاني.

(٢) رواه الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢٩، والنقل بتلخيص.

كما عرفته من الشهرستاني قال سعيد بن سويد: صلّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الصحن ثم خطبنا فقال: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنّكم لتفعلون ذلك إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. قال شريك في حديثه: هذا والله هو التهتّك[١].

قلت: ليت هذا التهتّك كان ممّن أسس لمعاوية ذلك، وجعله بتدبير الامر لعثمان خليفة حتّى يغيّر دين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ويستأصل أهل بيته، ويأسر بناته بيوم بدر على يد ابنه، ويسنّ لعن النبيّ صلى الله عليه وآله. ولا تستوحش من تعبيري فإنّ لعن عليّ لعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه عليه السلام كان بنصّ الكتاب نفس النبيّ صلى الله عليه وآله[٢] وقد مرّ ابن عباس على من يسبّه فقال: أيّكم سبّ الله ورسوله، فقالوا: لم يكن ذلك، فقال: أيّكم سبّ علياً، فقالوا: كان ذلك، فقال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّ الله ورسوله»[٣].

وبالجملة هل هو عليه السلام مع اشتماله على تلك المكارم احق بمقام النبيّ صلى الله عليه وآله بعده أم من هرب يوم خيبر وحنين، وفي كثير من المواقف، وقد قال تعالى: ﴿ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[٤]، ولم يصلح لتأدية آيات وعزل من السماء ـ ولعنه في التخلف عن جيش أُسامة وقال فيه يوم خيبر معرّضاً إنّه لا يحبّ الله ورسوله ولا يحبّه الله ورسوله، وإنّه فرّار غير كرّار حيث أثبت صلى الله عليه وآله وسلم أضداد ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام بعد فرار صدّيقهم وفاروقهم وأعرض النبيّ صلى الله عليه وآله عنه في صحته ومرضه.

---

(١) رواه ابوالفرج في المقاتل: ٤٥.

(٢) بالنظر الى قوله تعالى ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ آل عمران: ٦١.

(٣) أخرج هذا المعنى الطبري في الولاية وابن بطة في الابانة، وعنهما مناقب السروي ٣: ٢٢١، وغيرهما.

(٤) الانفال: ١٦.

فقد روى الحميدي عن (صحيح مسلم) في (مسند أنس): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه الخبر[١].

وفي (معارف ابن قتيبة): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في يوم أحد أخذ سيفاً فهزّه وقال: من يأخذه بحقه؟ فقال عمر: أنا. فأعرض عنه، وقال الزبير: أنا. فأعرض عنه. فوجدا في أنفسهما. الخبر[٢]. ومرَّ إعراضه صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجلين في مرضه في رواياتهم، ... وترك جنازة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ونازع على الحطام الفاني. قال ابن قتيبة في (خلفائه): إنّ الأنصار. لمّا قالوا لسيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ لو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به. فيقول عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ: أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع ابو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٣]. مضافاً إلى ما مر من منعه عن وصيته ونسبة الهجر إليه.

هذا، ونظير كلامه عليه السلام في بيان اختصاصه عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً لكونه متصدياً لأُموره وكافياً لمهماته؛ قول أحمد بن يوسف في وصف الفضل ابن سهل ذي الرياستين واختصاصه بالمأمون حياً وميتاً وكونه عماده، ففي جملة كلامه: فإنّه اعطاه رياسة الحرب، ورياسة التدبير، وعقد له على رأسهما علماً في راية دعوته، وقلّده سيفهما، وختمه بخاتم الخلافة، وخاتم الدولة، وجعل صلاته بين صاحب حرسه وصاحب شرطته،

(١) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٤٧، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٤٠٣، ٨٢.

(٢) رواه ابن قتيبة في المعارف: ١٥٩.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٢.

وصيّر له الجلوس على الكرسي بحضرته في صدر كل مجلس جلسه إلّا أن يؤثر به من أبناء الخلفاء، وقدّمه في دخول داره راكباً إلى أقصى مكان ينتهى إليه أحد من بني‌هاشم لأنّه منهم، وأعظمهم غناء عنهم، فسمّاه صاحب دعوته، وسيفه على عدوه، وبابه الّذي يدخل إليه منه، وولّاه خيوله في أقطار الأرض ومقدّمته بحضرته، وقلّده من الثغور ما قد علمتم بما أفرده في عهده إلى ما أنفذ في جميع سلطانه وملكه من مشارق الأرض ومغاربها، وأين يأتي الوصف على ما فضّله به، وقدّمه، وشرّفه على الناس، ولكنا نخطر بذكره، ثم نكل السامعين إلى ما يرجعون إليه من المعرفة الّتي لايبلغها الصفة.

ثم لم يكن ما اكرمه به في حياته بأعلى ممّا أكرمه به في وفاته ـ أي أكرم المأمون الفضل ـ تولى غسله وتكفينه ومباشرته بجهازه إلى حفرته بيده وقاسى من الغصص وبرحاء الحزن وإذراء العبرة واراقة الدمعة ما حال بينه وبين الكلام، وكاد يمنعه من القول والدعاء في صلاته عليه، وحفظ أهل الحرمة به رعاية له فيهم ووفاء بعهده من بعده، واقرّ خاصّته، وقوّاده، وعمّاله، وكتّابه على مراتبهم، وحمد بحمده، وذمّ بذمّه، وجند بجنده وشاكريته نظراً وعطفاً، فلم يبق عليه في احياء ذكره، وبلوغ كل ما يحبّه في حياته غاية إلّا أتى من ورائها، وأمر بقراءة فتوحه بعده كما كانت تقرأ على عهده، وأضاف كل ما حدث بعده إلى ما تقدم من سعيه، وأخبر أنه كان من سببه[1].

«ولتصدق نيّاتكم في جهاد عدوكم» في (الطبري): انّ يوم الجمل قتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا فقال رجل لأخيه وهو يقاتل: ما أحسن قتالنا إن كنّا على الحق قال: فإنّا على الحق. إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً وإنّما

---

(١) اسقط الشارح هنا شرح فقرة «فانفذوا على بصائركم».

تمسّكنا بأهل بيت نبيّنا قال: فقاتلا حتّى قتلا[١].

«فو الّذي لا إله إلّا هو إنّي لعلى جادّة الحق، وإنّهم لعلى مزلّة الباطل» إنّما اقسم عليه‌السلام لأنّه عليه‌السلام أحس من عملهم معه عليه‌السلام ومع مخالفيه شكّهم، وإلّا فكونه عليه‌السلام على الحق وكون مخالفيه على الباطل من البديهيات بعد تصديق العقل والنقل لما قاله عليه‌السلام.

ثم الغريب من بلادة واصل بن عطاء انّه لم يفرّق بين النور والظلمة فقال كما في (ملل الشهرستاني) إنّ أحد الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين مخطىء لا يعينه، وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه: إنّ أحد الفريقين فاسق لا محالة كما أنّ أحد المتلاعنين فاسق لا محالة.

قال واصل: وأقل درجات الفريقين أنّه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين. قال الشهرستاني: فلم يجوّز عطاء قبول شهادة عليٍّ وطلحة والزبير على باقة بقل وجوّز أن يكون عثمان وعليّ على الخطأ. قال الشهرستاني ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه[٢].

قلت: قاتلهم الله! أما تواتر عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنّه قال لأمير المؤمنين عليه‌السلام «إنّك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»[٣]؟ أما رجع الزبير عن حربه عليه‌السلام باقراره بقول النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم له: «إنّك ظالم في حرب عليّ»[٤]؟ أما تواتر عن

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٠، سنة ٣٦.

(٢) الملل والنحل ١: ٥٢ و٥٣، والنقل بتلخيص.

(٣) أخرجه جمع كثير من أهل الحديث منها ما أخرجه بطرق ابن عساكر في ترجمة علي عليه‌السلام ٣: ٢٠٠ ـ ٢١٤ ح ١٢٠٦ ـ ١٢١٩.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ٣٦٦، وابويعلي وابن أبي شيبة وابن راهويه وابن منيع في مسانيدهم، وعنهم المطالب العالية ٤: ٣٠١ ـ ٣٠٣، وجمع آخر.

النبيّ ﷺ: «إنّ عماراً تقتله الفئة الباغية»[١] وأنّ ذاك الخبر أوجب تزلزلاً في أصحاب معاوية حتّى اضطر معاوية إلى أن يلبّس عليهم ويقول لهم: إنّا ما قتلنا عمّاراً بل قتله علي الّذى جاء به إلى حربنا؟

قال الشهرستاني ـ بعد ما مر نقله طاعناً فيهم ـ هذا قوله وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة وأئمة العترة[٢].

قلت: ومع ذلك إنّهم أقرب إلى فطرة العقول من جمهور أهل السنّة والشهرستاني أحدهم فإنّهم يجمعون بين الضِّدَّين، وهو شيء يحكم ببطلانه جميع العقلاء، وإن لم يكونوا ذوي دين فإن كان بطلان أمر المتقدّمين على أميرالمؤمنين عليه السلام معلوماً وأنّهم لم يكونوا من الاسلام على شيء فالأمر كما ذكر الشيعة، وان لم يكن معلوماً فكما ذكر واصل ومن تبعه، لكن واصل وان لم يجمع بين الضدين كجمهور السنّة إلّا أنّه أنكر البديهيات وتشكك في الواضحات. كيف لا وقد تواترت الأخبار من طريقهم بأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام على الحقّ وأنّ الحق معه يدور حيثما دار[٣].

وفي (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أن رجلاً من همدان يقال له برد، قدم على معاوية فسمع عمرو بن العاص يقع في عليّ عليه السلام فقال له: يا عمرو! إنّ أشياخنا سمعوا النبيّ ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فحقٌّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة النبيّ له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى. فقال عمرو: إنّه أفسدها بأمره في عثمان. فقال برد:

(١) اخرج مسلم في صحيحه ٤: ٢٢٣٥ و٢٢٣٦ ح ٧٠ ـ ٧٤، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٩ ح ٣٨٠٠، وأحمد في مسنده ٢: ١٦٤، و٦: ٢٨٩ و٣٠٠، وجمع كثير غيرهم.

(٢) الملل والنحل ١: ٥٣.

(٣) أخرجه البزار في مسنده وعنه مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦، وابن مردويه في مناقبه وعنه ذيل احقاق الحق ٥: ٦٣١، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص وفي الباب عن علي عليه السلام وأم سلمة وغيرهما.

هل أمر أو فعل؟ قال: لا. ولكنّه آوى ومنع. قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيعته؟ قال: اتّهامي إيّاه في عثمان. قال له: وأنت أيضاً اتّهمت قال: صدقت. فيها خرجت إلى فلسطين. قال: فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم، على الحق فانصروه[1].

«أقول ما تسمعون» أي: تعرفو أنّ الأمر كما أقول فعليكم العمل بمقتضاه.

«واستغفر الله لي ولكم» ممّا صدر من التفريط في جنب الله تعالى. شارك عليه السلام نفسه معهم ليكونوا اسرع إلى قبول كلامه.

٥
من الخطبة (٦)

فَوَٱللّٰهِ مَازِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ ٱللّٰهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

أقول: هذا الكلام صريح في بطلان أمر المتقدّمين عليه، وكونهم غاصبين لحقّه، وكونه عليه السلام مظلوماً في تأخيرهم له.

وقال ابن أبي الحديد في عنوان قوله عليه السلام «اما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم» روى شيخنا أبو القاسم البلخي عن سلمة بن كهيل عن المسيب بن نجية قال: بينا عليّ عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي فصاح «وامظلمتاه» فاستدناه عليّ عليه السلام فلما دنا منه قال له: «إنّما لك مظلمة واحدة وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر» قال: وفي رواية عباد بن يعقوب أنّه دعاه، فقال له: «ويحك وأنا والله مظلوم أيضاً. هات فلندع على من ظلمنا».

قال: وروى سدير الصيرفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ قال: اشتكى

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٠٩، والنقل بتصرف يسير.

عليّ عليه السلام شكاة فعاده أبوبكر وعمر وخرجا من عنده، فأتيا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فسألهما من أين جئتما؟ قالا: عدنا علياً. قال: كيف رأيتماه؟ قالا: رأيناه يخاف عليه مما به. فقال: كلّا إنّه لن يموت حتّى يُوسَعَ غدراً وبغياً، وليكوننّ في هذه الأمّة عبرة يعتبر به الناس من بعده.

قال: وروى عثمان بن سعيد عن عبدالله الغنوي أنّ علياً عليه السلام خطب بالرحبة فقال: «أيّها الناس! إنّكم قد أبيتم إلّا أن أقولها، وربّ السّماء والأرض إنّ من عهد النبيّ الأمّي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ انّ الأمّة ستغدر بك بعدي». قال: وروى هيثم بن مشير عن إسماعيل بن سالم مثله، وقال: وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه.

وروى أبوجعفر الاسكافي أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام فوجد علياً عليه السلام نائماً فذهبت تنبّهه فقال: دعيه فربّ سَهَرٍ له بعدي طويل، ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة. فبكت فقال: لا تبكي فانّكما معي، وفي موقف الكرامة عندي.

قال: وروى يونس بن حباب عن أنس بن مالك قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بن أبيطالب معنا فمررنا بحديقة فقال عليّ: يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ حديقتك في الجنّة أحسن منها ـإلى أن قال ـ

ثم إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقف فوقفنا فوضع رأسه على رأس عليّ وبكى، فقال عليّ: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني. فقال: يا رسول الله! أفلا أضع سيفي على عاتقي فأُبيد خضراءهم؟ قال: بل تصبر. قال: فإن صبرت؟ قال: تلاقي جهداً. قال: أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم قال: فإذن لا أُبالي.

قال: وروى جابر الجعفي عن محمّد بن عليّ قال: قال عليّ عليه السلام: ما رأيت منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله رخاءً. لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً حتى قبض الله رسوله. فكانت الطامّة الكبرى، والله المستعان[١].

قلت: ولم يختصّ الشكاية، والتصريح بالمظلومية به عليه السلام بل كان أهل بيته أيضاً يشكون، وان كانوا يتقون، وكيف لا يتّقون، وقد كان هو عليه السلام كما يفهم من الخبر المتقدم في خطبته عليه السلام في الرحبة من قوله عليه السلام «أيّها الناس إنّكم قد أبيتم إلّا أن أقولها» ـ الخبر ـ أيضا يتّقي.

يشهد لما قلنا كتاب معاوية إلى الحسن عليه السلام في جواب كتابه رواه أبوالفرج وغيره، وفي الكتاب ذكرت وفاة رسول الله وتنازع المسلمين من بعده.

فرأيتك صرّحت بتهمة أبي‌بكر الصدّيق وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلحاء المهاجرين والأنصار فكرهت ذلك لك. فإنّك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ـ الخ[٢] فترى انه عليه السلام لما شكا من شيخيهم في تقدمهما على أميرالمؤمنين عليه السلام خوّفه معاوية بالتكفير. أُفٍّ لدين يكفّر من شهد القرآن بعصمته وطهارته، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعلو درجته.

وكان ظلمهم له عليه السلام في التقديم عليه مع اتقائه عليه السلام واتقاء أهل بيته من الاجهار به أمراً مشتهراً غير قابل للانكار. روى أحمد بن أبي‌طاهر في (بلاغاته) في دخول أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب على معاوية أنّ أروى قالت لمعاوية في جملة كلامها «حتّى قبض الله نبيّه مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً عندالله مرضياً. فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٢، شرح الخطبة ٥٧.

(٢) رواه ابو الفرج في المقاتل: ٣٦، والمدائني، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩، شرح الكتاب ٣١.

آل فرعون يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبيّنا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[1]، ولم يجمع لنا بعد رسول الله ﷺ لنا شمل، ولم يسهل لنا وعر وغايتنا الجنة، وغايتكم النار[2]».

وروى (البلاغات) أيضاً في خطبة سيّدة نساء العالمين عند منع أبي بكر ايّاها فدك: «حتّى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأجمشكم فالفاكم غضاباً. فوسمتم غير ابلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل. بداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين. فهيهات منكم، وانّى بكم، وانّى تؤفكون، وهذا كتاب الله بين أظهركم. وزواجره بيّنة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة. أرغبة عنه تدبرون أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[3]. ثم لم تريثوا إلّا ريث ان تسكن نغرتها، تشربون حسوا، وتسرّون في رتغاء ونصبر منكم على مثل حزّ المدى -إلى ان قال- ثم انحرفت إلى قبر النبيّ ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة   لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) بلاغات النساء: ٤٣.

(٣) آل عمران: ٨٥.

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهد هم ولا تغب

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم[١].

وفي (الطبري) ـ بعد ذكر بيعة عبدالرحمن بن عوف لعثمان ـ قال عليّ عليه السلام لابن عوف «ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون ـ إلى أن قال ـ

فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم. إنّي لأعجب من قريش إنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم، ولا أقضى منه بالعدل. أما والله لو أجد عليه أعوانا ـ إلى أن قال ـ

فقال رجل للمقداد: رحمك الله من أهل هذا البيت، ومن هذا الرجل قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل عليّ بن أبي طالب ـ فقال عليّ عليه السلام: انّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها، فتقول: ان وُلّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم[٢].

وروى الجوهري في (سقيفته) ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ انّه نادى عمار يوم الشورى: يا معشر قريش! إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم تحوّلونه هاهنا مرّة، وهاهنا مرّة ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم، ويضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله، ووضعتموه في غير أهله فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة المخزومي: يا ابن سمية لقد عدوت طورك، وما عرفت قدرك ما أنت وما رأت قريش لأنفسها انّك لست في شيءٍ من امرها وامارتها فتنحّ عنها قال: وتكلّمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه فقال عمار «الحمد لله رب العالمين ما زال

---

(١) بلاغات النساء: ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٧ و٢٩٨، سنة ٢٤.

أعوان الحق أذلّاء» ثم قام فانصرف[1].

٦
من خطبة (١٩٠)

في الخطبة القاصعة:

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللّهِ ﷺ ؛ بِالْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ، وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ ؛ وَكَانَ يَمْضَغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ -إلى أن قال-:

وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْاسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللّهِ، مَا هَذِهِ ٱلرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا ٱلشَّيْطَانُ، قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ -إلى أن قال-:

وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هذَا! «يَعْنُونَنِي» وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ؛ سِيمَاهُمْ سِيمَا ٱلصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَبْرَارِ؛ عُمَّارُ ٱللَّيْلِ، وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ، يُحْيُونَ

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٩٠، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٩٢، شرح الخطبة ١٣٧، واللفظ لابن أبي الحديد، والنقل بتصرف يسير.

سُنَنَ ٱللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ؛ وَلَا يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ.

أقول: ورواه ابن طاووس في (طرائفه) عن كتاب موفق بن أحمد المكي باسناده إلى أبي ذر في مناشداته عليه السلام لأهل الشورى مع زيادات قبله[١].

«وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة» فكان عليه السلام ابن عم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبويه، ولم يكن في رجال بني هاشم من كان بقربه عليه السلام، ولنعم ماقيل بالفارسيّة:

در ملک وجود پادشاه است علی   جان و تن و عقل را پناه است علی
چشم همه کاینات ختم رسل است   در مردم آن چشم نگاه است علی

«والمنزلة الخصيصة» في (الحلية) روى أحمد بن حنبل عن أم سلمة قالت: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب لم يجترئ عليه أحد إلّا عليّ كرم الله وجهه[٢].

ورووا في (صحاحهم) عن ابن عباس قال: لمّا نزل «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى»[٣] قالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما[٤].

وقال ابن طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله) نقل عن عليٍّ الثقات، والنقلة الأثبات أنّه قال:

محمّد النبي أخي وصنوي   وحمزة سيّد الشهداء عمّي

---

(١) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤١٤.

(٢) حلية الاولياء ٩: ٢٢٧.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم في مناقب الشافعي عنهم الكاف الشاف ٤: ٢٢٠، لكن لم أجده في صحاحهم.

وجعفرٌ الّذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أُمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الاسلام طرّاً ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمٍّ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ ... لمن يلقي الإله غداً بظلمي[1]

وروى الكنجي الشافعي في (مناقبه) مسنداً عن زيد بن عليّ قال: كانت قريش في حلقة فتفاخروا، وذكروا شيئاً من الشعر، فقالوا: يا أبالحسن! قل. فقال عليه السلام لقد قلتم. فقالوا: نعم، وأنت أيضاً فقل فقال عليه السلام:

الله أكرمنا بنصر نبيّه ... وبنا أقام دعائم الاسلام
وبنا أعزّ نبيّه وكتابه ... وأعزّنا بالنصر والإقدام
في كلّ معركة تطير سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام
ينتابنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الاسلام والأحكام
فنكون أوّل مستحلّ حلّه ... ومحرّم لله كلّ حرام
نحن الخيار من البرية كلّها ... ونظامها وزمام كلّ زمام
الخائضو غمرات كلّ كريهة ... والضامنون حوادث الأيام
والمبرمون قوى الأمور بعزمهم ... والناقضون صرائم الإبرام
إنّا لنمنع من أردنا منعه ... ونجود بالمعروف والإنعام
وتردّ غائلة الخميس سيوفنا ... وتقيم رأس الأصيد القمقام[2]

وروى أيضاً عن ابن عباس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر بسدّ الأبواب إلّا باب

(١) مطالب السؤول: ١١.
(٢) كفاية الطالب: ٨٦.

عليّ بن أبي‌طالب[١] وقال: وفي (خصائص النسائي) مسنداً عن زيد بن أرقم قال: كان لنفرمن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ، فتكلّم في ذلك ناس فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد ماسددته ولا فتحته، ولكن أمرت بشيء فاتّبعته[٢].

«وضعني في حجره وانا ولد» هكذا في (المصريّة)، والصواب: «وليد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة»[٣].

في (مقاتل أبي‌الفرج): كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخذ علياً عليه السلام من أبيه، وهو صغير في سنة أصابت قريش قحط نالهم، وأخذ حمزة جعفراً وأخذ العباس طالباً ليكفوا أباهم مؤونتهم، ويخففوا عنه ثقلهم، وأخذ هو عقيلاً لميله إليه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إخترت من اختار الله تعالى لي عليكم؛ علياً ـ قال: حدّثني بذلك أحمد بن الجعد الوشاء قال: حدّثنا عبدالرحمن بن صالح قال: حدّثنا عليّ بن عابس عن هارون بن سعد عن زيد بن عليّ[٤].

«يضمّني إلى صدره» روى ابن المغازلي في (مناقبه)، والمالكي في (فصوله) مسنداً عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كنت جالساً مع أبي، ونحن زائرون قبر جدنا عليه السلام وهناك نسوان كثيرة إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها: من أنت يرحمك الله؟ قالت: زيدة بنت قريبة بن العجلان من بني ساعدة، فقلت لها: فهل عندك شيء تحدثينا؟ قالت: إي والله. حدثتني أُمّي أُمُّ عمارة بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي أنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب

(١) أخرجه الكنجي في كفاية الطالب: ٨٧، عن طريق الترمذي واخرج الحديث الترمذي في سننه ٥: ٦٤١ ح ٣٧٣٢.

(٢) أخرجه الكنجي في كفاية الطالب: ٨٨، والنسائي في الخصائص: ٧٢، والنقل بتصرف يسير.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٦.

(٤) رواه ابو الفرج في المقاتل: ١٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

إذ أقبل أبوطالب كئيباً حزينا فقلت: ما شأنك يا أباطالب؟ قال: إنّ فاطمة بنت أسد في شدة المخاض. ثم وضع يديه على وجهه، فبينا هو كذلك إذ أقبل محمّد.

فقال له: ما شأنك يا عم؟ فقال: إنّ فاطمة بنت اسد تشتكي المخاض. فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة، فأجلسها في الكعبة ثم قال: إجلسي على اسم الله. فطلقت طلقة، فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظّفا لم أرَ كحسن وجهه فسمّاه أبوطالب علياً، وحمله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أدّاه إلى منزلها. الخبر[1].

وفي (اثبات وصية المسعودي) بعد ذكر ولادته عليه السلام: حنكه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووضعه في حجره وقمّطه في حضنه قبل كلّ أحد[2].

«ويكنفني إلى فراشه ويمسني جسده» رووا عن يزيد بن قعنب ـ في خبر ولادته عليه السلام في الكعبة ـ قال: ولدت (فاطمة بنت أسد) علياً عليه السلام وللنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة، وأحبّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حبّاً شديداً وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر علياً عليه السلام في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره، ويقول: هذا أخي ووليّ وناصري، وصفيّ وذخري، وكهفي، وظهري، وظهيري ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي، وخليفتي، وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها[3].

«ويشمّني عرفه» بفتح العين: أي عرقه.

---

(١) رواه ابن المغازلي في مناقبه: ٦ ح ٣، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٣٠.

(٢) اثبات الوصية: ١١٦.

(٣) هذه الزيادة في حديث يزيد بن قعنب رواها العلّامة الحلّي في نهج الحق ٢: ٥٠٦.

وفي (مناقب السروي) في حديث أبي بصير عن الصادق عليه السلام: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ يمسح العرق عن وجه عليّ عليه السلام ويمسح به وجهه[١].

«وكان يمضغ الشيء» أي: يليّنه بفمه.

«ثم يلقمنيه» قال ابن أبي الحديد: روى الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام عن أبيه قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يمضغ اللحمة والتمرة حتّى تلين، ويجعلها في فم عليّ عليه السلام وهو صغير في حجره، وكذلك كان أبي عليّ بن الحسين عليه السلام يفعل بي ولقد كان يأخذ الشيء من الورك، وهو شديد الحرارة فيبرّده في الهواء أو ينفخ عليه حتّى يبرد ثم يلقمنيه. أفيشفق عليّ من حرارة لقمة، ولا يشفق عليّ من النار؟ لو كان أخي إماماً بالوصية كما يزعم هؤلاء لكان أبي أفضى بذلك إليَّ ووقاني من حرّ جهنّم[٢].

قلت: ذيل الخبر لا ربط له بالمقام إلّا أنّه لمّا كان ابن أبي الحديد نقله ويمكن أن يولّد شبهة لابدّ لنا من دفعها فنقول: إنّ الأخبار في مسلك زيد مختلفة ففي أخبار كثيرة أنه كان معترفاً بإمامة أخيه الباقر عليه السلام وابنه الصادق عليه السلام[٣] وهي أكثر من هذا الخبر وما من قبيل هذا الخبر، فيسقط لشذوذه، وفي بعضها مضمون هذا الخبر مع الجواب عمّا تضمنه من الشبهة.

روى الكشي مسنداً عن مؤمن الطاق قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل زيد بن عليّ فقال لي: أنت الّذي تزعم انّ في آل محمّد إماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه قال: قلت: نعم. أبوك أحدهم قال: ويحك وما يمنعه أن يقول لي؟ فوالله لقد كان يؤتى بالطعام الحار فيقعدني على فخذه ويتناول

---

(١) مناقب السروي ٢: ٢٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥١.

(٣) روى أحاديث بهذا المضمون الخزار في كفاية الاثر: ٢٩٤ ـ ٣٠٧، وغيره.

البضعة فيبرّدها ثم يلقمنيها. أفتراه يشفق عليّ من حرّ الطعام، ولا يشفق عليّ من حرّ النار قال: قلت: كره أن يقول لك فتكفر؛ فيجب عليك من الله الوعيد، ولا يكون له فيك شفاعة، فتركك مرجئاً لله فيك المشيّة، وله فيك الشفاعة. فقال أبوعبدالله عليه السلام: أخذته من بين يديه، ومن خلفه، فما تركت له مخرجاً(١).

و روى (المناقب) عن أبي العلاء العطار بإسناده عن عبد خير، عن عليّ عليه السلام قال: أُهدي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قنو موز فجعل يقشر الموزة، ويجعلها في فمي فقال له قائل: انك تحبّ عليّاً قال: أو ما علمت أنّ عليّاً منّي وأنا منه(٢).

هذا، وقال الفرزدق في شاعرين من قومه نزع إليهما:

هما نفثا في فيّ من فمويهما ... على النابح العاوي أشد رجام

«وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة» في (الصحاح) أخطل: أي: أفحش(٣).

«في فعل» روى (الكافي): انّ الصادق عليه السلام قال لأبي كهمس: إذا أتيت عبدالله بن أبي يعفور فاقرأه السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فالزمه، فإنّ عليّاً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث، وأداء الأمانة(٤).

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن عكرمة، عن ابن عباس ـ في خبر ـ ولقد عاتب الله أصحاب رسوله في القرآن، ولم يذكر علياً عليه السلام إلّا بخير(٥).

---

(١) أخرجه الكشي في اختيار معرفة الرجال: ١٨٦ ح ٣٢٩، وقوله اخيراً «فقال أبو عبدالله أخذته ...» هو ذيل حديث آخر أخرجه هو في المصدر: ١٨٦ ح ٣٢٨.

(٢) رواه السروي في مناقبه ٢: ٢٢٠.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٦٨٦، مادة (خطل).

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ١٠٤ ح ٥.

(٥) هذا ذيل حديث جاء صدره في تذكرة الخواص: ١٣، لكن رواه جمع من أهل الحديث منها ما أخرجه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٤٢٩ و ٤٣٠ ح ٩٣٨ و ٩٣٩.

قلت: عاتبهم عموماً في قوله جلّ و علا: ﴿ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾[١] فلم يعمل بقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقه﴾[٢] غيره حتّى نسخ، وعاتب صدّيقهم خصوصاً في قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾[٣].

فروى كاتب الواقدي ـ مع نصبه ـ: أنّ القائل يوم حنين «لن نغلب اليوم من قلة» هو أبوبكر[٤] قلت: ويدل على فراره قوله تعالى متصلاً به: ﴿ثم ولّيتم مدبرين﴾[٥] كما يدلّ على عدم إيمانه قوله تعالى بعده: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[٦] ولو كان منهم لقال «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعليكم».

هذا، وقال ابن أبي الحديد: روى سعيد بن جبير قال: سألت أنس بن مالك فقلت: أرأيت قول عمر عن الستة «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو عنهم راضٍ» ألم يكن راضياً عن غيرهم من أصحابه فقال: بلى. مات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو راضٍ عن كثير من المسلمين، ولكن كان عن هؤلاء أكثر رضا. فقلت له: فأيّ الصحابة كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له أحمد؟ قال: مافيهم أحد إلّا وقد سخط منه فعلاً، وأنكر عليه أمراً إلّا اثنان عليّ بن أبيطالب، وأبوبكر بن أبيقحافة فإنّهما لم يقترفا منذ أتى الله بالاسلام أمراً أسخطا فيه النبيّ» صلى الله عليه وآله[٧].

---

(١) المجادلة: ١٣.

(٢) المجادلة: ١٢.

(٣) التوبة: ٢٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ ق ١: ١٠٨.

(٥) التوبة: ٢٥.

(٦) التوبة: ٢٦.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٢.

قلت: أمّا أصل قول عمر في موت النبيّ ﷺ راضياً عن أُولئك الستة ففرية بيّنة، ويشهد له تكذيبه نفسه قال الجاحظ: إنّ عمر بعد قوله «إنّ النبيّ مات وهو راض عن اولئك الستة» ذكر عيوب أُولئك الستة، وبعد بيان عيب الزبير أنّه يوماً انسان ويوماً شيطان «أقبل على طلحة وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر فقال له: أقول أم أسكت؟ قال: قل فإنّك لا تقول من الخير شيئاً قال: «أما إنّي أعرفك بالبأو الّذي حدث لك، ولقد مات النبيّ ساخطاً عليك للكلمة الّتي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب»[١] قال الجاحظ: كلمة طلحة الّتي أشار إليها عمر هي أنّ طلحة لما انزلت آية الحجاب قال بمحضر من نقل عنه إلى النبيّ ﷺ ما الّذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فننكحهن. قال الجاحظ: لو قال قائل لعمر أنت قلت: إنّ النبيّ مات وهو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة إنّه مات ساخطاً عليك للكلمة الّتي قلتها لكان قد رماه بمشاقصه، ولكن من الّذي كان يجسر على عمر أن يقول له مادون هذا فكيف هذا[٢].

قلت: فَلِمَ جعلوه فاروقاً مع كذبه وإتيانه بالتناقض؟ ثم لِمَ خصّ طلحة بذاك العيب وكان عثمان شريكه فيه؟ فكان طلحة يريد عائشة، وكان عثمان يريد أُمُّ سلمة، وقالا: يجول بين خلاخيل نسائنا إذا متنا ونجول بين خلاخيل نسائه إذا مات[٣] إلّا أنّه خصّ طلحة لأنّ طلحة منع أبابكر من استخلافه وعثمان لمّا أغمى على أبي بكر في احتضاره كتب من نفسه استخلافه عمر لمّا خاف أن لا يفيق.

---

(١) يعني آية ٥٣ من سورة الأحزاب.

(٢) نقله عن الجاحظ في السفيانية ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٣، شرح الخطبة ٣.

(٣) رواه عن السدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٩٣، وأما نزول الآية في طلحة خاصة فرواه ابن سعد في الطبقات ٨: ١٤٥، وابن ابي حاتم وعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر، وعنهم: الدر المنثور ٥: ٢١٤.

ثم لو كان قائل يقول: إنّ عمر لم يختص القول بتناقضه في مورد طلحة فليقل له لِمَ خلّفت نفسك عن جيش أُسامة مع لعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للمتخلّف، ولِمَ نسبتَ الهجر إلى من قال تعالى في حقه «وما ينطق عن الهوى* إن هو إلّا وحيٌ يوحى»[1]، ولم منعته عن وصيته وأوجدت هذا التشتت في الإسلام وصرت سبباً لضلال أكثر فرقهم إلّا أنّ إخواننا يجعلون عمر إلّها، وقوله فوق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إذ عرفت أصل الخبر لا تحتاج إلى البحث في فرعه مع أنّ اتّهام أنس بن مالك في حق أميرالمؤمنين عليه السلام من ردّه له عن الدخول على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مراراً ـ وكان حاجبه ـ في حديث الطير المتواتر حتّى أنكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليه ذلك. فأجاب بأنّي أحببت أن يكون قولك «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليّ» في أحد من قومي لا في علي، وجحده لأمير المؤمنين عليه السلام كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير لما استشهده حتّى دعا عليه السلام عليه ببياض لا تواريه العمامة فابتلي بالبرص في رأسه ووجهه أمرٌ معلوم، ولو كان قدر أن ينكر ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام لفعل، ولكنّه لمّا لم يقدر أراد جعل شريك له حتّى لا يختص عليه السلام بهذه المزيّة.

مع أنّ قوله «منذ أتى الله بالإسلام» غلط فإنّه لم يقل أحد إنّ أبابكر أسلم حين بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بل اتّفقوا على أنّه كان بعد مدّة، وإنّما غالط النصاب في كونه أقدم اسلاماً بكون أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا لم يكن بالغاً مبلغ الرجال وقت البعثة كان إسلامه بلا أثر، مع أنّه طعن منهم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث قبل إيمانه بل جعله في ذلك الوقت وصيّه ووزيره وخليفته حتى استهزأ بنو عبدالمطلب بأبي طالب بأنّ ابن أخيك جعل ابنك أميراً عليك.

---

(١) النجم: ٤.

ثم إسخاط أبي بكر للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مقامات معلوم. منها يوم الغار في جزعه واضطرابه حتى قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تحزن»[١]، ومنها في عدم قتله للخارجي الّذي أمره بقتله، ومنها تخلّفه عن جيش أُسامة مع لعنه المتخلّف وبحضوره عند النبيّ صلى الله عليه وآله لما دعا أمير المؤمنين عليه السلام فبعثت ابنته إليه، وبإسخاطه سيّدة نساء العالمين حتى ماتت غضبى عليه وقالت له: «لأدعونَّ الله عليك بعد كلّ صلاة» وقد أقرّ لها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: سخط فاطمة سخطي، إلى غير ذلك ممّا ورد في (صحاحهم) ونقلوه بأنفسهم فضلاً عما رواه الشيعة مع شواهد لصحة مارووه.

«ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل» في (الصحاح): الفصيل ولد الناقه إذا فصل عن امّه[٢].

«أثر أُمّه» روى كاتب الواقدي في (طبقاته) مسنداً عن جابر قال: قدم عليّ عليه السلام من اليمن. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : بما أهللت؟ قال: بما أهلّ به النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال: فاهْدِ وأمكث حراماً كما أنت[٣].

وفي (فقيه) ابن بابويه نزلت المتعة -أي حج التمتع- على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند المروة بعد فراغه من السعي فقال: يا أيّها الناس! هذا جبرئيل -وأشار بيده إلى خلفه- يأمرني أن آمر من لم يَسُقْ هدياً أن يُحِلَّ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولكنّي سقت الهدي، وليس لسائق الهدى أن يحلّ حتّى يبلغ الهدي محلّه -إلى أن قال بعد ذكره قدوم أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن على النبيّ صلى الله عليه وآله مكة قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : فبم

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) صحاح اللغة ٥: ١٧٩١، مادة (فصل).

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ١: ١٣٤.

أهللت أنت يا علي فقال: إهلالاً كإهلال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: كن على إحرامك مثلي فأنت شريكي في هديي، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ساق معه مئة بدنة فجعل لعلي عليه السلام منها أربعاً وثلاثين، ولنفسه ستّاً وستّين ونحرها كلّها بيده[١].

وروى (طبقات كاتب الواقدي): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر من كلّ بدنة من بدنه بمضغة فجعلت في قدر فأكل هو وعلي من لحمها وشربا من مرقتها[٢].

وفي خبر رواه الطبرى وغيره قال عمر لابن عباس: كره قومكم أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً. فقال ابن عباس: لو كنّا جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذي قال الله تعالى ﴿وإنّك لعلى خلق عظيم﴾[٣] وقال له صلى الله عليه وآله وسلم واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين ـ الخبر ـ[٤] ولفظ عمر وابن عباس وان كان في عامة بني هاشم إلّا أنّ مغزاهما هو عليه السلام خاصّة كما لا يخفى.

«يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً» هكذا في (المصرية)، والصواب: «يرفع لي كل يوم علماً من اخلاقه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٥].

قال هشام بن عبدالملك لمحمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: من أين ورثتم ما ليس لغيركم، وليس بعد محمّد نبي، وما أنتم أنبياء؟ قال: من قوله تعالى: ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به﴾[٦] فالّذي أبداه فهو للناس كافة، والّذي لم يحرّك

(١) الفقيه ٢: ١٥٣ ح ١٥، وللحديث ذيل.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ١: ١٢٧.

(٣) القلم: ٤.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٨٩، سنة ٢٣، والجوهري في السقيفة: ٧٠، وغيرهما والنقل بالمعنى.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٧، ايضاً نحو المصرية.

(٦) القيامة: ١٦.

به لسانه أمره تعالى أن يخصّنا به دون غيرنا، فلذلك كان يناجي به أخاه علياً دون أصحابه، وأنزل تعالى قرآنا فقال: ﴿وتعيها أُذن واعية﴾[1]. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه: يا علي! سألت الله أن يجعلها أُذنك، ولذلك قال عليّ عليه السلام بالكوفة «علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح من كل باب ألف باب» خصّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من مكنون علمه ماخصّه الله به فصار إلينا وتوارثناه من دون قومنا. فقال له هشام: إنّ علياً كان يدّعي علم الغيب، وانّ الله لم يطلع على غيبه أحدا فكيف ادّعى ذلك؟ فقال عليه السلام له: إنّ الله تعالى أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[3] وفي قوله تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين﴾[4] وأوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ألّا يبقي في غيبه وسرّه ومكنون علمه شيئاً إلّا ناجى عليا به، وأمره أن يؤلف القرآن من بعده، ويتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه من دون قومه، وقال لأهله وأصحابه: حرام أن تنظروا إلى عورتي غير أخي عليّ فهو منّي وأنا منه، له مالي، وعليه ما عليّ، وهو قاضي ديني، ومنجز وعدي. وقال لأصحابه «عليٌّ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلّا عند عليّ عليه السلام ولذلك قال لأصحابه: أقضاكم عليٌّ. وقال عمر بن الخطاب «لولا عليّ لهلك عمر» أفيشهد له عمر ويجحد غيره[5].

---

(١) الحاقة: ١٢.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الانعام: ٣٨.

(٤) النمل: ٧٥.

(٥) رواه ابن طاووس في الامان: ٥٤، والنقل بتصرف يسير.

وقال الصادق عليه السلام: عمّم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام بيده فسدلها من بين يديه وقصرها من خلفه قدر أربع اصابع، ثم قال: أدبر، فأدبر. ثم قال: أقبل، فأقبل، ثمّ قال: هكذا تيجان الملائكة[١].

«ويأمرني بالاقتداء به» قال الحسن بن عليّ عليه السلام: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي نهاراً لم يُمسِ حتّى يخبر به عليّاً وإذا نزل عليه ليلاً لم يُصبح حتى يخبر به عليّاً[٢].

وفي (شرف الخركوشي) جاء جبرئيل (إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) بأعلى مكّة وعلّمه الصلاة فانفجرت من الوادي عين حتّى توضأ جبرئيل بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتعلّم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منه الطهارة ثم أمر به عليّاً عليه السلام[٣].

«ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء» في (بلدان الحموي): «حراء» بالكسر والتخفيف والمد: جبل من جبال مكّة على ثلاثة أميال قال جرير:

ألسنا أكرم الثقلين طراً وأعظمهم ببطن حراء نارا

قال: إنّه ذهب به إلى البلدة الّتي حراء بها فلم يصرفه.

قال: وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يأتيه الوحي يتعبّد في غار من هذا الجبل وفيه أتاه جبرئيل عليه السلام[٤].

وفي (كامل الجزري)، وعبدالمطلب أوّل من تحنّث ـ أي: أقام بحراء ـ فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر[٥].

«فأراه ولا يراه غيري» قال ابن أبي الحديد: ورد في (الصحاح) أنّ

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٦: ٤٦٠ ح ٤.

(٢) رواه ابو جعفر الطوسي في اماليه ٢: ٢٣٧، مجلس ١٢، عن عبدالله بن الحسن والنقل بتصرف يسير.

(٣) رواه عنه السروي في مناقبه ٢: ١٤.

(٤) معجم البلدان ٢: ٢٣٣، والنقل بالمعنى.

(٥) كامل ابن الاثير ٢: ١٥، والنقل بتصرف يسير.

النبيّ ﷺ كان يجاورُ في حراء من كل سنة شهراً وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتّى جاءت السنة الّتي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة، فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعليّ بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة[1].

قلت: كلامه عليه السلام متضمن أنّ في مدّة مجاورته ﷺ في ذلك الجبل لا يراه غيره، وخبره متضمن أنّه يراه كل أحد فلا عبرة به.

«ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما» روى أبومخنف عن جابر عن تميم الناجي ـوقد نقله ابن أبي الحديد في شرح كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ـ قال: قدم علينا الحسن بن عليّ عليه السلام وعمّار يستنفران الناس إلى عليّ عليه السلام ومعهما كتابه، فلمّا فرغا من قراءة كتابه قام الحسن عليه السلام ـوهو فتىً حدث والله إنّي لارثي له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه ـ فرماه الناس بأبصارهم ـإلى أن قال ـ.

فقال: ولقد علمتم أنّ علياً عليه السلام صلّى مع رسول الله ﷺ وحده، وانّه يوم صدّق به لفي عاشرة من سِنِّهِ، ثم شهد مع رسول الله ﷺ جميع مشاهده، وكان من اجتهاده في مرضاة الله، وطاعة رسوله، وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله ﷺ راضياً عنه حتّى غمّضه بيده، وغسّله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٤.

أموره، كلّ ذلك منّ من الله عليه ـ الخبر[1].

وقال ابن أبي الحديد: امّا حديث أنّ الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذٍ إلّا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو عليه السلام وخديجة فخبر عفيف الكندي المشهور، وقد ذكرناه من قبل، وأنّ أباطالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا. قال: هذا أبن أخي محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وهذا ابني عليّ، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمّد أبن أخي، وأيم الله ما أعلم على الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[2]. قلت: إنّما في خبر عفيف الكندي أن العباس قال لعفيف ما قال، لا أبو طالب، وفي خبره فقلت للعباس: ومن هذا الفتى؟ قال: عليّ بن أبي‌طالب ابن عمه، قلت: فما هذا الّذي يصنع؟ قال: يصلّي ويزعم أنّه نبي ولم يتبعه على أمره إلّا امرأته وابن عمّه هذا الفتى، وهو يزعم انه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر ـ قال: وكان عفيف يقول وقد أسلم ـ: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذٍ كنت ثانياً.

رواه بأسانيد، ورواه بطريق آخر، وفيه: فقال العبّاس: تدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبدالله ابن أخي، وهذا عليّ بن أبي‌طالب، هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. إنَّ ابن أخي هذا حدّثنا أنّ ربّه ربّ السماوات والأرض أمره بهذا الدين الّذي هو عليه، ولا والله ما أعلم على وجه الأرض أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[3] وأبوطالب إنّما ورد في خبر إسلام جعفر بن أبي طالب. ففي (أُسد الغابة) روى أن أبا طالب رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّاً يصليان، وعليّ عن يمينه فقال لجعفر: صلّ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٩٦، شرح الكتاب ١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٤.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٧٦، و٣: ٢٦١، شرح الخطبة ٥٧ و١٩٠، عن الاستيعاب ونقض الاسكافي والنقل بتصرف يسير.

جناح ابن عمك وصلّ عن يساره[١].

ثم لِمَ عبّر ابن أبي الحديد بما ظاهره حصر الحديث في عفيف، وقد روى الاسكافي رواية جمع في ذلك، ومنهم ابن مسعود فقال: «روى شريك بن عبدالله، عن سليمان بن المغيرة، عن زيدبن وهب عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: أوّل شيء علمته من أمر النبيّ ﷺ أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي وناس من قومي، وكان في أنفسنا شراء عطر، فأُرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فبينا نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان وله وفرة إلى انصاف أُذنيه، جعدة، أشمّ أقنى، أدعج العينين، كثّ اللحية، برّاق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنّه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتّى قصدوا نحو الحجر فاستلمه واستلمه الغلام ثم استلمته المرأة. ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبّر، وقام الغلام إلى جانبه، وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبّرت، فأطال القنوت ثم ركع، وركع الغلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال، ورفع الغلام والمرأة معه (ثمّ سجد وسجد الغلام والمرأة معه) يصنعان مثل ما يصنع، فلمّا رأينا شيئاً ننكره ولا نعرفه بمكّة؛ أقبلنا على العباس فقلنا: يا أباالفضل! انّ هذا الدّين ما كنّا نعرفه فيكم. قال: أجل والله. قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي. هذا محمّد بن عبدالله، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً هذا عليّ بن أبي‌طالب، وهذه المرأة زوجة محمّد هذه خديجة بنت خويلد، والله ما على الأرض أحد يدين بهذا الدّين إلّا هؤلاء الثلاثة.

---

(١) أُسد الغابة ١: ٢٨٧.

وقد نقله ابن أبي الحديد بعد أيضاً[١].

ومنهم أبو أيّوب الأنصاري فقال الاسكافي: وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين؛ وذلك انّه لم يصلّ معي رجل فيها غيره[٢].

ومنهم أبوذر فقال الاسكافي: روى محمّد بن عبدالله بن أبي‌رافع عن أبيه عن جده ابن رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة أُودّعه، فلمّا أردت الانصراف قال لي ولاناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ عليّ بن أبي‌طالب فاتّبعوه فإني سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: أنت أوّل من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصّديق الأكبر، وأنت الفاروق الّذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري وخير من اترك بعدي تقضي ديني وتنجز موعودي[٣].

ومنهم عباد الأسدي عنه عليه السلام فقال أيضاً: روى ابن أبي‌شيبة عن عبدالله بن نمير، عن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبدالله الأسدي، قال: سمعت عليّ بن أبي‌طالب يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصّدّيق الأكبر، لا يقولها غيري إلّا كذّاب، ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين[٤].

ومنهم عمر بن الخطّاب فقال أيضاً: روى ياسين بن محمّد بن أيمن، عن أبي حازم مولى ابن عبّاس أنّه قال: سمعت عمر يقول: كفّوا عن عليّ فانّي سمعت من النبيّ صلى الله عليه وآله فيه خصالاً لو أنّ خصلة منها في جميع آل الخطاب كان

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٦٠، شرح الخطبة ١٩٠، وما بين القوسين من زيادة الشارح.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٦٢، شرح الخطبة ١٩٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٦١، شرح الخطبة ١٩٠.

(٤) المصدر نفسه.

أحبّ إليّ مـمّا طـلعت عـليه الشمس. كـنت ذات يـوم وأبـوبكر وعـثمان وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة مع نفر من أصحاب النـبيّ صلى الله عليه وآله نـطلبه -إلى أن قال- فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله فسرنا حوله فاتّكا على عليّ وضـرب بـيده على منكبه فقال: أبشر يا عليّ بن أبيطالب! إنّك مخاصَم وإنّك تخصم الناس بسبعٍ لا يجاريك أحد في واحدة منهن. أنت أوّل الناس إسلاماً، وأعلمهم بأيّام الله... الخبر[1].

ومنهم الشعبي والحسن البصري فقال أيضاً: قد روى اسماعيل بـن نصر الصفار عن محمّد بن ذكوان، عن الشعبي قال: قـال الحـجّاج للـحسن، وعنده جماعة من التابعين -وذكر علياً عليه السلام- ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: «ما أقول! هو أوّل من صلّى إلى القبلة، واجاب دعوة الرسـول صلى الله عليه وآله وإنّـه لعـلى منزلة من ربّه، وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد» فغضب الحجّاج غضباً شديداً، وقام عن سريره فدخل بعض البيوت، وأمـر بصرفنا -قال الشعبي: وكنّا جماعة مامنّا أحد الّا من نال من عليّ عليه السلام مقاربة للحجّاج غير الحسـن[2]. وقـد صـرّح بـه ابـنه الحسـن عليه السلام كـما مـر، وابـنه الحسين عليه السلام يوم الطف كما رواه الطبري[3] بل لا يحصى من رواه.

ولم نقف على ذكره لخبر عفيف قبل في شرح الفقرات، وانّما ذكر قبل عن الطبري روايته عن محمّد بن إسحاق قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله اذا حـضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّـة، وخـرج مـعه عـليّ عليه السلام مسـتخفياً مـن عـمه أبيطالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه فـيصليان الصـلوات فـيها، فـإذا

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٦٢، شرح الخطبة ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢، سنة ٦١.

أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إنّ أباطالب عثر عليهما يوماً، وهما يصليان فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن أخي ما هذا الّذي أراك تدين به؟ قال: يا عم! هذا دين الله، ودين ملائكته ودين رسله، ودين أبينا ابراهيم ـأو كما قال ـ بعثني به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحقّ من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأُحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه ـأو كما قال ـ فقال ابو طالب: يا ابن أخي! إنّي لا استطيع أن أُفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت ـوقد روى هؤلاء المذكورون أنّ أباطالب قال لعليّ عليه السلام: يا بُنيَّ! ما هذا الّذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت إنّي آمنت بالله وبرسوله، وصدّقته بما جاء به، وصلّيت لله معه ـ قال: فزعموا انّه قال له: أما إنّه لا يدعو إلّا إلى خير فالزمه[1].

هذا، ولا يكاد تعجبي ينقضي كيف تؤثّر التشكيكات حتى تصيّر البديهيّات نظريات حتّى تحتاج إلى الاثبات. وإلّا فالتزام أميرالمؤمنين عليه السلام بالإسلام ساعة بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر ضروري كادعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم النبوّة، وعمدة تشكيكهم أنه عليه السلام لم يكن بالغاً مبلغ الرجال حين إسلامه. فلا يعتبر إلّا بعد بلوغه. ونكتفي في جواب تشكيكهم الركيك بجواب المأمون الخليفة العباسي ـ قال ابن عبد ربه في (عقده) في عنوان احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل عليّ عليه السلام ـقال المأمون لإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد: أيُّ الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله أليس السبق إلى الاسلام؟ قال: نعم قال: إقرأ ذلك في كتاب الله ﴿والسابقون السابقون أُولئك المقرّبون﴾[2] إنّما عنى من سبق إلى الإسلام. فهل علمت أحداً سبق علياً عليه السلام

---

(١) جاء ذلك في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥١، شرح الخطبة ٢٣٣، وتاريخ الطبري ٢: ٥٨.

(٢) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

إلى الإسلام. قال: إن علياً أسلم وهو حدث السنّ لا يجوز عليه الحكم، وأبوبكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم. قال: أخبرني أيّهما أسلم قبل ثم أُناظرك بعدُ في الحداثة والكمال: قال: عليٌّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشرطية.

قال: فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم لا يخلو من ان يكون النبيّ ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله. قال إسحاق: فأطرقت. فقال لي: يا إسحاق! لا تقل إلهاماً فتقدّمه على النبيّ ﷺ لأنّ النبيّ ﷺ لم يعرف الاسلام حتّى أتاه جبرئيل عن الله تعالى. قلت: أجل بل دعاه النبيّ ﷺ قال: يا إسحاق! فهل يخلو النبيّ ﷺ حين دعاه من ان يكون دعاه بامر الله تعالى او تكلّف ذلك من نفسه. قال: فاطرقت. فقال: يا إسحاق! لا تنسب إلى النبيّ ﷺ التكلف فإنّ الله تعالى يقول عنه: ﴿وما أنا من المتكلّفين﴾[1]. قلت: أجل. بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار جلّ ذكره أن يكلّف رسوله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله. فقال: افتراه في قياس قولك «انّ علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم» قد كلّف النبيّ ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة، ويرتدّون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء، ولا يجوز عليهم حكم النبيّ ﷺ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى النبيّ ﷺ؟ قلت: أعوذ بالله قال: يا إسحاق! فأراك انّما قصدت لفضيلة فضّل بها النبيّ ﷺ علياً عليه السلام على هذا الخلق ابانة بها منهم ليعرفوا فضله، ولو كان الله امره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً عليه السلام. قلت: بلى. قال: فهل بلغك ان النبيّ ﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول إن علياً ابن عمه؟ قلت: لا أدري فعل أم

---

(١) ص: ٨٦.

لم يفعل. قال: أرايت ما لم تدره هل تسئل عنه؟ قلت: لا قال: فدع ما قد وضعه الله ـ الخ[١] ـ.

ولقد اجاد ابن البيّع منهم في (معرفة اصول الحديث) بأن قال: إيمان عليّ عليه السلام في صغره كان بمنزلة عيسى وهو ابن ساعة يقول في المهد «انّي عبدالله آتاني الكتاب»[٢] وبمنزلة يحيى عليه السلام يقول تعالى فيه «وآتيناه الحكم صبياً»[٣].

ثم انا لا نعبّر انّه عليه السلام أوّ ل من أسلم لانّه يوهم أن يكون مثل غيره أسلم عن كفر وعبادة صنم، وقد سئل بعضهم عن إسلامه عليه السلام متى أسلم فقال: ومتى كفر إلّا انّه جدّد الإسلام.

وعن (تفسير قتادة) و(كتاب الشيرازي) قال ابن عباس: والله ما من عبد آمن بالله إلّا وقد عبدالصنم فقال تعالى ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب من عبادة الأصنام الّا عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام فانّه آمن بالله من غير أن يعبد صنماً فذلك قوله تعالى ﴿وهو الغفور الودود﴾[٤] يعنى المحب لعليّ بن أبي‌طالب عليه السلام إذ آمن به من غير شرك[٥].

بل نعبّر نحن كما عبر نفسه عليه السلام لم يجمع بيت واحد في الاسلام غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وغيره عليه السلام وغير خديجة يومئذ.

وروى الخطيب مع نصبه في «يحيى بن الحسين» مسنداً عن جابر قال:

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣١٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مريم: ٣٠.

(٣) ليس هذا كلام ابن البيّع، بل نقل السروي في مناقبه ٢: ١١، كلاماً عن ابن البيع في معرفة اصول الحديث ثم قال «فأقول»، فهذا كلام السروي نفسه، والآية ١٢ من سورة مريم.

(٤) البروج: ١٤.

(٥) رواه عنهما السروي في مناقبه ٢: ٨.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل يس، وعليّ بن أبي‌طالب، وآسية امرأة فرعون[١].

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) والثعلبي في (تفسيره)، عن ابن أبي ليلى والخطيب في (اربعينه)، عن ابن عباس قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ سبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا طرفة عين: عليّ بن أبي‌طالب، وصاحب (يس)، ومؤمن آل فرعون[٢].

«أرى نور الوحي والرسالة» قال ابن أبي الحديد: روى عن جعفر بن محمّد الصادق قال كان عليّ عليه السلام يرى مع النبيّ صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت وقال له: لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوّة فإن لا تكن نبياً فإنّك وصيّ نبيّ ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وامام الأتقياء[٣].

وروى ابن مردويه، والمظفر السمعاني، وسهل المروزي في (أماليه) ـكما في (مناقب السروي)ـ انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: انّ الملائكة صلّت عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين قبل أن يسلم بشر[٤].

وفيه عن القطّان، ووكيع، والثوري، والسدّي ومجاهد في تفاسيرهم عن ابن عباس ـفي خبر طويلـ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما كتبت يا علي حرفاً إلّا وجبرئيل ينظر إليك، ويفرح ويستبشر بك[٥].

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) عنه عليه السلام قال: لمّا كانت ليلة بدر قال النبيّ صلى الله عليه وآله من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، فقمت فاحتضنت قربة ثم

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ١٥٥.

(٢) رواه عنهم السروى في مناقبه ٢: ٦، عن ابن أبي ليلى لا ابن عباس.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٤.

(٤) مناقب السروي ٢: ٧.

(٥) مناقب السروي ٢: ٢٤.

أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً فانحدرت فيه. فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل تأهّبوا لنصرة محمّد وحزبه قال: فهبطوا من السماء، لهم دويٌّ يذهل من يسمعه، فلمّا حاذوا القليب وقفوا وسلّموا عليّ من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً وتعظيماً.

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته) بعد نقله الخبر عن (فضائل أحمد بن حنبل) وذكره أرباب المغازي أيضاً[1].

«وأشمّ ريح النبوّة» قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته): قال عكرمة وسمع (ابن عباس) اقواماً يتناولون علياً عليه السلام فقال: ويحكم أتذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل عليه السلام فوق بيته[2].

«ولقد سمعت رنّة الشيطان» أي: صيحته. قال الشاعر:

عمدا فعلت ذاك بيد أنّي أخال إن هلكت لم ترنّي

«حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة فقال هذا الشيطان أيس» هكذا في (المصرية)، والصواب: (قد أيس) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[3].

«من عبادته» في (الخصال): عن الصادق عليه السلام: رنّ ابليس اربع رنّات، أوّلهنّ يوم لعن، وحين اهبط إلى الأرض، وحين بعث محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ الخبر ـ[4].

وقال ابن أبي الحديد: روى أحمد بن حنبل في (مسنده) عن عليّ عليه السلام قال: كنت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة اللّيلة الّتي أُسري به فيها، وهو بالحجر يصلّي فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رنّة شديدة فقلت: يا رسول

---

(١) تذكرة الخواص: ٤٦.

(٢) تذكرة الخواص: ١٥٢.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٠، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٣٠٧، ايضاً نحو المصرية.

(٤) الخصال ١: ٢٦٣ ح ١٤١، باب الاربعة.

الله صلى الله عليه وآله وسلم! ما هذه الرنّة؟ قال: ألا تعلم هذه رنّة الشيطان. علم انّي أُسري بي اللّيلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض[1].

«إنّك تسمع ما أسمع» قال الصادق عليه السلام: لمّا هبط جبرئيل عليه السلام بالأذان على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان رأسه في حجر عليّ عليه السلام فأذّن جبرئيل، واقام. فلمّا انتبه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علي! سمعت؟ قال: نعم. قال: حفظت؟ قال: نعم. قال: أُدعُ بلالاً فعلّمه. فدعا عليّ عليه السلام بلالاً فعلّمه[2].

«وترى ما أرى إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك وزير، وانّك لعلى خير» قال ابن أبي الحديد: أمّا خبر الوزارة فقد ذكره الطبري في (تاريخه) عن ابن عباس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا أنزلت هذه الآية ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[3] ـ إلى أن قال ـ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ـ إلى ان قال ـ فاسمعوا له وأطيعوا ـ إلى أن قال بعد ذكر قيامه عليه السلام وقوله: انا أؤازرك يا رسول الله، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: أنت أخي ووصيّي وخليفتي فاسمعوا له وأطيعوا ـ فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لا بنك وتطيع[4].

وقال أيضاً وروى أيضاً انّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال عليّ عليه السلام: هاؤم ثلاث مرات حتى اشرأب الناس ونشروا آذانهم ثم قال: جمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بني عبدالمطلب بمكّة وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع مدا من طعام حتّى اكلوا وشبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمسّ، ثم دعا بغمر فشربوا ورووا وبقي الشراب كأنه لم

---

(١) نسبه الى مسند أحمد؛ ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٥٤.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٣: ٣٠٢ ح ٢، والصدوق في الفقيه ١: ١٨٣ ح ٢، والطوسي في التهذيب ٢: ٢٧٧ ح ١.

(٣) الشعراء ٢١٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٥، وتاريخ الطبري ٢: ٦٣.

يشرب، ثم قال: يا بني عبدالمطلب إنّي بعثت إليكم خاصّة، وإلى الناس عامّة، فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي، وصاحبي ووارثي. فلم يقم إليه أحد. فقمت إليه وكنت من أصغر القوم، فقال: إجلس ثم قال: ذلك ثلاث مرّات كل ذلك أقوم إليه. فيقول إجلس حتّى كان في الثالثة. فضرب بيده على يدي فعند ذلك ورثت ابن عمي دون عمي[١].

قلت: أيّ نصٍّ أصرح من هذا، ولو لم يكن له عليه السلام إلّا هذا لكفاه مع أنّه صلى الله عليه وآله وسلم دلّ على استخلافه من حين بعثته إلى حين وفاته عموماً، وفي غدير خم خصوصاً.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ويدلّ على أنّه وزير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من نصّ الكتاب والسنّة قوله تعالى: ﴿وآجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أُشدد به أزري وأشركه في أمري﴾[٢] وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الاسلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» فأثبت له جميع مراتب هارون من موسى عليه السلام فاذن هو عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشادّ أزره، ولو لا أنّه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره[٣].

قلت: فاذا كان جميع مراتب هارون من موسى غير النبوة تكون له عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيّ شيء بقي للرجلين حتّى قاما مقامه صلى الله عليه وآله وسلم وأخّراه عليه السلام عن ذلك، ومن مراتب هارون من موسى كونه خليفته في قومه. قال تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٥، وتاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٢) طه: ٢٩ ـ ٣٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٥.

(٤) الاعراف: ١٤٢.

وفي (العقد): أنّ المأمون استدلّ على استخلافه بالآية مع الرواية فقال له إسحاق بن إبراهيم من فقهاء العامة أنّ موسى خلّف هارون في قومه وهو حيّ ومضى إلى ربه. وانّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خلّف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته، فقال له المأمون: ليس كما قلت. أخبرني عن موسى عليه السلام حين خلّف هارون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟ قال: لا. قال: أو ليس استخلفه على جماعتهم قال: نعم قال: فأخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج إلى غزاة تبوك هل خلّف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان فأنّى يكون مثل ذلك[1].

وقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما ورد في دعاء الندبة ـ: أشهد أنّ الايمان خالط لحمك، ودمك يا علي كما خالط لحمي ودمي[2].

وروى ابن مردويه عن أمّ سلمة انّه كان لها مولى لا يصلّي صلاة إلّا سبّ علياً عليه السلام فقالت له: ما حملك على ذلك؟ قال: لأنّه قتل عثمان و شرك في دمه فقالت له: لو لا انّك مولاي وأنك عندي بمنزلة ولدي ما حدّثتك بسرّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. قد أقبل يوماً النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان يومي منه وانّما كان نصيبي من تسعة ايّام يوماً واحداً ـ فدخل وهو يتخلخل أصابعه في أصابع عليّ عليه السلام واضعاً يده عليه فقال: يا أُمّ سلمة! أُخرجي من البيت وأخليه لنا. فخرجت وأقبلا يتناجيان، وأسمع الكلام، ولا أدري ما يقولان حتّى انّا قلت، وقد انتصف النهار فاقبلت وقلت: السلام عليك ءألج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا. فرجعت وجلست حتّى قلت: قد زالت الشمس؛ الآن تخرج إلى الصلاة فتذهب يومي، ولم أر يوماً قطّ أطول منه، فأقبلت أمشي حتّى وقفت وقلت: السلام عليك ءألج.

---

(١) العقد الفريد ٥: ٣٢٥، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) رواه ابن طاووس في مصباح الزائر وعنه مفاتيح الجنان: ١١٤٩، ولفظه «والايمان مخالط ...».

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: نعم. فدخلت وعليّ واضع يده على ركبة النبيّ صلى الله عليه وآله، فدخلت وفم النبيّ صلى الله عليه وآله على أُذُن عليّ يتسارّان وعليّ عليه السلام معرض وجهه حتى دخلت، وخرج فأخذني النبيّ صلى الله عليه وآله في حجره، وأصاب منّي ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار، ثم قال: يا أم سلمة لا تلوميني. فإنّ جبرئيل أتاني بما هو كائن بعدي، وأمرني أن أُوصي به علياً من بعدي، وكنت بين جبرئيل وعليّ، جبرئيل عن يميني، وعليّ عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة. فاعذريني، ولا تلوميني. انّ الله ـ عزّ وجلّ ـ اختار من كل أُمّة نبيّاً، واختار لكلّ نبيّ وصياً، وأنا نبيُّ هذه الأمّة، وعليّ وصيي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي من بعدي ـ قالت له: فهذا ما شهدت من عليّ عليه السلام الآن فسبّه أُودعه. قال: فأقبل مولاها يناجي اللّيل والنهار «اللهمّ اغفر لي ما جهلت من أمر عليّ عليه السلام»[1].

وروى الخطيب في (لا هز) عن أنس قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أبي‌برزة الأسلمي فقال له وأنا أسمعه: يا أبا برزة! إن ربَّ العالمين تعالى عهد إليّ في عليّ ابن أبي‌طالب عهداً فقال: «عليٌّ راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني. يا أبا برزة! عليّ معي غداً يوم القيامة على حوضي، وصاحب لوائي، ومعي غداً على مفاتيح خزائن جنّة ربّي[2].

وروى زرارة، ومحمّد بن مسلم عن محمد بن عليّ عليه السلام وحمران بن أعين. عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّ جبرئيل أتى النبيّ صلى الله عليه وآله برمّانتين، فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله إحداهما وكسر الأخرى بنصفين، فأكل نصفاً، وأطعم علياً عليه السلام نصفاً ثم قال له: يا أخي! هل تدري ما هاتان الرمّانتان؟ قال: لا. قال: أمّا الأُولى

---

(١) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٤ ح ٢٢.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٩٩.

فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وأما الأُخرى، فالعلم أنت شريكي فيه. فلم يعلم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حرفاً ممّا علّمه الله تعالى إلّا علّمه علياً عليه السلام ـ الخبر[١].

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه): عن عمر بن سعد، عن مسلم الملائي عن حبّة عن عليّ قال: لما نزل عليّ عليه السلام الرقّة بمكان يقال له: بليخ على جانب الفرات نزل راهب من صومعته فقال لعلي عليه السلام: انّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم عليه السلام اعرضه عليك. قال عليّ عليه السلام: نعم فما هو؟ قال الراهب: (بسم الله الرحمن الرحيم الّذي قضى في ما قضى، وسطر في ما سطّر أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ـإلى أن قال ـ.

فيمرّ رجل من أُمّته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق، ولا يرتشي في الحكم، والدنيا أهون عليه من الرّماد في يوم عصفت الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء، يخاف الله في السرّ، وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، من أدرك ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانه والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّ القتل معه شهادة ـ.

وقال الراهب له عليه السلام: «فأنا مصاحبك غير مفارقك حتّى يصيبني ما أصابك» فبكي عليّ عليه السلام ثم قال: «الحمد لله الّذي لم يجعلني عنده منسياً، الحمد لله الّذي ذكرني في كتب الأبرار».

ومضى الراهب معه عليه السلام وكان في ما ذكروا يتغدّى معه عليه السلام ويتعشّى حتى أُصيب يوم صفّين، فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم، قال عليّ عليه السلام:

---

(١) أخرجه الصفار في البصائر: ٣١٣ ح ٢ و٣ و٥، عن زرارة ومحمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام وأخرجه هو في المصدر: ٣١٢ ح ١، عن حمران عن الباقر عليه السلام، وأخرجه في المصدر: ٣١١ ح ٦، بفرق في العبارة عن حمران عن الصادق عليه السلام.

أُطلبوه، فلمّا وجدوه صلّى عليه ودفنه، وقال: هذا من أهل البيت، واستغفر له مراراً[١].

«**وهل يصدقّك في امرك إلّا مثل هذا يعنونني**» قال السروي في رواية الحرث بن نوفل، وأبي رافع، وعباد بن عبدالله الأسدي عن عليّ عليه السلام في خبر طلب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من بني عبدالمطلب معاضدته حتى يفوّض إليهم وزارته وخلافته فقلت: أنا يا رسول الله قال: أنت، وأدناني إليه وتفل في فيّ، وقاموا يتضاحكون، ويقولون: بئس ما حبا ابن عمه إذ اتّبعه وصدّقه[٢].

«**وانّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم**» روى الطبري عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من اليمن ليلقى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمكّة تعجّل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف على جنده الّذين معه رجلاً من أصحابه. فعمد ذلك الرجل فكسا رجالاً من القوم حللاً من البزّ الذّي كان مع عليّ عليه السلام فلمّا دنا جيشه خرج عليّ عليه السلام، ليلقاهم فإذا هم عليهم الحلل فقال: ويحك ما هذا؟! قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس. فقال: ويلك! انزع من قبل ان تنتهي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فانتزع الحلل من الناس، وردّها في البز، وأظهر الجيش شكايته لما صنع بهم ـ قال ابو سعيد الخدري: شكا الناس علياً فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً. فسمعته يقول: يا أيّها الناس! لا تشكوا علياً فوالله إنّه لا خشن في ذات الله[٣].

«**سيما هم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار**» روى المسعودي في (مروجه) في قصة الجمل عن المنذر بن الجارود قال: لمّا قدم عليّ عليه السلام

---

(١) وقعة صفين: ١٤٧.

(٢) مناقب السروي ٢: ٢٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٤٠١ ـ ٤٠٢، سنة ١٠.

البصرة دخل ممّا يلي الطف فأتى الزاوية. فخرجت انظر إليه. فورد موكب نحو الف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيض، متقلد سيفاً معه راية، واذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة، مدّججين في الحديد والسلاح. فقلت: من هذا؟ فقيل، أبو أيوب الأنصاري صاحب النبيّ ﷺ وهؤلاء الأنصار.

ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء، وثياب بيض، متقلّد سيفاً، متنكب قوساً، معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس. فقلت: من هذا؟ فقيل: خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثم مرّ بنا فارس آخر على كميت معتمٌّ بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء، وعليه قباء أبيض مصقول، متقلد سيفاً، متنكّب قوساً، في نحو ألف فارس ومعه راية فقلت: من هذا؟ فقيل: أبو قتادة بن ربعي.

ثم مرّ بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه، ومن خلفه، شديد الأدمة، على سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلد سيفاً، متنكّب قوساً، معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان، حوله مشيخة وكهول وشبان. كأنْ قد أوقفوا للحساب، عليهم أثر السجود قد أثّر في جباههم فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدّة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مرّبنا فارس على فرس أشقر، عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء، وعمامة صفراء، متنكب قوساً، متقلد سيفاً، تخطّ رجلاه في الارض، في الف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت: من هذا؟ قيل: قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم، وغيرهم من قحطان.

ثم مرّ بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا احسن منه، عليه ثياب بيض،

وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه، بلواء. قلت: من هذا؟ قيل: هو عبدالله بن عباس في عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح.

ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنّما كسر وجبر، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كأنّما على رؤوسهم الطير، وعن ميمنته شاب حسن الوجه، وعن ميسرته شاب حسن الوجه. قلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا عليّ بن أبي طالب، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمّد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الّذي خلفه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل، وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والانصار. فساروا حتى نزلوا المعروف بالزاوية. فصلّى عليّ عليه السلام أربع ركعات، وعفّر خدّيه على التراب وقد خالط ذلك دموعه.

ثم رفع يديه يدعو: «اللهمّ ربَّ السماوات وما اظلّت، والأرضين وما اقلّت، ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرّها اللهم أنزلنا فيها خير منزل، وأنت خير المنزلين، اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي، وبغوا عليّ ونكثوا بيعتي، اللهم آحقن دماء المسلمين».

قال: وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء وقال: «علام تقاتلوني؟» فأبوا إلّا الحرب فبعث رجلاً من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله فرموه بسهم فقتل[1].

وفي (مطالب السؤول) لابن طلحة الشافعي، عن (تفسير الثعلبي)، عن أبي ذر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره،

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٥٩، والنقل بتصرف يسير.

مخذول من خذله...»[١]، وهو في تصدّقه في الصلاة ونزول آية «انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» فيه عليه السلام[٢].

«عمّار الليل» رووا انّ رجلاً من التابعين سمع أنس بن مالك يقول: نزل قوله تعالى ﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾[٣] فيه عليه السلام، فأتاه لينظر إلى عبادته في ليلة؛ فوجده كذلك، فخرج وهو يقول: أشهد أنّ الآية نزلت فيه[٤].

وعن (إبانة التلعكبري)، عن سليمان بن المغيرة، عن أُمّه قالت: سألت أُم سعيد سريّة عليّ عليه السلام عن صلاة عليّ في شهر رمضان فقالت: رمضان وشوال سواء يحيي الليل كله[٥].

وعن (مسند أبي يعلى) عنه عليه السلام قال: «ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الليل نور» فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير؟ قال: «ولا ليلة الهرير»[٦].

«ومنار النهار» قال زاذان: كان عليّ عليه السلام يمشي في الأسواق وحده، وهو في ذاك يرشد الضالّ، ويعين الضعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا

---

(١) مطالب السؤول: ٣١.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) رواه الفتال في الروضة ١: ١١٧، وعنه السروي في مناقبه ٢: ١٢٤، والنقل بالمعنى.

(٥) رواه عن كتاب الابانة لابن بطة العكبري، السروي في مناقبه ٢: ١٢٣، والتلعكبري غلط واضح.

(٦) رواه عنه السروي في مناقبه ٢: ١٢٣.

فساداً والعافية للمتقين﴾[١].

وروى محمد بن عليّ بن بابويه في (أماليه) عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام كل بكرة يطوف في اسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرة على عاتقة، وكان لها طرفان، وكانت تسمّى السبيبة فيقف على سوق سوق فينادي: يا معشر التجار! قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين. يطوف في جميع أسواق الكوفة فيقول هذا ثم يقول:

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبّتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

وكانوا اذا انظروا إليه عليه السلام قد أقبل إليهم وقال: «أيا معشر التجار» أمسكوا أيديهم، وأصغوا إليه بآذانهم، ورمقوه بأعينهم حتى يفرغ من كلامه، فإذا فرغ قالوا: السمع والطاعة، ثم يرجع فيقعد للناس[٢].

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين (فيعطيهم واجتمع) غيرهم من الناس فيعلّمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه. فقام يوماً فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر، فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر، وامر

---

(١) أخرجه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٣: ٢٤٩ ح ١٢٦٧، وغيره والنقل بتصرف في اللفظ، والآية ٨٣ من سورة القصص.

(٢) أخرجه الصدوق في اماليه: ٤٠٢ ح ٦، مجلس ٧٥.

فنودي الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه ثم قال: «أيّها الناس! إنّه ليس شيء احبّ إلى الله، ولا اعمّ نفعاً من حلم امام وفقهه، ولا شيء أبغض الله، ولا أعمّ ضرراً من جهل امام وخرقه، ألا وإنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله تعالى حافظ، ألا وإنه من انصف من نفسه لم يزده الله إلّا عزّاً، ألا وإنَّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته. ثم قال: أين المتكلّم آنفاً. فلم يستطع الانكار. فقال: ها أنا ذا يا أميرالمؤمنين فقال: «أما إنّي لو أشاء لقلت» فقال: ان تعف وتصفح فأنت أهل ذلك. قال عليه السلام: «قد عفوت وصفحت» قال: فقيل لأبي جعفر عليه السلام ما أراد ان يقول؟ قال: أراد ان ينسبه[1].

وفي (المناقب) عن الباقر عليه السلام قال: رجع عليّ عليه السلام إلى داره في وقت القيظ فاذا امرأة قائمة تقول: انّ زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدّى عليّ، وحلف ليضربني فقال: يا أمة الله أصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك. فقالت: يشتدّ غضبه وحرده عليّ. فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول «أو يؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع. أين منزلك؟» فمضى إلى بابه فوقف وقال: «السلام عليكم» فخرج شابّ فقال عليه السلام له: «يا عبدالله اتّق الله فإنّك أخفتها، وأخرجتها» فقال الفتى: وما أنت وذاك! والله لأحرقنّها لكلامك. فقال عليه السلام مسلتاً سيفه «أنهاك عن المنكر، وتستقبلني بالمنكر، وتنكر المعروف» وأقبل الناس من الطرق يقولون: السلام عليك يا أميرالمؤمنين فسقط الرجل في يديه فقال: أقلني عثرتي يا أميرالمؤمنين فو الله لأكونن لها أرضاً تطأني. فأغمد عليه السلام سيفه وقال: يا أمّة الله ادخلي منزلك،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧٣، شرح الخطبة ٥٦.

ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا[١].

«متمسكون بحبل القرآن» تواتر عن النبيّ ﷺ انه قال: «انّ القرآن وعترتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، يحيون سنن الله وسنن رسوله»[٢] روى الشيخ في (أماليه) مسنداً عن جابر الأنصاري قال: لمّا فرغ النبيّ ﷺ من هوازن سار حتّى نزل الطائف. فسأله القوم ان يبرح عنهم حتى يقدم عليه وفدهم فيشترط له، ويشترطون لانفسهم. فسار حتى نزل مكّة. فقدم عليه نفر منهم باسلام قومهم، ولم ينجع القوم له بالصلاة والزكاة فقال النبيّ ﷺ: إنّه لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود أما والذي نفسي بيده لتقيمُنّ الصلاة، ولتُؤتُنّ الزكاة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو منّي كنفسي، فليضربنّ اعناق مقاتليهم، وليسبينّ نساءهم وذراريهم، وهو هذا واخذ بيد عليّ عليه السلام فاشالها فلمّا صارا الوفد إلى قومهم أخبروهم بما سمعوا من النبيّ ﷺ فأقَرُّوا له بالصلاة وما شرط عليهم فقال النبيّ ﷺ «ما استعصى عليّ أهل مملكة ولا أُمّة إلّا رميتهم بسهم الله» قالوا: وما سهم الله؟ قال: «علي، ما بعثته في سرية إلّا رأيت جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملكاً أمامه، وسحابة تظلّه حتّى يعطي الله حبيبي النصر والظفر»[٣].

«لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلّون» قال الجوهري «غلّ من المغنم

---

(١) مناقب السروي ٢: ١٠٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) حديث الثقلين أخرجه جمع كثير منهم مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ و١٨٧٤ ح ٣٦ و٣٧، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٣ ح ٣٧٨٨ والدارمي في سننه ٢: ٤٣١، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٨، عن زيد بن أرقم، وروي عن غيره من الأصحاب أيضاً.

(٣) أخرجه أبو علي الطوسي في أماليه ٢: ١١٨، جزء ١٨، والنقل بتصرف يسير.

غلولا» أي: خان، وأغلَّ مثله[١].

«ولا يفسدون» كما قال تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لايريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٢].

وعن الأصبغ بن نباته نزل قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الّذين يمشون على الأرض هونا﴾[٣] فيه عليه السلام[٤] وعن زيد بن علي أنه عليه السلام كان يمشي في خمسة حافياً ويعلّق نعله بيده اليسرى يوم الفطر، والنحر، ويوم الجمعة، وعند العيادة، وتشييع الجنازة، ويقول: إنها مواضع الله وأحبّ أن أكون فيها حافياً[٥].

وفي (كامل الجزري): قال الشعبي: وجد عليّ عليه السلام درعاً له عند نصراني فأقبل به إلى شريح، وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي فقال النصراني: ما هي إلّا درعي، ولم يكذّب أميرالمؤمنين عليه السلام فقال شريح لعليّ عليه السلام: ألك بيّنة؟ قال: لا. وهو يضحك، فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد، وقال: «اشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء. أميرالمؤمنين قدّمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه» ثم أسلم، واعترف أنّ الدرع سقطت من عليّ عليه السلام عند مسيره إلى صفين. ففرح عليّ عليه السلام بإسلامه ووهب له الدرع وفرسا، وشهد معه قتال الخوارج[٦].

وعن عاصم بن كليب عن أبيه: قدم على عليّ عليه السلام مال من اصبهان

---

(١) صحاح اللغة ٥: ١٧٨٤، مادة (غلل).

(٢) القصص: ٨٣.

(٣) الفرقان: ٦٣.

(٤ و ٥) أخرجهما السروي في مناقبه ٢: ١٠٤.

(٦) كامل ابن الاثير ٣: ٤٠١، سنة ٤٠.

فقسّمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفاً فكسره على سبعة، ودعا أمراء الاسباع فأقرع بينهم لينظر أيّهم يعطي اولا[١].

«**قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل**» روى (الارشاد) عن سعيد ابن كلثوم قال: كنت عند جعفر بن محمّد الصادق فذكر أميرالمؤمنين علياً عليه السلام فأطراه ومدحه بما هو أهله ثم قال: والله ما أكل علي من الدنيا حراماً قطّ حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قطّ هما لله رضىً إلّا أخذ بأشدّهما عليه في دينه، وما نزلت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نازلة قطّ إلّا دعاه ثقة به، وما أطاق عمل النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأُمّة غيره، وان كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة والنار يرجو ثواب هذه، ويخاف عقاب هذه، ولقد اعتق من ماله مئة ألف مملوك في طلب وجه الله، والنجاة من النار ممّا كدّ بيديه، ورشح منه جبينه، وان كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلّا الكرابيس، اذا فصل شيء عن يده من كمّه دعا بالحلم فقصه[٢].

وروى (سبط ابن الجوزي)، عن سويد بن غفلة قال: دخلت على عليّ عليه السلام يوماً وليس في داره سوى حصير رثّ، وهو جالس عليه. فقلت يا أميرالمؤمنين انت ملك المسلمين والحاكم عليهم، وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود، وليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء. فقال: «يا سويد إنّ اللبيب لا يتأثث في دار النقلة، وأمامنا دار المقامة. قد نقلنا إليها متاعنا ونحن منتقلون إليها عن قريب» قال سويد: فأبكاني والله كلامه[٣].

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب ٣: ٤٩، وابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٣: ٢٢٧ ح ١٢٣٠، وغيرها والنقل بتصرف يسير.

(٢) نسبه الى ارشاد المفيد المجلسي في بحار الانوار ٤١: ١١٠ ح ١٩.

(٣) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١١٥.

٧
من الخطبه (١٦٠)

ومن كلام له عليه السلام لِبَعض أصْحابِهِ، وَقَدْ سَأَلَه: كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمكُمْ عَنْ هذا المقامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِه؟ فقال:

يا أخا بَني أَسدٍ؛ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ؛ تُرْسِلُ في غَيْرِ سَدَدٍ؛ ولَكَ بَعْد ذِمامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ المَسْأَلَةِ ؛ وَقَدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فاعْلَمْ: أَمّا الاسْتِبْدَادُ عَلَيْنا بِهَذَا المَقامِ، وَنحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوْطاً. فإِنَّها كانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ؛ وَالحَكَمُ اللّهُ، وٱلْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمُ الْقِيامَةِ .

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ وَهَلُمَّ الخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكائِهِ؛ ولاَ غَرْوَ فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ حاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفاءَ نورِ اللّهِ مِنْ مِصْباحِهِ ، وَسَدَّ فَوّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وجَدَحُوا بَيْني وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً ،فإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الحَقِّ على مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

أقول: الأصل فيه رواية الصدوق في (علله وأماليه)، والمفيد في (ارشاده)[1] رواه الاول مسنداً عن طريق العامة. ففي العلل في باب العلة الّتي من أجلها ترك الناس علياً عليه السلام وقال «أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري عن ابراهيم بن رغد العبشمي، عن ثبيت بن محمّد، عن أبي الأحوص المصري عمّن حدّثه، عن أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: بينا أميرالمؤمنين عليه السلام في أصعب موقف بصفين اذ قام إليه رجل من بني دودان،

---

(١) رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤٥ ح ٢، وفي اماليه: ٤٩٤ ح ٥، مجلس ٩٠، والمفيد في الارشاد: ١٥٦.

فقال له: لِمَ دفعكم قومكم عن هذا الأمر، وكنتم أفضل الناس علماً بالكتاب والسنّة؟ فقال عليه السلام: سألت يا أخا بني دودان، ولك حقّ المسألة، وذمام الصهر، فإنّك لقلق الوضين، ترسل عن غير ذي مسد. إنّها كانت إمرةً شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ولنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ودع عنك نهبا صيح في حجراته، وهلّم الخطب في ابن أبي سفيان. فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه.

ولا غرو إلّا جارتي وسؤالها ألا هل لنا أهل سألت كذلك

بئس القوم من خفضني، وحاولوا الإدهان في دين الله فان ترفع عنّا محن البلوى أحملهم من الحق على محضه، وان تكن الأُخرى، فلا تأس على القوم الفاسقين. إليك عنّي يا أخا بني دودان.

وقال الثاني: روى نقلة الآثار أنّ رجلاً من بني أسد وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أميرالمؤمنين! العجب فيكم يا بني هاشم ـ كيف عُدِلَ بهذا الأمر عنكم، وأنتم الأعلون نسباً وسبباً ونوطاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفهما للكتاب، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا ابن دودان! إنّك لقلق الوضين، ضيّق المخرم، ترسل غير ذي مسد، لك ذمامة الصهر، وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: كانت أثرة سخت بها نفوس قوم وشحّت عليها نفوس آخرين. فدع عنك نهباً صيح في حجراته، وهلّم الخطب في أمر ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه ولا غرو، وبئس القوم والله من خفضي ومنيتي، وحاولوا الإدهان في ذات الله، وهيهات ذلك منّي، وقد جدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً فإن تنحسر عنّا محن البلوى أحملهم من الحق على محضه، وان تكن الأُخرى، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلا تأس على القوم الفاسقين.

ونقل الخوئي كلام (الارشاد) لكن فيه «من خفضني وهينني»[١] ونقله المرتضى عن (مجالس المفيد) مثل (ارشاده)[٢].

وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان: سألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليه عن هذا الكلام ـ وكان على ما يذهب إليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل ـ فقلت له من يعنى بقوله «كانت اثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»؟ ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ هل المراد يوم السقيفة ويوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة. فقلت: إن نفسي لا تسامحني ان أنسب إلى الصحابة عصيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودفع النص. فقال: وأنا ايضاً لا تسامحني أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى إهمال أمر الأمة، وان يترك الناس فوضى سدى مهملين، وكان لا يغيب عن المدينة إلّا ويؤمّر عليها أميراً، وهو حيٌّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمّر، وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث.

ثم قال: لا يشك أحد من الناس ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان عاقلاً كامل العقل. أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، واما اليهود والنصارى والفلاسفة، فيزعمون انّه حكيم تامّ الحكمة سديد الرأي اقام ملّة، وشرع شريعة. فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب، وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول، ولو بعد الأزمان المتطاولة، ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر. فلا يزال أهل ذلك المقتول، واقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثارهم منه، فان لم يظفروا به قتلوا بعض

---

(١) شرح الخوئي ٤: ٢٧٨.

(٢) نقله المرتضى في الفصول المختاره ١: ٤٦، عن العيون والمحاسن للمفيد.

اقاربه وأهله. فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة، وان لم يكونوا رهطه الادنين والاسلام لم يحل طبائعهم، ولا غيّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها فكيف يتوهم لبيب انّ هذا العاقل وتر العرب، وعلى الخصوص قريشاً، وساعده على سفك الدماء، وازهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه الأدنى وصهره، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ويتركه بعده، وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حُنُوّاً عليهما، ومحبّة لهما، ثم يعدل عنه في الامر بعده، ولا ينصّ عليه، ولا يستخلفه فيحقن دمه، ودم بنيه وأهله باستخلافه؟ ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعية فقد عرّض دماءهم للاراقة بعده، بل يكون هو الذي قتلهم، وأشاط بدمائهم، لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم، وإنّما يكونون مضغة للآكل، وفريسة للمفترس، يتخطّفهم الناس، ويبلغ فيهم الاغراض فأمّا اذا جعل السلطان فيهم والأمر إليهم فإنه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرياسة التي يصولون بها، ويرتدع الناس عنهم لأجلها، ومثل هذا معلوم بالتجربة. ألا ترى أنّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم وابقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده، وفسح للناس أن يقيموا ملكا من عرضهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة؛ لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم سريعاً هلاكهم، ولوثب عليهم ذوو الأحقاد والتراث من كل جهة يقتلونهم ويشرّدونهم كل مشرّد، ولو انّه عيّن واحداً من أولاده للملك، وقام خواصّه وخدمه وخوله بأمره بعده؛ لحقنت دماء أهل بيته، ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك، وابّهة السلطنة، وقوّة الرياسة، وحرمة الامارة افترى ذهب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى أم أحبّ أن يستأصل أهله وذريّته من بعده؟

واين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة إلى قلبه! تقول: انّه احبّ ان يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس، وان يجعل علياً المكرّم المعظّم عنده الّذي كانت حاله معه معلومة كأبـي هـريرة الدوسـي، وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الأُمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مئة ألف سيف مسلول يتلظى اكباد اصحابها عليه، ويودّون ان يشربوا دمه بافواههم، وياكلوا لحمه بأسيافهم. قد قتل أبناءهم واخوانهم وآباءهم، وأعمامهم، والعهد لم يطل، والقروح لم تتعرق، والجروح لم تندمل.

قال: فقلت: لقد احسنت في ما قلت الّا أنّ لفظه عليه السلام يدل على انه لم يكن نصّ عليه. ألا تراه يقول «ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرسول نوطاً» فجعل الاحتجاج بالنسب، وشدة القرب، فلو كان عليه نصّ لقال عوض ذلك «وانا المنصوص عليّ والمخطوب باسمي».

فقال ـ رحمه الله ـ انما اتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل. ألا ترى أنّه سأله فقال: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به» أي: باعتبار الهاشمية والقربى. فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الّذي تعلّق به الأسدي تمهيداً للجواب.

فقال عليه السلام: «انّما فعلوا ذلك مع انّا اقرب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من غيرنا لانّهم استاثروا علينا» ولو قال له «انا المنصوص عليّ والمخطوب باسمي في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم» لما كان قد اجابه لانه ما سأله «هل أنت منصوص عليك أم لا وهل نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة على أحد أم لا» وانما قال «لم دفعكم قومكم عن الامر وانتم اقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم فاجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه.

وأيضاً فلو اخذ يصرّح له بالنصّ، ويعرّفه تفاصيل باطن الامر لنفرعنه واتّهمه، ولم ينجذب إلى تصديقه، فكان اولى الأُمور في حكم السياسة وتدبير الناس ان يجيب بما لا نفرة منه، ولا مطعن عليه فيه[1].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: في ضمن شرح عنوان «لله بلاد فلان» بعد ذكر اخبار من طريقهم دالّة على النصّ كخبر ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في احدى خرجاته. فانفرد يوماً، يسير على بعيره فاتّبعته فقال لي: يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمّك. سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا أزال أراه واجداً افيم تظنّ موجدته؟ قلت: إنك لتعلم. قال: اظنّه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك. إنه يزعم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أراد الأمر له فقال: يا ابن عباس، وأراد النبيّ الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله ذلك؟ ان النبيّ أراد ذلك وأراد لله غيره فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله، أوَ كلّ ما أراده النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان؟! انه أراد اسلام عمّه ولم يرده الله فلم يسلم.

قال ابن أبي الحديد: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله «ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الاسلام فعلم النبيّ ما في نفسي فأمسك، وأبى الله إلّا امضاء ما حتم»[2].

وكخبر الحسين بن محمّد السبتي انّ عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد وترنّح لها وتفطّر وقال لمن عنده، معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الامر؟ فقالوا: أنت المفزع والمنزع فغضب وقال ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا

---

(۱) شرح ابن أبي الحديد ۲: ٤٥٦، شرح الخطبة ١٦٠، والنقل بتصرف يسير.

(۲) شرح ابن أبي الحديد ۳: ١١٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

قولا سديداً﴾[١] ثم قال «اما والله انّي وايّاكم لنعلم ابن نجدتها والخبير بها. قالوا: «كانّك اردت ابن أبي‌طالب» قال «وانّى يعدل عنه، وهل طفحت حرة مثله» قالوا: فلو دعوت به قال: «هيهات انّ هناك شمخاً من هاشم، واثرة من علم، ولُحمة من رسول الله ﷺ يؤتى ولا يأتي فامضوا بنا إليه فأقصفوا نحوه وأفضَوا إليه فألفوه في حائط له عليه تبّان وهو يتركّل على مسحاته ويقرأ ﴿أيحسب الانسان أن يترك سدى﴾[٢] إلى آخر السورة ودموعه تهمي على خدّيه فأجهش الناس لبكائه فبكوا ثم سكت وسكتوا. فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر: «اما والله لقد ارادك الحقّ، ولكن أبى قومك» فقال: «يا أبا حفص خفّض عليك من هنا ومن هنا انّ يوم الفصل كان ميقاتاً» فوضع عمر إحدى يديه على الأُخرى وأطرق إلى الأرض وخرج كأنما ينظر في رماد[٣].

وكخبر ابن عباس قال: دخلت على عمر يوماً فقال: يا ابن عباس! لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتّى نحلته رياءً. قلت: من هو؟ فقال: هذا ابن عمك ـ يعني علياً عليه السلام ـ قلت: وما يقصد بالرياء؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح قد رشحه لها النبيّ ﷺ فصرفت عنه قال: انّه كان شاباً حدثاً فاستصغرت العرب سنّه، وقد كمل الآن ألم تعلم أنّ الله لم يبعث نبياً إلّا بعد الأربعين. قلت: أما أهل الحجى والنهى فإنّهم ما زالوا يعدّونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنهم يعدّونه محروماً محدوداً. فقال: أما إنّه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزلّ فيها قدمه، ولا يقضي منها إربه،

---

(١) الاحزاب: ٧٠.

(٢) القيامة: ٣٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

ولتكونن شاهداً ذلك يا عبدالله. ثم يتبين الصبح لذي عينين، وتعلم العرب صحّة رأي المهاجرين الأولين الّذين صرفوها عنه بادئ بدءٍ فليتني أراكم بعدي يا عبدالله! إنّ الحرص محرّمة، وانّ دنياك كظلك كلّما هممت به ازداد عنك بعداً(١).

وكخبره أيضاً ـ كما في (امالي ابن حبيب) ـ قال ابن عباس: تبرّم عمر بالخلافة في آخر ايّامه، وخاف العجز، وضجر من سياسة الرعية. فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفاه. فقال لكعب الأحبار يوماً وأنا عنده: إنّي قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر، وأظنّ وفاتي قد دنت، فما تقول في عليٍّ؟ أشر عليَّ في رأيك، واذكر لي ما تجدونه عندكم فإنكم تزعمون أنّ أمرنا هذا مسطور في كتبكم.

فقال: أمّا من طريق الرأي فانّه لا يصلح، إنّه رجل متين الدّين، لا يغضي على عورة، ولا يحلم عن زلّة، ولا يعمل باجتهاد رأيه، وليس هذا من سياسة الرعية في شيء، وأمّا ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي الأمر هو ولا ولده، وان وليه كان هرج شديد. قال: وكيف ذاك؟

قال: لأنه أراق الدماء، ومن أراق الدماء لا يلي الملك. إنّ داود لمّا أراد أن يبني حيطان بيت المقدس أوحى الله إليه: إنّك لا تبنيه، لأنك أرقت الدماء، وإنّما يبنيه سليمان. فقال عمر: أليس بحق أراقها؟

قال كعب: وداود بحقّ أراقها يا أميرالمؤمنين. قال: فإلى من يفضي الأمر تجدونه عندكم.

قال: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من أصحابه إلى أعدائه الّذين حاربهم وحاربوه على الدين. فاسترجع عمر مراراً، وقال: أتستمع يا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٥، شرح الخطبة ٢٢٦.

ابن عباس! أما والله لقد سمعت من النبيّ ما يشابه هذا، سمعته يقول: ليصعدن بنو أُمية على منبري، ولقد أُريتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة، وفيهم أُنزل: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾[1].

وكخبر (أمالي أبي بكر بن الأنباري): ان علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد، وعنده ناس، فلمّا قام عرّض واحد بذكره، ونسبه إلى التيه والعجب فقال عمر: حقٌّ لمثله أن يتيه. والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام، وهو بعد أقضى الأُمّة وذو سابقتها وذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أميرالمؤمنين عنه؟ قال: كرهناه على حداثة السن وحبّه بني عبدالمطلب[2].

«سألت النقيب أبا جعفر يحيى، وقد قرأت عليه هذه الأخبار فقلت له: ما أراها إلّا تكاد تكون دالة على النص، ولكنّي أستبعد أن تجتمع الصحابة على دفع نص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبه، وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين».

فقال: أبيتَ إلّا ميلاً إلى المعتزلة، ثم قال: إنّ القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنها من معالم الدين، وأنّها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة الصوم، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأُمور الدنيوية؛ مثل تأمير الأُمراء، وتدبير الحروب، وسياسة الرعية، وما كانوا بهذا الأمر وأمثاله من مخالفة نصوص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأوا المصلحة في غيرها. ألا ترى كيف نصّ على إخراج أبي‌بكر، وعمر في جيش أُسامة، ولم يخرجا لمّا رأيا أنّ في مقامهما مصلحة لله وله وللملّة، وحفظاً للبيضة، ودفعاً للفتنة وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخالَفُ وهو

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٥، شرح الخطبة ٢٢٦، والآية ٦٠ من سورة الاسراء.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٥، شرح الخطبة ٢٢٦.

حيٌّ في أمثال ذلك فلا ينكره، ولا يرى به بأساً. ألست تعلم أنه نزل في غزاة بدر منزلاً على أن يحارب قريشاً فيه فخالفته الأنصار، وقالت له: ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه، وانزل في منزل كذا فرجع إلى آرائهم.

وهو الّذي قال للأنصار عام قدم المدينة «لا تؤبّروا النخل» فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة حتى قال لهم: انتم اعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم.

وهو الذي أخذ الفداء من أُسارى فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر، وخلص الأسرى، ورجعوا إلى مكّة.

وهو الّذي أراد ان يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه. فأبى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة ذلك، وخالفاه فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة: اخرج فناد في الناس «من قال لا إله إلّا الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفع في صدره حتّى وقع على الأرض فقال: «لا تقلها فإنّك إن تقلها يتّكلُوا عليها ويدعوا العمل» فأخبر أبو هريرة النبيّ ﷺ بذلك فقال «لا تقلها وخلّهم يعملون» فرجع إلى قول عمر.

وقد أطبقت إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لمّا رأوا المصلحة في ذلك كاسقطا سهم ذوي القربى، وإسقاطهم سهم المؤلّفة قلوبهم، وهذان الأمران في باب الدين أدخل منهما في باب الدنيا، وقد عملوا بآرائهم أُموراً لم يكن لها ذكر في السنّة كحدّ الخمر. فإنّهم عملوه اجتهاداً، ولم يحدّ النبيّ ﷺ شاربي الخمر، وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم.

ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب: فلم يخرجوهم حتّى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام

أبي‌بكر برأيهم في ذلك واستصلاحهم.

وهم الّذين هدموا المسجد بالمدينة، وحوّلوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما تغلب في ظنونهم من المصلحة، ولم يقفوا مع موارد النصوص حتّى اقتدى بهم الفقهاء. فرجّح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة.

وأكثر ما كانوا يعملون بآرائهم في ما يجري مجرى الولايات والتأمير والتدمير، وتقرير قواعد الدولة، وما كانوا يقفون مع نصوص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتدبيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها، كأنّهم كانوا يقيّدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظاً، وكانّهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله، وتقدير ذلك القيد: «افعلوا كذا ان رأيتموه مصلحة».

فأمّا مخالفتهم له في ما هو محض الشرع والدين، وليس يتعلّق بأُمور الدنيا وتدبيراتها فإنّه يقلّ جداً، نحو أن يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: الوضوء شرط في الصلاة فيجمعوا على ردّ ذلك، ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول صوم شهر رمضان واجب فيطبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوّالاً عوضاً عنه. فانه بعيد إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: والقوم الّذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع علياً عليه السلام فبعضها للحسد، وبعضها للوتر والثأر، وبعضهم لا ستحداثهم سنّه، وبعضهم لاستطالته عليه السلام عليهم ورفعه عنهم، وبعضهم لكراهية اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، وبعضهم للخوف من شدّة وطأته، وشدّته في دين الله، وبعضهم لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت واحد مخصوص فيكون رجاء كل حي لوصولهم إليها ثابتاً مستمراً،

وبعضهم يبغضه لبغضهم من قرابة النبيّ ﷺ وهم المنافقون من الناس، ومن في قلبه زيغ من أمر النبوة. فأصفق الكل إصفاقاً واحداً على صرف الأمر لغيره فقال رؤساؤهم: بانّا خفنا الفتنة، وعلمنا انّ العرب لا تطيعه وتتركه، وتأوّلوا عند أنفسهم وقالوا: لا ننكر النص انه لنصّ ولكن يرى الحاضر ما لا يرى الغائب، وأعانهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادّعائهم الأمر، وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة في ما زعموا، واختلط الناس، وكثر الخبط، وكادت الفتنة أن تضطرم ناراً فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا أبابكر، وكانت فلتة كما قال قائلهم، وزعموا انهم أطفأوا نائرة الأنصار. فمن سكت من المسلمين وأغضى ولم يتعرض؛ فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سرّاً أو جهراً إنّ فلاناً قد ذكره النبيّ ﷺ أو نصّ عليه أو أشار إليه، أسكتوه في الجواب بأنّا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا عنده ببعض ما تقدم: إمّا أنه حديث السن أو تبغضه العرب لأنه وترها وسفك دماءها أو لأنّه صاحب زهو وتيه، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد، بل قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأوكد؛ قالوا: أبوبكر أقوى؛ منه على هذا الأمر لا سيّما وعمر يقصده ويساعده، والعرب تحبّ أبابكر، ويعجبها لينه ورفقه، وهو شيخ مجرّب للأمور لا يحسده أحد، ولا يحقد عليه احد، ولا يبغضه احد، وليس بذي شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه، ولا ذي قربى فيدلّ بقربه، ودع ذاكله فإنه فضل مستغنىً عنه. قالوا: لو نصبنا علياً ارتدّ الناس عن الاسلام، وعادت الجاهلية كما كانت، فأيّما أصلح في الدين؛ الوقوف مع النص المفضي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية، أم العمل بمقتضى الأصلح، واستبقاء الاسلام، واستدامة العمل بالدين وان كان فيه مخالفة النص.

قال ﵀ وسكت الناس عن الانكار لانّهم كانوا متفرّقين، فمنهم من هو مبغض شانئ لعليّ ﵇ فالّذي تمّ من صرف الأمر عنه قرّة عينه، وبرد فؤاده، ومنهم ذوو الدين، وصحّة اليقين. إلّا انه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه ظنّ أنّهم إنّما فعلوا ذلك خلاف النص من النبيّ ﷺ بنسخ ما كان سمعه من النص عليّ أميرالمؤمنين ﵇ لا سيما ما رواه ابوبكر من قول النبيّ ﷺ «الأئمة من قريش» فإنّ كثيراً من الناس توهّموا أنه ناسخ للنص الخاص، وأنّ معنى الخبر أنّكم مباحون في نصب إمام من قريش من أيّ بطون قريش كان فانّه يكون اماماً، وأكّد أيضاً في نفوسهم رفض النص الخاص؛ ما سمعوه من قول النبيّ ﷺ «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» وقوله: «سألت الله ألّا يجمع اُمّتي على ضلال فأعطانيها» فأحسنوا الظن بعاقدي البيعة، وقالوا: هؤلاء أعرف بأغراض النبيّ ﷺ من كل أحد. فامسكوا وكفّوا عن الإنكار، ومنهم فرقة اُخرى وهم الأكثرون أعراب وجفاة وطغام، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح. فهؤلاء مقلّدون لا يسألون، ولا ينكرون، ولا يبحثون، وهم مع اُمرائهم وولاتهم، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها فلذلك امحق النص، وخفي، ودرس، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي‌بكر، وقوّاها زيادة على ذلك اشتغال عليّ ﵇ وبني‌هاشم بالنبيّ ﷺ وإغلاق بابهم عليهم، وتخليتهم الناس يعملون ما شاءوا وأحبّوا من غير مشاركة لهم في ما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات، وهيهات الفائت لا رجعة له، وأراد عليّ ﵇ بعد ذلك نقض البيعة فلم يتمّ له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأً، وقد قالت له الأنصار وغيرها: أيّها الرجل! لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً، ولكنّا بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها.

قال النقيب: ومما جرّأ عمر على بيعة أبي بكر، والعدول عن عليّ عليه السلام مع ما كان يسمعه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أمره أنّه أنكر مراراً على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أموراً اعتمدها فلم ينكر عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنكاره بل رجع في كثير منها إليه، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته. فأطمعه ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور الّتي كان يرى فيها المصلحة بما هي خلاف النص، وذلك نحو انكاره في الصلاة على عبدالله بن أُبيّ المنافق، وإنكاره فداء أُسارى بدر، وإنكاره عليه تبرّج نسائه للناس، وإنكاره قضيّة الحديبية، وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، وإنكاره أمره بالنداء «من قال لا إله إلّا الله دخل الجنّة» وإنكاره أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذبح النواضح، وإنكاره على النساء بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله هيبتهن له دون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير ذلك من أُمور كثيرة يشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلّا إنكاره قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه «آتوني بدواة وكتاب أكتب لكم مالا تضلّون بعدي» وقوله ما قال وسكوت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه لكفى. وأعجب الأشياء انه قال ذلك اليوم: «حسبنا كتاب الله» فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار وبعضهم يقول: «القول ما قال النبيّ» وبعضهم يقول: «القول ما قال عمر» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد كثر اللغط وعلت الأصوات: «قوموا عنّي فما ينبغي لنبي ان يكون عنده هذا التنازع» فهل بقي للنبوّة مزيّة أو فضل اذا كان الاختلاف وقع بين القولين، ومثّل المسلمون بينهما فرجّح قوم هذا وقوم هذا أفليس ذلك دالّاً على انّ القوم سوّوا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كل فريق إلى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون. فمن بلغت قوّته وهمّته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبابكر

لمصلحة رآها، ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للنّبيّ صلى الله عليه وآله في وجهه غير خائف من الانصار، ولا أنكر عليه أحد لا النبيّ ولا غيره، وهو أشدّ من مخالفة النص في الخلافة وأفظع وأشنع.

قال النقيب: على انّ الرجل ما أهمل أمر نفسه بل اعدّ أعذاراً وأجوبة، وذلك لأنّه قال لقوم عرّضوا له بحديث النص: إن النبيّ رجع عن ذلك باقامة أبي‌بكر مقامه في الصلاة، وأوهمهم أنّ ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة «ايّكم يطيب نفساً ان يتقدم قدمين قدّمهما النبيّ في الصلاة» ثم أكّد ذلك بأن قال لأبي‌بكر ـ وقد عرض عليه البيعة ـ «أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها شدّتها ورخاها رضيك لديننا أفلا نرضاك لدنيانا».

قال ثم عاب علياً عليه السلام بخطبة بنت أبي‌جهل فأوهم أنّ النبيّ كرهه لذلك ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثاً افتعله، واختلعه على النبيّ صلى الله عليه وآله قال: سمعته يقول «إنّ آل أبي‌طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليي الله وصالح المؤمنين» فجعلوا ذلك كالناسخ لقول النبيّ صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فهذا مولاه».

قلت للنقيب: أيصحّ النسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضي وقت فعله؟ فقال: سبحان الله من أين تعرف العرب هذا وأنّى لها ان يتصوّره فضلاً عن أن يحكم بعدم جوازه فهل يفهم حذّاق الاصوليّين هذه المسألة فضلاً عن حمقى العرب هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة، ويستمالون بأضعف سبب ويبنى الأمر معهم على ظواهر النصوص، وأوائل الأدلّة، وهم أصحاب جمل وتقليد لا أصحاب تفصيل ونظر.

قال: ثمّ أكد حسن ظنّ الناس بهم أنّهم ظلفوا أنفسهم عن الأموال،

وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها والرغبة عنها، والقناعة بالطفيف النزر منها، وأكلوا الخشن، ولبسوا الكرابيس، ولمّا ألقت الدنيا إليهم أفلاذ كبدها وفرّوا الأموال على الناس، وقسّموها بينهم، ولم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير. فمالت إليهم القلوب، وأحبّتهم النفوس، وحسنت فيهم الظنون، وقال من كان في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم: لو كان هؤلاء قد خالفوا النص لهوى أنفسهم لكانوا أهل الدنيا، ولغلب عليهم الميل إليها، والرغبة فيها، والاستيثار بها، وكيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفة النص؛ وترك لذات الدنيا فيخسرون الدنيا والآخرة، وهذا لا يفعله عاقل والقوم عقلاء ذوو الباب، وآراء صحيحة. فلم يبق عند أحد شك في أمرهم، ولا ارتياب لفعلهم، وثبتت العقائد على ولايتهم، وتصويب أفعالهم، ونسوا لذّة الرياسة، وانّ أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وانما يريدون الحكم والرياسة ونفوذ الأمر كما قال الشاعر:

وقد رغبت عن لذة المال أنفس وما رغبت عن لذة النهي والأمر

قال: والفرق بين الرجلين، وبين الثالث ما أُصيب الثالث، وقتل تلك القتلة وخلعه الناس، وحصروه وضيّقوا عليه بعد ان توالى إنكارهم أفعاله في وجهه، وفسّقوه، وذلك لأنه استأثر هو وأهله الأموال، وانغمسوا فيها واستبدوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الأوّلين، فلم تصبر العرب على ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد، وجمع الناس، وردع الأمراء والولاة عن الأموال، وتجنّب استعمال أهل بيته، ووفّر أعراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس، زاهداً فيها تاركاً لهامعرضاً عنها، لما ضرّه شيء قط، ولا أنكر عليه أحد قطّ، ولو حوّل الصلاة من الكعبة إلى بيت المقدس، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس واقتنع منهم بأربع،

وذلك لأنّ همم أهل الدنيا مصروفة إلى الدنيا والأموال. فإذا وجدوها سكتوا، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا. ألست ترى النبيّ صلى الله عليه وآله كيف قسّم غنائم هوازن على المنافقين، وعلى أعدائه الّذين يتمنّون قتله وموته وزوال دولته. فلمّا أعطاهم أحبّوه إمّا كلّهم، وإمّا أكثرهم، ومن لم يحبّه منهم بقلبه جامله وداراه، وكفّ عن اظهار عداوته والاجلاب عليه، ولو أنّ عليّاً عليه السلام صانع أصحابه بالمال، وأعطى الوجوه والرؤساء المال؛ لكان أمره إلى الانتظام والاطراد أقرب، ولكنّه رفض جانب التدبير الدنيوي، وآثر لزوم الدين، وتمسّك بأحكام الشريعة، والملك أمر آخر غير الدين، فاضطرب عليه أصحابه، وهرب كثير منهم إلى عدوّه[1].

نقلنا الكلامين بطولهما لكون الاول متكفلاً لبيان وجوب وجود النص في العقل والحكمة، وكون الثاني متحمّلاً لبيان دفع الاستبعاد في مخالفة الصحابة للنص على أميرالمؤمنين عليه السلام كما تعلق به الخصم بما يقنع المنصف، وان كان في كلامه الثاني، مخلّطاً بين الغثّ والسمين إمّا مما شاةً وجدلاً، وإمّا لما قاله من ابن أبي الحديد عدم كون الرجل إمامياً ولا يبرأ من السلف، فذكر في كلامه الثاني أحاديث موضوعة، وألبس لباس المناقب وجعل القدح مدحاً، فلنتكلّم على بعض فقراته دفعاً للالتباس.

أمّا قوله أوّلاً «إنّ القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنها من معالم الدين» فنقول: إنّ قول عمر يوم السقيفة لأبي‌بكر: «أبسط يدك أبايعك، رضيك النبيّ لديننا أفلا نرضاك لدنيانا»، لفظه وان دلّ على ما ذكر من كون الخلافة رياسة دنيوية الّا ان عملهم يضاده، حيث انّهم حكموا بارتداد من أنكر خلافة أبي‌بكر، وسوّوا بين المنكرين لخلافته والمنكرين

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٥ ـ ١١٩، شرح الخطبة ٢٢٦.

لأصل الإسلام كمسيلمة، وطليحة والأسود العنسي. ففي (تاريخ أعثم الكوفي)، وهو من رجالهم، وقد ذكره كشف الظنون[١]: «انّ في يوم دبا قتل عكرمة بن أبيجهل رجالهم وبعث بنسائهم وأسرائهم إلى أبيبكر فجعل نساءهم إماءً، وأراد قتل الرجال فشفع إليه عمر بأنهم يشهدون بالشهادتين، ويقيمون الصلاة فحبسهم مدّة خلافته ثم أطلقهم عمر في أيّامه»[٢].

وقال ابن الاثير في (تاريخه الكامل) ـ في قصة مالك بن نويرة، وقتل خالد بن الوليد له ـ «وقيل: إنّ المسلمين لمّا غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح، فقالوا: نحن المسلمون فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. قالوا لهم: ضعوا السلاح، فوضعوه ثم قتلوا. وكان (خالد بن الوليد) يعتذر في قتله انه قال: «ما اخال صاحبكم إلّا قال كذا وكذا» فقال له «او ما تعدّه لك صاحبا» ثم ضرب عنقه»[٣].

وكذلك اتباعهم هل يكفّرون شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام الّذي هو من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى بل بمنزلة نفسه بنص الكتاب، وشيعة أهل بيته الّذين هم بمنزلة سفينة نوح في عدم النجاة إلّا بهم، واحد الثقلين اللذين خلّفهما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في امّته لئلا يضلّوا الّا لرفضهم شيخيهما مع انه كان مغالطة من عمر نظير مغالطته في قوله: «حسبنا كتاب الله والرجل يهجرو لا نحتاج إلى وصيته»[٤] ومغالطته بقوله: «ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مامات وانه انّما

(١) كشف الظنون ٢: ١٢٣٩.

(٢) الفتوح لابن اعثم ١: ٧٤، والنقل بتلخيص.

(٣) الكامل لابن الاثير ٢: ٣٥٩، سنة ١١.

(٤) هذا الحديث أخرجه جماعة منهم البخاري في صحيحه ١: ٣٢ و٤: ٧ و٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢.

غاب عن قومه كما غاب موسى عن قومه»[١] غالط كل هذه المغالطات لتنفيذ أغراضه.

وكيف لا يكون قوله: «رضيك النبيّ لديننا أفلا نرضاك لدنيانا» مغالطة وخليفة كل رجل لابدّ أن يكون نظيره حتى يتمكن من عمل أعماله، وقد قال تعالى في شموخ مقام النبوّة وخليفته مثله ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢].

واما قوله: «الا ترى كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أُسامة، ولم يخرجا لمّا رأيا أنّ في مقامهما مصلحة» فمن أعجب العجب ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون﴾[٣] فهل منشأ الاختلافات الواقعة في الاسلام، وحدوث المذاهب الباطلة فيه، وقتل النفوس، ونهب الأموال، وهتك الأعراض، وعزّة المنافقين، وذلّة المؤمنين كان إلّا من بقائهما في المدينة، وتصديهما لما تصدّيا؟ وكيف يكونان أعرف بالمصالح ممّن قال تعالى في حقه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٤] وما يفعل بلعنه صلى الله عليه وآله وسلم للمتخلف عن الجيش؟

وكذلك إنكار الثاني وصيته صلى الله عليه وآله وسلم فهل كان حدوث جميع المفاسد الحادثة في الاسلام إلّا لذاك الانكار، ولذا كان ابن عباس يبكي من تذكُّره بكاء الثكلى ويتأسّف تأسّف الحرّى، وما يفعل بنسبته الهجر إليه صلى الله عليه وآله وسلم ؟

وأما نزوله صلى الله عليه وآله وسلم في بدر منزلاً، واستصلاح الانصار منزلاً آخر فلم يكن مخالفة لقوله، كيف والأصل فيه أنّ الحباب بن المنذر ـ كما في (الطبري) ـ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٢٩٠ و٣: ٩٤، وأحمد في مسنده ٣: ١٩٦، و٦: ٢١٩، وابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٥٣ ـ ٥٧ وغيرهم.

(٢) الانعام: ١٢٤.

(٣) البقرة: ١١.

(٤) النجم: ٣ و٤.

قال للنبيّ ﷺ أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فيه ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال «يا رسول الله ﷺ فإنّ هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتّى نأتي أدنى مأمن القوم فتنزله ثم تغوّر ما سواه من القلب، ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون» فقال النبيّ ﷺ لقد أشرت بالرأي(١).

فأين هذا الأدب والمعرفة والديانة من تلك الجلافة والجسارة، وعدم الاكتراث بالله ورسوله.

وأمّا قوله: «وانّ النبيّ ﷺ قال: لا تؤبّروا النخل» ـالخ ـ فمضمون حديث خبيث من أحاديثهم، والنبيّ ﷺ يجب أن يكون أعرف بأمر الدين والدنيا من جميع الناس، وعلى تسليم كون علم الدنيا خارجاً عن وظيفته فالعاقل الحكيم لا يأمر بما لا يعرف، والتعرض لمثل ذلك شأن المغفّلين، ووضعوا ذلك لبيان انّ تخلف الرجلين عن الخروج في جيش أُسامة، ومنع الثاني له عن الوصيّة، ودفعه ودفع صاحبه وصيّه عليه السلام عن مقامه ﷺ إنّما كان لكونهما أعرف من النبيّ ﷺ، لكن لازم ذلك كونهما أعرف من الله تعالى حيث أوحى الى نبيّه ﷺ بتلك الأمور، والله سبحانه يفضح المبطل والكاذب.

وأمّا ما عّدد من إنكارات الثاني على النبيّ ﷺ من صلاته على ابن أُبّي، وفداء أُسارى بدر، وقصّة الحديبية، وأمان أبي سفيان، وواقعة أبي حذيفة فنشأت من حوزته الخشناء وكلها من مطاعنه، ولو كان النبيّ ﷺ يفعل ما يراه الرجل لانفضّوا من حوله، وما استقرّ للاسلام عمود.

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٤٤، سنة ٢.

وما ذكره من نزول القرآن بموافقته من مجعولاتهم الّتي أمر بوضعها معاوية كقوله بانكاره على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تبرّج نسائه للناس.

مع أنّ في جميع ذلك رووا خلافه بل رووا في الأخير عكسه، فروى الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) من المتفق عليه مسند عائشة قالت: كان ازواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخرجن ليلاً الى قبل المصانع فخرجت سودة بنت زمعة. فرآها عمر وهو في المجلس فقال: عرفتك ياسودة، وفي رواية فنزل الحجاب عقيب ذلك[1] وهو كما ترى دالّ على انّ الحجاب نزل بسبب عمل عمر وهتكه، وإنما النواصب بدّلوه بموافقته، كما أنّ في قضية الحديبية اتفقت الروايات على تصريح عمر بشكّه في الدين وكفره.

ونزيد على ما قاله النقيب من تدليسه للناس بصلاة أبي‌بكر؛ أنّ أصل إقامته للصلاة أيضاً كان تلبيساً. فلم يكن بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإلّا لِمَ خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه مع شدّة مرضه، وتأخيره أبابكر؟! كان عمله صلى الله عليه وآله وسلم نهياً عملياً غير قابل للانكار، أتمَّ به الحجّة، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة.

وأمّا ما قاله من أنّه عاب علياً عليه السلام بخطبته بنت أبي‌جهل، وأرضاه عمرو بن العاص بما افتعل له من الخبر. فأصل وقوع الخطبة أيضاً كان افتعالاً منه ولو كان صحيحاً كان طعناً على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث أنكر حلال الله.

ثم لنتكلّم على الأخبار الّتي نقلها: أمّا الخبر الأوّل، وقول عمر «انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أراد أمراً وأراد الله غيره» فمغالطة، ولو كان ما قال عذراً لكان للناس في كل جيل أن يقولوا لِأنبيائهم أنتم تريدون إيماننا والله يريد كفرنا.

---

(١) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٤٥، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٣: ١٧٧، ومسلم في صحيحه ٤: ١٧٠٩ ح ١٧ و١٨.

وفي (عيون ابن قتيبة): صاحب رجل من القدرية مجوسياً في سفر فقال له: يا مجوسي مالك لا تسلم قال: حتّى يشاء الله قال: قد شاء الله ذلك، ولكنّ الشيطان لا يدعك. قال المجوسي: فأنا مع أقواهما[١].

وأمّا الخبر الثاني فناقش فيه ابن أبي الحديد وقال: أجدر بعد الخبر أن يكون موضوعاً لتضمنه إتيان عمر علياً عليه السلام والأخبار الكثيرة متضمنة بأنّه ما زال يدعوه، ولتضمنه تكنيته عليه السلام لعمر، وكتب الحديث والسِّيَر متضمنة مخاطبته بأميرالمؤمنين، ولانه لم يسند الى كتاب معيّن وراوٍ معيّن[٢].

قلت: أمّا إنكاره إتيان عمر أميرالمؤمنين عليه السلام فإنكار منه لفضل لعمر، فانّا لا ننكر له إنصافاً في بعض المقامات، وانه كان لا تمنعه رياسته عن عمله بهذه القاعدة الفطرية انّ «في بيته يؤتى الحكم» وفي اخبارنا إنكاره على أبي‌بكر في مقامات أراد إحضار أميرالمؤمنين عليه السلام لكشف معضلة لهم بهذه القاعدة.

واما ما قاله من انه عليه السلام دائماً يخاطب عمر بأميرالمؤمنين فلا نسلّم أصله، وما قاله من الكتب لم نتحققه مع أنه غفل عن نكات قالوها في علم المعاني من اختلاف المقتضيات باختلاف المقامات. فلمّا كان عمر قال له عليه السلام «والله أرادك الحق، ولكن أبى قومك» كان المناسب أن يقول في جوابه «خفّض عليك أباحفص» لا «خفّض عليك أميرالمؤمنين» فانه كان بارداً وفي غير مورد، وقد رووا أنّ عمر قال لعلي والعباس لما حاكما إليه في ميراث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها» حتّى قال عبدالرزاق الصنعاني «ألا يقول الأنوكُ: رسول الله»

---

(١) عيون الاخبار ٢: ١٤٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٥، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بالمعنى.

نقل الخبر الحموي في (بلدانه) في «صنعاء»[١].

وأمّا عدم إسناده، فربّ مرسل صحيح بالشواهد، ومسند باطل بالدلائل، مع أنّه رواه عليّبن طاووس في كتابه: «التشريف بالمنن» عن «مجموع محمّد بن الحسين المرزبان» وفيه تفصيل تلك النازلة الّتي نزلت على عمر هكذا: «قال شريح: كنت أقضي لعمر، فأتاني يوماً رجل فقال: إنّ رجلاً أودعني آمرأتين احداهما حرّة مهرة والأُخرى سرّية. فجعلتهما في دار، وقد ولدتا غلاماً وجارية، وكلتا هما تدّعي الغلام وتنتفي من الجارية ـ الى أن قال بعد ذكر إتيان عمر إليه عليه السلام لكشف الأمر كما في ذاك الخبر ـ فأخذ عليه السلام بيده من الأرض شيئاً ثم قال: «الحكم فيها أهون من هذا». ثم استحضر المرأتين وأحضر قدحاً ثم دفعه الى إحداهما فقال: إحلبي فيه. فحلبت ثم وزن القدح، ودفعه الى الأُخرى. فقال: إحلبي فيه فحلبت ثم وزنه فقال لصاحبة اللبن الخفيف خذي ابنتك، ولصاحبة اللبن الثقيل خذي ابنك. الخبر[٢].

وأمّا الخبر الثالث فنسبة عمر إليه عليه السلام الريا مع وصف الله له بصالح المؤمنين في تظاهر ابنته مع صاحبتها ابنة صاحبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ووصفه له بوليّ المؤمنين بعده وبعد رسوله يكفيه خزياً.

ومن العجب قوله: إن الله لم يبعث نبياً إلّا بعد الأربعين. أَوَ ما قرأ قوله تعالى في يحيى عليه السلام ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾[٣] وفي عيسى عليه السلام حكاية عنه في المهد ﴿قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾[٤]؟

وقوله: «وتعلم العرب صحة رأي المهاجرين الأوّلين» فرأت بالعيان

---

(١) معجم البلدان ٣: ٤٢٩.

(٢) رواه ابن طاووس في التشريف بالمتن وهو كتاب الملاحم والفتن: ١٨٦، والنقل بتلخيص.

(٣) مريم: ١٢.

(٤) مريم: ٣٠.

كون رأي أولئك المهاجرين موجباً لإفساد الدين، وإذلال العرب، وتحقير الأنصار واستيصال أهل بيت الرسول ﷺ، فاتّخذوا عباد الله خولا،ومال الله دولا وقد قتلوا سادات العرب عامة ألم يقتلوا سعد بن عبادة باسم الجن؟ ألم يقتلوا مالك ابن نويرة باسم الارتداد؟ ألم يقتلوا حجر بن عدي باسم الإخلال في الملك؟ ولقت الأنصار أثرة خاصة فوسموا على أكفهم وأذلّوهم كل اذلال، وقد اعترف بما قلنا ابنه عبدالله بن عمر فقال: لما سمعت قول سلمان يوم السقيفة «كردند ونكردند» أبغضته، لكن لمّا رأيت بعد ذلك مروان على منبر النبيّ ﷺ صدّقته[1]. أو لم يكف في فساد رأيهم وقعة الطف، وقتلهم سيد شباب أهل الجنة عطشاناً، وسبيهم بنات رسول الله ﷺ؟ أو لم يكف فيه تبديل الشجرة الطيبة بالشجرة الخبيثة، وتبديل أهل بيتٍ أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالشجرة الملعونة في القرآن.

وقد شرح في بعض زياراتهم بعض مفاسد عملهم ذاك، وهذا لفظه «يا سادتي يا آل رسول الله انّي بكم أتقرب الى الله تعالى بالخلاف على الّذين غدروا بكم، ونكثوا بيعتكم، وجحدوا ولايتكم، وأنكروا منزلتكم، وخلعوا ربقة طاعتكم، وهجروا أسباب مودّتكم، وتقربوا الى فراعنتهم بالبراءة منكم، والإعراض عنكم، ومنعوكم من إقامة الحدود، واستيصال الجحود، وشعب الصدع، ولَمّ الشعث، وسدّ الخلل، وتثقيف الأود، وإمضاء الأحكام، وتهذيب الاسلام، وقمع الآثام، وأرهجوا عليكم نقع الحروب والفتن، وانحوا عليكم سيوف الأحقاد، وهتكوا منكم الستور، وابتاعوا بخمسكم الخمور، وصرفوا صدقات المساكين الى المضحكين والساخرين، وذلك بما طرّقت لهم الفسقة الغواة، والحسدة البغاة، أهل النكث والغدر، والخلاف والمكر، والقلوب المنتنة

---

(١) رواه الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٩٣، والنقل بتصرف في اللفظ.

من قذر الشرك، والأجساد المشحنة من درن الكفر، أضبّوا على النفاق، وأكبّوا على علائق الشقاق، فلمّا مضى المصطفى ﷺ اختطفوا الغرّة، وانتهزوا الفرصة، وانتهكوا الحرمة، وغادروه على فراش الوفاة، وأسرعوا لنقض البيعة، ومخالفة المواثيق المؤكّدة، وخيانة الأمانة المعروضة على الجبال الراسية، وأبت أن تحملها وحملها الإنسان الظلوم الجهول. ذوالشقاق والعزّة بالآثام المولمة، والأنفة عن الانقياد لحميد العاقبة. فحشر سفلة الأعراب، وبقايا الأحزاب الى دار النبوّة والرسالة، ومهبط الوحي والملائكة، ومستقر سلطان الولاية، ومعدن الوصية والخلافة والإمامة، حتى نقضوا عهد المصطفى في أخيه علم الهدى، والمبيّن طريق النجاة من طرق الردى، وجرحوا كبد خير الورى في ظلم ابنته، واضطهاد حبيبته، واهتضام عزيزته، بضعة لحمه، وفلذة كبده، وخذلوا بعلها، وصغّروا قدره، واستحلّوا محارمه، وقطعوا رحمه، وأنكروا أُخوّته، وهجروا مودّته، ونقضوا طاعته، وجحدوا ولايته، وأطمعوا العبيد في خلافته، وقادوه الى بيعتهم، مصلتة سيوفها مقذعة أسنّتها، وهو ساخط القلب، هائج الغضب، شديد الصبر، كاظم الغيظ، يدعونه الى بيعتهم التي عمّ شؤمها الإسلام، وزرعت في قلوب أهلها الآثام، وعقّت سلمانها، وطردت مقدادها، ونفت جندبها، وفتقت بطن عمّارها، وحرّفت القرآن، وبدّلت الأحكام، وغيرّت المقام، وأباحت الخمس للطلقاء، وسلّطت أولاد اللعناء على الفروج، وخلطت الحلال بالحرام، واستخّفت بالإيمان والاسلام، وهدمت الكعبة، وأغارت على دار الهجرة يوم الحرّة، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوءة، وألبستهن ثوب العار والفضيحة، ورخّصت لأهل الشبهة في قتل أهل بيت الصفوة، وإبادة نسله واستيصال شافته، وسبي حرمه، وقتل أنصاره، وكسر منبره، وقلب مفخره،

وإخفاء دينه، وقطع ذكره. يا مواليّ فلو عاينكم المصطفى وسهام الأُمة مغرقة في أكبادكم، ورماحهم مشرعة في نحوركم، وسيوفها مولعة في دمائكم. يشفي أبناء العواهر غليل الفسق من ورعكم، وغيظ الكفر من إيمانكم، وأنتم بين صريع في المحراب قد فلق السيف هامته، وشهيد فوق الجنازة قد شكّت أكفانه بالسهام، وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة رأسه، ومكبّل في السجن قد رضّت بالحديد أعضاؤه، ومسموم قد قطّعت بجرع السمّ أمعاؤه، وشملكم عباديد، تفنيهم العبيد، وأبناء العبيد. فهل المحن يا سادتي إلّا التي لزمتكم ـ الخ[1].

ولو لم يكن رأي أُولئك المهاجرين لكانت العرب لأهل بيت نبيّهم ﷺ في غاية التمكين. قال عبدالله بن جعفر لمعاوية لمّا أراد البيعة لابنه ـكما في (خلفاء ابن قتيبة)ـ «وايم الله لو ولّوه (أي: علياً عليه السلام) بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه، ولأُطيع الرحمن وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان[2].

واما الخبر الرابع وقول كعب الأحبار فيه «نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من أصحابه الى أعدائه» فهل كان السبب في انتقال الأمر الى أعداء صاحب الشريعة إلّا هو وصاحبه، ولا سيما في تدبير الشورى ودستوره في رجالها. فَلِمَ استرجع؟ هل كان استرجاعه إلّا آستهزاء؟

واما الخبر الرابع وقوله فيه: «كرهناه على حداثة السنّ، وحبّه بني عبدالمطلب» فردّ منه ومنهم على الله ورسوله، ولم يكره عثمان، وعينه معيناً بعده مع علمه بانّه يولّي بنيأُميّة، وهم يهدمون الدين، ويذلّون المؤمنين،

(١) رواه المجلسي في بحار الأنوار ١٠٢: ١٦٥، عن مصباح الزائر والمزار الكبير ضمن زيارة طويلة.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٧٣.

ويعزّزون المنافقين، ولولا بغضه لأميرالمؤمنين عليه السلام، وبهتانه على أيّ حبّ أظهر عليه السلام لبنيّ عبدالمطلب وقد عمل مع أخيه لمّا طلب منه صاعاً من البر زائداً على حقه ما عمل من إحراقه بحديدة محماة. تعالوا أهل العالم ابصروا كلام هذا الرجل وفهم اتباعه.

قول المصنف «ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه، وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به» سأل أبو زيد النحوي خليل بن أحمد العروضي. لِمَ هجر الناس علياً عليه السلام وقرباه، من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قرباه وموضعه من المسلمين موضعه، وعناه في الاسلام عناه؟ فقال «بهر والله نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كل منهل، والناس الى أشكالهم أميل. أما سمعت قول الأول يقول:

وكل شكل لشكله آلف ... أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال: وانشدنا الرياشي في معناه عن العباس بن أحنف:

وقائل كيف تهاجرتما ... فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلي فهاجرته ... والناس أشكال والاف[1]

وسأله أيضاً في مقام آخر فقال: ما بال أصحاب النبيّ كأنّهم بنو أمّ واحدة، وعليّ عليه السلام كأنه ابن علّة؟ فقال: تقدّمهم إسلاماً، وبذّهم شرفاً، وفاقهم علماً، ورجحهم حلماً، وكثرهم هدىً؛ فحسدوه، والناس الى أمثالهم وأشكالهم أميل[2].

وقيل للسجّاد عليه السلام: ما أشدّ بغض قريش لجدّك عليّ عليه السلام! قال: لأنّه أورد أوّلهم النار، وألزم آخرهم العار[3].

---

(١) رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤٥ ح ١.

(٢) رواه السروي في مناقبه ٣: ٢١٣.

(٣) رواه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٢٢٩ ح ٧٤١، والسروي في مناقبه ٣: ٢٢٠، والنقل بالمعنى.

وسأل الحسن بن فضال الرضا عليه السلام: كيف مال الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام الى غيره وقد عرفوا فضله وسابقته، ومكانه من النبيّ صلى الله عليه وآله؟ قال: إنّما مالوا عنه الى غيره لأنه كان قتل من آباءهم وأجدادهم وأعمامهم، وأخوالهم، واقرباءهم المحاربين لله ولرسوله عدداً كثيراً، فكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم فلم يحبّوا ان يتولّى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك لانه لم يكن له في الجهاد بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله مثل ما كان له[1].

وروى الزبير بن بكار في (موفّقياته) خبراً طويلاً ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في عنوان قوله عليه السلام للمغيرة بن أخنس «يا ابن اللعين الابتر» ـ وفيه انّ عثمان قال لابن عباس: ولقد علمت أنّ الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه، واختزلوه دونكم فو الله ما أدري أرفعوه عنكم أم رفعوكم عنه ـ الى أن قال ـ فقال ابن عباس: فأمّا صرف قومنا عنّا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغي قد والله علمته. فالله بيننا وبين قومنا، وأمّا قولك إنك لا تدري أرفعوه عنّا أم رفعونا عنه فلعمري أنك لتعرف أنّه لو صار إلينا هذا الأمر ما ازددنا به فضلاً الى فضلنا، ولا قدراً الى قدرنا، وانّا لأهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلّا بفضلنا، ولا سبق سابق إلّا بسبقنا، ولو لا هدينا ما اهتدى أحد، ولا أبصروا من عمى[2].

وروى الواقدي في (شوراه) ـ وقد نقله ابن أبي الحديد أيضاً ثمة ـ عن ابن عباس ـ في خبر ـ قال: فقال عثمان له عليه السلام: فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله النبيّ صلى الله عليه وآله لك فقد رأيناك حين توفّي نازعت. ثم أقررت، فإن كانا لم

(١) رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤٦ ح ٣.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٧٥، شرح الخطبة ١٣٣.

يركبا من الأمر جددا فكيف أذعنت لهما بالبيعة ونجعت بالطاعة -إلى أن قال- فقال عليّ عليه السلام : ...واما عتيق، وابن الخطاب فان كانا أخذا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون، ومالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين -الخبر[١].

قلت: يكفيهم لإتمام الحجّة عليهم ادعاؤه، ونزاعه أوّلاً، وأما إقراره أخيراً فكان عن اضطرار لعدم حصول أنصار له بعد تكرر الاستنصار منه.

وروى الجوهري في (سقيفته) -وقد نقله ابن أبي الحديد ثمة أيضاً- عن محمّد بن قيس الأسدي عن معروف بن سويد قال: كنت بالمدينه ايّام بويع عثمان. فرأيت في المسجد رجلاً جالساً وهو يصفق بإحدى يديه على الأُخرى والناس حوله ويقول: واعجبا من قريش واستيثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معدن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد، والله إنّ فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى منه بالحق، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر.

قال: فسألت عنه فقيل: هذا المقداد. فتقدّمت إليه، وقلت: أصلحك الله! من الرجل الّذي تذكر؟ قال ابن عم نبيّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي‌طالب. قال: فلبثت ما شاء الله ثم إني لقيت أباذر فحدّثته ما قال المقداد فقال: صدق. قلت: فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم؟ قال: أبى ذلك قومهم -الخبر[٢].

وقال ابن قتيبة في (خلفائه) -بعد ذكره انّ عديّ بن حاتم الطائي دعا طيئاً قومه الى نصرته عليه السلام لما أراد حرب الجمل، وقال لهم «قد أظلّكم عليّ عليه السلام

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٧٧، شرح الخطبة ١٣٣.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٨١، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٨٠، شرح الخطبة ١٣٣. واللفظ لابن أبي الحديد.

والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار فكونوا أكثرهم عدداً فإنّ هذا سبيل للحيّ فيه الغنى والسرور، وللقتيل فيه الحياة والرزق» فصاحت طيء نعم. حتّى كاد أن يصمّ من صياحهم ـ أنّه عليه السلام لمّا أقدم على طيء أقبل شيخ من طيّئ هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه، فنظر الى عليّ عليه السلام فقال له: أنت ابن أبي طالب؟ قال: نعم قال: مرحباً بك وأهلاً، قد جعلناك بيننا وبين الله، وعدي بن حاتم بيننا وبينك، ونحن بينه وبين الناس، لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيّامك الصالحة، ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقّاً إنّ في أمرك وأمر قريش لعجباً اذ أخّروك وقدّموا غيرك، سر فوالله لا يتخلّف عنك من طيّئ إلّا عبد أو دعيّ[1].

وقال ابن عبد ربه في (عقده): قال ابن عباس، ماشيت عمر بن الخطاب يوماً فقال لي: يا ابن عباس ما يمنع قومكم منكم، وأنتم أهل البيت خاصّة؟ قلت: لا أدري قال: لكنّي أدري. انكم فُضّلتُم بالنبوّة فقالوا: إن فضّلوا بالخلافة لم يبقوا لنا شيئاً وانّ أفضل النصيبين بأيديكم بل ما أخالها إلّا مجتمعة لكم، وان نزلت على رغم أنف قريش[2].

وروى ابن ديزيل ـ وقد نقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام لمّا اشاروا عليه بالاستعداد للشام، مسنداً عن زيد بن أرقم قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ألا أدلّكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا؟ إنّ وليّكم الله وإمامكم عليّ بن أبي طالب فناصحوه وصدّقوه فإنّ جبرئيل أخبرني بذلك[3].

وقال ابن أبي الحديد بعد نقله: فإن قلت: هذا نص صريح في الإمامة فما

---

(١) جاء في الإمامة والسياسة ١: ٥٧ و٥٨.

(٢) روى ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ٢٢، مناظرة بين ابن عباس وعمر لكن بغير هذا المتن والمناظرة بينهما جاءت في الكتب بألفاظ مختلفه.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٥٥، شرح الخطبة ٤٣.

الّذي تصنع المعتزلة بذلك؟ قلت: يجوز أن يريد أنّه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة، وقال إنّ قول شيوخه البغداديين إنّ الإمامة كانت له إن رغب فيها نازع عليها، وأميرالمؤمنين لم ينازع الأئمة الثلاثة، ولا جرّد السيف فدل ذلك على إقراره لهم فلذلك تولّيناهم[1].

قلت: فإن كان هذا الدين؛ فالحق للملحدين، وإن كان هؤلاء عقلاء؛ فأقوالهم ضحكة المجانين. فنازع يوم السقيفة حتّى أرادوا إحراقه مع امرأته وابنيه وكتب إليه معاويه «كنت تقاد لبيعة أبيبكر كما يقاد الجمل المخشوش»[2] ونازع يوم الشورى حتى هدّدوه بقتله بالسيف حسب دستور عمر في من لم يقبل دستوره، ولم يتكلّم يوم عمر لأنّه لم يقدر على التكلم في قبال سلطنة مستقرة، وهل يقدر رجل واحد أو بيت واحد أن يجرّد السيف في وجه حكومة قاهرة؟! إلّا أنّهم كما أنكروا النص المتواتر لا غرو أن ينكروا نزاعه وقد عرفت خبر (كتاب شورى الواقدي) أنّ عثمان قال له«فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله النبيّ لك. فلقد رأيناك حين توفى نازعت ثم أقررت» ولمّا أراد عثمان اغراء العامة به بأن يقول عليه السلام في أبيبكر وعمر شيئاً قال عليه السلام له: «مالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين».

ورووا أنّ عمر قال لابن عباس ـ وقد نقله ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السلام لله بلاد فلان ـ أنتم أهل رسول الله وآله وبنو عمّه. فما تقول في منع قومكم منكم. قال «لا أدري علّتها، والله ما أضمرنا لهم إلّا خيراً» قال: اللّهم غفرا. إنّ قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوّة، والخلافة فتذهبوا في السماء

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٥، شرح الخطبة ٤٣.

(٢) جاء هذا المعنى في رواية ابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، والشريف الرضي في نهج البلاغة ٣: ٣٣، الكتاب ٢٨، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٣، شرح الكتاب ٢٨، وغيرهم وأقرب الألفاظ لفظ ابن مزاحم.

شمخاً وبذخاً، ولعلكم تقولون انّ أبابكر أوّل من أخّركم، أما إنّه لم يقصد ذلك، ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم ممّا فعل، ولو لا رأي أبي‌بكر فيَّ لجعل لكم من الأمر نصيباً، ولو فعل ما هنأ كم مع قومكم أنّهم ينظرون إليكم نظر الثور الى جازره»[١].

وروى إبراهيم الثقفي في كتابه عن عبدالرحمن بن أبي‌ليلي أنّه لمّا كثر أقاويل الناس في أميرالمؤمنين عليه السلام وفي المتقدّمين عليه قال له عليه السلام: ما أدري ما أقول إذا سئلتُ عن المتقدمين عليك. فإن قلتُ: إنّهم كانوا أولى منك. فعلام نصبك النبيّ صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، وقال ما قال، وانت كنت أنت أولى فعلام نتولّى أُولئك؟ فقال عليه السلام: انّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وإنّه كان من النبيّ صلى الله عليه وآله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً وطاعة ـ إلى أن قال ـ فقال عبدالرحمن له عليه السلام أنت يا أمير المؤمنين كما قال الأول.

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان[٢]

«فقال يا أخا بني أسد» كان الرجل من دودان بن أسد بن خزيمة. فقد عرفت أنّ المفيد نقله «يا ابن دودان» والصدوق نقله «يا أخا بني دودان»[٣] وبنوأسد في العرب اثنان أحدهما من مضر وهو «اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر» والآخر من ربيعة وهو «أسد بن ربيعة بن نزار».

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة) قال المساور أي: العبسي للمرار أي: الأسدي.

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٩٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٢) رواه عن الثقفي المفيد في اماليه: ٢٢٣ ح ٢، مجلس ٢٦، والنقل بتلخيص.

(٣) الارشاد: ١٥٦، وعلل الشرائع ١: ١٤٦، وامالي الصدوق: ٤٩٥.

ما سرّني أنّ أُمّي من بني أسد وأنّ ربّي ينجيني من النار
وأنّهم زوّجوني من بناتهم وأنّ لي كلّ يوم ألف دينار

فأجابه المرار:

فلست للأم من عبس ومن أسد وإنّما أنت دينار ابن دينار
وان تكن أنت من عبس وأمّهم فإنّ امّكم من جارة الجار

قال دينار ابن دينار عبد ابن عبد وجارة الجار الاست والجار الفرج[1].

«انّك لقلق الوضين» قال في النهاية بعد نقل كلامه عليه السلام أراد أنّه سريع الحركة يصفه بالخفة، وقلّة الثبات كالحزام إذا كان رخواً وهو بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج[2].

«ترسل في غير سدد» قالوا: أي: تطلق الدابة في غير استقامة، وقد عرفت أنّ الصدوق، والمفيد روياه «ترسل غير ذي مسد»[3] والمسد حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الابل أو أوبارها ـ أي تطلق مركباً غير ذي حبل فلا تقدر على أخذه إذا أردت أخذه ـ والمراد تتكلم في موضع لا ينبغي التكلم فيه لعدم قدرتك على جبران ما يحدث منه لأنه عليه السلام كان في أصعب موقف بصفين كما عرفت من رواية الصدوق، وأكثر أصحابه كانوا غير مستبصرين فيه، وكيف وكانت منهم الخوارج الّذين أحدثوا في أمره بمجرد رفع معاوية المصاحف على القناة. فأجبروه على التحكيم ثم كفّروه فكيف امكنه عليه السلام الشكاية منهم، ونسبة الظلم الى صدّيقهم وفاروقهم.

ذاكر رجل مع الباقر عليه السلام شيئاً من أمرهما فقال عليه السلام «ضربوكم على دم

---

(١) عيون الاخبار ٤: ١٣.

(٢) النهاية ٥: ١٩٩، مادة وضن والنقل بتصرف.

(٣) كذا في الارشاد: ١٥٦، ولفظ العلل ١: ١٤٦، «ترسل في غير سدد» ولفظ الامالي: ٤٩٥، «ترسل عن ذي مسد».

عثمان ثمانين سنة، وهم يعلمون أنه كان ظالماً فكيف إذا ذكرتم صنميهم[١].

«ولك بعد ذمامة» أي: حرمة.

«الصهر» قال ابن أبي الحديد ويروى «ماتّة الصهر» أي: وسيلته قال: قال عليه السلام ذلك لأنّ زينب بنت جحش زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت أسدية، وهي بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وأمّها اميمة بنت عبدالمطلب فهي بنت عمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والمصاهرة المشار إليها هي هذه، ولم يفهم الراوندي فقال «كان عليه السلام تزوّج في بني اسد»[٢] ولم يصب فانّه عليه السلام لم يتزوج فيهم. ثم ذكر ابن أبي الحديد أولاده عليه السلام وأمّهاتهم لبيان عدم تزوجه فيهم[٣].

قلت: إنّ مدّعاه وان كان صحيحاً إلّا أنّ دليله أعم فللخصم أن يقول تزوج بأسدية لم تكن ذات ولد. ثم يمكن أن يريد عليه السلام بالمصاهرة ما ذكره من زينب زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي أول من مات من أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم بعده، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه، ويمكن أن يريد عليه السلام بالمصاهرة كون أنّ جحشاً وهو أسدي تزوج عمته عليه السلام اميمة، ويمكن أن يريد عليه السلام بالمصاهرة كون أُم كلاب الثالثة ـ وكلاب جدّ عبدمناف جدّ جدّه عليه السلام ـ هند بنت دودان بن أسد، وأُمّ لؤيّ بن غالب الثالثة ـ ولؤيّ أبو جدّ كلاب ـ تماضر بنت الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وأُم تلك رهم بنت كاهل بن أسد بن خزيمة كما صرّح به كاتب الواقدي في (طبقاته) في أُمّهات آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[٤]، والصهر يعمّ أقرباء الزوجين. قال الجوهري: «وكلّ شيء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم

(١) رواه الكليني في الكافي ٨: ١٨٩ ح ٢١٥.

(٢) شرح الراوندي ٢: ١٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٤، والنقل بتصرف يسير.

(٤) طبقات ابن سعد ١ ق ١: ٣٤.

الأحماء، وكلّ شيء من قبل المرأة فهم الاختان والصهر يجمع هذا كلّه»[١].

ورعاية ذمامة الصهر كرعاية ذمامة الرحم قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾[٢] وكانت عداوة يزيد بن عبدالملك مع يزيد ابن المهلّب لأنّه كان عذّب أصهاره آل أبي عقيل، فكانت عنده بنت محمّد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، وهي أُمّ ابنه الوليد. فعذّبهم أيّام سليمان بن عبدالملك بعداوة سليمان مع الحجاج لأنّه كان حمل الوليد أخاه على خلعه، فكان يزيد بن عبدالملك حلف لئن أمكن من يزيد بن المهلّب ليقطعنّ منه طابقاً. فكان ذلك سبباً لفراره من سجن عمر بن عبدالعزيز، وخروجه حتّى قتل مع أهل بيته.

وفي (الطبري) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قسّم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث لثابت بن قيس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها وذكر أنّها جاءت الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، واستعانت به على كتابتها وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ أقضي كتابتك، وأتزوجك قالت: نعم قال: قد فعلت، وخرج الخبر الى الناس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس اصهار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأرسلوا ما بأيديهم. فاعتق بتزوجه إيّاها مائة أهل بيت من بني المصطلق. فما علم آمرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[٣].

«وحقّ المسألة» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: قرأت في كتاب عليّ عليه السلام أنّ الله تعالى لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٧١٧، مادة صهر.

(٢) الفرقان: ٥٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٦٣، سنة ٦، والنقل بتلخيص.

العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال لأنّ العلم كان قبل الجهل[١].

«وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد» أي: التقدم.

«علينا بهذا المقام» أي: الخلافة والسلطنة.

«ونحن الاعلون نسباً» ممّن تقدم علينا قال الباقر عليه السلام: كان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صديقان يهوديان قد آمنا بموسى عليه السلام وأتيا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سمعا منه وكانا قد قرءا التوراة. وصحف ابراهيم وموسى عليه السلام وعلما علم الكتب الأولى. فلمّا قبض الله تعالى رسوله أقبلا يسألان عن صاحب الأمر بعده، وقالا: إنّه لم يمت نبيٌّ قط الاّ وله خليفة يقوم بالأمر في أُمّته بعده، قريب القرابة إليه من أهل بيته، عظيم الخطر جليل الشأن. فقال أحدهما لصاحبه: هل تعرف صاحب هذا الأمر من بعد النبيّ. قال الآخر: لا أعلمه إلّا بالصفة التي أجدها في التوراة. هو الأصلع المصفرّ قال: فلمّا نظرا الى أبي بكر قالا: ليس هذا صاحبنا، ثم قالا له: ما قرابتك من النبيّ قال: إنّي رجل من عشيرته وهو زوج ابنتي عائشة قالا: ليس غير هذا؟ قال: لا. قالا: ليست هذه بقرابة. قالا: فأخبرنا أين ربك؟ قال: فوق سبع سماوات. قالا: هل غير هذا قال: لا. قالا: دلّنا على من هو أعلم منك. فأرشدهما الى عمر ـ إلى أن قال ـ:

فأرشدهما عمر الى عليّ عليه السلام فلمّا نظرا إليه قال أحدهما: إنّه الرجل الّذي نجد صفته في التوراة. إنّه وصي هذا النبيّ وخليفته، وزوج ابنته وابو السبطين والقائم بالحق بعده، فلمّا سألاه قالا: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة، وهذه الصفة التي نجدها في التوراة وقال عليه السلام في جواب سؤالهما إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبيّكما، وإن شئتما أنبأتكما

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤١ ح ١.

بالّذي كان على عهد نبيّنا ـ الخبر[١].

«والأشدّون بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم نوطا» أي: لصوقا، ويكفي في شدّة نوطهم بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[٢] فجعل عزّ وجلّ ابني أميرالمؤمنين عليه السلام أبناء النبيّ عليه السلام، وامرأة أميرالمؤمنين عليه السلام نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونفس أميرالمؤمنين عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

قال المأمون يوماً لأبي الحسن الرضا عليه السلام أخبرني بأكبر فضيلة لأميرالمؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن.

فقال الرضا عليه السلام: هو في المباهلة قال الله تعالى ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٣] فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه، ودعا أميرالمؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ، وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله أجلّ من النبيّ وأفضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل ممّن هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحكم الله عزّ وجلّ.

فقال المأمون: أليس الله قد ذكر الأبناء بلفظ الجمع، وإنما دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ابنيه خاصة، وذكر النساء بلفظ الجمع وانما دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وحدها فلم لا جاز ان يذكر الدعاء لمن هو نفسه، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون له ما ذكرت من الفضل.

فقال الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت، وذلك أنّ الداعي إنّما يكون

---

(١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ١٨٠ ح ١٥، النقل بتصرف يسير.

(٢ و ٣) آل عمران: ٦١.

داعياً لغيره كما يكون الآمر آمراً لغيره، واذ لم يدع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً في المباهلة إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام ثبت أنّه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه، وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط سؤال[١].

«فإنّها كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم» قال ابن أبي الحديد: يعني به على قولنا نفوس أهل الشورى، وعلى قول الامامية نفوس أهل السقيفة[٢].

قلت: يشهد لقول الامامية قوله عليه السلام في كتابه الى عثمان بن حنيف في أمر فدك «فشحّت عليها نفوس قوم»[٣] فلا ريب أنّ الآخذين لفدك إنّما كانوا أهل السقيفة وهل يوم الشورى إلّا فرع يوم السقيفة، ولولا أثر يوم السقيفة لم يوجد يوم شورى ومؤسس يوم الشورى أيضاً كان رجال أهل السقيفة، وهل كان يوم السقيفة يوماً لا يشكا منه، وقد أرادوا إحراقه وإحراق أهل بيته، وهل كان يوم السقيفة يوماً تخفى سوأته حتى يواريه، ولقد أجاد أبوبكر بن قريعة القاضي في أبياته في ذاك اليوم وما ترتب عليه.

يا من يسائل دائباً عن كلّ معضلة سخيفه
لا تكشفن مغطّاً فلربما كشفت عن جيفه
ولرُبَّ مستور بدا كالطبل من تحت القطيفه
إنّ الجواب لحاضر لكنّني أخفيه خيفه
لو لا اعتداء رعية ألقى سياستها الخليفه
وسيوف أعداء بها هاماتنا أبداً تقيفه

(١) رواه الشريف المرتضى في الفصول المختاره ١: ١٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٧، والنقل بالمعنى.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٧١، الكتاب ٤٥.

لنشــرت مــن أســرار آ ل مــحمّد جـملاً لطـيفه
تـــغنيك عـــمّا قــد روا ه مـــالك وأبــو حـنيفه
وأريـــتكم أنّ الحســين أُصيب مـن يـوم السـقيفه
ولأيّ حـــال اُلحِـــدت بـالليل فـاطمة الشـريفه
ولِـــما حـمت شـيخيكم عن وطأ حجرتها الشريفه
اوه لبـــنت مـــحمّد مـاتت بـغصّتها أسـيفه

وهل شكاياته عليه السلام من أهل السقيفة أمر غير متحقق حتّى يتشكك فيه، ومع تقيته عليه السلام منهم أمر متواتر. روى ابن بكير الغنوي عن حكيم بن جبير قال: حدّثنا من شهد علياً عليه السلام بالرحبة يخطب فقال في ما قال: «أيـها النـاس! انكم قد أبيتم إلّا أن أقول. أما ورب السماء والأرض لقد عهد اليّ خليلي انّ الأمة ستغدر بك من بعدي»[١].

وروى إسماعيل بن سالم عن ابن أبي‌ادريس الأودي قال: سمعت علياً يقول: انّ في ما عهد الي النبيّ الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الأمّه ستغدر بك من بعدي[٢].

وقد روى العباس بن عبدالله العبدي عن عمرو بن شمر عن رجاله عن عليّ عليه السلام قال في كلام: «حتّى قبض الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الطامّة الكبرى»[٣]. إلّا أنّ دأب إخواننا التشكيك في البديهيات.

هذا، ومن أسباب شحّ نفوس قوم -وهم قريش- عليه عليه السلام بنيل الأمر إليه أنّهم علموا أنّه لو صار الأمر إليه لا يرى غيره مستحقاً لكون الإمامة عنده كالنبوة أمراً من قبل الله تعالى، فلا يدع رجوع الأمر إليهم يوماً، ولذا شحّوا عليه عليه السلام يوم الشورى أيضاً كالسقيفة فقال عليه السلام -كما في (خلفاء ابن قتيبة)- «فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي، لأنّهم كانوا يسمعونني وأنا

(١ و ٢ و ٣) رواها المفيد في الارشاد: ١٥١.

احاجّ أبابكر، فأقول: يا معشر قريش أنّا احقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة، فخشوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم في هذا الأمر نصيب» ـ إلى آخره[١].

والعجب أنّ بعض العامّة كانوا يقولون: إنّ مذهب الشيعة كان سياسة من بعض الملوك مع أنّ أصل اختيار قريش لأبي‌بكر كان سياسة منهم حتّى يحصل لهم شركة في الأمر، فقال المغيرة بن شعبة لأبي‌بكر وعمر يوم السقيفة حاثّاً لهما على ادعاء الامر «أتريدون أن تنظروا خيل الحبلة من أهل هذا البيت وسّعوها في قريش تتّسع»[٢].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام يوم السقيفة لعمر ـ كما في (الطبري) وغيره ـ «امّرت أبابكر اليوم ليؤمّرك غداً»[٣] وقال عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف يوم الشورى لما بايع عثمان مثل ذلك[٤]، ولمّا كان عمار يوم السقيفة يحضّ عليه عليه السلام انتهره بنو مخزوم وسبّوه، وقالوا له: ما أنت والدخالة في أمر قريش وهنا قول المقداد يوم السقيفة صافقاً إحدى يديه على الأخرى: واعجباً من قريش واستيثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معدن الفضل ونجوم الأرض ـ الخ[٥] ومرّ قول عمر وعثمان لابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم[٦].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٥.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٦٨.

(٣) جاء في الإمامة والسياسة ١: ١١، وفي السقيفة: ٦٠، وغيرها، لكن لم يوجد الحديث في اخبار السقيفة في تاريخ الطبري.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣، والمفيد في الارشاد: ١٥٢.

(٥) رواهما الجوهري في السقيفة: ٨١ و٨٥، والأمران وقعافي يوم الشورى لا السقيفة.

(٦) مر كلاهما في هذا العنوان.

وانّما مذهب لا يجامع السياسة مذهب الشيعة حيث لا يرون لغير أميرالمؤمنين عليه السلام وأحد عشر من عترته حقاً ولا أهل حق والسياسة ليست قائلة بحق، فمذهب الشيعة بالضد ممّا قالوا لم يمنع من نشره الّا السياسة، ولمّا أنشأ المعتضد كتاباً بلعن معاوية مستدلاً فيه بالكتاب والسنّة والحجج الجليّة وأراد نشره؛ قال له قاضيه يوسف بن يعقوب: أخاف أن تضطرب العامّة فقال المعتضد: ان تحرّكت العامة أو نطقت وضعت فيهم سيفي. قال له: «فما تصنع بالطالبيين الّذين هم في كل ناحيه يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس بقرابتهم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبمآثرهم، وفي هذا الكتاب اطراؤهم، واذا سمع الناس ذلك كانوا إليهم أميل وكانوا أبسط ألسنة، وأثبت حجّة منهم اليوم» ـ فأمسك المعتضد عن جوابه ولم يردّ عليه شيئاً، ولم يأمر في الكتاب بشيء[1].

وملوك آل بويه كانوا شيعة متدينين، وكانوا متمكنين من خلع العباسيين ونصب العلويين كالرضي والمرتضى، ولم يفعلوا ذلك سياسة.

وكيف لا يشحّون عليه عليه السلام فمع علمهم بأنّه لوصار الأمر إليه عليه السلام لم يدع صيرورته إليهم أبداً؛ علموا أنّهم لو صرفوا النظر عن وصول الأمر إليهم لم يدعهم اذا وصل الأمر إليه وهو أهم لتنمُّره في ذات الله كما أفصحت عنه سيدّة نساء العالمين فقالت: مانقموا منه عليه السلام إلّا تنمُّره في ذات الله[2].

وقد كان عمر بن عبدالعزيز مع انه انما كان صالحاً بالنسبة الى بني أُميّة لا بالنسبة الى الواقع لم يقدر سليمان بن عبدالملك على نصبه لهواه فيه حتّى دبّر في أمره بجعل أخيه يزيد بن عبدالملك بعده، ولما أراد

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٨: ١٨٩، سنة ٢٨٤.

(٢) رواه عن السقيفة للجوهري الاربلي في كشف الغمة ٢: ١١٨، ورواه جماعة أُخرى ايضاً.

العمل بالحق في الجملة، قتلوه.

قال الطبري في الخارجة الذين خرجوا على عمر بن عبدالعزيز في سنة (١٠٠) وأرسلوا رجلين لمناظرته فقالا له: أخبرنا عن يزيد لم تقرّه خليفة بعدك قال: صيّره غيري. قالا: أفرأيت لو ولّيت مالاً لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون عليه أتراك كنت ادّيت الأمانة الى من ائتمنك؟ فقال: أنظراني ثلاثاً فخرجا من عنده وخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم، وما في أيديهم من أموال، وأن يخلع يزيد؛ فدسّوا إليه من سقاه سمّا فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلّا ثلاثاً حتّى مات[1].

وكما أنّ السياسة أخفت مذهب الشيعة مع كون حقيقته كالشمس في رابعة النهار فهل خليفة النبيّ إلّا من كان مثله علماً وحلماً وفضلاً وتقوى؟ أم بالضد نشرت وشهرت مذهب السنة مع كون بطلانه واضحاً لاشتماله على الجمع بين الضدين وانكار المتواترات، وغير ذلك من خلاف مقتضى العقول.

قال الطبري: قال الرشيد لعبدالله بن مصعب الزبيري، ما تقول في الذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه فهم أنواع الشيع وأهل البدع، وأنواع الخوارج، أمّا الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة الى اليوم فقال له: ما أحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم عن هذا.

وسأله أيضاً عن منزلة أبي‌بكر وعمر من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: كانت منزلتهما في حياته منه منزلتهما في مماته فقال: كفيتني ما أحتاج إليه[2].

أفلم يكن هارون عارفاً بحقيقة الأمر؟ أكان عامياً يغفّل بمثل هذه الكلمات؟ إلّا انّه لو كان لم يقبل قوله يقال له: وما أنت وهذا الأمر

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣١١، سنة ١٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٥٣٤، سنة ١٩٣.

فكان مضطراً إلى قبول قوله.

ثم كيف سمّى المتفرقين عن عثمان أهل الشيع وأهل البدع وأبوه ـ أي أبو مصعب الزبيري ـ قائل الكلام وهو حواريّهم، وصاحبه طلحة أحد عشرتهم وستّتهم، كانا ممّن تفرق عنه بل من المؤلّبين عليه، وابن عوف حكم عمر الذي نصبه مات متهاجراً له.

وكيف سمّاهم أهل البدع، وعمّار ـ المتّفق على جلاله حتّى من أعدائه ـ أحد قتلته. قال له عمرو بن العاص في صفين: ما ترى في قتل عثمان؟ فقال عمار: قتله فتح لكم باب كل سوء قال عمرو: فعليٌّ قتله؟ قال عمار: بل الله ربُّ عليٍّ قتله، وعليٌّ معه. قال له عمرو: أكنت في من قتله؟ قال: كنت مع من قتله، وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال له عمرو: لِمَ قتلتموه؟ قال عمار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو لأهل الشام: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان قال عمار: وقد قالها قبلك فرعون لقومه: ألا تستمعون[١].

وكذلك استدلاله للأوّل والثاني، ومنزلتهما بقرب قبريهما، ألم يعلم هارون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر في مرضه بإخراجهما من المدينة بتأكيد في تجهيز جيش أُسامة لئلّا يشهدا موته فيحدثا فتنة؟ ألم يمنعه الثاني من الوصية لئلّا يضلّوا بعده، وقال إنّه ليهجر، ولم يخرجا في جيش أُسامة مع لعنه المتخلّف وإعراضه عنهما لما حضراه في احتضاره؟

«**وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله**» قال ابن أبي الحديد: «سخت: يعني جادت»[٢] قلت: «سخت به» بمعنى جادت، واما «سخا عنه» كما هنا فبمعنى تركه. قال الجوهري: «سخيت نفسي عن الشيء» إذا تركته[٣].

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٣٣٨، والنقل بتصرف يسير، والآية ٢٥ من سورة الشعراء.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٤.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٣٧٣، مادة سخا.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: «يعني عليه السلام بقوله وسخت عنها نفوس آخرين: نفسه» وتبعه الخوئي أيضاً[١].

قلت: بل أراد عليه السلام بقوله «نفوس آخرين» نفوس المهاجرين والأنصار غير الشيخين واتباعهما، كما أنّ المراد بقوله عليه السلام: «شحّت عليها نفوس قوم» الشيخان وأتباعهما من قريش.

ونظير كلامه عليه السلام هذا؛ قول زوجته سيّدة نساء العالمين عليها السلام لما انصرفت من مجلس أبي بكر: هذا ابن أبي قحافة قد ابتزّني نحلة أبي، وبلغة ابنيّ والله لقد اجدّ في ظلامتي، وألدّ في خصامي حتّى منعتني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع»[٢] والحكم بيننا وبين الشاحين عليها والساخين عنها الله الذى يجري كل نفس بما كسبت.

«والمعود إليه يوم القيامة» هكذا في (ابن أبي الحديد)[٣] و(المصرية)، ولكن في (ابن ميثم والخطيّة)[٤]: «والمعود إليه القيامة».

وفي كلام الصّديقة لأبي بكر في ذلك برواية أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغاته) أأبتزّ ارث أبي، أفي الكتاب أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٤، وشرح الخوئي ٤: ٢٧٥.

(٢) رواه الطبرسي في الاحتجاج ١: ١٠٧، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٤.

(٤) لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢٩٢، ايضاً نحو المصرية.

(٥) بلاغات النساء: ٢٦.

«ودع عنك نهباً صيح في حجراته» إقتصر في (المصرية) من هذا البيت، وهو بيت امرئ القيس على صدره هذا، وفيها سقط، فالنهج كان مشتملاً على عجزه وهو. «ولكن حديثاً مّا حديث الرواحل»[١] لاشتمال (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] عليه واما قول ابن أبي الحديد: روي ان أميرالمؤمنين عليه السلام لم يستشهد إلّا بصدره فقط واتمه الرواة[٣]؛ فلم يدلّ إلّا على أنّ النهج وان كان مشتملاً عليه إلّا أنّ أصل كلامه عليه السلام كان خالياً منه، وإنّما زاده الرواة فأخذ منهم المصنّف، وقد عرفت أنّ روايه الصدوق كانت خالية منه، ورواية المفيد كانت خالية من أصله[٤].

قال ابن أبي الحديد: وكان من قصّة هذا الشعر أنّ امرأ القيس لمّا تنقّل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طي يقال له: طريف بن مل فأجاره وأكرمه وأحسن إليه؛ فمدحه وأقام عنده، ثم انه لم يوله نصيباً في الجبلين أجأ وسلمى فخاف أن لا يكون له منعة؛ فتحوّل ونزل على خالد بن سدوس بن أسمع النبهاني فَاغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد بن سدوس فذهبوا بإبله. وكان الّذي أغار عليه منهم باعث بن حويص، فلما أتى امرأ القيس الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له: أعطني رواحلك ألحق عليهم القوم فأردّ عليك إبلك، ففعل فركب خالد في أثر القوم حتى أدركهم فقال: يا بني جديلة! أغرتم على إبل جاري. فقالوا: ما هو لك بجار. قال: بلى، وهذه رواحله. قالوا: كذلك؟ قال: نعم. فرجعوا إليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل وقيل بل انطوى خالد على الابل فذهب بها فقال

(١) في ديوان امرىء القيس: ٩٣، «دع عنك...» بلا واو.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٤، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٩٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٥.

(٤) كذا في العلل ١: ١٤٦، والامالي: ٤٩٥، والارشاد: ١٥٦.

امرؤ القيس دع عنك نهبا... البيت[١].

قلت: والذى رواه أبو الفرج في (الاغاني) هكذا: نزل امرؤ القيس في أرض طيء برجل من بني جديلة يقال له المعلّى بن تيم فقال فيه:

كأنّي إذ نزلت على المعلّى ... نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلّى ... بمقتدر ولا ملك الشآم

فلبث عنده، وآتخذ إبلاً هناك فعدا قوم من بني جديلة يقال لهم بنوزيد فطردوا الابل وكانت لامرئ القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفا من ان يدهمه امر ليسبق عليهن، فخرج حينئذٍ فنزل ببني نبهان من طيء فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جديلة فرجعوا إليه بلا شيء، فقال:

وأعجبني مشي الحزقة خالد ... كمشي اتان حُلّئت بالمناهل

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ... ولكن حديثا ما حديث الرواحل

ففرّقت عليه بنو نبهان فرقا من معزى يحلبها ـ الخبر[٢].

ورواه ابن الأثير في (كامله) هكذا: «نزل (امرؤ القيس) على المعلّى بن تيم الطائي فأقام عنده واتّخذ إبلاً هناك. فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنوزيد عليها فأخذوها فأعطاه بنو نبهان معزى يحلبها فقال:

إذا ما لم يكن إبل فمعزى ... كانّ قرون جلّتها العصيّ[٣]

وفي (اشتقاق ابن دريد): أنّ من رجال طيء في الجاهلية باعث بن حويص، وهو الذي أغار على ابل امرئ القيس فقال:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٥.

(٢) الاغاني ٩: ٩٤، والنقل بتلخيص.

(٣) كامل ابن الاثير ١: ٥١٨.

تــــلاعب بــاعث بــذمة خــالد واودى دثار في الخطوب الاوائل

ودثار راعي امرئ القيس[١].

وأمّا لغة البيت: فحجرات بالفتح جمع حجرة مثل جمرة وجمرات ومعنى حجراته نواحيه، وأما تركيبه فقال ابن أبي الحديد: ما في «حديثا ما» يحتمل أن تكون ابهامية، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته إبهاماً وشياعاً كقولك أعطني كتاباً ما. تريد أيّ كتاب كان، ويحتمل أن تكون صلة مؤكدة كالّتي في قوله تعالى ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾[٢] -إلى أن قال- وجاز أن يجعل «ما» موصولة بمعنى الذي، وصلتها الجملة، أي: الذى هو حديث الرواحل، ثم حذف صدر الجملة كما حذف في: (تماماً على الذي أحسن) ويجوز أن يجعل ما استفهامية بمعنى أيّ[٣].

وتبعه الخوئي[٤] وقد أخذه ابن أبي الحديد من الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مثلاً مّا﴾[٥] والتحقيق أنّ ما هذه إبهامية لكنّها لا تزيد النكرة إبهاماً، بل تقلّل إبهامها حتّى تقرّبها الى المعرفة، لأنّها في المعنى الوصف لها، والوصف إمّا حقير كما في قوله تعالى ﴿انّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾[٦] وإمّا عظيم كما في المثل: «لأمرٍ مّا جدع قصيرٌ أنفه»[٧] وكما هنا، وأمّا الصلة المؤكدة مثل ما في ما قال؛ فلا وجه له، لأنّ شرطه أن يستغني المعنى عنه. فيصح أن يقال في: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾[٨]

(١) الاشتقاق: ٣٨٤.

(٢) النساء : ١٥٥.

(٣ و ٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٦، وشرح الخوئي ٤: ٢٧٤.

(٥) الكشاف للزمخشري ١: ١١٤.

(٦) البقرة: ٢٦.

(٧) اورده الميداني في مجمع الامثال ٢: ١٩٦، والزمخشري في المستقصى ٢: ٢٤٠.

(٨) النساء: ١٥٥.

«فبنقضهم ميثاقهم» وهنا لا يستغني عن ما لأنّه يفوت بفوتها الوصف المحتاج إليه، وأما الموصولة فلا يصحّ من حيث أنّه معرفة فكيف يكون وصفاً للنكرة لأنّه في تقدير «حديثاً الذي» وأمّا الاستفهامية فإنّما تصح لو كان قال أوّلاً «حديث الرواحل» ثم يقول «ما حديث الرواحل» كقوله تعالى: ﴿الحاقّة ما الحاقّة﴾[1] ثم جميع ما أوردناه على ابن أبي الحديد يرد على الزمخشري الذي هو الأصل لكلامه.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: في «ولكن حديثاً انتصب حديثاً» بإضمار فعل. أي: هات حديثاً أو حدّثني حديثاً ويروى «ولكن حديث» أي: ولكن مرادي أو غرضي حديث فحذف المبتدأ[2].

وتبعه الخوئي[3] أيضاً. قلت: مع النصب يجوز أن يكون اسم لكن فقد جوّز يونس والأخفش عمل لكن مخفّفاً. فلا يحتاج الى تقدير فعل، ومع الرفع يجوز أن يكون مبتدأ وسوّغ الابتداء به الوصف المقدر الذي يفهم من (ما) كما عرفت و«حديث الرواحل» خبره أو بالعكس ولا يحتاج الى تقدير أيضاً.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً بجواز نصب «حديث الرواحل» بكونه بدلاً من «حديثاً ما»[4] وهو كما ترى فإنه يخرج الكلام عن كونه تاماً مع أنّ ظاهر السياق كون الإسناد بين الحديثين، ويحوجه الى تقدير مخالف للأصل.

والرواحل: جمع الراحلة، والراحلة الإبل المختصة بالركوب، وعن النبيّ ﷺ: «الناس كابل ماة لا تجد فيها راحلة»[5].

---

(١) الحاقة: ١ ـ ٢.

(٢ و ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٦، وشرح الخوئي ٤: ٢٧٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٦.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ القاضي القضاعي في الشهاب: ٦٦ ح ١٥٥ وباختلاف يسير في اللفظ، مسلم في صحيحه ٤: ١٩٧٣ ح ٢٣٢، وغيره.

«وهلّم» أي: تعال. قال الجوهري: قال الخليل: أصله لمّ من قولهم «لمّ الله شعثه» أي: جمعه كانّه أراد لمّ نفسك إلينا أي: أقرب، وها للتنبيه وانّما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال جعلا اسماً واحداً يستوي فيه والواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز قال تعالى: ﴿والقائلين لإخوانهم هلمَّ الينا﴾[1].

«الخطب» قالوا: الخطب سبب الأمر.

«في ابن أبي سفيان» في مقابلته مع كونه ممّن حارب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الى أن أسره الاسلام بفتح مكة.

ونظير كلامه عليه السلام كلام ابنه الحسن عليه السلام ففي (مقاتل أبي الفرج): «كتب الحسن عليه السلام الى معاوية ـ بعد ذكره عليه السلام محاجّة قريش العرب بأنّهم أقرب من العرب الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأولياؤه الى محاجّتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد الله، وهو الولي النصير، وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا، وسلطان نبيّنا، وان كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الاسلام. فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده. فاليوم فليعجب المتعجب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الاحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنّ الله خيّبك»[2]. ويقال لأميرالمؤمنين عليه السلام أنّ الأمر وإن كان كما ذكرت من كون الخطب في ابن أبي‌سفيان، إلّا انّ تصدّي تيم وعدي وتدبير الثاني لابن أبي

(١) صحاح اللغة ٥: ٢٠٦٠، مادة (هلم)، والآية ١٨ من سورة الأحزاب.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٥.

العاص هو الذي أطمع ابن أبي‌سفيان في الأمر. كما قال الفرزدق في ولاية ابن هبيرة:

ولقد علمت لئن فزارة أُمّرت أنْ سوف تطمع في الإمارة أشجع
من خلق ربك ما هُمُ ولمثلهم في مثل ما نالت فزارة يطمع

وكما قال دعبل في تولّي ابراهيم بن المهدي المغنّي للخلافة.

فلئن صلحت لإبراهيم فلتصلحن من بعده لمخارق

وقد كتب معاوية الى الحسن عليه السلام جواب كتابه بأنّ مثلي مثل أبي‌بكر في تقدُّمه عليكم بقوّته على هذا الأمر[1].

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر بعد نقل مكاتبات بينه عليه السلام وبين معاوية: «أعجب وأطرف ما جاء به الدهر، وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة، أن يفضي أمر عليّ عليه السلام إلى أن يصير معاوية ندّاً له ونظيراً مماثلاً يتعارضان الكتاب والجواب ـ إلى أن قال ـ فليت محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كان شاهد ذلك ليرى عياناً لا خبراً أنّ الدعوة التي قام بها وقاسى أعظم المشاقّ في تحمّلها، وكابد الأهوال في الذبّ عنها، وضرب السيوف عليها لتأييد دولتها، وشيّد أركانها، وملأ الآفاق به خلصت صفواً عفواً لأعدائه الذين كذّبوه لمّا دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لمّا حضّ عليها رموا وجهه، وقتلوا عمّه وأهله، فكأنّه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم. كما قال ابوسفيان في أيام عثمان وقد مرّ بقبر حمزة وضربه برجله وقال: يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي آجتلدنا عليه بالسيف أمس؛ في يد غلماننا اليوم يتلعبون به ـ الخ[2].

قلت: الأمر كما ذكر ابن أبي الحديد لكن أيّ تعيير لمعاوية:

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧، والنقل بالمعنى.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥١؛ شرح الكتاب ٣٢.

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

إقتدى معاوية بصدّيقهم وفاروقهم كما صرّح به معاوية نفسه في جواب كتابه الى محمد بن أبي‌بكر وأفصح فيه عن الحقيقة إذ قال فيه مخاطباً محمّد بن أبي‌بكر: «ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومواساته إيّاه في كل هول وخوف -إلى أن قال-.

وقد كنّا -وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقّه لازماً لنا، مبروراً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأبلج حجّته وقبضه الله إليه. فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتّسقا، ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، ثم إنه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما، حتى قبضهما الله -إلى أن قال في قيامه بالامر في قباله عليه السلام -

أبوك مهّد مهاده، وبنى لملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك.

وكتاب معاوية في جواب محمّد بن ابى بكر هو الكتاب الذي اعتذر الطبري في (تاريخه) عن نقله بانه كتاب لا تحتمله العامة ونقله المسعودي وغيره[1] ويقال للطبري: ان هذا الكتاب لا يحتمله إلّا من انسلخ عن الانسانيّة.

ثم هل زمان ذي نوريهم الذي قال فيه أبوسفيان ما قال كان أحسن من

---

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، وابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٩، والبلاذري في انساب الاشراف ٢: ٣٩٦، وأشار اليه الطبري في تاريخه ٣: ٥٥٧، سنة ٣٦.

زمان معاوية بل يزيد أيضاً، فكيف يقبل عثمان بالإمامة ولا يقبل معاوية؟ فهل السلطان في زمان عثمان إلّا مروان وأبوسفيان وغلمان بني اميّة؟ ولِمَ يُصلِّ عامل من عمّال معاوية، ويزيد صلاة الفجر بالناس في حال السكر أربعاً مع إنشاد أبيات في العربدة فيها.

ومن العجب أن عامّة العامة قتلوا النسائي أحد أئمة حديثهم، وصاحب أحد صحاحهم الستة لأنه أنكر فضل معاوية قال ابن خلكان: سئل النسائي عن معاوية وفضائله فقال: ما أعرف له فضيلة إلّا قول النبيّ ﷺ فيه: «لا أشبع الله بطنك» فما زالوا يدفعون في حضنيه وداسوه ثم حمل الى الرملة فمات بها[١].

ومما يضحك الثكلى، ويبدّل البكاء بالضحك عجباً انّ المتسمّين بالعلم منهم جعلوا من لم يكن فساد في الأرض الاّ عمل به حتّى كفّره من نصبه، واستباحوا دمه، وحرّموا تجهيزه؛ أفضل ممّن قال رسول ربّ العالمين في حقه: «لو لا أن تقول الناس فيك بالأُلوهية لقلت فيك ما إن لا تمرّ في طريق إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك»؟[٢]

فهل للجزاف حدّ؟ وهل يتفوّه أحد بأفضلية الظلمات من النور، وفي تاريخ بغداد قال ابوعبيدالقاسم بن سلام: فعلت بالبصرة فعلتين أرجو بهما الجنّة؛ أتيت يحيى القطّان وهو يقول أبوبكر وعمر وعليّ فقلت: معي شاهدان من أهل بدر يشهدان أن عثمان أفضل من عليّ. قال: بِمن؟ قلت: أنت حدّثتنا عن شعبة عن عبدالملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال: خطبنا عبدالله بن

---

(١) وفيات الاعيان ١: ٧٧، والنقل بتلخيص.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في علل الحديث ١: ٣١٣، والثقفي في المعرفة، وعنه إعلام الورى: ١٨٦، والصدوق في أماليه: ٨٦ ح ١، مجلس ٢١، وغيرهم عن جابر، وروي عن علي عليه السلام وابن رافع أيضاً والنقل بالمعنى.

مسعود فقال: أميرنا خير من بقي وَلَمْ نَألُ قال: ومن الآخر؟ قلت: «الزهري عن حميد بن عبدالرحمن، عن المسوّر بن مخرمة قال: سمعت عبدالرحمن بن عوف يقول: شاورت المهاجرين الأوّلين وأُمراء الأجناد وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلم أرَ أحداً يعدل بعثمان» قال: فترك قوله وقال ابوبكر وعمر وعثمان[1].

قبّح الله ديناً هذا أساسه، مع أنّ شاهديه من أهل بدر وما رواه عنهما رواية لم تعلم صحتها، والذي نعلم بالدراية أنّ ذينك الشاهدين هجراه وفجّراه وكفّراه. وقوله في خبره الثاني: «شاورت المهاجرين وأمراء الأجناد» فلابد أنّه أراد بالمهاجرين الأوّلين مثل المغيرة بن شعبة جعله فاروقهم من المهاجرين الأوّلين لمّا أراد منع زياد عن أداء شهادته في زناه حتى يبطل حدّ الله فيه، كما أنَّه لابدّ من أراده معاوية بن أبي سفيان بأمراء الأجناد.

ومن الغريب أنّ إمامهم الثالث وذا نوريهم يقول لأميرالمؤمنين عليه السلام -في خبر إخراجه لأبي ذر من المدينة الى الربذة ومشايعته عليه السلام لأبي ذرمع حظر عثمان عن مشايعته، وإرادة مروان منعه عليه السلام عن ذلك وشتمه له عليه السلام - «لم لا يشتمك كانّك خير منه»[2] فأنكر أن يكون من كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من ذاك اللعين ابن اللعين على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ونقل ابن قتيبة في (مختلف) أخباره في جملة ما ذكره متكلّموهم في محدّثيهم أنّهم يقدحون في الشيخ يسوّي بين عليّ وعثمان أو يقدّم علياً عليه السلام عليه[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٤٠٩.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٧٨، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٤٢.

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٠.

هذا، ونظير كلامه عليه السلام في الأدب أنه لمّا ولّي خالد بن عبدالله القسري بعد ابن هبيرة الفزاري الذي قال فيه الفرزدق مخاطباً يزيد بن عبدالملك الذي ولّاه:

أوَلّيت العراق ورافديه فزاريا أحذّ يد القميص

قال شاعر أسدي:

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أمية بالمشارق تنزع

فلقد رأى عجباً وأُحدث بعده أمر تضجّ له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها فاليوم من قسرٍ تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلمونا للعدى لله درّ ملوكنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانباً سفهاً وغيرَهم تصون وترضع

«**فلقد اضحكني الدهر**» في قيام ابن أبي سفيان في قبالي.

«**بعد ابكائه**» بقيام الاولين.

ومما يبدّل البكاء بالضحك عجباً في أمر معاوية أنّ بعض النصّاب حرّف قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» من القتل بقوله: «فاقبلوه» من القبول! أو لم ير أن الحسن البصري الذي رواه قال بعد الخبر: «فما فعلوا ولا أفلحوا»، وروى أيضاً بلفظ «اذا رأيتم معاوية على منبرى فاضربوا عنقه»[1].

وكيف وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «انّ معاوية في تابوت في الدرك الاسفل من النار ولو لا كلمة فرعون «انا ربكم الأعلى» ما كان أحد أسفل من معاوية»[2].

---

(١) أخرجه عن طريق الحسن، ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢١٦ و٢٢١، وجماعة اُخرى، وروى عن ابن مسعود وابي سعيد وحذيفة وابن جذعان أيضاً.

(٢) وقعة صفين: ٢١٧، والحديث موقوف عن ابن عمر ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال: «شر خلق الله خمسة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون ذو الأوتاد، ورجلٌ من بني اسرائيل ردّهم عن دينهم، ورجل من هذه الأمّة يبايع على كفره عند باب لدّ»[١]، وروى أنّ رجلاً شامياً سمع ذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا رأى معاوية بويع عند باب لدّ؛ ذكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلحق بعليّ عليه السلام[٢].

«**ولا غرو**» أي: لا عجب.

«**فياله خطبا**» في (المصباح): الخطب: الأمر الشديد ينزل[٣].

«**يستفرغ العجب**» قال ابن أبي الحديد: أي: يستنفذه ويفنيه. يقول: قد صار العجب لا عجب لأنّ هذا الخطب استغرق التعجب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب، وهذا من باب الاغراق والمبالغة في المبالغة -إلى أن قال- قال ابن هاني المغربي:

قد سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت أن لا أعجبا[٤]

قلت: لم يعلم استعمال الاستفراغ بمعنى الافراغ، وما قاله ركيك، وانما معنى «يستفرغ العجب» لا يدّخر منه شيئاً من قولهم «فرس مستفرغ» لا يدّخر من عَدْوه قال الشاعر «مستفرغ كاهله اشمّ»[٥].

روى ابن عبد ربه في (عقده) عن الشعبي قال: دخلت بكارة الهلاليه على معاوية بالمدينة وكانت قد اسنّت وعشي بصرها، وضعفت قوّتها. فقال لها معاوية: قد غيّرك الدهر! قالت: كذلك هو ذو غِيَرٍ، من عاش كبر، ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص: هي والله القائلة:

(١ و ٢) وقعة صفين: ٢١٧.

(٣) المصباح المنير ١: ٢١٠، مادة خطب.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٦.

(٥) اورده في اساس البلاغة: ٣٤٠، مادة فرغ.

يا زيد دونك فاحتفر من درانا سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال مروان وهي القائلة:

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وان أراد بعيد
منّتك نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

فقال سعيد بن العاص هي القائلة:

قد كنت أطمع أن اموت ولا أرى فوق المنابر من أميّة خاطباً
فالله أخّر مدّتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائباً[1]

وفي السير: لمّا دخل المعتضد برأس صاحب الزنج بغداد دخل في جيش لم يرمثله، واشنق أسواق بغداد، والرأس بين يديه. فلما صار بباب الطريق صاح قوم من درب من تلك الدروب «رحم الله معاوية» وزاد حتى علت اصوات العامّة بذلك، فتغير وجه المعتضد، وقال للعلاء بن صاعد: ألا تسمع؟ ما اعجب هذا! وما الّذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت؟ والله لقد بلغ أبي الى الموت، وما أفلتُّ أنا إلّا بعد مشارفته، ولقينا كلّ جهد وبلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصّنا حرمهم وأولادهم، فتركوا أن يترحّموا على العباس، وعبدالله بن العباس، ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحم على عليّ بن ابي طالب، وحمزة وجعفر والحسن والحسين، والله لا برحت أو أؤثّر في تأديب هؤلاء أثراً لا يعودون بعد هذا اليوم لفعل مثله.

ثم أمر بجمع النفّاطين ليحرق الناحية فقيل له: أيُّها الأمير إنّ هذا اليوم من أشرف أيّام الإسلام فلا تفسده بجهل عامةٍ لاخلاق لهم

---

(١) العقد الفريد ١: ٢٩٣، والنقل بتصرف يسير.

ولم يزل يدارونه حتى سار[١].

وقال الطبري: تقدّم (المعتضد) الى الشرّاب والذين يسقون الماء في الجامعين ان لا يترحّموا على معاوية، ولا يذكروه بخير ـ الى آخر ما ذكر[٢] ـ.

فهل عجب فوق هذا؟ هل كان السقاة والشرّاب يترحمون عليه لأنّ جروه قتل سيد شباب أهل الجنة عطشاناً؟

«ويكثر» من الاكثار.

«الاود» أي: الاعوجاج.

«حاول القوم» أي: أرادوا.

«اطفاء نور الله من مصباحه» أي: سراجه.

روى (قرب اسناد الحميري) عن البزنطي قال: قال لي الرضا عليه السلام: إن الناس قد جهدوا على إطفاء نورالله حين قبض الله تعالى رسوله، وأبى الله إلّا أن يتمّ نوره، وقد جهد عليّ بن أبي حمزة على إطفاء نورالله حين مضى ابوالحسن عليه السلام فأبى الله إلّا أن يتم نوره، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس ـ الخبر[٣].

وروى (أمالي) محمّد بن محمّد بن النعمان عن أبي الحسن عليّ بن محمد البصري، عن أبي بشر أحمد بن ابراهيم، عن زكريا بن يحيى الساجي، عن عبد الجبار، عن سفيان، عن الوليد بن كثير، عن ابن الصياد، عن سعيد بن المسيّب قال: لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ارتجّت مكة بنعيه، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله، قال: فمن ولي الناس بعده؟ قالوا: إبنك. قال: فهل

---

(١) رواه الآبي في نثر الدرّ عنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٤٠، شرح الخطبة ١٢٦.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٨: ١٨٢، سنة ٢٨٤.

(٣) قرب الاسناد: ١٥١.

رضيت بنو عبدشمس وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله. ما أعجب هذا الأمر تنازعون النبوة، وتسلّمون الخلافة إنّ هذا لشيءٌ يراد[1].

وفي (مروج المسعودي) عن (موفقيات الزبير بن بكار) الذي صنّفه للموفق عن المدائني قال: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي الى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت أنّه لشيءٍ حدث فينا أو في عملنا فقلت له: ما لي أراك مغتما منذ الليلة؟ قال: يا بني! جئت من عند أخبث الناس. قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له ـ وقد خلوت به ـ إنّك قد بلغت منّا يا أميرالمؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بنيهاشم فوصلت أرحامهم. فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه فقال لي: هيهات هيهات! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره إلّا ان يقول قائل أبوبكر، ثم ملك أخو عديّ فاجتهد وشمّر عشر سنين. فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به. فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به. وإنّ أخا هاشم يُصرَخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمّداً رسول الله. فأيّ عمل يبقى مع هذا لا أُمّ لك؟ والله إلّا دفناً دفناً[2].

وصرح في كتابه الى محمد بن ابى بكر أنّ المؤسس له ذلك، الصدِّيق وفاروقه، ولم يكن المقام مقام افتراء، وإلّا لكذّبه محمّد بن أبي بكر، مع أنّه

---

(١) امالي المفيد: ٩٠ ح ٧، المجلس ١٠.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٥٤.

يشهد له الاعتبار الذي كالعيان.

«وسد فواره» مصدر فار الماء؛ نبع وجرى.

«من ينبوعه» والينبوع: عين الماء. قال تعالى: ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[1].

روى أخطب خوارزم في (مناقبه): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: اتّق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلّا بعد موتي، أُولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون -ثم بكى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له ممّ بكاؤك قال: أخبرني جبرئيل أنّهم يظلمونه، ويمنعونه حقّه، ويقاتلونه، ويقاتلون ولده ويظلمونهم بعده - الخبر[2].

وفي (عيون ابن قتيبة) -بعد ذكر جعل معاوية جعالة لمن قتل العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم - قال عليّ عليه السلام: (والله لودّ معاوية أنّه ما بقي من هاشم نافخ ضرمة إلّا طعن في نيطه إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولوكره الكافرون)[3].

«وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً» في (النهاية): الجدح أن يحرّك السويق بالماء، ويخوض حتى يستوي، وكذلك اللبن ونحوه، والمجدح: عود مجنّح الرأس تساط به الأشربة، وربما يكون له ثلاث شعب. ومنه حديث عليّ عليه السلام «جدحوا بيني، وبينهم شرباً وبيئاً»[4].

وفي (المصباح): «الوباء بالهمز؛ مرض عام يمدّ ويقصر، ويجمع الممدود على أوبئة مثل متاع وأمتعة، والمقصور على أوباء مثل سبب

---

(١) الاسراء: ٩٠.

(٢) يوجد بلفظ قريب منه في مناقب الخوارزمي: ٢٦.

(٣) عيون الاخبار ١: ١٨٠.

(٤) النهاية ١: ٢٤٢، مادة جدع.

وأسباب»[١]، وعن أبي عبيدة «الشَرب بالفتح مصدر، وبالخفض والرفع اسمان من شربت»[٢].

روى ابن بابويه عن النضر بن مالك قال: قلت للحسين عليه السلام حدّثني عن قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾[٣] قال: نحن وبنو أميّة اختصمنا في الله تعالى قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإيّاهم الخصمان يوم القيامة[٤].

وروى الشيخ عن قيس بن سعد بن عبادة، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: أنا أوّل من يجثو بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة للخصومة[٥].

«فان ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى» حسب سنّة الله تعالى في امتحان عباده.

روى محمد بن بابويه في خصاله عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن محمد بن الحنفية قال: أتى رأس اليهود عليَّ بن أبي طالب عليه السلام عند منصرفه من وقعة النهروان وهو جالس في مسجد الكوفة فقال له: إنّي أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبي أو وصي نبي. قال: سل عمّا بدا لك يا أخا اليهود. قال: انّا نجد في الكتاب انّ الله عزّ وجلّ إذا بعث نبيّاً أوحى إليه أن يتّخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أُمّته بعده وأن يعهد إليهم فيه عهداً يحتذى عليه، وأنّ الله عزّ وجلّ يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء وبعد وفاتهم، فأخبرني كم يمتحن الله

---

(١) المصباح المنير ٢: ٣٦٢، مادة وبا.

(٢) رواه عنه ابن منظور في لسان العرب ١: ٤٨٧، مادة شرب.

(٣) الحج: ١٩.

(٤) أخرجه الصدوق في الخصال ١: ٤٢ ح ٢٥،باب الاثنين.

(٥) رواه ابو علي الطوسي في اماليه ١: ٨٣، جزء ٣، والبخاري في صحيحة ٣: ٥ و١٦١، والحاكم في المستدرك ٢: ٣٨٦، وغيرهم.

الأوصياء في حياة الأنبياء، وكم يمتحنهم بعدهم، وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضي محنتهم؟ فقال عليه السلام: لئن اجبتك لتسلمنّ. قال: نعم. فقال عليه السلام له: إنّ الله يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن ليبتلي طاعتهم، فإذا رضي طاعتهم ومحنتهم أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء في حياتهم وأوصياء بعد وفاتهم، ويصيّروا طاعة الأوصياء في أعناق الأُمم ممن يقول بطاعة الأنبياء، ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء في سبعة مواطن ليبتلي صبرهم، فإذا رضي محنتهم ختم لهم بالسعادة ليلحقهم بالأنبياء وقد أكمل لهم السعادة. قال: صدقت.

فأخبرني كم امتحنك الله في حياة محمّد، وكم امتحنك بعد وفاته، وإلى ما يصير آخر أمرك؟

قال: فأخذ عليّ عليه السلام بيده وقال: إنهض بنا أُنبّئك بذلك. فقام إليه جماعة من أصحابه فقالوا: أنبئنا بذلك معه. فقال: إنّي أخاف أن لا تحتمله قلوبكم. قالوا: ولِمَ؟ قال: لأمورٍ بدت لي من كثير منكم. فقام إليه الأشتر فقال: أنبئنا بذلك، فوالله إنّا لنعلم ما على ظهر الأرض وصيُّ نبيٍّ سواك، وإنّا لنعلم أنّ الله لا يبعث بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم نبياً سواه، وأنّ طاعتك في أعناقنا موصولة بطاعة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عليّ عليه السلام وأقبل على اليهودي فقال:

يا أخا اليهود! إنّ الله عزّ وجلّ امتحنني في حياة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم في سبعة مواطن -فوجدني فيهن من غير تزكية لنفسي بنعمة الله- له مطيعاً. أمّا أوّلهن: فإنّ الله تعالى أوحى الى نبيّنا وأنا أحدث أهل بيتي سنّاً أخدمه بين يديه وأسعى في قضاء أمره، فدعا صغير بني عبدالمطلب وكبيرهم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله فامتنعوا من ذلك، وهجروه، ونابذوه، واعتزلوه، وسائر الناس مقصين له، ومخالفين عليه، قد استعظموا ما أورده عليهم ممّا لم تحتمله

قلوبهم، ولم تدركه عقولهم فأجبت نبيّنا وحدي الى ما دعا إليه مسرعاً مطيعاً لم يتخالجني في ذلك شك. فمكثنا بذلك ثلاث حجج وما على وجه الأرض خلق يصلّي أو يشهد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أتاه غيره وغير ابنة خويلد رحمها الله، وقد فعل، ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأما الثانية: فإنّ قريشاً لم تزل تجيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك؛ يوم دار الندوة، وإبليس حاضر في صورة أعور ثقيف. فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كلّ فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه. ثم يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم على فراشه، فيضربونه بأسيافهم جميعاً ضربة واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها، ولم تسلمها، فيمضي دمه هدراً. فهبط جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك، وأخبره بالليلة الّتي يجتمعون فيها، والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه الى الغار. فأخبرني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرني أن أضطجع في مضجعه، وأقيه بنفسي، فأسرعت الى ذلك مطيعاً له، مسروراً بأن أُقتل دونه. فمضى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لوجهه، وٱضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا ٱستوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه؛ ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي ما قد علمه الله وعلمه الناس. ثم أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأمّا الثالثة يا أخا اليهود: فإنّ ٱبني ربيعة وابن عتبة ـ وكانوا فرسان قريش ـ دعوا إلى البراز يوم بدر فلم يبرز لهم خلق، فأنهضني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع صاحبيّ رضي الله عنهما، وقد فعل وأنا أحدث أصحابي سنّاً، وأقلّهم للحرب تجربة، فقتل الله بيدي وليداً وشيبة، سوى من قتلت من

جحاجحة قريش في ذلك اليوم، وسوى من أسرت، وكان منّي أكثر ممّا كان من أصحابي، واستشهد ابن عمي رحمة الله عليه في ذلك اليوم. ثم التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأما الرابعة يا أخا اليهود: فان أهل مكّة أقبلوا إلينا على بكرة أبيهم، قد استجلبوا من يليهم من قبائل العرب وقريش، طالبين بثار مشركي قريش في يوم بدر، فهبط جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك، فذهب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعسكر بأصحابه في سدّ أُحد، وأقبل المشركون إلينا فحملوا حملة رجل واحد، واستشهد من المسلمين من استشهد، وكان من بقي من المنهزمة، وبقيت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومضى المهاجرون والأنصار الى منازلهم من المدينة كل يقول: قتل النبيّ، وقتل أصحابه. ثم ضرب الله تعالى وجوه المشركين، وقد جرحت بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نيّفاً وسبعين جُراحة منها هذه وهذه، ثم ألقى عليه السلام رداءه وأمرّ يده على جراحاته، وكان منّي في ذلك ما على الله عزّ وجلّ ثوابه إن شاء. ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأمّا الخامسة يا أخا اليهود: فإنّ قريشاً والعرب تجمّعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتّى تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وتقتلنا معه معاشر بني عبدالمطلب، ثم أقبلت بحدّها وحديدها حتّى أناخت علينا بالمدينة، واثقة بأنفسها في ما توجّهت له. فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك. فخندق على نفسه ومن معه. فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوّة وفينا الضعف، ترعد وتبرق، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يدعوها الى الله عزّ وجلّ ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى، ولا يزيدها ذلك إلّا عتوّاً، وفارسها وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود يهدر

كالبعير المغتلم. يدعو الى البراز ويرتجز، ويخطر برمحه مرّة، وبسيفه مرّة لايُقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع. فأنهضني إليه النبيّ ﷺ وعمّمني بيده، وأعطاني سيفه هذا ـ وضرب بيده الى ذي‌الفقار ـ فخرجت إليه ونساء أهل المدينة تأنين إشفاقاً عليّ من ابن عبد ود فقتله الله بيدي، والعرب لا تعدُّ لها فارساً غيره، وضربني هذه الضربة ـ وأومأ بيده الى هامته ـ فهزم الله قريشاً والعرب بذلك وبما كان منّي فيهم من النكاية. ثم التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال: وأما السادسة يا أخا اليهود: فإنّا وردنا مع النبيّ ﷺ مدينة أصحابك خيبر على رجال من اليهود وفرسانها؛ فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، كلّ ينادي ويبادر الى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلّا قتلوه، حتّى إذا احمرّت الحدق، ودعيت الى النزال، وأهمّت كلّ امرىء نفسه، والتفت بعض أصحابي الى بعض، وكلّ يقول: يا أبا الحسن! انهض، فأنهضني النبيّ ﷺ الى دارهم؛ فلم يبرز اليّ أحد منهم إلّا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلّا طحنته، ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتّى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتّى دخلت عليهم مدينتهم وحدي؛ أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجد من نسائها، حتّى افتتحتها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون إلّا الله وحده. ثمّ التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأما السابعة يا أخا اليهود: فإنّ النبيّ ﷺ لما توجّه لفتح مكّة أحبّ أن يعذر إليهم، ويدعوهم الى الله عزّ وجلّ آخراً كما دعاهم أوّلاً. فكتب إليهم كتاباً يحذّرهم فيه، وينذرهم عذاب الله، ويعدهم الصفح، ويمنّيهم مغفرة ربّهم، ونسخ لهم في آخره سورة براءة ليقرأها عليهم. ثم عرض على

جميع أصحابه المضيّ به. فكلّهم يرى التثاقل فيه، فلمّا رأى ذلك ندب منهم رجلاً فوجّهه به. فأتاه جبرئيل فقال: يا محمّد! لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك فأنبأني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، ووجّهني بكتابه ورسالته الى أهل مكّة، فأتيت مكّة، وأهلها من قد عرفتم ليس منهم أحدٌ إلّا ولو قدر أن يضع على كلّ جبل منّي إرباً لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله وولده وماله. فبلّغتهم رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقرأت عليهم كتابه، فكلّهم يلقاني بالتهديد والوعيد، ويبدي لي البغضاء، ويظهر الشحناء من رجالهم ونسائهم، فكان منّي في ذلك ما قد رأيتم. ثم التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: يا أخا اليهود! هذه المواطن التي آمتحنني فيها ربي عزّ وجلّ مع نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فوجدني فيها كلّها بمنّه مطيعاً، ليس لأحد فيها مثل الذي لي، ولو شئت لوصفت ذلك، ولكن الله عزّ وجلّ نهى عن التزكية فقالوا: صدقت والله يا أميرالمؤمنين، لقد أعطاك الله عزّ وجلّ الفضيلة بالقرابة من نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، وأسعدك بأن جعلك أخاه تنزل منه بمنزلة هارون من موسى، وفضّلك بالمواقف الّتي باشرتها، والأهوال التي ركبتها، وذخر لك الذي ذكرت وأكثر منه ممّا لم تذكره، ممّا ليس لأحد من المسلمين مثله. يقول ذلك من شهدك منّا مع نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، ومن شهدك بعده. فأخبرنا بما آمتحنك الله عزّ وجلّ بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فاحتملته وصبرت، فلو شئنا أن نصف ذلك لوصفناه علماً منّا به، إلّا أنّا نحبّ أن نسمع منك ذلك كما سمعنا منك ما آمتحنك الله به في حياته فأطعته فيه.

فقال عليه السلام: يا أخا اليهود إنّ الله عزّ وجلّ امتحنني بعد وفاة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في سبعة مواطن فوجدني فيهنّ من غير تزكية لنفسي - بمنّه ونعمته صبورا.

أما أوّلهنّ يا أخا اليهود: فإنّه لم يكن لي خاصّةً دون المسلمين عامةً أحد

آنس به أو أعتمد عليه أو أستنيم إليه أو أتقرب به غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ربانّي صغيراً وبوّأني كبيراً، وكفاني العيلة وجبرني من اليتم، وأغناني عن الطلب، ووقاني المكسب، وعال لي النفس والولد والأهل. هذا في تصاريف أمر الدّنيا مع ما خصّني به من الدرجات التي قادتني الى معالي الحقّ عندالله عزّ وجلّ فنزل بي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم أكن أظنّ الجبال لو حملت عنوة كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتي بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والافهام، والقول والاستماع، وسائر الناس من غير بني عبدالمطلب بين معزّ يأمر بالصبر وبين مساعد باكٍ لبكائهم جازع لجزعهم، وحملت نفسي على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت، والاشتغال بما أمرني به من تجهيزه، وتغسيله وتحنيطه، والصلاة عليه ووضعه في حفرته، وجمع كتاب الله وعهده الى خلقه، لا يشغلني عن ذلك بارز دمعة، ولا هائج زفرة، ولا لاذع حرقة، ولا جليل مصيبة، حتى أدّيت في ذلك الحق الواجب لله تعالى ولرسوله عليّ، وبلغت منه الذي أمرني به، واحتملته صابراً محتسباً. ثم التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى فقال عليه السلام.

وأما الثانية يا أخا اليهود: فإنّ رسول الله أمّرني في حياته على جميع أمّته، وأخذ على جميع من حضره منهم البيعة، والسمع والطاعة لأمري، وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب ذلك، فكنت المؤدّي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمره أنّي الأمير على من حضرني منهم إذا فارقته، لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شيء من الأمر في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بعد وفاته، ثمّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه الجيش الذي وجّهه مع أُسامة بن زيد عند الذي أحدث الله

به المرض الذي توفّاه فيه، فلم يدع النبيّ ﷺ أحداً من أفناء العرب، ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من ساير الناس ممّن يخاف عليّ نقضه ومنازعته، ولا أحداً ممّن يراني بعين البغضاء ممّن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه؛ إلّا وجّهه في ذلك الجيش، لتصفو قلوب من يبقى معي، ولئلّا يقول قائلٌ شيئاً ممّا أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية، والقيام بأمر رعيّته من بعده، ثمّ كان آخر ما تكلّم به في شيء من أمر أمّته أن يمضي جيش أسامة، ولا يتخلّف عنه أحد ممّن أنهض معه، وتقدّم في ذلك أشدّ التقدّم، وأوعز فيه أبلغ الايعاز، وأكّد فيه أكثر التأكيد، فلم أشعر بعد أن قبض النبيّ ﷺ إلّا برجال من بعث أسامة وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم، وأخلَوا مواضعهم، وخالفوا أمر النبيّ ﷺ في ما أنهضهم له وأمرهم به، وتقدّم إليه من ملازمة أميرهم، والسير معه تحت لوائه حتّى ينفذ لوجهه الذي أنفذه إليه، فخلّفوا أميرهم مقيماً في عسكره، وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً الى حلّ عقدة عقدها الله عزّ وجلّ لي ولرسوله ﷺ في أعناقهم فحلّوها، ونبذ عهد عاهدوا الله ورسوله عليه فنكثوه، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجّت به أصواتهم، واختصّت به آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منّا بني عبدالمطّلب، أو مشاركة في رأي، أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي. فعلوا ذلك وأنا بالنبيّ ﷺ مشغول، وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود، فإنّه كان أهمّها وأحقّ ما بدئ به منها، فكان هذا -يا أخا اليهود- أقرح ماورد على قلبي من الذي أنا فيه من عظيم الرزّية، وفاجع المصيبة، وفقد من لاخلف منه إلّا الله تعالى، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها، على تقاربها وسرعة اتّصالها. ثم التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأما الثالثة يا أخا اليهود: فإنّ القائم بعد النبيّ ﷺ كان

يلقاني معتذراً في كلّ أيّامه، ويلوم غيره ما ارتكبه من أخذ حقّي، ونقض بيعتي، ويسألني تحليله فكنت أقول: تنقضي أيّامه ثم يرجع إليّ حقّي الذي جعله الله لي عفواً هنيئاً من غير أن أحدث في الإسلام، مع حدوثه وقرب عهده بالجاهليّة، حدثاً في طلب حقّي بمنازعة لعلّ فلاناً يقول فيها: نعم، وفلاناً يقول فيها: لا. فيؤول ذلك من القول الى الفعل، وجماعة من خواصّ أصحاب محمّد عليه‌السلام أعرفهم بالنصح لله ولرسوله ولكتابه ودينه يأتوني عوداً وبدءاً، وعلانية وسرّاً، فيدعونني إلى أخذ حقّي، ويبذلون أنفسهم في نصرتي ليؤدّوا إليّ بذلك بيعتي في أعناقهم، فأقول: رويداً وصبراً قليلاً لعل الله يأتيني بذلك عفواً، بلا منازعة ولا اراقة دماء فقد ارتاب كثير من الناس بعد وفاة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وطمع في الأمر بعده من ليس له بأهل. فقال كلّ قوم: منّا أمير، وما طمع القائلون في ذلك إلّا لتناول غيري الأمر، فلمّا دنت وفاة القائم وانقضت أيامه صيّر؛ الأمر بعده لصاحبه، وكانت هذه اخت أختها، ومحلّها منّي مثل محلّها، وأخذا منّي ما جعله الله لي، فاجتمع إليّ من أصحاب محمّد ممّن مضى وممّن بقي ممّن أخّره الله من اجتمع. فقالوا لي فيها مثل الّذي قالوا في أُختها، فلم يعد قولي الثاني قولي الأوّل، صبراً واحتساباً، واشفاقاً من أن تفنى عصبة تألّفهم النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم باللّين مرة، وبالشدة أُخرى، وبالإنذار مرّة، وبالسيف أُخرى، حتّى لقد كان من تألّفه أحسن الناس في المسكن، والشبع والرّي واللباس، والوطاء والدثار، ونحن أهل بيت محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لا سقوف لبيوتنا، ولا أبواب ولا ستور إلّا الجرائد وما أشبهها، ولا وطاء لنا ولا دثار علينا، يتداول الثوب الواحد في الصلاة أكثرنا، ونطوي اللّيالي والأيّام عامّتنا، وربّما أتانا الشيء ممّا أفاءه الله علينا وصيّره لنا خاصّة دون غيرنا ونحن على ما وصفت من حالنا فيؤثر به النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أرباب النعم والأموال تألُّفاً منه

لهم فكنت أحقّ من لم يفرّق هذه العصبة التي ألّفها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن لم يحملها على الخطّة التي لاخلاص لها منها دون بلاغها أو فناء آجالها، لأنّي لو نصبت نفسي فدعوتهم إلى نصرتي كانوا منّي وفي أمري على احدى منزلتين: إمّا متّبع مقاتل، وإمّا مقتول ان لم يتّبع الجميع، وإمّا خاذل يكفر بخذلانه إن قصّر في نصرتي أو أمسك عن طاعتي، وقد علم الله أنّي منه بمنزلة هارون من موسى يحلّ بهم مخالفتي والإمساك عن نصرتي ما أحلّ قوم موسى بأنفسهم في مخالفة هارون وترك طاعته. فرأيت تجرّع الغصص، وردّ أنفاس الصعداء، ولزوم الصبر حتّى يفتح الله لي، أو يقضي بما أحبّ؛ أزيد لي في حظّي، وارفق بالعصابة التي وصفت أمرهم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ولو لم أتّق هذه الحالة ثم طلبت حقّي لكنت أولى ممّن طلبه لعلم من مضى من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بحضرتك منهم بأنّي كنت أكثر عدداً، وأعزّ عشيرة، وأمنع رجالاً، وأطوع أمراً، وأوضع حجّة، وأكثر في هذا الدّين مناقب وآثاراً، لسوابقي وقرابتي ووراثتي فضلاً عن استحقاقي ذلك بالوصية التي لا مخرج للعباد منها، والبيعة المتقدّمة في أعناقهم ممّن تناولها، وقد قبض محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ ولاية الأمّة في يده وفي بيته لا في يد الأُلى تناولوها ولا في بيوتهم، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أولى بالأمر من بعده من غيرهم في جميع الخصال. ثم التفت عليه السلام الى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

قال: واما الرابعة يا أخا اليهود: فإنّ القائم بعد صاحبه كان يشاورني في الأُمور فيصدرها عن أمري، ويناظرني في غوامضها فيمضيها عن رأيي، لا أعلمه أحداً ولا يعلمه أصحابي، يناظره في ذلك غيري، ولا يطمع في الأمر بعده سواي. فلمّا أتته منيّته على فجأة بلا مرض كان قبله، ولا أمر كان أمضاه

في صحّة من بدنه لم أشكّ أنّي قد استرجعت حقّي في عافية بالمنزلة التي كنت أطلبها، والعاقبة التي كنت ألتمسها، وأنّ الله سيأتي بذلك على أحسن ما رجوت، وأفضل ما أمّلت، وكان من فعله أن ختم أمره بأن سمّى قوماً أنا سادسهم، ولم يسوّني بواحد منهم، ولا ذكر لي حالاً في وراثة الرسول، ولا قرابة ولا صهر ولا نسب، ولا لواحد منهم مثل سابقة من سوابقي، ولا أثر من آثاري، وصيّرها شورى بيننا، وصيّر ابنه فيها حاكماً علينا، وأمره أن يضرب أعناق النفر الستّة الذين صيّر الأمر فيهم إن لم ينفذوا أمره، وكفى بالصبر على هذا يا أخا اليهود صبراً، فمكث القوم أيّامهم كلّها كلّ يخطب نفسه، وأنا ممسك حتّى سألوني عن أمري فناظرتهم في أيّامي وأيّامهم، وآثاري وآثارهم، وأوضحت لهم ما لم يجهلوه من وجوه استحقاقي لها دونهم، وذكّرتهم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، وتأكيد ما أكّده من البيعة لي في أعناقهم، فدعاهم حبُّ الإمارة، وبسط الأيدي والألسن في الأمر والنهي، والركون الى الدّنيا، والاقتداء بالماضين قبلهم؛ الى تناول ما لم يجعل الله لهم، فإذا خلوت بواحد ذكّرته أيّام الله، وحذّرته ما هو قادمٌ عليه وصائر إليه، التمس منّي شرطاً أن أُصيّرها له بعدي فلمّا لم يجدوا عندي إلّا المحجّة البيضاء، والحمل على كتاب الله عزّ وجلّ ووصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإعطاء كلّ امرئٍ منهم ما جعله الله له، ومنعه مما لم يجعله الله له، أزالها عنّي الى ابن عفّان طمعاً في الشحيح.

ثم لم أعلم القوم أمسوا من يومهم ذلك حتّى ظهرت ندامتهم، ونكصوا على أعقابهم، وأحال بعضهم على بعض، كلّ يلوم نفسه ويلوم أصحابه، ثم لم تطل الأيام بالمستبدّ بالأمر حتّى أكفروه، وتبرّءوا منه. فكانت هذه يا أخا اليهود أكبر من أُختها وأفظع فنالني منها الّذي لا يبلغ وصفه، ولم يكن عندي إلّا الصبر على ما هو أمضّ منها، ولقد أتاني الباقون من الستّة من يومهم كلّ

راجع عمّا كان ركب منّي يسألني خلع ابن عفّان، والوثوب عليه وأخذ حقّي، ويعطيني صفقته وبيعته على الموت تحت رايتي، أو يرد الله عزّوجلّ عليّ حقي، فوالله يا أخا اليهود! ما منعني منها إلّا الذي منعني من أُختيها قبلها، ورأيت الإبقاء على من بقي من الطائفة أبهج لي وآنس لقلبي من فنائها، وعلمت أنّي إن حملتها على دعوة الموت ركبته. فأمّا نفسي فقد علم من حضر ممّن ترى ومن غاب من أصحاب محمّد ﷺ أنّ الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الشديد الحرّ من ذي العطش الصديّ، ولقد كنت عاهدت الله عزّوجلّ أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة عهداً وفينا به لله عزّوجلّ ولرسوله، فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم لما أراد الله عزّوجلّ فأنزل الله تعالى فينا ﴿رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾[1] حمزة وجعفر وعبيدة من قضى نحبه وأنا والله المنتظر، وما بدّلت تبديلا وما سكّتني عن ابن عفان وحثّني على الإمساك عنه إلّا أنّي عرفت من وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة عهداً وفينا به لله عزّوجلّ ولرسوله، فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم لما أراد الله عزّوجلّ فأنزل الله تعالى فينا ﴿رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾[2] حمزة وجعفر وعبيدة من قضى نحبه وأنا والله المنتظر، وما بدّلت تبديلا وما سكّتني عن ابن عفان وحثّني على الإمساك عنه إلّا أنّي عرفت من أخلاقه في ما اختبرت منه بما لن يدعه حتّى يستدعي الأباعد إلى قتله وخلعه، فضلاً عن الأقارب، وأنا في عزلة. فصبرت حتّى كان ذلك، لم أنطق فيه بحرف من «لا» ولا «نعم» ثمّ أتاني القوم وأنا ـ علم الله ـ كارهٌ، لمعرفتي بما تطامعوا به من اعتقاد الأموال والمرح في الأرض،

(١ و ٢) الاحزاب: ٢٣.

وعلمهم بأنّ تلك ليست لهم عندي وشديد عادة منتزعة فلمّا لم يجدوا عندي تعلّلوا الأعاليل. ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه. فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام وأما الخامسة: فإنّ المتابعين لي لمّا لم يطمعوا في تلك منّي، وثبوا بالمرأة عليّ، وأنا وليّ أمرها والوصي عليها، فحملوها على الجمل، وشدّوها على الرحال، وأقبلوا بها تخبط الفيافي وتقطع البراري، وتنبح عليها كلاب الحوأب. وتظهر لهم علامات الندم في كلّ ساعة، وعندي كلّ حال، في عصبة قد بايعوني ثانية بعد بيعتهم الأولى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى أتت أهل بلدة قصيرة أيديهم، طويلة لحاهم، قليلة عقولهم، عازبة آراؤهم. فأخرجتهم يخبطون بسيوفهم من غير علم، ويرمون بسهامهم بغير فهم، فوقعتُ من أمرهم على اثنتين كلتاهما في محله المكروه، ممّن إن كففت لم يرجع ولم يعقل، وإن كنت أقمت قد صرت إلى الّتي كرهت، فقدّمت الحجّة بالإعذار والإنذار، ودعوت المرأة إلى الرجوع إلى بيتها، والقوم الّذين حملوها إلى الوفاء ببيعتهم لي والترك لنقض عهد الله عزّوجلّ فيّ، وأعطيتهم من نفسي كلّ الّذي قدرت عليه، وناظرت بعضهم فرجع، وذكرته فذكر، ثم أقبلت على الناس بمثل ذلك، فلم يزدادوا إلّا جهلاً وتمادياً وغيّاً، فلّما أبوا إلّا هي ركبتها منهم فكانت عليهم الدبرة وبهم الهزيمة، ولهم الحسرة، وفيهم الفناء والقتل، وحملت نفسي على الّتي لم أجد بدّاً، منها وأظهرته آخراً مثل الّذي وسعني منه أوّلاً من الأغضاء رالإمساك، ورأيتني إن أمسكت كنت معيناً لهم عليّ بإمساكي على ما صاروا إليه وطمعوا فيه، من تناول الأطراف، وسفك الدماء، وقتل الرعية، وتحكيم النساء النواقص العقول والحظوظ على كلّ حال، كعادة بني الأصفر ومن مضى من ملوك سبأ والأمم الخالية. فأصير إلى ما كرهت أوّلاً وآخراً، وقد أهملت المرأة وجندها يفعلون ما وصفت بين الفريقين من

الناس، ولم أهجم على الأمر إلّا بعدما قدمت وأخرت، وتأنيت وراجعت، وأرسلت وسافرت، وأعذرت وأنذرت، وأعطيت القوم كلّ شيء يلتمسوه بعد ان عرضت عليهم كلّ شيء لم يلتمسوه، فلمّا أبوا إلّا تلك أقدمت عليها، فبلغ الله بي وبهم ما أراد، وكان بي عليهم بما كان منّي إليهم شهيداً. ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: وأما السادسة يا أخا اليهود: فمحاربة ابن آكلة الأكباد، وهو طليق ابن طليق، معاند لله عزّوجلّ ولرسوله وللمؤمنين، منذ بعث الله محمّدا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن فتح الله عليه مكّة عنوة، فأخذت بيعته وبيعة أبيه لي معه في ذلك اليوم وفي ثلاثة مواطن بعده، وأبوه بالأمس أوّل من سلّم عليّ بإمرة المؤمنين، وجعل يحثّني على النهوض في أخذ حقّي من الماضين قبلي، يجدّد لي بيعته كلّما أتاني، وأعجب العجب انّه لمّا رأى ربي تعالى قد ردّ إليّ حقّي وأقرّه في معدنه، وانقطع طعمه أن يصير في دين الله رابعاً، وفي أمانة الله حاكماً، كرّ على العاصي ابن العاص طمعه فاستماله فمال عليّ، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر، وحرام عليه أن يأخذ من الفيء دون قسمه درهماً، وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقّه، فأقبل يخبط البلاد بالظلم، ويطأها بالفتن، فمن تابعه أرضاه، ومن خالفه ناواه ثم توجّه إليّ ناكثاً علينا، مغيراً في البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً، والأنباء تأتيني، والأخبار ترد عليّ بذلك، فأتاني أعور ثقيف فأشار عليّ أن أولّيه البلاد الّتي هو بها لأُداريه بما أولّيه منها، وفي الّذي أشار به الرأي في أمر الدنيا لو وجدت عند الله عزّوجلّ في توليته لي مخرجاً، وأصبت لنفسي في ذلك عذراً. فأعملت الرأي في ذلك، وشاورت من أثق بنصيحته لله عزّوجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولي وللمؤمنين؛ فكان رأيه في ابن آكلة الأكباد كرأيي، ينهاني عن توليته، ويحذّرني أن أُدخل

في أمر المسلمين يده، ولم يكن الله ليراني متّخذ المضلّين عضداً. فوجّهت إليه أخا بجيلة مرّة، وأخا الأشعريّين أُخرى، كلاهما ركن إلى الدّنيا، وتابع هواه في ما أرضاه، فلّما لم أره يزداد في ما انتهك من محارم الله إلّا تمادياً؛ شاورت من معي من أصحاب محمّد ﷺ البدريّين، والّذين ارتضى الله عزّوجلّ أمرهم ورضي عنهم بعد بيعتهم، وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين، فكل يوافق رأيه رأيي في غزوته ومحاربته ومنعه ممّا نالت يده، وإني نهضت إليه بأصحابي، وأُنفذ إليه من كلّ موضع كتبي، وأُوجّه إليه رسلي أدعوه إلى الرجوع عمّا هو فيه والدخول في ما فيه الناس معي. فكتب يتحكم عليّ ويتمنّى عليّ الأماني، ويشترط عليّ شروطاً لا يرضاها الله تعالى ورسوله ولا المسلمون، ويشترط في بعضها أن أدفع إليه أقواماً من أصحاب محمّد ﷺ أبراراً فيهم عمّار بن ياسر وأين مثل عمّار! والله لقد رأيتنا مع النبيّ ﷺ وما يعدّ منّا خمسة إلّا كان سادسهم، ولا أربعة إلّا كان خامسهم، اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم بما انتحل دم عثمان، ولعمر الله ما ألّب على عثمان ولا جمع الناس على قتله إلّا هو وأشباهه من أهل بيته أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، فلمّا لم أجب إلى ما اشترط من ذلك؛ كرَّ مستعلياً في نفسه لطغيانه وبغيه، بحمير لا عقول لهم ولا بصائر، فموّه لهم أمراً فاتّبعوه، وأعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه، فناجزناهم، وحاكمناهم إلى الله عزّوجلّ بعد الإعذار والإنذار. فلّما لم يزده ذلك إلّا تمادياً وبغياً؛ لقيناه بعادة الله التي عوّدناه من النصر على أعدائه، وراية النبيّ ﷺ بأيدينا، لم يزل الله يفل حزب الشيطان بها حتّى يقضي الموت، وهو مُعلِمٌ رايات أبيه الّتي لم أزل أُقاتلها مع النبيّ ﷺ في كلّ المواطن. فلم يجد من الموت منجىً إلّا الهرب. فركب فرسه، وقلب رايته، لا يدري كيف يحتال. فاستعان برأي ابن العاص فأشار

عليه بإظهار المصاحف، ورفعها بأعلى الأعلام والدعاء إلى ما فيها وقال: إنّ ابن أبي طالب وحزبه أهل بصائر ورحمة، وقد دعوك إلى كتاب الله أولاً وهم مجيبوك إليه آخراً، فأطاعه في ما أشار به عليه، إذ رأى انّه لا منجى له من القتل أو الهرب غيره، فرفع المصاحف يدعو إلى ما فيها بزعمه، فمالت إلى المصاحف قلوب من بقي من أصحابي بعد فناء أخيارهم، وجهدهم في جهاد أعداء الله على بصائرهم، وظنّوا أنّ ابن آكلة الأكباد له الوفاء بما دعا إليه، فأصغوا إلى دعوته، وأقبلوا بأجمعهم في إجابته، فأعلمتهم أنّ ذلك مكرٌ منه ومن ابن العاص، وأنّهما إلى النكث أقرب منهما إلى الوفاء، فلم يقبلوا قولي، ولم يطيعوا أمري، وأبوا إلّا إجابته، كرهت أم هويت، شئت أو أبيت، حتّى أخذ بعضهم يقول لبعض: إن لم يفعل فألحقوه بابن عفّان أو ادفعوه إلى ابن هند برمته، فجهدت ـ عَلِمَ اللهُ ـ جهدي، ولم أدع غلّة في نفسي إلّا بلغتها في أن يخلّوني ورائي فلم يفعلوا، وراودتهم على الصبر على مقدار فواق الناقة أو ركضة الفرس، فلم يجيبوا، ما خلا هذا الشيخ ـ وأشار بيده إلى الأشتر ـ وعصبة من أهل بيتي، فوالله ما منعني أن أمضي على بصيرتي إلّا مخافة أن يقتل هذان ـ وأومأ بيده إلى الحسن والحسين عليهما السلام ـ فيقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذرّيته من أُمّته، ومخافة أن يقتل هذا وهذا ـ وأومأ بيده إلى عبدالله بن جعفر ومحمّد بن الحنفية ـ فإني أعلم لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف، فلذلك صبرت على ما أراد القوم، مع ما سبق فيه من علم الله عزّوجلّ.

فلمّا رفعنا عن القوم سيوفنا؛ تحكّموا في الأمور، وتخيّروا الأحكام والآراء، وتركوا المصاحف، وما دعوا إليه من حكم القرآن، وما كنت أُحكِّمُ في دين الله أحداً إذ كان التحكيم في ذلك الخطأ الذي لا شكّ فيه ولا امتراء، فلّما أبوا إلّا ذلك أردتُ أن أُحكّم رجلاً من أهل بيتي، أو رجالاً ممّن أرضى رأيه وعقله،

وأثق بنصيحته ومودّته ودينه، وأقبلت لا أُسمّي أحداً إلّا امتنع منه ابن هند، ولا أدعوه إلى شيء من الحقّ إلّا أدبر عنه، وأقبل ابن هند يسومنا عسفاً، وما ذلك إلّا باتّباع أصحابي له على ذلك، فلمّا أبوا إلّا غلبتي على التحكيم؛ تبرّأتُ إلى الله تعالى منهم، وفوّضت ذلك إليهم، فقلّدوه امرأً، فخدعه ابن العاص خديعة ظهرت في شرق الأرض وغربها، وأظهر المخدوع عليه ندماً.

ثمّ أقبل عليه السلام على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

قال عليه السلام: وأما السابعة يا أخا اليهود: فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان عهد إلي أن أُقاتل في آخر الزمان من أيّامي قوماً من أصحابي يصومون النهار، ويقومون الليل، ويتلون الكتاب، يمرقون بخلافهم عليّ، ومحاربتهم إيّاي من الدّين مروق السهم من الرمية، فيهم ذو الثُدَيّة، يختم لي بقتلهم بالسعادة. فلمّا انصرفت إلى موضعي هذا أقبل بعض القوم على بعض باللّائمة في ما صاروا إليه من تحكيم الحكمين، فلم يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجاً إلّا أن قالوا: كان ينبغي لأميرنا أن لا يبايع من أخطأ، وأن يقضي بحقيقة رأيه على نفسه وقتل من خالفه منّا، فقد كفر بمتابعته إيّانا وطاعته لنا في الخطأ، وأحلّ لنا بذلك قتله وسفك دمه فتجمّعوا على ذلك، وخرجوا راكبين رؤوسهم ينادون بأعلى أصواتهم: لا حُكْمَ إلّا لله، ثم تفرّقوا فرقة بالنخيلة، وأُخرى بحروراء، وأُخرى راكبة رأسها تخبط الأرض شرقاً حتّى عبرت دجلة، فلم تمرّ بمسلم إلّا امتحنته، فمن تابعها استحيته، ومن خالفها قتلته، فخرجت إلى الأوليين واحدة بعد أُخرى، أدعوهم إلى طاعة الله عزّوجلّ والرجوع إليه، فأبيا إلّا السيف، فلمّا أعيت الحيلة فيهما حاكمتهما إلى الله عزّ وجلّ فقتل الله هذه وهذه، وكانوا ـ يا أخا اليهود ـ لولا ما فعلوا لكانوا ركناً قويّاً وسدّاً منيعاً، فأبى الله إلّا ما صاروا إليه، ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة ووجّهتُ رسلي تترى وكانوا من

جلّة أصحابي، وأهل التعبّد منهم والزهد في الدنيا، فأبت إلّا اتّباع أُختيها، والاحتذاء على مثالهما، وأسرعت في قتل من خالفها من المسلمين، وتتابعت إليّ الأخبار بفعلهم، فخرجت حتّى قطعت إليهم دجلة، أُوجّه السفراء والنصحاء، وأطلب العتبى بجهدي، بهذا مرّة وبهذا مرّة ـ وأومأ بيده إلى الأشتر والأحنف بن قيس وسعيد بن قيس الأرحبيّ والأشعث بن قيس الكندي ـ فلمّا أبوا إلّا تلك؛ ركبتها منهم فقتلهم الله يا أخا اليهود عن آخرهم، وهم أربعة آلاف أو يزيدون، حتّى لم يفلت منهم مخبر، فاستخرجت ذا الثُدَيَّة من قتلاهم بحضرة من ترى له ثُدَيٌّ كثُدَيِّ المرأة.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: فقد وفيت سبعاً وسبعاً، وبقيت الأُخرى وأوشك بها. فقالوا: أخبرنا بالأُخرى. فقال: أن تخضب هذه ـ وأومأ بيده إلى لحيته ـ من هذه ـ وأومأ بيده إلى هامته ـ وارتفعت أصوات الناس بالضجّة والبكاء حتّى لم يبق بالكوفة دار إلّا خرج أهلها فزعاً، وأسلم رأس اليهود على يديه من ساعته، ولم يزل مقيماً معه عليه السلام حتّى قتل عليه السلام وأخذ ابن ملجم، فأقبل رأس اليهود فقال للحسن عليه السلام: أُقتله قتله الله، فإنّي رأيت في الكتب الّتي أُنزلت على موسى عليه السلام: أنّ هذا أعظم جرماً من ابن آدم قاتل أخيه، ومن قيدار عاقر ناقة ثمود[1].

قلت: وهو خبر متين لكن كأنّه وقع في بعض مواضعها تقديم وتأخير وفي بعضها خلط. فلم يذكر في التاريخ إرساله عليه السلام أشعرياً إلى معاوية.

«احملهم من الحقّ على محضه» قال المفيد: وقوله عليه السلام «فان ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه» أدلّ دليل على انّه عليه السلام لم

---

(١) أخرجه الصدوق في الخصال ٢: ٣٦٤ ح ٥٨، باب السبعة، بالسند المذكور وبسنده عن جابر الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام، والنقل بتصرف في اللفظ.

يستقرّ به الأمر، ولم يتمكن من إنفاذ حكم من الأحكام[١].

قلت: وقد أقر عمر بكونه عليه‌السلام لو كان له تمكن يحمل الناس على محض الحق فقال حين وفاته مخاطباً له عليه‌السلام من ستّة الشورى «وأنّك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحقّ المبين والصراط المستقيم»[٢].

«وان تكن الأُخرى» ولم ترتفع المحن، ولم أتمكن من حملهم على الحق.

﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات انّ الله عليم بما يصنعون﴾ اقتباس من قوله تعالى في الآية الثامنة من سورة فاطر.

روى (الكافي): أنّه عليه‌السلام خطب الناس بالمدينة. فقال: أيُّها الأُمة الّتي خُدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها، فأصرّت على ما عرفت، واتبعت أهواءها وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدّت عنه، والطريق الواضح فتنكّبته ـ إلى أن قال ـ عمّا قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم ـ الخبر[٣].

وفي (تاريخ اليعقوبي): أتى قيس بن سعد بن عبادة معاوية. فقال له معاوية: بايع، فقال قيس: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية! لقد حرصت أن أُفرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك، فأبى الله يا آبن أبي سفيان إلّا ما أحبّ. ثم أقبل قيس على الناس فقال: (يا معشر الناس! لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ، والكفر من الايمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيّد المرسلين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين؛ قد وليكم الطليق ابن الطليق، يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك

---

(١) نقله عن العيون والمحاسن للمفيد الشريف المرتضى في الفصول المختاره ١: ٤٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) جاء في الامامه والسياسة ١: ٢٥، وغيره.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٣٢ ح ٥، في ضمن الخطبة الطالوتية.

أنفسكم؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون). فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال: أقسمت عليك. ثم صفق على كفّه ونادى الناس بايع قيس فقال: كذبتم والله ما بايعت[1].

هذا، وقال البحتري في قتل بني حميد:

ولا عجب للأسد أن ظفرت بها   كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشي سقت حمزة الردى   وموت عليٍّ من حسام ابن ملجم

والظاهر أنّ قوله «من فصيح وأعجم» متعلّق بقوله «ولا عجب».

٨
الكتاب (٦٤)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَاذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهَا ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَرْباً. وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ، فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ. وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي جَمْعِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ. فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدْ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ   بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٦، والنقل بتلخيص.

فَإِنَّكَ وَاللّهِ مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ، وَالأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ! وقَرِيبٌ ما أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمامٍ وأَخْوالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقاوَةُ وتَمَنِّي الْباطِلِ، عَلَى ٱلجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَصُرِعُوا مَصارِعَهُمْ حَيثُ عَلِمْتُ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، ولَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ ما خَلَا مِنها ٱلْوَغَى، ولَمْ تُماشِهَا الْهُوَيْنَى.

أقول: قال ابن أبي الحديد: كتاب معاوية الّذي كان كتابه عليه السلام هذا جوابه «من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب. أما بعد، فإنّا بني عبد مناف لم نزل ننزع من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر. كلمتنا مؤتلفة، وأُلفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العِرق، ويحوينا شرف النجار، ويحنو قويّنا على ضعيفنا، ويواسي غنيّنا فقيرنا، فقد خلصت قلوبنا من دغل الحسد، وطهرت أنفسنا من خبث التخية. فلم نزل كذلك. حتّى كان منك ما كان من الإدهان في أمر آبن عمك والحسد له، وتضريب الناس عليه. حتى قتل بمشهد منك. لا تدفع عنه بلسان ولا يد، فليتك أظهرت نصره حيث أسررت خشره. فكنت كالمتعلّق بين الناس بعذر وإن ضعف، والمتبرّي من دمه بدفع وان وهن، ولكنّك جلست في دارك تدسّ إليه الدواهي وترسل إليه الأفاعي. حتّى إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماتة، وأبديت طلاقة، وحسرت للأمر عن ساعدك، وشمّرت عن ساقك، ودعوت الناس إلى نفسك، وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك، ثم كان منك بعدما كان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمّد وطلحة، وأبي

عبدالله الزبير وهما من الموعودين بالجنّة والمبشّر. قاتل أحدهما بالنار في الآخرة، وتشريدك بأُم المؤمنين عائشة واحلالها محل الهون. مبتذلة بين الأعراب، وفسقة أهل الكوفة؛ فمن بين منتهد لها وساخر منها. أترى ابن عمّك كان بهذا لو رآه راضياً؟ أم كان يكون عليه ساخطاً، ولك عنه زاجراً؛ أن تؤذي أهله، وتشرّد بحليلته، وتسفك دماء أهل ملّته. ثم تركك دار الهجرة الّتي قال رسول الله عنها «انّ المدينة لتنفي خبثها. كما ينفي الكير خبث الحديد» فلعمري لقد صدق وعده وصدق قوله، ولقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها، فأقمت بين المصرين، وبعدت عن بركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً من مجاورة خاتم النبوّة، ومن قبل ذلك، ما عيّبت خليفتى رسول الله أيّام حياتهما. فقعدت عنهما، وألبت عليها وآمتنعت من بيعتهما، ورمت أمراً لم يرك الله له أهلاً، ورقيت سلّماً وعراً، وحاولت مقاماً دحصاً وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً، ولعمري لو وليتها حينئذٍ لما ازدادت إلّا فساداً واضطراباً، ولا أعقبت ولايتكها إلّا إنتشاراً وإرتداداً. لأنّك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده، وها أنا سائر اليك في جمع من المهاجرين والأنصار، تحفّهم سيوف شاميّة، ورماح قحطانية، حتّى يحاكموك إلى الله، فانظر لنفسك والمسلمين، وادفع إليّ قتلة عثمان. فإنّهم خاصّتك وخلصاؤك، والمحدقون بك، فإن أبيت الّا سلوك سبيل اللجاج، والإصرار على الغيّ والضلال، فاعلم أنّ هذه الآية نزلت فيك، وفي أهل العراق معك: ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠١، والنقل بتصرف يسير، والآية ١١٢ من سورة النحل.

قلت: وروى ابن قتيبة في (خلفائه) كتاب معاوية، وجواب أمير المؤمنين عليه السلام. مع اختلاف. فقال: لمّا استقام أمر الشام على معاوية، وبايعوه كتب إلى عليّ عليه السلام «أما بعد! فإنّا كنّا نحن وإيّاكم يداً جامعة وأُلفةً أليفة، حتّى طمعت يا ابن أبي طالب. فتغيرت، وأصبحت تعدّ نفسك قويّاً على من عاداك بطغام أهل الحجاز، وأوباش أهل العراق، وحمقى الفسطاط، وغوغاء السواد وأيم الله لينجلين عنك حمقاها، ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء. قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلّماً. اطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك، وقتلت الزبير وطلحة، وشردت بأُمّك عائشة، ونزلت بين المصرين. فمنّيت و تمنيت، وخيّل لك أنّ الدنيا قد سخّرت لك بخيلها ورجلها، وانّما تعرف امنيتك لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقية الإسلام، فيحيطون بك من ورائك، ثم يقضي الله علمه فيك، والسلام على أوليائه».

فأجابه عليّ عليه السلام «أما بعد فقدّر الأُمور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده، ولا يشتغل بالهزل من قوله. فلعمري لئن كانت قوّتي بأهل العراق أوثق عندي من قوّتي بالله، ومعرفتي به. ليس عنده بالله تعالى يقين من كان على هذا، فناجِ نفسك مناجاة من يستغني بالجد دون الهزل، فإنّ في القول سعة، ولن يعذر مثلك في ما طمح إليه الرجال، وامّا ما ذكرت من انّا كنّا وإيّاكم يداً جامعة. فكنّا كما ذكرت. ففرّق بيننا وبينكم أنّ الله بعث رسوله منّا؛ فآمنّا به وكفرتم. ثم زعمت أنّي قتلت طلحة والزبير. فذلك أمرٌ غبت عنه، ولم تحضره، ولو حضرته لعلمته. فلا عليك، ولا العذر فيه اليك، وزعمت انّك زائري في المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين أسر أخوك. فإن يك فيك عجل فاسترقه وكان أزرك فجدير أن يكون الله بعثني عليك للنقمة منك»[1].

(١) الإمامة والسياسة ١: ٨٠.

وأما قوله عليه السلام في الكتاب «وانك والله ما علمت إلّا غلف القلب. المقارب العقل» فجزء كتاب آخر منه عليه السلام رواه المدائني، وكذلك قوله عليه السلام «وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال» إلى آخره كما تراه في شرح (٣٢) من الكتب[١].

والظاهر انّ المصنّف جمع بينهما وبين ما في الكتاب لكونها في موضوع واحد، وان كان احتمال وقوفه على رواية جامعة للجميع أيضاً غير بعيد.

قول المصنّف «ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً» هكذا في (المصرية) وفيها سقط. فزاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٢] بعده «عن كتابه».

«أما بعد فانّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة» الأصل في ذكر معاوية كونهم على الألفة والجماعة حتّى فرّق هو بينهم، قول أبي جهل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه كان يقول: إنّ قريشاً كانوا بجميع طوائفهم على الألفة حتّى فرّق بينهم محمّد.

«ففرّق بيننا وبينكم أمس أنّا آمنّا وكفرتم، واليوم انّا استقمنا وفُتنتم» لمّا غالط معاوية. لمّا أراد أن يجعل نفسه في عداده عليه السلام بانّ بني هاشم وبني أُميّة كلّهم بنو عبد مناف، ولم يكن بينهم فرق إلى أن كان الإدهان منه في أمر عثمان كما عرفت من كتابه، والأصل في مغالطته قول عمر يوم الشورى لمّا أراد أن يسوّي بين عثمان الّذي كانت سوابقه أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الدفاع عن بني أُمية أعداء الله، وأعداء رسوله ودينه كما كانت لواحقه في ايّامه احداثه الّتي ألجأت المسلمين إلى قتله، وبين أمير المؤمنين عليه السلام الّذي كان بمنزلة نفس

---

(١) يأتي في العنوان ٤ من الفصل الثاني والعشرين.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠٠، لكن لم توجد الزيادة في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٧.

النبيّ ﷺ بنصّ القرآن، وبمشاهدة العيان ـ بكونهما من بني عبد مناف ولا يلحقهما ابن عوف الّذي من زهرة ـ بيّن عليه السلام عن مغالطة معاوية بأنّه فرّق بينهما انّ الله تعالى بعث نبيّه من بني هاشم فاتّبعه أهل بيته، وفي رأسهم هو عليه السلام فآمن به ساعة بعثه، وعاداه بنو أُمية، وفي رأسهم أبوه وهو. كما تبعهما بعد ذلك ذووه مع تصدّيهم لعنوان خلافة النبيّ ﷺ.

وفي (الطبري): أنّ أبا بكر الهذلي قال للمنصور: أنّ الفرزدق حضر الوليد بن يزيد، وقد اصطلح مع ندمائه. فقال لابن عائشة: تغنّ بشعر ابن الزبعرى في أُحد:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
وقتلنا الضعف من ساداتهم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فقال: لا أُغنّي. فقال: غنّه، وإلّا جدّعت لهواتك، فغنّاه، فقال: أحسنت والله انّه لعلى دين ابن الزبعري يوم قال هذا الشعر[1].

والأصل في كلام الوليد ابنه يزيد يوم جيء إليه برأس سيّد شباب أهل الجنّة أبي عبدالله عليه السلام. فتمثّل بأبيات ابن الزبعرى وزاد عليها:

لعبت هاشم بالملك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
لستُ من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

ويُقال لمعاوية: على قولك، وقول فاروقكم الّذي هيّأ لك ذاك المقام لا فرق بين النبيّ ﷺ وبين أبي سفيان لكون كلّ منهما من بني عبد مناف بل كون أبي سفيان أشرف من النبيّ ﷺ لكونه أوقر في صدور قريش.

وأما قول معاوية في نسبة الإدهان إليه عليه السلام في أمر عثمان حتى قتل بمشهد منه، ولم يدفع عنه بيد ولا لسان فلا ننكره، ويكفي ذلك عثمان خزياً،

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٧، سنة ١٥٨.

وكونه شاهداً على إباحة دمه.

وكيف ينكر وقاتلوه كانوا خواصّه عليه السلام ويجهرون بكونه كافراً ومباح الدم، ومنه يظهر أنّ ما قالوا إنّه عليه السلام أرسل ابنه الحسن عليه السلام للدفاع عن عثمان، وأنّه عليه السلام لما سمع بقتله جاء، وسبَّ ابنه وباقي الحاضرين لِمَ لَمْ يدافعوا عنه، بهتان وافتراء.

وكيف ويقول معاوية في كتابه «فليتك أظهرت نصره حيث أسررت خشره» إلى آخر ما مر، ويقول عمرو بن سعيد في قتل الحسين عليه السلام «يوم بيوم عثمان» وتمثّل لمّا سمع الصرخة من بيوت بني هاشم:

ضجّت نساء بني زياد ضجّة كضجيج نسوتنا غداة الأرنب

وليس كلام معاوية ذاك تتعلّق به شبهة كما تتعلّق بقوله له عليه السلام «وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك» مع انثيال الناس عليه عليه السلام شوقاً إلى بيعته حتّى شقوا عطفيه لأنّ في بيعته عليه السلام كان مقام شبهة لمعاوية حيث إنّ طلحة والزبير، وان بايعاه طوعاً إلّا أنّهما لم يكونا راضيين ببيعته قلباً، ولم يمكنهما إظهار ذلك لمّا رأيا إقبال الناس عليه عليه السلام بتلك الكيفية، وادّعيا بعد ذلك الإجبار بخلاف أمر عثمان فلم يكن فيه موضع شبهة، وانه كان عنده عليه السلام مباح الدم، وإلّا لم يكن يداهن قاتليه، كيف ولم يداهن قاتل هرمزان العجمي، وهو عبيدالله بن عمر في خلافة عثمان، وامضاء عثمان لفعله، فهدّد عبيد الله حتى اضطر إلى الخروج من المدينة[1]، فكيف يداهن في أيّام خلافته قاتلي عثمان لو لم يكن قتله بحقّ.

«وما أسلم مسلمكم إلّا كرهاً، وبعد ان كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرباً» أنف الإسلام: أي: أوّله. قال الجوهري: وأنف كلّ شيء أوّله، و «روضة

---

(١) رواه البلاذري في انساب الاشراف ٥: ٢٤، وغيره.

أنف» بالضم: أي: لم يرعها أحد و «كأس أنف» لم يشرب بها قبل ذلك، والاستيناف الابتداء وكذلك الايتناف، وقلت كذا آنفاً وسالفاً[١] وفي الأساس «وجارية أنف» لم تطمث وقال طريح الثقفي:

أيّام سلمى غريرة أنف كأنها خوط بانة رود

وكأس أنف قال الحطيئة:

ويحرم سرّ جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع[٢]

وهو ظرف متعلّق بـ: «حرباً» بالراء خبر كان واسمه ضمير مسلمكم ومعنى الكلام ما أسلم يا معاوية مسلمكم هو وأبوه، وأخوه وأُمّه وذووه إلّا كرهاً لا اختياراً وعن رضى، بفتح مكّة، وإلّا بعد أن كان في صدر الإسلام كلّه محارباً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا فهم الكلام ابن أبي الحديد فقال هنا: وكان أبو سفيان وأهله من بني عبدشمس أشدّ الناس على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل الهجرة إلى أن فتح مكّة[٣].

وقرأ «ثم» «أنف الإسلام» بالرفع اسماً لكان وقرأ «حرباً» بالراء «حزباً» بالزاي، وأسقط العاطف من قوله «وبعد» فقال المعنى: «ومسلم أهل معاوية لم يسلم إلّا كرهاً بعد أن اشتدّ الإسلام وصار للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حزب قوي من أشراف العرب، واستعار لفظ أنف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعزّاء أهله»[٤].

وهو كما ترى بلا معنى، وانما يصحّ استعارة الأنف للأشراف لا استعارة أنف للإسلام. قال الحطيئة «قوم هم الأنف، والأذناب غيرهم» وانّما

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٣٣٢، مادة أنف والنقل بتقطيع.

(٢) اساس البلاغة: ١١، مادة أنف.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٧ و٢٠٩، لكن مع العاطف.

أنف الإسلام أوّله وصدره.

وقال عليه السلام في إسلام معاوية وأبيه وباقي بني أُميّة في كلام آخر «ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً رجعوا إلى عدوانهم منّا»[١].

وكونهم كما قال عليه السلام من إسرارهم كفرهم وإظهارهم له في موقع لا يخافون أمر معلوم، فقد قال أبو سفيان يوم نال عثمان الخلافة بتدبير عمر له في مجلسه مخاطباً لعثمان، وباقي بني أُميّة «تداولوا الأمر والسلطنة بينكم تداول الكرة فما من جنّة ولا نار»[٢].

ولما قال المغيرة بن شعبة لمعاوية بأنّه نال مراده من نيل الخلافة فليخفّف من شدّته على الشيعة، ويترك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام. قال له معاوية إنّه يتأسّف على عدم قدرته على محو اسم محمّد[٣].

ومع أنّ أبا بكر وعمر كانا يعرفان ذلك منهما مهّدا لهم الأمر بتولية يزيد بن أبي سفيان أوّلاً على الشام ثم معاوية. ثم شيّد عمر لمعاوية وجميع بني أُميّة. خلافة النبوة بالتدبير لخلافة عثمان في كيفية الشورى، وجعل ابن عوف حكماً، فالأفعال الّتي فعلها معاوية، والأقوال الّتي قالها لأمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب، وكتبه الأُخرى، ومقامات أُخرى كعمل جروه مع عترة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم انّما هي في الحقيقة أفعال عمر وأقواله وأعماله.

«وذكرت انّي قتلت طلحة والزبير، وشرّدت بعائشة، ونزلت بين المصرين وذلك أمر غبت عنه فلا عليك، ولا العذر فيه اليك» قال ابن أبي الحديد اعرض عليه السلام

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢١٥.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٦ و٣٧، وابن عبدالبر في الاستيعاب ٤: ٨٧، وغيرها.

(٣) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات عنه في البحار: ٥١٨.

عنه بهذا الجواب هواناً به.

والجواب المفصّل هو أنّ طلحة والزبير قتلا نفسيهما ببغيهما ونكثهما ـ إلى أن قال ـ ولعليّ عليه السلام أن يقلّب الكلام عليه فيقول: أفتراه لو عاش أكان يرضى لحليلته أن تؤذي أخاه ووصيّه؟ وأيضاً أتراه لو عاش أكان يرضى لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع علياً الخلافة وتفرّق جماعة هذه الأمة؟ وأيضاً أتراه لو عاش كان يرضى لطلحة والزبير أن يبايعا ثم ينكثا لا لسبب بل قالا جئنا نطلب الدراهم فقد قيل لنا إنّ بالبصرة أموالاً كثيرة[1].

قلت: بل الأولى الإعراض عن جوابه كما فعل عليه السلام، فالمكابر ليس له جواب فكلام معاوية في أهل الجمل وأنّه عليه السلام قتل طلحة والزبير نظير قوله لمّا قيل له إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ عماراً تقتله الفئة الباغية»[2] «وقد قتلتموه فأنتم الفئة الباغية» إنّا ما قتلناه، بل عليّ قتله حيث جاء به إلى حربنا.

ولِمَ قال ابن أبي الحديد انّ له عليه السلام أن يقلّب على معاوية الكلام فهو أمر كان واقعاً فإنّ الله قال لعائشة في خطابه لأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وقرن في بيوتكنّ ولا تبرَّجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[3] والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لها «تنبحك كلاب الحوأب»[4] كما قال للزبير «تقاتل علياً وأنت له ظالم»[5] وأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه قالوا لهم ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ٢٢٣٥ و٢٢٣٦ ح ٧٠ ـ ٧٣، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٩ ح ٣٨٠٠، وأحمد في مسنده ٢: ١٦٤ و٦: ٢٨٩ و٣٠٠ وجماعة أخرى.

(٣) الاحزاب: ٣٣.

(٤) هذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٦: ٩٧، والحاكم في المستدرك ٣: ١٢٠، والطبري في تاريخه ٣: ٤٧٥، سنة ٣٦، وغيرهم.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ٣٦٦، وابويعلى وابن أبي شيبة وابن راهويه وابن منيع في مسانيدهم، وعنهم المطالب العالية ٤: ٣٠١ ـ ٣٠٣، وغيرهم.

لكن لعمر الله على مباني عقيدة إخواننا من صحة خلافة الثلاثة. تكون أقوال معاوية كلّها صحيحة. فصحّة خلافة صدّيقهم وفاروقهم تستلزم صحّة خلافة ذي نوريهم، وصحّة خلافة ذي نوريهم تستلزم وجوب الخروج على أمير المؤمنين عليه‌السلام وقتاله وقتله. حيث إنّه رضي بقتل ذي نوريهم، وآوى قتلته، ودافع عنهم.

قال ابن أبي الحديد وأمّا قول معاوية له عليه‌السلام «التويت على أبي بكر وعمر» الخ ـ فإنّ علياً عليه‌السلام لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره، ولا ريب انّه كان يدّعي الأمر بعد وفاة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لنفسه على الجملة إما لنصٍّ كما تقوله الشيعة، أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا[1].

قلت: إذا كان أصحابه يعتقدون انّه عليه‌السلام يدّعي الأمر بعد وفاة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لأمر غير النصّ ثم جمعوا بينه عليه‌السلام وبينهم في إسم الإمامة والخلافة. فكان الواجب عليهم إمّا أن يتولّوه عليه‌السلام ويتبرأوا من الثلاثة كما فعلت الشيعة، وإمّا أن يتولوهم، ويتبرأوا منه عليه‌السلام كما فعلت الأُموية والعثمانية، ولعمر الله إنّ الجمع بينه عليه‌السلام، وبينهم كالجمع بين الله تعالى والأصنام.

قال ابن أبي الحديد: وأمّا قول معاوية له عليه‌السلام «لأنّك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه» فقد أسرف في وصفه بما وصفه به ولا شكّ أنّ علياً عليه‌السلام كان عنده زهو لكن لا هكذا، وكان عليه‌السلام مع زهوه ألطف الناس خلقاً[2].

قلت: العجب من هذا الرجل الّذي يدّعي المعرفة؛ ينسب الزهو ـ وهو الكبر ـ إليه عليه‌السلام ولا يفرّق بين الكِبر والعزّة، وقد جعل الله تعالى العزّة لكلّ مؤمن ذي حقيقة، وهو أميرهم بالحقيقة، ووصف غيره بذلك كوصف الأصنام بالألوهية. قال تعالى في ردّ المنافقين الّذين يدعون العزّة لأنفسهم

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠٣.

﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[١].

وكان عليه السلام كما قال تعالى في وصف المؤمنين ﴿أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾[٢] كان عليه السلام يترفع على المنافقين مثل معاوية وأمثاله، ويتواضع للمؤمنين، ومع تواضعه للمؤمنين كان الله تعالى اعطاه مهابة تقشعرّ منها الجلود. فلمّا طلب معاوية من ضرار بن ضمرة أحد شيعته وصفه له فاستعفاه ولم يعفه، قال له في وصفه له عليه السلام في جملة ما قال: «كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منّا أشدّ ما يكون صاحب لصاحبه هيبة لا نبتدئه بالكلام لعظمته»[٣].

ولمّا قال معاوية لقيس بن سعد بن عبادة «كان أبو الحسن هشّاً بشّاً ذا فكاهة» قال له قيس: «أراك تسرحسوا في ارتغاء تعيبه بذلك أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى، تلك هيبة التقوى، ليس كما يهابك طغام أهل الشام»[٤].

ثم لِمَ عاب معاوية في قوله له عليه السلام: «لانك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه» بانّه أسرف، والأصل في كلام معاوية كلام فاروقهم. فقال لابن عباس: إنّ قومكم كرهوا ان يجتمع لكم النبوّة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخاً وبذخاً[٥].

وقال فاروقهم أيضاً لابن عباس: «انّ صاحبكم إن وَلِيَ هذا الأمر

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب ٣: ٤٣، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٤٢١، والصدوق في أماليه: ٤٩٩ ح ٦، المجلس ٩١ وغيرهم والنقل بتصرف يسير.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٨، المقدمة، والنقل بتصرف يسير.

(٥) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٩٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به، فليتني أراكم بعدي...» وقد نقلهما ابن أبي الحديد نفسه في موضع آخر[١].

«وذكرت انّك زائري في المهاجرين الأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك» قال ابن أبي الحديد يعني عليه السلام بأخيه يزيد بن أبي سفيان اسر يوم الفتح في باب الحندمة، وكان خرج في نفر من قريش يحاربون، ويمنعون من دخول مكّة. فقتل منهم قوم، وأُسر يزيد، أسره خالد بن الوليد فخلّصه أبو سفيان منه، وأدخله داره فأمن لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال يومئذٍ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[٢].

قلت: قد عرفت ان (خلفاء ابن قتيبة) نقله «يوم اسر أبوك»[٣] وكذلك نقله «ثم» عن النهج ونسخته من النهج كانت بخطّ مصنّفه، وقال في تفسيره سمّى عليه السلام أخذ العباس لأبي سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غير مختار وعرضه على القتل اسراً.

ونسب «ثم» لفظ «اسر أخوك» إلى الرواية، وأراد به نقل ابن أبي الحديد وحملها على أسر عمرو بن أبي سفيان يوم بدر وقال «ويكون المعنى حينئذٍ بأنّ من شأنه وشأن أهله أن يؤسروا ولا يسلموا، فكيف يدّعون مع ذلك الهجرة»[٤].

قلت: ما ذكره أخيراً تكلّف بارد، والصحيح رواية «أبوك» بعد الإتفاق عليه في (الخلفاء) و (النهج) على ما عرفت، ونقل ابن أبي الحديد تحريف للتشابه الخطي بين لفظ «أبوك» و «أخوك».

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٦ شرح الخطبة ٢٢٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠٣.

(٣) لفظ الإمامة والسياسة ١: ٨١، «حين اسر اخوك».

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٢١٠.

وأيضاً الأنسب بتبكيت معاوية أن يقول عليه السلام له يوم أسر أبوك، وأراد عليه السلام بالأسر انّه كان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أسر أبي سفيان، وولديه يزيد ومعاوية، وباقي قريش، وإنّما منَّ عليهم فسمّاهم الطلقاء[1]، بل لازم كونهم طلقاء استرقاقهم بعد أسرهم. ثم المنّ عليهم بالإطلاق. فكانّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في تلك التسمية أسرهم واسترقهم ثم منَّ، عليهم وأطلقهم.

وفي السير: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا بلغ يوم الفتح مرّ الظهران قال العباس: وا سوء صباح قريش، إن دخل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مكّة عنوة إنّه لهلاك قريش آخر الدهر. فأخذ بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وركبها ليلتمس رجلاً يبعثه إلى قريش يشير عليهم أن يلقوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يدخل مكّة عليهم عنوة، فسمع صوت أبي سفيان ـ وكانت قريش بعثوه يتجسّس لهم الأخبار ـ فقال له العباس: ويحك! هذا النبيّ وهو مصبحكم في عشرة آلاف. فقال له: فهل لي من حيلة. قال: نعم.تركب عجز هذه البغلة. فأذهب بك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فانّه إن ظفر بك دون ذلك ليقتلنّك. وجاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: قد أجرته. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فقد أجرناه. فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت. فغدا به على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟ قال: قد كان يقع في نفسي ان لو كان مع الله إلّه آخر لأغنى قال: ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ قال: أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لشيئاً بعد. فقال له العباس: ويحك قل: لا إله إلّا الله ومحمّد رسول الله قبل أن تقتل. فقاله[2].

وفي السير أيضاً انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا دخل مكّة كانت رايته مع سعد بن عبادة. فنادى سعد يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة. اليوم تسبى الحرمة اليوم

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة ٤: ٤١، والطبري في تاريخه ٢: ٢٣٧، سنة ٨.

(٢) رواه ابن هشام في السيرة ٤: ٣٢، والواقدي في المغازي ٢: ٨١٥ و٨١٦، والنقل بتصرف يسير.

أذلّ الله قريشاً، فنادى أبو سفيان: يا رسول الله أمرت بقتل قومك. فقال عثمان. لا نأمن سعداً أن يكون له في قريش صولة. فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اللواء من سعد. وأعطاه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال العباس لأبي سفيان: ويحك أدرك قومك من قبل أن يدخل عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فخرج حتى انتهى إلى امرأته هند بنت عتبة. فقالت: ما وراءك قال: هذا محمّد في عشرة آلاف عليهم الحديد، وقد جعل لي من دخل داري فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن فقالت: قبّحك الله من رسول قوم، وجعلت تقول: ويحكم أُقتلوه قبّحه الله وافد قوم فيقول ابو سفيان: ويحكم لا تغرنكم هذه. فإني رأيت ما لم تروا محمّداً في عشرة آلاف أسلِموا تسلَموا. فأمسكت هند برأسه، وقالت: بئس طليعة القوم عليكم يا أهل مكّه عليكم الحميت الدسم فاقتلوه[1].

ومن أراد تفصيل الواقعه أبسط يراجع السير وانّما سمّى عليه السلام منهم أباه مع كون جميعهم في حكم الأسير لكونه رئيسهم والأنسب بتبكيت معاوية.

وما أصلب وجه معاوية حيث سمّى المنافقين والطلقاء، والفجرة المهاجرين والأنصار، وسمّى المهاجرين، والأنصار الّذين كانوا معه عليه السلام الطغام.

ولمّا خرج النعمان بن بشير في صفّين إلى قيس بن سعد بن عبادة بأمر معاوية لردع قيس عن ذكر مساوئ معاوية. قال قيس له. في ما قال: انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو اعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور. انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم. ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك (أي مسلمة بن مخلد) ولستما والله ببدريين ولا أُحديين، ولا لكما سابقة في الإسلام، ولا آية في القرآن، ولعمري

---

(١) روى هذا المعنى ابن هشام في السيرة ٤: ٣٦، والواقدي في المغازي ٢: ٨٢١.

لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك (يعني يوم السقيفة في بيعة أبي بكر)[١].

هذا، ونظير قوله عليه السلام هنا لمعاوية «وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أبوك» قول عدي بن حاتم لابن الزبير لمّا قال له «متى فقئت عينك» ـ وكانت فقئت يوم الجمل ـ «يوم قتل أبوك وهربت عن خالتك، وأنا للحق ناصر وأنت له خاذل».

«فإن كان فيك عجل فاسترفه» من قولهم «في رفاهة من العيش» أي في سعة[٢].

«وان تزرني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم   بحاصب بين أغوار وجلمود»

قال ابن دريد: ريح حاصب تقشر الحصى عن وجه الأرض، وأرض جلمدة ذات حجارة الغار المنخفض من الأرض[٣].

وقال ابن أبي الحديد كنت أسمع قديماً أنّ هذا البيت من شعر بشر بن أبي حازم الأسدي والآن فقد تصفّحت شعره فلم أجده، ولا وقفت بعد على قائله[٤].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: إنّه يمكن أن يكون جلمود عطفاً على حاصب وعلى أغوار والأوّل أليق[٥].

قلت: كونه عطفاً على حاصب لا يصحّ إلّا أن يكون معنى «بين أغوار» بين غور وغور.

«وعندي السيف الّذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد» روى

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٤٤٩.

(٢) أسقط الشارح هنا شرح فقرة «فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله بعثني إليك للنقمة منك».

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٢٣ و٣: ٢٥٠ و٣٢٣.

(٤ و ٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢١٩.

نصر بن مزاحم انّه عليه السلام لمّا أراد الشخوص إلى الشام تكلّم أصحابه كلّ بكلام. فقام عبدالله بن بديل الخزاعي، وقال له عليه السلام: إنّ القوم لو كانوا يريدون الله أو لله يعملون ما خالفونا، ولكنّ القوم إنّما يقاتلون فراراً من الأسوة، وحبّاً للأثرة، وضنّاً بسلطانهم، وكرهاً لفراق دنياهم الّتي في أيديهم، وعلى إِحَن في أنفسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم. لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم وإخوانهم ـ ثم التفت إلى الناس فقال ـ فكيف يبايع معاوية أمير المؤمنين عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجدّه عتبة في موقف واحد، والله ما أظنّ أن يفعلوا، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران، وتقطع على هامهم السيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد[١].

وفي (سيرة ابن هشام): بقرت هند عند كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة. فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمي وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيتَ وحشيٌّ غليل صدري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب:

يا بنت وقّاع عظيم الكفر صبّحك الله غداة الفجر
ملهاشميين الطوال الزهر بكل قطّاع حسام يفري
حمزة ليثي وعليٌّ صقري إذ رام شيبٌ وأبوك غدري
فخضّبا منه ضواحي النحر ونذرك السوء فشرّ نذر[٢].

---

(١) وقعة صفين: ١٠٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٣٦ و٣٧، والنقل بحذف بعض الابيات.

قولها «مِلهاشميين» أي: من الهاشميين. هذا، وقال أشجع:

تعضّ بأنياب المنايا سيوفه　　　وتشرب من أخلاف كل وريد

هذا وكما قال عليه السلام لمعاوية: سيف يوم بدر معه، قال عدي بن حاتم من أصحابه عليه السلام لمعاوية: سيوف يوم صفين الّتي حاربوه بها معهم. ففي (المروج): دخل عدي بن حاتم على معاوية. فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات ـيعني أولاده ـ؟ قال: قُتِلوا مع عليٍّ عليه السلام، قال: ما أنصفك عليٌّ! قَتَلَ أولادك وبقي أولاده. فقال عدي: ما أنصفت عليّاً عليه السلام إذ قُتِلَ وبقيت بعده. فقال معاوية: أما إنّه بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلّا دم شريف من أشراف اليمن. فقال عدي «والله إنّ قلوبنا الّتي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت الينا من الغدر فتراً، لندنينّ إليك من الشرّ شبراً، وإن حزّ الحلقوم، وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ عليه السلام فسلّم السيف يا معاوية لباعث السيف. فقال معاوية: هذه كلمات حِكَم فاكتبوها. وأقبل على عديّ محادثاً له كأنّه ما خاطبه بشيء[1].

هذا، ومما قيل في الجواب بالسيف قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباءً من الكتب　　　في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

«وإنّك والله ما علمت» أي: الّذي علمت.

«الأغلف القلب» أي: أغشى قلبك غلافاً. فلا يفهم شيئاً.

«المقارب العقل» هكذا في النسخ[2]، ولعلّ المقارب محرّف المتقارب. ففي الأساس «تقاربت إبل فلان»: أي: قلّت. قال جندل:

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤.

(٢) كذا في نهج البلاغة ٣: ١٢٣، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٠١، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٠٧.

غــرَّك أن تـقاربت أبــاعري وأن رأيتِ الدهر ذا دوائـر[١]

أو محرّف المعازب ففي (الأساس): «وأعـزب حـلمه» كـقولك «أضـلّ بعيره وأعزب الله عقلك»[٢].

وكيف كان فنظير قوله عليه السلام هنا قوله عليه السلام في كتاب إليه «يا آبن صخر اللعين! زعمت أن يزن الجبال حلمك، ويفصل بـين أهـل الشكّ عـلمك، وأنت الجلف المنافق، الأغلف القلب القليل العقل، الجبان الرذل»[٣].

«والأولى أن يُقال، لك انك رقيت سلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك» مرّ عن (خلفاء ابن قتيبة) أنّ معاوية كتب إليه عليه السلام: «ورقيت سـلّماً أطـلعك الله عـليه مطلع سوء عليك لا لك»[٤] لأنّه كالمؤسّسين له مـصداق قـوله تـعالى: ﴿إنّـا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولا﴾[٥].

والخلافة عهد الله تعالى، ولا ينال عهده الظالمين، وإنّما يصلح لمن كان بمنزلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

«لأنّك نشدت غير ضالتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه» في (صفين نصر بن مزاحم): لمّا خرج شمر بن أبرهة الحميري في ناس من قرّاء أهل الشام إلى عليّ عليه السلام قال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد صلّى الله عليه وسلم قرابة قريبة، ورحم ماسّة، وقدم في الإسلام لا يعتدّ أحد بمثله، ونجدة في الحرب لم تكن

---

(١) أساس البلاغة: ٣٦٠، مادة (قرب).

(٢) أساس البلاغة: ٣٠٠، مادة (غرب).

(٣) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٥١، شرح الكتاب ٣٢.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٨٠.

(٥) الاحزاب: ٧٢.

لأحد من أصحاب محمّد ﷺ، وإنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد ﷺ المعدودين وفرسانهم وقرّائهم وأشرافهم، وقدمائهم في الإسلام، ولهم في النفوس مهابة. فبادر بأهل الشام مخاشن الوعر، ومضايق الغيض، واحملهم على الجهد، وأْتهم من باب الطمع قبل أن ترفّههم، فيحدث عندهم طول المقام مللاً. فيظهر فيهم كآبة الخذلان،ومهما نسيت. فلا تنس أنّك على باطل[1].

«فما أبعد قولك» في وصفك الحق.

«من فعلك» الباطل وفي كتاب آخر له عليه السلام إلى معاوية «ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان، وتخالف البرهان، وتنكث الوثائق الّتي هي لله عزّوجلّ طلبة، وعلى عباده حجّة مع نبذ الإسلام، وتضييع الأحكام، وطمس الاعلام، والجري في الهوى، والتهوّس في الردى[2].

«وقريب ما اشبهت من أعمام وأخوال، حملتهم الشقاوة، وتمنّي الباطل، على الجحود بمحمّد ﷺ. فصُرعوا مصارعهم حيث علمت» ورواه (جمهرة الرسائل) بلفظ آخر هكذا: «أما بعد. فإنّ ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه ممّا أتى به أهلك وقومك، الذين حملهم الكفر وتمنّي الأباطيل، على حسد محمّد ﷺ حتّى صرعوا مصارعهم حيث علمت...»[3] ويأتي تتمته.

وفي كتاب آخر له عليه السلام: «وأُذكّرك ما لست له ناسياً يوم قتلتُ أخاك حنظلة وجررتُ برجله إلى القليب، وأسرتُ أخاك عمراً. فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك ففررت، ولك خصاص. فلولا أنّي لا اتّبع فارّاً لجعلتك ثالثهما»[4].

---

(١) وقعة صفين: ٢٢٢.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٣، شرح الكتاب ٣٠.

(٣) رواه صاحب جمهرة الرسائل فيه ١: ٤٢٢، عن شرح ابن أبي الحديد وهو في هذا الشرح ٤: ٥٠، شرح الكتاب ٣٢.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤١٩، شرح الكتاب ١٠.

هذا، وأغرب ابن ميثم في معنى قوله عليه السلام: «من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة...» فقال: من أهل الشقاوة من جهة عمومته حمّالة الحطب ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة ـ قال: وانما نكّر الأعمام والأخوال لأنّه لم يكن له أعمام وأخوال كثيرون، والجمع المنكّر جاز أن يعبّر به عن الواحد والإثنين للمبالغة[1].

قلت: ما ذكره من كون المراد بالأخوال الوليد بن عتبة فقط، وبالعمومة حمّالة الحطب عجيب. هبه جعل الوليد خالاً صرع بقتله في بدر؛ هل حمّالة الحطب أيضاً حاربت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في موقف فصرعت بقتلها في موضع؟

وانّما مراده عليه السلام بأخواله جدّه لأمه عتبة، وعمّ أُمّه شيبة مع خاله الوليد فالعرب تسمّي أقارب الأُم أخوالاً. فقالوا بنو زهرة أخوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمّه، وسمّى شمر يوم الطف العباس وإخوته من أُمّه بني أُخته[2]، وانّما سمّاهم كذلك لكونه من كلاب، وأُمّ البنين من كلاب ولم يكن أبوهما بواحد. فأبو شمر ذو الجوشن، وأبو أُمّ البنين حزام، والثلاثة: الوليد وأبوه وعمّه كلّهم قتلوا في بدر.

كما أنّ العرب يسمّون أقارب الأب أعماماً، وقد قَتَلَ عليه السلام يوم بدر من بني أبي معاوية العاص بن سعيد بن أُميّة، وكان عمر يقول: مررتُ به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزبد كالوزغ فلما رأيت ذلك هبته وزغت عنه. فقال إليّ يابن الخطّاب، وصمد له علي فتناوله فوالله ما رمت مكاني حتّى قتله.

وقتل عليه السلام من بني أبيه؛ عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أُمية، وكان

---

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٢١١.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٣١٤، سنة ٦١، والبلاذري في أنساب الأشراف ٣: ١٨٣.

من أُسراء بدر فقتله صبراً. قال النبيّ ﷺ لما نزل النبيّ ﷺ من بدر علي ستّة أميال نظر إليه، وإلى النضر. فقال النضر لعقبة: أنا وأنت مقتولان. قال عقبة: من بين قريش؟ قال: نعم لأنّ محمّداً نظر إلينا نظرةً رأيت فيها القتل، فقال النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام عليّ بالنضر وعقبة ـ إلى أن قال ـ قال النبيّ ﷺ: قدّم ياعلي عقبة، واضرب عنقه. فقدّمه فضرب عنقه[1].

وقتل عليه السلام بعد أُحد من بني أُميّة الّذين هم أعمام معاوية، معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص بن أُميّة. قال البلاذري في (فتوحه): وهو الّذي جدع أنف حمزة يوم أُحد وهو قتيل؛ فأُخذ بقرب أُحد، فقتل بعد آنصراف قريش بثلاث. يقال: إنّ عليا عليه السلام قتله. قال: إنهزم معاوية بن المغيرة يوم أُحد فمضى على وجهه. فبات قريباً من المدينة. فلمّا أصبح دخل المدينة. فأتى منزل عثمان فضرب بابه. فقالت ام كلثوم زوجته ابنة النبيّ ﷺ: ليس هاهنا. فقال: إبعثي إليه. فأرسلت إليه وهو عند النبيّ ﷺ. فلمّا جاء قال له: أهلكتني، وأهلكت نفسك، قال: جئتك لتجيرني. فأدخله عثمان داره، وصيّره في ناحية منها ثم خرج إلى النبيّ ﷺ ليأخذ له أماناً. فسمع النبيّ ﷺ يقول: إنّ معاوية في المدينة، وقد أصبح بها فاطلبوه. فقال بعضهم: ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه فيه: فدخلوا منزله، فأشارت أُمّ كلثوم إلى الموضع الذي صيّروه فيه، فاستخرجوه من تحت حمارة لهم، فانطلقوا به إلى النبيّ ﷺ فقال عثمان حين رآه، والّذي بعثك بالحق ما جئت إلّا لأُطلب له الأمان فهبه له، فوهبه له وأجّله ثلاثاً، وأقسم لئن وُجد بعدها يمشي في أرض المدينة وما حولها ليقتلنّه، وخرج عثمان فجهّزه واشترى له بعيراً، ثم قال: إرتحل، وسار النبيّ ﷺ إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار

---

(١) رواه الواقدي في المغازي ١: ١٠٦، والنقل بتصرف يسير.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويأتي بها قريش، فلمّا كان في اليوم الرابع قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّ معاوية أصبح قريباً لم ينفذ. فاطلبوه، فأصابوه وقد أخطأ الطريق فأدركوه. وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمار ـ الخ[1].

ولو صح خبره الآخر في قتل زيد وعمّار له لصدق أيضاً أنّه عليه السلام قتله حيث إنّ من قتله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولو على يد غير أمير المؤمنين عليه السلام قتله هو عليه السلام أيضاً لكونهما بمنزلة نفس واحدة، وكذلك كان اعتقاد معاوية وباقي بني أُميّة، وأمّا الثلاثة فكانوا بمراحل عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا سيما الأخير، فقد عرفت دفاعه عن هذا الرجل؛ جدع أنف عمّ النبيّ ومثّل به بعد قتله، ثمّ بعد أخذ عثمان له الأمان من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالكره بقي ـ استظهاراً بعثمان ـ يتجسس على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الكليني في (نوادر جنائز كافيه): أنّ عثمان آوى المغيرة ـ وكان ممن هدر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دمه ـ فقال لابنة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا تخبري أباك بمكانه. فقالت: ما كنت لأكتم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عدوّه، فجعله عثمان بين مشجب له، ولحفّه بقطيفة فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي بمكانه. فبعث إليه عليّاً عليه السلام، وقال: اشتمل على سيفك وأئت بيت ابنة عمّك. فإن ظفرت بالمغيرة فاقتله. فأتى البيت. فجال فيه. فلم يظفر به. فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال لم أره. فقال: أتاني الوحي أنّه في المشجب، ودخل عثمان بعد خروج عليّ عليه السلام فأخذ بيد المغيرة فأتى به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا رآه أكبّ ولم يلتفت إليه، وكان حييّاً كريماً. فقال عثمان: هذا المغيرة، والّذي بعثك بالحقّ آمنته. قال أبو عبدالله عليه السلام كذب والّذي بعثه بالحقّ ما آمنه وكان يأتيه عن يمينه وعن يساره. فلّما كان في الرابعة رفع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إليه. فقال: قد جعلت لك ثلاثاً. فإن قدرت عليه بعد ثالثة

---

(١) رواه البلاذري في انساب الاشراف ١: ٣٣٧ و٣٣٨ لا في فتوح البلدان والنقل بتصرف يسير.

قتلته. فلمّا أدبر قال النبيّ ﷺ اللّهمّ العن المغيرة، والعن من يؤويه، والعن من يحمله، والعن من يطعمه، والعن من يسقيه، والعن من يجهّزه، والعن من يعطيه سقاءً أو حذاءً أو رشاءً أو وعاءً ـ وهو يعدّهن بيمينه ـ فانطلق به عثمان. فآواه وأطعمه وسقاه، وحمله وجهّزه حتّى فعل جميع ما لعن به النبيّ ﷺ من يفعله به. ثم أخرجه في اليوم الرابع يسوقه. فلم يخرج من أبيات المدينة حتّى أعطب الله به راحلته، ونقب حذاءه، ودميت قدماه فاستعان بيديه وركبتيه، وأثقله جهازه، فأتى سمرة فاستظلّ بها. فأتى النبيّ ﷺ الوحي فأخبره بذلك. فدعا عليّاً عليه السلام فقال: خذ سيفك، وانطلق أنت وعمّار وثالث لهم. فأت المغيرة تحت سمرة كذا وكذا، فأتاه عليّ عليه السلام فقتله. فضرب عثمان بنت النبيّ ﷺ، وقال لها، أنت أخبرت أباك بمكانه. الخبر[1].

ومنه يظهر أنّ عماراً وزيداً كانا معه عليه السلام لا كما قال البلاذري في تلك الرواية من استقلالهما بالذهاب وقتله.

«لم يدفعوا عظيماً ولم يمنعوا حريماً» رواه (جمهرة الرسائل) وزاد بعده «وانا صاحبهم في تلك المواطن الصالي بحربهم، والفالّ لحدّهم، والقاتل لرؤوسهم رؤوس الضلالة، والمُتْبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم. فبئس الخلف خلف اتّبع سلفاً محلّه ومحطّه النار»[2].

وفي (صفين نصر بن مزاحم): ذكروا انّه اجتمع عند معاوية عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن عامر، وابن طلحة الطلحات. فقال عتبة: انّ أمرنا وأمر عليٍّ لعجب، ليس منّا إلّا موتور محاج. أما أنا فقتل جدّي، واشترك في دم عمومتي يوم بدر، وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٣: ٢٥١ ح ٨. والنقل بتصرف يسير.

(٢) جمهرة رسائل العرب ١: ٤٢٢، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٠، شرح الكتاب ٣٢.

يوم الجمل، وأيتم إخوتك، وأما أنت يا مروان فكما قال الأوّل:

وأفــلتهنّ عـلباء جـريضاً ولو أدركْنَه صُفِرَ الوطابُ

قال معاوية: هذا الإقرار فأين الغُيُر؟ قال مروان: أيّ غيُر تريد؟ قال: أُريـد ان يشجر بالرماح. فقال: والله انّك لهازل ولقد ثقّلنا عليك. فقال الوليد في ذلك:

يقول لنا معاوية بـن حـرب أمـا فـيكم لواتِـرِكم طَـلوبُ
يشدُّ على أبـي حسـنٍ عـليٍّ بأسـمرَ لا تـهجِّنُه الكُـعوبُ
فـيهتك مـجمع اللـبّاتِ مـنه ونَــقْعُ القـوم مـطَّرِدٌ يـثوبُ
فقلتُ له: أتلعب يا ابن هـند؟ كأنّك وسـطنا رجـلٌ غـريبُ
أتأمـــرنا بـــحيّة بـــطن واد إذا نهشت فليس لهـا طـبيب
وما ضـبع يـدب بـبطن واد أُتــيح له بــه أســد مــهيب
بأضـعفَ حِـيلةَ مـنّا إذا مـا لقـــيناه وذا مــنّا عَــجيبُ
دَعـا لِـلقاهُ فـي الهـيجاء لاقٍ فأخطأ نفسَه الأجلُ القـريبُ
سوى عمروٍ وَقَتْهُ خُـصيتاه نــجا ولقـلبهِ مـنها وَجـيبُ
كأنّ القـــوم لمّـــا عـــاينوه خِلالَ النَقْع ليس لهم قُـلوبُ
لعمر أبي معاوية بن حـرب وما ظـنّي بـملحقه العـيوب
لقد ناداه فـي الهـيجاء عـليّ فأســمعه ولكــن لا يـجيبُ

فغضب عمرو بن العاص،وقال: ان كان الوليد صـادقاً فـليلق عـليّاً أو ليقف حيث يسمع صوته، وقال عمرو:

يــذكّرُني الوليـدُ دُعـا عـليٍّ وبطنُ المـرءِ يـملأُه الوعـيدُ
مَتى يذكُرْ مَشـاهِدهُ قـريشٌ يَطِرْ مِنْ خوفهِ القلبُ الشديدُ
فأمّـا فـي اللـقاء فأيـنَ مـنهُ معاويةُ بـنُ حـربٍ والوليـدُ
وعــيَّرني الوليــدُ لِـقاءَ ليثٍ إذا مـــا زارَ هـــابَتْهُ الأُسـودُ

إلى أن قال:

ولو لاقيته شقّت جيوبٌ   عليك ولطِّمت فيكَ الخُدودُ[١]

«بوقع سيوف» قالوا: «بوقع» متعلّق بقوله «فصرعوا».

«ماخلا» قالوا: ليس «ما خلا هاهنا للإستثناء بل: ما، للنفي وخلا، من خلا يخلو.

«منها الوغى» أي: الحرب قال الجوهري: قيل للحرب: وغى لما فيها من الصوت والجلبة[٢].

«ولم تماشها» من المماشاة قال ابن ميثم: وروي: «ولم تماسّها»[٣].

«الهوينى» من الهون، أي: السهولة.

٩
الكتاب (٧٣)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالاسْتِمَاعِ إِلَي كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ، كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تُكَذِّبُهُ أَحْلاَمُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ.

وَأُقْسِمُ بِاللهِ أَنَّهُ لَوْلاَ بَعْضُ الاِسْتِبْقَاءِ، لَوَصَلَتْ مِنِّي إِلَيْكَ قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ

---

(١) وقعة صفين: ٤١٧.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٥٢٦، مادة (وغي).

(٣) لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٢١١، «لم يماسها».

لِمَقَالِ نَصِيحِكَ، وَالسَّلَامُ لأَهْلِهِ».

الكتاب (٣٠)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

«فَاتَّقِ ٱللَّهَ فِيما لَدَيْكَ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَٱرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا ٱلْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا ٱلْأَنْكَاسُ؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ ٱللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ. فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ ٱللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ المَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ المَسَالِكَ».

أقول: قوله عليه السلام في الأوّل «أما بعد فإنّي على التردُّد في جوابك والإستماع إلى كتابك» قال ابن أبي الحديد «ليس معناه التوقف بل معناه التردد والتكرار. أي: أنا لائم نفسي على أني أكرّر تارة بعد تارة أجوبتك عمّا تكتبه»[1].

قلت: ولا مانع عن أن يراد بالتردد التوقف بأن يكون المعنى، إنّني مع توقفي، وترددي هل أجيبك أم لا، وهل استمع إلى كتابك أم لا؛ مضعّف رأيي لأن مقتضى الرأي الّذي ليس به ضعف ألّا تجاب أصلاً، ولا يسمع منك الخطاب بتّاً، إذ الكتاب إليك بعد معلومية كونك منافقاً ومتعنّتاً خارج عن الصواب.

وكيف كان؛ فقوله «على التردد» ليس بخبر، بل متعلّق بالخبر. أي: لموهن و«على» فيه بمعنى «مع» كقوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٣.

على حبّه﴾[١].

«لموهّن رأيي ومخطّئ فراستي» قال ابن أبي الحديد موهن بالتشديد: أي: كان ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت لهوانك[٢].

قلت: موهن بالتخفيف أيضاً صحيح قال الجوهري: الوهن الضعف وقد وهّن الإنسان ووهنه غيره يتعدّى ولا يتعدّى، و وهِن أيضاً: أي ضعف، وأوهنته أيضاً و وهّنته توهيناً[٣].

ومراده عليه السلام أنَّ جواب معاوية السكوت، لأنّ غرضه إنّما كان التلبيس والمشاغبة لا ما قاله ابن أبي الحديد من هوانه.

«وانّك اذ تحاولني الأمور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه، والمتحيّر القائم يبهظه مقامه، ولا يدري أله ما يأتي أم عليه» قال ابن أبي الحديد: أي: إنّك في مناظرتي، وكتبك إليّ، كالنائم يرى أحلاماً كاذبة، أو كمن قام مقاماً بين يدي سلطان. أو قوم عقلاء ليعتذر عن أمر، أو ليخطب بأمر في نفسه قد أبهظه ـ أي: أثقله ـ مقامه ذلك فهو لا يدري بكلامه هو له أم عليه. أما تشبيهه بالنائم ذي الأحلام. فإنّ معاوية لو رأى في المنام حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه خليفة يخاطب بإمرة المؤمنين، ويحارب علياً عليه السلام على الخلافة، ويقوم في المسلمين مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما طلب لذلك المنام تعبيراً وتأويلاً، ولعدّه من وساوس الخيال، وأضغاث الأحلام، وكيف وأنّى يخطر هذا بباله، وهو أبعد الخلق منه، وهذا كما يخطر للنقّاط أن يكون ملكاً، ولا ينظرنّ إلى نسبه، بل انظر إلى أنّ الإمامة هي نبوّة مختصرة، وأنَّ الطليق المعدود من المؤلفة

---

(١) الانسان: ٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٣.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٢١٥، مادة وهن.

قلوبهم المكذّب بقلبه وإن أقرّ بلسانه، الناقص المنزلة عند المسلمين، القاعد في أُخريات الصف، إذ أدخل إلى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين كيف يخطر ببال أحد أنّها تصير فيه، ويملكها ويوسمه الناس وسمها، ويكون للمؤمنين أميراً، ويصير هو الحاكم في رقاب أُولئك العظماء من أهل الدين والفضل، وهذا أعجب من العجب أن يجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوماً بسيفه ولسانه ثلاثاً وعشرين سنة، ويلعنهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويبعدهم عنه وينزل القرآن بذمّهم ولعنهم والبراءة منهم. فلمّا تمّت له الدولة، وغلب الدين على الدنيا، وصارت شريعة دينية محكمة مات. فشيّد دينه الصالحون من أصحابه، وأوسعوا رقعة ملّته، وعظم قدرها في النفوس. فتسلّمها منهم أولئك الأعداء الّذين جاهدهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فملكوا وحكموا فيها، وقتلوا الصلحاء والأبرار، وأقارب نبيّهم الّذين يظهرون طاعته، وآلت تلك الحركة الأُولى والاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم، فليته صلى الله عليه وآله وسلم كان يبعث فيرى معاوية الطليق وابنه، ومروان وأبناءه خلفاء في مقامه. يحكمون على المسلمون. فوضح أن معاوية في ما يكاتبه، ويراجعه كصاحب الأحلام.

وامّا تشبيهه إيّاه بالقائم مقاماً بهظه؛ فلأنّ الحجج والشُّبه والمعاذير الّتي يذكرها معاوية في كتبه أوهن من نسج العنكبوت. فهو حال ما يكتب كالقائم ذلك المقام يخبط خبط العشواء ويكتب ما يعلم هو والعقلاء انّه سفه باطل ـ الخ[1].

قلت: أمّا ما قاله من أنّ معاوية لو كان رأى في نومه في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يصير خليفة يعدّه من أضغاث الأحلام لأنّه كان أبعد الخلق منه، فليس كما قال بل كان ينتظره وهو، وان كان محارباً لله أكثر أيام رسوله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٣.

إلى أن أذلّه الله إلّا أنّ وصوله الأمر كان ذا علاج عنده، وهو أن يساعد صدّيقهم، وفاروقهم الّذين من مهاجريهم الأولين لأنّ جميعهم كانوا من جنس واحد وكنفس واحدة وبمساعدته منع فاروقهم النبيّ ﷺ عن الوصيّة، وبه تخلّف هو وصاحبه عن جيش أُسامة، وبه أرادا إحراق أهل بيت النبيّ ﷺ وفاطمة بضعته، ونالا الأمر بواسطته.

فقال فاروقهم لابن عباس: «أنتم أهل رسول الله وآله وبنو عمه، فما تقول منع قومكم منكم قال: لا أدري علّتها، والله ما أضمرنا لهم إلّا خيراً. قال: اللّهم غفرا، إنّ قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوّة والخلافة فتذهبوا في السماءِ شمخاً وبذخاً، ولعلّكم تقولون إنّ أبا بكر أوّل من أخّركم، اما إنّه لم يقصد ذلك، ولكن حضر أمراً لم يكن بحضرته أحزم مما فعل.

ولولا رأي أبي بكر فيّ لجعل لكم من الأمر نصيباً، ولو فعل ما هنّاكم مع قومكم انّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره» ـ الخبر[1].

فهل قوم بني هاشم غير قريش؟ وهل رئيس قريش غير معاوية وأبيه، وبني أبيه؟ وزادهم بسطة كون عثمان منهم.

وقال عمر أيضاً لابن عباس لمّا سأله عن أشعر الشعراء. فقال له: زهير لقوله في بني سنان:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأوّلهم أو آخرهم قعدوا

«لا يصلح هذا البيت إلّا في بني هاشم لقرابتهم من النبيّ ﷺ أتدري ما منع الناس منكم؟ قال ابن عباس: لا. قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٩٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

ووفّقت فأصابت...»[١].

كما انّه لما تنبّه الناس لخطإهم باتّباع الأوّلين من أعمال عثمان الذي كانا جعلاه صاحب الأمر حتّى كأنّهما جعلا بني أُميّة أعداء الدين صاحب الأمر أقبلوا بعد قتلهم لعثمان نحوه عليه السلام عشقاً كما وصف مروان الأمر في كتابه إلى معاوية بعد ذكره قتل عثمان في قوله: «منكفئين قِبَل ابن أبي طالب انكفاء الجراد أبصر المرعى. فأخلِقْ ببني أُميّة أن يكونوا من هذا الأمر بمجرى العيّوق ان لم يثأره ثائر» توسّل معاوية بإنهاض طلحة والزبير في قِبال أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى الزبير: «أمّا بعد، فإنّك الزبير بن العوام بن أبي خديجة، وابن عمّة الرسول، وحواريه، وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته بمكّة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع، كلّ ذلك قوة إيمان، وصدق يقين، وسبقت لك من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البشارة بالجنّة، وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمّة، واعلم يا أبا عبدالله! أنّ الرعية أصبحت كالغنم المتفرّقة لغيبة الراعي، فسارع إلى حقن الدماء، ولمّ الشعث، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البيت قبل تفاقم الأمر، وانتشار الأُمة، فقد أصبح الناس على شفا جرف عمّا قليل ينهار ان لم يُرأب. فشمّر لتأليف الأُمة، وابتغ إلى ربك سبيلاً، فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أنّ الأمر للمقدّم، ثم لصاحبه من بعده، جعلك الله من أئمة الهدى، وبغاة الخير والتقوى.

وكتب إلى طلحة: فإنّك أقلّ قريش في قريش وتراً مع صباحة وجهك، وسماحة كفّك، وفصاحة لسانك، فأنت بإزاء من تقدّمك في السابقة، وخامس المبشّرين بالجنّة، ولك يوم أُحد وشرفه وفضله، فسارع إلى ما تقلدك الرعية

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٧، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بتلخيص.

من أمرها. مما لا يسعك التخلّف عنه، ولا يرضى الله منك إلّا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيّكما قدّم صاحبه، فالمقدّم الإمام والأمر من بعده للمقدّم له»[١].

وطلحة والزبير كانا في طراز أبي بكر وعمر، فلمّا طعن عمر، وقال: ادعوا لي الستّة فأُحضروا قال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي؟ قال له الزبير: «ماالذي يبعدنا منها ولسنا دونك في قريش، ولا في السابقة ولا في القرابة»[٢].

فلمّا لم يمكنه أن يدّعي هذا الأمر بعد النبيّ ﷺ ساعد صدّيقهم ثم فاروقهم ثم صاحبهم الّذي سلطنته سلطنتهم، وبعد هتك صاحبهم، ورجوع الحق إلى نصابه. قدّم حواريّهم وصاحبه ليزلزل الأمر على أمير المؤمنين عليه السلام حتى يتمّ الأمر لنفسه، لكون الشام من قبل فاروقهم وصاحبه بيده، وأهله طغام لا يفرّقون بين الحق والباطل، وساعده باقي بني أُميّة فتمّ له الأمر.

فكتب إلى مروان بعد كتابه إلى طلحة والزبير ـ وكان بالمدينة ـ «إبحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حبّ الدخن عند فقاسها، وانغل الحجاز فإنّي منغل الشام».

وكتب إلى سعيد بن العاص: «إن عثمان عتب عليه فيكم، وقتل في سبيلكم ففيم القعود؟! فإذا قرأت كتابي هذا فدبّ دبيب البرء في الجسد النحيف، وسِر سير النجوم تحت الغمام، واحشد حشد الذَرّة في الصيف لانجحارها في الصرد».

وكتب إلى ابن عامر «وساور الأمر مساورة الذئب الاطلس كسيرة

---

(١) روى هذه الكتب ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٦٠، شرح الخطبة ١٨٢.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٢، شرح الخطبة ٣.

القطيع، ونازل الرأي، وانصب الشرك، وارم عن تمكّن، وضع الهناء مواضع النقب، واجعل أكبر عدّتك الحذر، وأحدَّ سلاحك التحريض، واغضض عن العوراء، وسامح اللجوج، واستعطف الشارد، ولاين الأشوس، وقوّ عزم المريد، وبادر العقبة، وازحف زحف الحيّة».

وكتب إلى الوليد بن عقبة: «فلو قد استتبّ هذا الأمر لمريده؛ ألفيت كشريد النعام يفزع من ظلّ الطائر».

وكتب إلى يعلى بن منية: «كان أعظم ما نقموا عليه (أي عثمان) وعابوه به، ولايتك اليمن. فشمّر لدخول العراق، فأمّا الشام، فقد كفيتك أهلها، وأحكمت أمرها وقد كتبت إلى طلحة أن يلقاك بمكّة حتّى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة، والطلب بدم عثمان».

فأجابوه بمساعدته. فكتب إليه مروان: «أنا كحرباء السبسب في الهجير ترقب عين الغزالة». وكتب إليه الوليد «مَلأةُ بطني عليّ حرام إلّا مسكة الرمق حتى أفري أوداج قتلة عثمان» وكذلك باقيهم كتبوا مثل ذلك[1].

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «إنّ الطليق الذي كان من المؤلفة كيف يخطر ببال أحد أنّه يملك الإمامة الّتي هي نبوّة مختصرة»[2] فاعترض نظيره محمّد بن أبي بكر على معاوية نفسه. فأجابه بابتناء أمره على أمر صدّيقهم وفاروقهم.

فروى ابو الفرج والمسعودي، ونصر بن مزاحم، وغيرهم أنّ محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية كتاباً وفي جملته، أنّ أوّل من أجاب وأناب، وصدّق ووافق، وأسلم وسلّم، بعد بعثة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي

---

(١) روى هذه الكتب ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٦١ ـ ٥٦٣، شرح الخطبة ١٨٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٣، والنقل بالمعنى.

طالب، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم سِلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع؛ حتّى يزر سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو هو المبرّز السابق في كلّ خير. أوّل الناس إسلاماً وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذرّية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم، وأنت اللّعين ابن اللّعين، ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي إليك، ويلجأ من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق للنبيّ عليه السلام، والشاهد لعليّ عليه السلام مع فضله المبين، وسبقه القديم أنصاره الّذين ذكروا بفضلهم في القرآن، فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب، وحوله كتائب، يجالدون بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، والشقاء في خلافه، فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعليّ عليه السلام، وهو وارث رسول الله، ووصيّه وأبو ولده، وأوّل الناس له اتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه، فتمتّع ما استطعت بباطلك، وليمدد لك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العلياء، واعلم أنّك تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله وأهل رسوله عنك الغناء».

قالوا: فكتب إليه معاوية «أتاني كتابك تذكر ما الله أهله في قدرته و سلطانه، وما اصطفى به نبيّه مع كلام ألّفته لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف ذكر حق ابن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته من النبيّ، ونصرته له،

ومواساته إيّاه في كل خوف، واحتجاجك عليّ، وعتبك لي بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك، وجعلك لغيره، وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا. فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته. قبضه إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتّفقا واتّسقا. ثم دعواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما. فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما، لا يشركانه في أمرهما ولا يطّلعانه على سرّهما، حتّى قبضا وانقضى أمرهما، ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما. فعبته أنت، وصاحبك. حتى طمع فيه الأقاصي، وبطنتما له، وأظهرتما عداوتكما وغلّكما. حتّى بلغتما منه مناكما. فخذ حذرك يا ابن أبي بكر. فسترى وبال أمرك، وقس شبرك بفترك. تقصر من أن توازي من تزن الجبال حلمه، لا تلين على قصر قناته، ولا يدرك ذو مدى أناته أبوك مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده. فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جوراً فأبوك أسُّهُ، ونحن شركاؤه، بهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك. ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أو دع[1].

ولعمري إنّ جوابه عين حقيقة الأمر، ومن قضايا العقول أنَّ بطلان اللازم يدلّ على بطلان الملزوم. فلو كانت خلافة صدّيقهم حقّاً كانت خلافة معاوية أيضاً حقّاً، مع وضوح بطلانها لكونه عدوّ الله وعدوّ رسوله، وعدوّ دينه، ولعين نبيّه، فخلافة أبي بكر أيضاً كذلك.

---

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ١١، وابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٣، لكن لم يوجد في كتابي أبي الفرج: مقاتل الطالبيين، والأغاني.

وهذا الكتاب هو الذي أشار إليه الطبري، ولم ينقله، واعتذر بأنّه لا تحتمله العامّة[١]، ولو كان قال: لا يحتمله أولو الألباب لأتى بالصواب.

وامّا قول ابن أبي الحديد: وهذا أعجب من العجب أن يجاهد النبيّ ﷺ قوماً بسيفه ولسانه ثلاثاً وعشرين سنة، ويلعنهم وينزل القرآن بذمهم ـ الخ[٢] ـ فليس العجب مختصاً بمن قال. ألم تكن عائشة معترضة على النبيّ طول أيّامه في باقي أزواجه وفي معاشرتها معه حسبما نزلت فيه الآيات وتواترت به الروايات؟ ألم يقل ـ عزّوجلّ ـ فيها وفي صاحبتها: ﴿وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾[٣] ـ ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾[٤]؟

ألم يقل تعالى لها ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[٥] و ﴿من يأت منكن بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[٦].

ومع ذلك يعتقد أهل نحلته كونها صدّيقة، وكان أصحاب حواريهم وصاحبه في الجمل يقولون:

يامعشر الأزد عليكم أمّكم فإنّها صلاتكم وصومكم

وكانوا يقولون في من نزلت فيهم آية التطهير:

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٧، سنة ٣٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٤.

(٣) التحريم: ٤.

(٤) التحريم: ١٠.

(٥) الاحزاب: ٣٣.

(٦) الاحزاب: ٣٠.

ان فاتنا علي فالغبن أو فاتنا ابناه حسين وحسن

إذن نُمت بطول همّ وحزن

وكانت مع ذلك، ولايتها عندهم كولاية أبيها جزء الدين. ألم يسمعوا قوله تعالى في أمير المؤمنين عليه السلام وسيّدة نساء العالمين، وسيّدي شباب أهل الجنّة ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[1] سوى ما تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم قولاً وعملاً، ومع ذلك هم عندهم كعرض الناس.

واما قوله: «ولمّا مات ذلك النبيّ شيد دينه الصالحون من أصحابه» فإن أراد بصالح أصحابه صدّيقهم، وفاروقهم، وأراد بتشييدهم دينه فتوحاتهما فبنو أُمية كانوا أكثر فتوحاً منهم، وإن أراد بتشييدهم دينه إرادتهم إحراق أهل بيته لو لم يحضروا للبيعة معهم، وتركهم جنازة نبيّهم صلى الله عليه وآله بلا تجهيز، ومعاملتهم مع بضعة نبيّهم سيّدة نساءالعالمين ما عاملوا من أخذ فدك منها، وغير ذلك مما تسبب موتها؟

وقول ابن أبي الحديد: «فتسلمها منهم أُولئك الأعداء»[2] ليته أضاف عليه بتسليم أولئك الأولياء الأمر إليهم.

وقوله: «وآلت تلك الحركة الأُولى، وذلك الإجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم» فيه انّه لم يكن مآل حركتهم تلك إلى ما قال، بل كانت حركتهم تلك عين ذاك فهل جعل عثمان باسم الشورى خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله غير عمر؟ وهل كانت خلافة عثمان غير خلافة بني أُمية؟ وكان عمر يعرف ذلك كاملاً، ولم تكن أعمال بني أُميّة في أيّام عثمان أقل شناعة من أعمالهم في أيّام معاوية بل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

كانت أكثر فظاعة فمن شرب من بني أمية، وصلّى بالناس الصبح أربعاً، وتغنّى لهم فيها أيّام معاوية؟ وهل معاوية الطليق ومروان الطريد الوزغ ابن الوزغ لا يحكمان أيّام عثمان الذي هو ذو نوريهم وثالث راشديهم بهواهما كما شاءا؟ ولم يكن لعثمان إلّا معاملته مع أبي ذر، وعمّار المتّفق على جلالهما لا كرجال عشرتهم وستّتهم لكفاه خزياً ومعادلة لأعمال كثير من خلفاء بني أميّة.

«ولست به غير انّه بك شبيه» لم يقل عليه السلام «غير انّك به شبيه» للدلالة على أنّ مفاسد تصدّي معاوية للأمر وخبطاته وزلاّته فوق خبطات المستثقل النائم والمتحيّر القائم بمراتب.

«وأقسم بالله انّه» هكذا في (المصرية)، وكلمة (انّه) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1]، والظاهر انّها كانت نسخة بدلية من «بالله» في بعض النسخ فجمعت (المصرية) بينهما.

«لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك منّي قوارع» أي: شدائد كاسرة.

«تقرع» أي: تكسّر.

«العظم وتنهش اللحم» قال الجوهري: النهش النهس وهو أخذ اللحم بمقدّم الأسنان[2].

قال ابن أبي الحديد قيل: ان القوارع التي أشار إليها هي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فوّض إليه أمر نسائه بعد موته، وجعل إليه أن يقطع عصمة ايتهنّ شاء إذا رأى ذلك، وله من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك، فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة أُم حبيبة، ويبيح نكاحها الرجال عقوبة لها ولمعاوية أخيها فإنّها كانت

(١) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٢٩، ايضاً.

(٢) صحاح اللغة ٣: ١٠٢٣، مادة (نهش).

تبغض علياًعليه السلام كما يبغضه أخوها، ولو فعل ذلك لانتهش لحمه، وهذا قول الإمامية، وقد رووا عن رجالهم أنّهعليه السلام تهدّد عائشة بضرب من ذلك، وأما نحن فلا نصدّق هذا الخبر، ونفسّر كلامه على معنى آخر، وهو أنّه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من النبيّصلى الله عليه وآله يلعن معاوية بعد إسلامه، ويقول: إنّه منافق كافر، وانّه من أهل النار، والأخبار في ذلك مشهورة. فلو شاء أن يحمل إلى أهل الشام خطوطهم، وشهاداتهم بذلك، ويسمعهم قولهم ملافظة ومشافهة لفعل، ولكنّه رأى العدول عن ذلك مصلحة لأمر يعلمه هو، ولو فعل ذلك لانتهش لحمه وإنّما أبقى عليه.

وقلت لأبي زيد البصري: لِمَ أبقى عليه. فقال: والله ما أبقى عليه مراعاة له، ولا رفقاً به، ولكنه خاف أن يفعل كفعله، فيقول لعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، وبسر بن ارطأة، وأبي الأعور وأمثالهم أُرووا أنتم عن النبيّ ان علياًعليه السلام منافق من أهل النار ثم يحمل ذلك إلى أهل العراق، فلهذا السبب أبقى عليه[١].

قلت: قوله «وهذا قول الإماميّة» إن كان أشار به إلى تفسير القوارع في كلامهعليه السلام بما ذكر. فمن من الإماميّة قال ذلك؟ هل الرضي قال ذلك أم المرتضى أم المفيد أم الصدوق أم الكليني أم غيرهم من معروفيهم، وإن أشار به إلى أصل تفويض النبيّصلى الله عليه وآله أمر نسائه إليهعليه السلام، وانّهعليه السلام هدّد بذلك عائشة فلم يكن ذلك مختصّاً بالإمامية. فقد روى ذلك ابن أعثم الكوفي من رجالهم الأقدمين[٢]. لكن المراد سقوط حرمتهن، وخطابهن بأُمّ المؤمنين دون إباحة نكاحهن. فالإمامية قائلون بأنّ النبيّصلى الله عليه وآله نفسه لو طلّق امرأة لم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٣٤.

(٢) فتوح ابن أعثم ٢: ٣٤٠.

يجز نكاحها ولو كانت لم يدخل بها.

روى محمّد بن يعقوب، عن ابن أُذينة، عن سعد بن أبي عروة، عن قتادة عن الحسن البصري أنّ النبيّ ﷺ تزوّج عامرية جميلة، فقالت عائشة وحفصة: لا تغلبنا هذه. فقالتا لها: لا يرى منك النبيّ حرصاً. فلما ادخلت عليه. قالت «أعوذ بالله منك» فانقبض النبيّ ﷺ يده وطلّقها، وتزوج كنديّة. فلمّا مات آبنه إبراهيم. قالت «لو كان نبيّاً ما مات ابنه» فطلّقها أيضاً قبل أن يدخل بها. فأتتا أبا بكر بعد النبيّ ﷺ وقد خُطبتا. فقال هو وعمر لهما: اختارا إن شئتما الحجاب، وان شئتما الباه. فاختارتا الباه. فجُذم أحد الرجلين وجُنَّ الآخر ـ قال ابن أُذينة، فحدّثت بهذا الحديث زرارة، والفضيل فرويا عن أبي جعفر عليه السلام أنّه ما نهى الله عزّوجلّ عن شيء إلّا وقد عصي فيه حتى نكحوا ازواجه بعده ـ وذكر هاتين، العامرية والكنديّة[1].

واما ما قاله من انّه كان معه عليه السلام من الصحابة قوم كثير سمعوا من النبيّ عليه السلام لعن معاوية، وأنّه منافق كافر؛ فصحيح، فروى نصر بن مزاحم في (صفينه) عن عمّار بن ياسر. قال: «والله ما أسلم القوم، ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً».

وعن ابن مسعود، وأبي سعيد أن النبيّ ﷺ قال: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. قال أبو سعيد: فلم نفعل ولم نفلح.

وعن رجل شامي قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: شرّ خلق الله خمسة ـ إلى أن قال ـ ورجل من هذه الأمة يبايع على كفره عند باب لدّ. قال: إنّي لما رأيت معاوية بايع عند باب لدّ ذكرت قول النبيّ ﷺ فلحقت بعليّ عليه السلام فكنت معه.

وعن البراء بن عازب قال: قال النبيّ ﷺ: «اللهمّ العن التابع

(١) رواه الكليني في الكافي ٥: ٤٢١ ح ٣، والنقل بتلخيص.

والمتبوع». وأشار إلى معاوية وأبيه.

وعن جابر الأنصاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يموت معاوية على غير ملتي». وعن ابن عمر «ما بين تابوت معاويه وتابوت فرعون إلّا درجة، وما انخفضت تلك الدرجة إلّا انّه قال: ﴿أنا ربّكم الأعلى﴾»[١].

وروى نظير ذلك عن أبي برزة الأسلمي وعن زيد بن أرقم[٢]. وروى الطبري كتاباً جمعه المأمون في كفر معاوية، وفي لعنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

ولا يبعد أن يكون مراد أمير المؤمنين عليه السلام ببعض الاستبقاء على معاوية كونه امتحاناً للناس بعد إتمام الحجّة عليهم من أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه وأعمال معاوية نفسها.

كما ان الله تعالى أتمّ الحجّة على الدهرية بشواهد وجوده في فطرة العقول، وعلى اليهود، والنصارى في حقّية رسوله بكتابه، وسائر بيّناته.

كما أن الله تعالى لم يظفر أمير المؤمنين عليه السلام بمعاوية مع هزيمته له في صفين أوّلاً وقتل عليه السلام لمّا أراد الرجوع ثانياً، ولم يستقر أمره عليه السلام طول ايّامه لامتحان الناس. فإنّه عليه السلام لو كان استقر أمره لما ظهر ما في بواطن أولئك المنافقين، وما صدر منهم بعده عليه السلام.

وروى نصر بن مزاحم انّه عليه السلام خطب في صفّين وقال في جملة خطبته: «وإن من أعجب العجائب أنّ معاوية وعمرو بن العاص أصبحا يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما - إلى أن قال - وأيمُ الله ما اختلف أُمّة قطّ بعد نبيها إلّا ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله». فقال أبو سنان

---

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) روى هذه الاحاديث ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢١٥ - ٢١٩، وغيره.

(٣) تاريخ الطبري ٨: ١٨٣، سنة ٢٨٤.

الأسلمي: فسمعت عمّاراً يقول: «أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم أنّ الأمّة لن تستقيم عليه». ثم تفرّق الناس، وقد نفذت بصائرهم[١].

هذا، وفي (خلفاء ابن قتيبة): انّ معاوية لمّا امتنع الحسين عليه السلام وابن الزبير وابن عمر من اجابته إلى بيعة يزيد؛ ارتحل من المدينة إلى مكّة، وأعطى الناس أُعطياتهم، وأجزل العطاء، وأخرج إلى كلّ قبيلة جوائزها واعطياتها، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء. فخرج ابن عباس في أثره حتى لحقه بالروحاء وجاء فجلس على بابه، فجعل معاوية يقول: من بالباب؟ فيقال: عبدالله بن عباس. فلم يأذن لأحد ونام. فلمّا آستيقظ قال: من بالباب؟ فقيل: ابن عباس. فدعا بدابته. فأُدخلت إليه. ثم خرج راكباً فوثب إليه ابن عباس فأخذ بلجام دابته. ثم قال: أين تذهب؟ قال: إلى مكّة. قال: فأين جوائزنا؟ فقال: والله مالكم عندي جائزة حتى يبايع صاحبكم. قال ابن عباس: فقد أبى ابن الزبير وأخرجت جائزة بني أسد، وأبى ابن عمر، وأخرجت جائزة بني عدي، فمالنا إن أبى صاحبنا، وقد أبى صاحب غيرنا؟ فقال معاوية: لستم كغيركم. لا والله لا أعطيكم درهماً حتى يبايع صاحبكم. فقال ابن عباس، أما والله لئن لم تفعل لا لحقنّ بساحل من سواحل الشام. ثم لأقولنّ ما تعلم. فقال معاوية: لا بل أعطيكم جوائزكم. فبعث بها إليهم[٢].

واما ما نقله عن أبي زيد. فساقط رديٌّ، فإن أهل العراق يعرفونه كاملاً انّه وليّ الله كما كانوا يعرفون معاوية أنّه عدوّ الله، وإنّما كانوا أهل الدنيا، وغلب عليهم حبّها، وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، ولو كان ما قاله أمراً ممكناً لفعله معاوية ولم ينتظر ابتداء أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، فإنّه كان لم يبال في

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٢٢٤.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٩٠، والنقل بتصرف.

نيل مقصوده من ارتكاب كل شنيعة لو تيسّرت له.

«واَعلم أنّ الشيطان قد ثبّطك» أي: أوقفك وشغلك.

«عن أن تراجع أحسن أُمورك وتأذن» أي: تجعل اذنك سامعة. نظير قوله تعالى: ﴿وأذنت لربّها وحُقّت﴾[(١)].

«لمقال نصيحك» فتقبله.

قوله عليه السلام في الثاني: «فاتّق الله في ما لديك وانظر من حقه عليك» قال ابن أبي الحديد: زيادة في كتابه عليه السلام قبل ما في الكتاب، وزيادة بعده. أمّا قبله فهو قوله عليه السلام «أمّا بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي، وتستقبح مؤازرتي، وتزعمني متحيّراً، وعن حق الله مقصّراً، فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة، وتستحسن العضيهة، إنّي لم أُشاغب إلّا في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ولم أضجر إلاّ على باغ مارق، أو ملحد منافق ولم آخذ في ذلك إلّا بقول الله سبحانه ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾[(٢)].

وامّا التقصير في حقّ الله تعالى فمعاذ الله، وإنّما المقصّر في حق الله -جلّ ثناؤه- من عطّل الحقوق المؤكدة، وركن إلى الأهواء المبتدعة، وأخلد إلى الضلالة المتحيّرة. ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان، وتخالف البرهان، وتنكث الوثائق التي هي لله عزّوجلّ طلبة، وعلى عباده حجّة، مع نبذ الإسلام، وتضييع الأحكام، وطمس الأعلام، والجري في الهوى، والتهوّس في الردى».

قال: واما الزيادة بعده فهو قوله «وان للناس جماعة يد الله عليها، غضب

---

(١) الانشقاق: ٢.

(٢) المجادلة: ٢٢.

الله على من خالفها. فنفسك نفسك قبل حلول رمسك، فإنّك إلى الله راجع، وإلى حشره مهطع، وسيبهظك كربه، ويحلّ بك غمّه. يوم لا يغني النادم ندمه، ولا يقبل من المعتذر عذره، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون»[١].

ثم المراد بقوله عليه السلام «في ما لديك» قيل: مال المسلمين وفيئهم، وقيل: نعمه تعالى عليه.

«وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته» قيل: أي: معرفة الإمام وطاعته.

«فإن للطاعة» أي: طاعة الله الواجبة بحكم العقل.

«أعلاماً واضحة» أي: علامات ظاهرة، وهي الإتيان بكلّ معروف دلّ عليه العقل أو أمر به الشرع، وترك كلّ منكر حظرا عنه.

«ومحجّة نهجة» أي: جادة بيّنة.

«وغاية مطلبةٍ» وتبديل (المصرية) «مطلبة» بمطلوبة غلط لاتفاق (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) على كونه «مطلبة» وكذا الراوندي[٢].

ثم المفهوم من ابن أبي الحديد كون «مطلبة» من باب الأفعال وبلفظ اسم الفاعل، فقال «مطلبة: أي مساعفة لطالبها بما يطلبه. تقول: طلب فلان منّي كذا فأطلبته» أي: سعفت به»[٣].

قلت: يجوز أن يكون مطلبة بفتح الميم مفرد مطالب. قال في (الجمهرة): «والمطالب مواضع الطلب، ويجوز أن تكون واحدة المطالب مطلبة»[٤].

والمعنى يساعده بأن يكون المراد أنّ للطاعة غاية، وهي الجنّة موضع

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٤٩، وشرح الراوندي ٣: ٧٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣.

(٤) جمهرة اللغة ١: ٣٠٩، مادة (بطل).

الطلب، وأمّا ما قاله فالمعنى لا يساعده، لأنّ الجنّة التي غاية الطاعة ليست بمساعفة لطالبها. كيف وقد حُفّت بالمكاره، وإنّما المناسب إذاكان «المطلبة» فاعلاً من الأفعال أن تكون من قولهم «ماء مطلب وكلاء مطلب» تباعدا فطلبهما الناس. قال ابن دريد «الكلاء المطلب الذي لا يوصل إليه إلّا بمشقّة، وقال الأصمعي: كلاء مطلب إذا عنّى طالبه. قال الشاعر ذو الرمة:

أضلّه راعياً كلبيّة صدرا عن مُطلب وطلى الأعناق تضطرب[1]

لا من قولهم: «طلب منّي فأطلبته» وقوله: «أي أسعفت له» أيضاً غلط. ففي (الأساس) أي: فأسعفته[2].

ويجوز أن يكون «مطلبة» بتشديد الطاء من باب الافتعال كالمطّلب الّذي اسم أخي هاشم، لكن مطلبة بلفظ المفعول: أي: انّ للطاعة غاية لابدّ أن يتحمّل في طلبها.

ويجوز أن تكون بتشديد اللام من باب التفعيل. ففي القاموس طلبه تطليباً طلبه في مهلة[3]. فيكون المعنى الجنّة التي غاية الطاعة يجب أن تطلب في مدّة المهلة. لكنّه لا يخلو من تكلّف.

«يردها» أي: يرد تلك الغاية، والمراد ما يؤدي إليها كقوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السماوات والأرض﴾[4].

«الأكياس» جمع أكيس: أي: الفطن وهو ضدّ الأحمق. قال:

---

(١) جمهرة اللغة ١: ٣٠٩، مادة (بطل).

(٢) أساس البلاغة: ٢٨٢، مادة (طلب).

(٣) القاموس المحيط ١: ٩٨، مادة (طلب).

(٤) آل عمران: ١٣٣.

فكـن أكـيس الكـيسى إذا كـنت فـيهم
وان كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا[١]

و (اكيست المرأة واكاست): جاءت بأولاد أكياس قال:

فلو كـنتم لمكـيسة أكـاست وكيس الأمّ يظهر في البنينا
ولكن أمّكـم حـمقت فـجئتم غثاثاً ما نرى فيكم سمينا[٢]

«ويخالفها» بترك ورودها.

«الأنكاس» ضعفاء العـقول الأحـمقون الأرذال، والولد المـنكوس الذي تخرج رجلاه قبل رأسه، وسهم نكس: إنكسر فوقه، فجعل أعلاه اسفله، قـال الحطيئة «مجداً تليداً و عزاً غير أنكاس»[٣].

«من نكب» أي: عدل.

«عنها حاد» أي: مال.

«عن الحق» واختار الباطل.

«وخبط» قال الجوهري: خبط البعير الأرض بيده خبطاً. ضربها، ومنه قيل: «خبط عشواء» وهي الناقة الّتي في بصرها ضـعف تـخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً[٤]، وفي (الأساس) ومن المجاز «بات يخبط الظلماء» «وما أدري أيّ خابط الليل هو»[٥].

«في التيه» قال الجوهري: التيه: المفازة يتاه فيها[٦]، أي: يتحيّر.

(١ و ٢) أورده في لسان العرب ٦: ٢٠٠، مادة (كيس)، وأساس البلاغة: ٤٠٠، مادة (كيس).

(٣) أورده في لسان العرب ٦: ٢٤٢، مادة (نكس)، وأساس البلاغة: ٤٧٢، مادة (نكس).

(٤) صحاح اللغة ٣: ١١٢١، مادة (خبط).

(٥) اساس البلاغة: ١٠٢، مادة خبط.

(٦) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢٩، مادة (تيه).

«وغيّر الله نعمته» هكذا في النسخ[١]، والظاهر أنّ فيه تحريفاً وأنّ الأصل «وغيّر نعمة الله بالكفر» أخذاً من قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾[٢] وقد ورد في أخبار كثيرة تفسير الآية بقريش وعلى رأسهم بنو أُميّة[٣]، وعلى رأسهم معاوية، بدّلوا نعمة الله كفراً حيث عدلوا عن وصيّ نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام إلى غيره، وأيضاً السياق لا يناسب، حيث أنّ الفاعل في «حاد» و «خبط» ضمير «من» فكيف غُيِّر في «وغَيَّر».

«وأحلّ به نقمته» الفاعل في «أحلّ» ضمير «من نكب»: أي عمل عملاً استحق به حلول نقمته تعالى عليه، ولا يبعد أن يكون مأخوذاً من قوله تعالى ﴿وأحلّوا قومهم دار البوار﴾[٤] بعدما مرّ من قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً﴾[٥].

«فنفسك نفسك» قال عزّوجلّ: ﴿عليكم أنفسكم﴾[٦].

«وحيث تناهت بك أُمورك» أي: وانقضت دنياك أو بلغت امانيك في العاجلة. «فقد أجريت (في سير حياتك) إلى غاية خسر» كما قال عزّوجلّ ﴿إنّ الإنسان لفي خسر﴾[٧].

«ومحلّة كفر» أي: مكان تحلّه الكفار وتنزله وهو النار.

قال ابن أبي الحديد: الأولى أن لا يكون قوله عليه السلام: «وحيث تناهت بك أُمورك» معطوفاً ولا متصلاً بقوله عليه السلام «فقد بيّن الله» بل مثل قولهم «حيث

---

(١) كذا في نهج البلاغة ٣: ٣٧، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٤٨.

(٢) ابراهيم: ٢٨.

(٣) جمع بعض طرقه البحراني في البرهان ٢: ٣١٦.

(٤ و ٥) ابراهيم: ٢٨.

(٦) المائدة: ١٠٥.

(٧) العصر: ٢.

أنت، أي قف حيث أنت، وقولهم «مكانك»: أي: قف مكانك[١].

قلت: فيه أوّلاً، انّه لا مناسبة لأن يقول عليه السلام له قف مكانك. فإنّه كان تجاوز حدّه وأفرط في أمره، فالمناسب أن يقول له «فارجع عن غيّك وضلالك» لا «قف حيث أنت» وثانياً، إنّه ليس عدم عطفه أولى بل غير جائز لأنّه لا معنى للعطف واستينافه معين.

كان الحسن البصري يقول: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه إلّا واحدة منهنّ لكانت موبقة: افترازه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً وأصحابه فيا ويله من حجر وأصحاب حجر[٢].

«وإنّ نفسك قد أولجتك» أي: أدخلتك.

«شرّاً» أيّ: شرّ.

«وأقحمتك» أي: أطرحتك.

«غيّاً» وضلالاً.

«وأوردتك المهالك» ولا يحصل منك صدور ورجوع.

«وأوعرت» أي: أصعبت.

«عليك المسالك» فلا تصل إلى المقصد[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات، وعنه شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٠، شرح الخطبة ٣٥.

(٣) اسقط الشارح في هذا العنوان ايراد فقرات: «والسلام لأهله» و«سبلاً نيرة» و«فقد بيّن الله لك سبيلك».

١٠
من الخطبة (١٥٤)

وقام إليه رجل، فقال: أخْبِرْنا عَنِ الفِتنَة، وهَلْ سألتَ عَنْهَا رَسُولَ اللّه ﷺ؟ فقال:

لمَّا أَنْزَلَ اللّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللّهِ! مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللّهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ؛ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي: «أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ» فَقَالَ لِي: «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ. فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذنْ»! فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ؛ وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه فَبِأَيِّ المَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذا الخبر رواه كثير من المحدّثين عنه عليه السلام أنّ النبيّ قال له: انّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين. فقلت: يا رسول الله! ما هذه الفتنة الّتي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون ألّا إله إلّا الله، وأني رسوله، وهم مخالفون للسنّة. فقلت: فعلام

أُقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد. قال: على الإحداث في الدين، ومخالفة الأمة. فقلت: انك وعدتني الشهادة. فاسأل الله أن يعجّلها إليّ بين يديك. قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟ وأمّا أنّي وعدتك الشهادة وستستشهد؛ تُضْرَبُ على هذه فتخضب هذه. فكيف صبرك إذن؟ فقلت: ليس ذا بموطن صبر ولكنه موطن بشرى وشكر. قال: أجل. أصبت. فأعِدَّ للخصومة. فإنّك مخاصَم. فقلت: لو بيّنت لي قليلاً. فقال: إنّ أُمّتي ستفتتن من بعدي. فتتأوّل القرآن، وتعمل بالرأي، وتستحلّ الخمر بالنبيذ. والسّحتَ بالهديّة، والربا بالبيع، وتحرّف الكلم عن مواضعه، وتغلب كلمة الضلال، فكن حلس بيتك حتّى تقلّدها. فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور. وقلّبت لك الأُمور. تقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأُولى. فقلت: فبأيّ المنازل أُنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟ فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فقلت: أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟ قال: بل منّا بنا فتح وبنا يختم، وبنا الّف بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلّف بين القلوب بعد الفتنة. فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله[1].

قلت. ورواه المفيد في أماليه عن علي بن بلال المهلّبي مثله[2].

قال ابن أبي الحديد: قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «بمنزلة فتنة» تصديق لمذهبنا في أهل البغي، وأنّهم لم يدخلوا في الكفر بالكليّة بل هم فسّاق، والفاسق عندنا في منزلة بين المنزلتين خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) امالي المفيد: ٢٨٨ ح ٧، المجلس ٣٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٣.

قلت: لِمَ ترك ماهو الاهمّ من دلالة كلام النبيّ صلى الله عليه وآله على افتتان جميع الأمّة بعده صلى الله عليه وآله بما ذكر من تأويل القرآن، والعمل بالرأي، واستحلال الخمر والسحت والربا وتحريف الكلم، وغلبة كلمة الضلال، وانّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مأموراً من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله بالقعود في داره وكونه حلس بيته حتى يصل الأمر إليه، وانّ الأمّة من يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة فتنة ليست أدون في الضلال من حالهم الأولى في عبادة الأوثان، وهم كذلك إلى أن يظهر المهدي عليه السلام من ولده. فيخرجهم من الفتنة كما أخرجهم النبيّ صلى الله عليه وآله من الشرك؟

ثم عدم دخولهم في الكفر موضوعاً غير مفيد لهم وله لأنّهم مثلهم حكماً في الهلكة، واليهود والنصارى من الموحّدين اسماً وهم من المشركين معنىً.

قال: أبو المقدام لأبي جعفر الباقر عليه السلام ان العامة يزعمون أنّ بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله تعالى، وما كان الله ليفتن أمّة محمّد صلى الله عليه وآله من بعده. فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرؤون كتاب الله؟ أو ليس الله يقول: ﴿وما محمّد إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[1]؟ فقال: انّهم يفسّرونه على وجه آخر. فقال: أوليس قد أخبر الله عن الذين من قبلهم من الأمم أنّهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البيّنات حيث قال: ﴿وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

ومنهم من كفر﴾[١]؟

وروى ابن المغازلي ـ وهو منهم ـ عن كتاب شواهد التنزيل بإسناده إلى ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة﴾[٢] لمّا نزلت هذه الآية قال النبيّ ﷺ: من ظلم عليّاً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء قبلي». قال: ورواه ابن مسعود مع زيادة[٣].

«وقام إليه رجل، وقال: اخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله ﷺ » قلت: بيّن النبيّ ﷺ الفتنة لمن سأله عنها، ومن لم يسأله، بل بيّن ﷺ منشأ الفتنة أيضاً. ففي الجمع بين صحيحي الحميدي في الحديث الثلاثين من مسند ابن عمر: قام النبيّ ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة وقال «هاهنا الفتنة ـ ثلاثاً ـ من حيث يطلع قرن الشيطان»[٤].

فان الخبر إشارة إلى بعث عائشة في مرض النبيّ ﷺ إلى أبيها أن يصلّي بالناس مقام النبيّ ﷺ فجعل ذلك عمر شبهة شبّه بها على الناس فقال لمّا أراد بيعته «رضيك النبي لديننا أفلا نرضاك لدنيانا». جعل عمر خلافة النبيّ ﷺ أمراً دنيوياً مع أنّ خالد بن الوليد استحلّ قتل مالك بن نويرة مع إسلامه باعتراف عمر بتعبيره عن أبي بكر في مكالمته بقوله «صاحبك» وانّه ما رآه صاحباً له. إن هذا إلّا تهافت عجيب واختلاط غريب.

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٧٠ ح ٣٩٨، والآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

(٢) الانفال: ٢٥.

(٣) أخرجه الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٢٠٦ ح ٢٦٩، عن ابن عباس، وأخرجه ابن طاووس في الطرائف ١: ٣٦ ح ٢٥، عن ابن مسعود ولم يرو الحديث ابن المغازلي اصلاً.

(٤) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٩٧ ح ٣٨٤، والحديث بفرق في العبارة أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ٢٢٢٩ ح ٤٦ و٤٨.

وأيضاً عيّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ميزاناً للحق والحقيقة عند الفتن واختلاف الناس فروى ابن ديزيل ـ وهو منهم ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ أنّ رجلاً جاء إلى ابن مسعود. فقال: إنّ الله تعالى آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمّنا أن يفتتنا. أرأيت إذا أنزلت فتنة كيف أصنع. فقال: عليك كتاب الله. فقال: أفرأيت ان جاء قوم كلّهم يدعو إلى كتاب الله. فقال ابن مسعود: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ يعني عماراً[١].

قلت: جعل عمّار ميزاناً كالنص في أمير المؤمنين عليه السلام حيث ان متابعته له وكونه من خواصّه عليه السلام أمرٌ متحقق، كما انّ مباينته مع عثمان واستحلاله دمه وتكفيره له أمرٌ مقطوع، ويظهر مباينته مع أبي بكر وعمر واعتقاده كون تصدّيهما للأمر ظلماً من كلامه يوم الشورى الّذي رواه الكلّ[٢].

«فقال عليه السلام لما أنزل الله سبحانه قوله ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾[٣] الآية في أول سورة العنكبوت.

«**علمت انّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا**» أي: وهو في الحياة.

انما علم عليه السلام انّ نزول الفتنة ليس في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ للفتنة أسباباً كانت حياته مانعة منها. فمن يقدر منهم أن يدّعي كونه خليفته صلى الله عليه وآله وسلم في حياته كما انّ فتن السامري لبني إسرائيل كانت بعد غيبوبة موسى عليه السلام، وما دام كان شاهداً لم يمكنه ذلك.

ونزول الفتن وان كان بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إلّا أنّ تهيئة أسبابها كانت من

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٥٥، شرح الخطبة ٤٣.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٩٠، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ٣٤٣، وأبو مخنف وعنه تلخيص الشافي ٤: ٤٥، وغيرهم.

(٣) العنكبوت: ١ ـ ٢.

زمن مرضه ﷺ قال الشهرستاني في (ملله) بعد ذكر اعتراضات من المنافقين في حياته وفي حال صحته كقول ذي الخويصرة له «اعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل» «واما الاختلافات الواقعة في حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة فهي اختلافات اجتهادية ـكما قيل ـكان غرضهم فيها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين»(١).

قلت: لو كان الأمر كما ذكر و كما قاله بعضهم في غرضهم لم يكن الله عالماً حيث يجعل رسالته، وكان رسوله ينطق عن الهوى، وانّما كان اجتهادهم ذلك لعمر الله لأن اعتقادهم كان كما قال غير مرائيهم:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

قال الشهرستاني ـ بعدما مرّ ـ «فأوّل تنازع في مرضه في ما رواه محمّد بن إسماعيل البخاري باسناده عن عبدالله بن عباس قال: لما اشتدّ بالنبيّ ﷺ مرضه الّذي مات فيه قال: «إيتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي». فقال عمر: «إنّ رسول الله قد غلبه الوجع. حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط. فقال النبيّ ﷺ: «قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع» قال ابن عباس: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ.

وقال: «الخلاف الثاني في مرضه أنّه ﷺ قال: «جهّزوا جيش أُسامة. لعن الله من تخلّف عنه» فقال قوم: يجب علينا آمتثال أمره، وأُسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: «قد آشتدّ مرض النبيّ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه، فنصبر حتى نبصر أيّ شيء يكون من أمره»».

قال الشهرستاني: وإنما أوردت هذين التنازعين لأنّ المخالفين ربّما عدّوا ذلك من الخلافات المؤثّرة في أمر الدين، وليس كذلك، وإن كان الغرض

---

(١) الملل والنحل ١: ٢٨ ـ ٢٩.

كلّه إقامة مراسم الشرع في حالة تزلزل القلوب، وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلّب الأُمور[1].

قلت: قد عرفت الجواب عن قوله «وان كان الغرض إقامة مراسم الشرع» ولعمر الله كان الغرض إقامة مراسم رياستهم، وهذا الشهرستاني في كتابه ذاك المترجم بـ(الملل والنحل) جمع الملل الباطلة الحادثة في الإسلام. أليس ذنب جميعهم على عمر الّذي لم يدع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يكتب كتاباً لا تضلّ الأمّة بعده؟ أليس ذلك فوق كلّ رزيّة، وسبب كلّ فتنة حدثت في الإسلام أو تحدث إلى يوم القيامة؟

والعجب انّه يقول: «حسبنا كتاب الله» وهو يردّ كتاب الله تعالى في قوله جلّ وعلا ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[2] بقوله «قد غلبه الوجع» في قوله «ايتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي» وان نطقه هذا ليس من وحي يوحى إليه بل من سلب شعوره.

ثمّ أيُّ شيء كان عمر يفهم من كتاب الله إلّا الضرب بالسياط لمن سأله عن تفسير بعض آياته، فرووا ومنهم ابن أبي الحديد أنّ رجلاً جاء إلى عمر فقال: انّ ضبيعاً التميمي لقينا فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن. فقال: اللّهم امكنّي منه. فبينا عمر يوماً جالساً يغدّي الناس إذ جاءه الضبيع وعليه ثياب وعمامة فتقدّم فأكل حتّى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى ﴿والذاريات ذروا فالحاملات وقرا﴾[3] قال: ويحك أنت هو؟ فقام إليه فحسر عن ذراعيه. فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته. فإذا له ضفيرتان.

---

(١) الملل والنحل ١: ٢٩.

(٢) النجم: ٣ ـ ٤.

(٣) الذاريات: ١ ـ ٢.

فقال: والّذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك. ثم أمر به. فجعل في بيت. ثم كان يخرجه كلّ يوم. فيضربه مئة، فإذا برأ أخرجه فضربه مئة أُخرى. ثمّ حمله على قتب، وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى يأمره أن يحرّم على الناس مجالسته، وان يقوم في الناس خطيباً، ثم يقول: ان ضبيعاً قد ابتغى العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعاً في قومه وعند الناس حتى هلك، وكان من قبل سيّد قومه[1].

وأليس كلّ فرقة باطلة تحاجّ لمدّعاها بكتاب الله؟ فكيف يكون حسبهم كتاب الله؟ ثم ما يفعل بلعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المتخلّف عن جيش أُسامة، وقد كان عمر فيهم بالإجماع، وأبو بكر على المشهور عندهم.

قال الشهرستاني ـ بعدما مرّ ـ «الخلاف الثالث في موته صلى الله عليه وآله وسلم قال عمر «من قال انّ محمّداً مات قتلته بسيفي هذا وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى» ـ وقال أبو بكر: «من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد اله محمّد. فإنّه حيّ لم يمت ولا يموت، وقرأ هذه الآية ﴿وما محمّد إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾[2] فرجع القوم إلى قوله وقال عمر: كأنّي ما سمعت هذه الآية حتّى قرأها أبو بكر[3].

قلت: تارة يقول عمر «حسبنا كتاب الله ولا نحتاج إلى وصيّة رسوله» وأُخرى ما سمع من كتاب الله آية يعرفها جميع الصحابة، هب ما سمع آية

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٢٢، شرح الخطبة ٢٢٦، وبفرق في المتن البزار والدار قطني وابن مردويه وابن عساكر والفريابي وعنهم الدرالمنثور ٦: ١١١.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الملل والنحل ١: ٢٩، والنقل بتلخيص.

قرأها أبو بكر وهي ﴿وما محمّد إلّا رسولٌ﴾[١] ـ الآية أوَ ما سمع آية ﴿إنّك ميّت وانّهم ميّتون﴾[٢]؟

هب ما سمع تلك الآية ولا هذه الآية، أوَ ما رأى أنّ جميع الأنبياء من آدم إليه صلى الله عليه وآله ماتوا أو هل سمع يوماً من النبي صلى الله عليه وآله: إنّي ما أموت، حتّى يقول ما يقول؟

ولعمر الله ان الرجل ما كان مغفّلاً، وإنّما كان مزوّراً أراد بما قال حضور أبي بكر ولم يكن ذاك الوقت حاضراً. فألقى تلك الكلمة ليشوّش أذهان الناس حتّى لا يذكروا اسم أمير المؤمنين عليه السلام فيجيء أبو بكر فيفعلا ما أرادا.

ثم بعد فهمه موت النبيّ صلى الله عليه وآله من قراءة أبي بكر الآية لم ترك حضور جنازته بل أحضر عوضه النار ليحرق أهل بيته لو لم يحضروا لبيعة مع أبي بكر. قال الشهرستاني «الخلاف الخامس في الإمامة، وأعظم خلاف بين الأُمّة خلاف الإمامة إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان»[٣].

روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره أنّ العباس جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال: انطلق بنا نبايع الناس لك. فقال له: أتراهم فاعلين قال: نعم قال: فأين قوله تعالى ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون* ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[٤].

وقال محمّد بن مسلم بن النعمان في ارشاده: قد جاءت الرواية انّه لمّا

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الزمر: ٣٠.

(٣) الملل والنحل ١: ٣٠.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٤٨، والآيات ٢ و ٣ من سورة العنكبوت.

تمّ لأبي بكر ما تمّ وبايعه من بايع جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوّي قبر النبيّ صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده. فقال له «انّ القوم بايعوا أبا بكر، ووقعت الخذلة للأنصار لاختلافهم، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر» فوضع طرف المسحاة على الأرض، ويده عليها ثم قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون * ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين * أم حسب الّذين يعملون السّيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾[١].

وروى الكراجكي في (كنزه) عن عمرو بن ثابت قال: قال أبو جعفر في قوله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾[٢] انّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان حريصاً على أن يكون بعده على الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان عند الله خلاف ذلك وعنى بذلك قوله ـ عزّوجلّ ـ ﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون * ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[٣] فرضي النبيّ صلى الله عليه وآله بأمره عزّوجلّ[٤].

وروى نصر بن مزاحم في (صفّينه): ان عكبر الأسدي فارس أهل الكوفة كان له عبادة ولسان، فقام إلى عليّ عليه السلام وقال: إنّ في أيدينا عهداً من الله لا نحتاج فيه إلى الناس، وقد ظننّا بأهل الشام الصبر، وظنّوه بنا. فصبرنا وصبروا وقد عجبت من صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة، وصبر أهل الحق على أهل الباطل ورغبة أهل الدنيا. ثم نظرت. فإذا أعجب ما يعجبني جهلي بآية من

---

(١) الإرشاد: ١٠١، والآيات ١ ـ ٤ من سورة العنكبوت.

(٢) آل عمران: ١٢٨.

(٣) العنكبوت: ١ ـ ٣.

(٤) رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد وعنه في البحار: ١٨، لا الكراجكي في كنز الفوائد ومنشأ خطأ الشارح رمز المجلسي.

كتاب الله ﴿الّم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون* ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[١] قال: وأثنى عليه عليّ عليه السلام خيراً[٢].

«فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة» قال الجوهري: «الفتنة والاختبار الامتحان تقول فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته»[٣] وفي (الأساس): «وكلّ شيء أدخل النار فقد فتن. قال الحارثي:

تشعلبت لي أن خلتني بك واقعاً وقد يفتن المكواة والعير يضرط[٤]

«الّتي أخبرك الله بها» في قوله جلّ وعلا: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾[٥].

«فقال: يا علي! انّ اُمتي سيفتنون» أي: يختبرون.

«من بعدي» هكذا في (المصرية)، والصواب: «بعدي» بدون من كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦].

وروى الطبري عن أبي مويهبة مولى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من جوف الليل. فقال لي: يا أبا مويهبة إنّي قد أُمرت ان استغفر لأهل البقيع. فانطلق معي. فانطلقت معه. فلمّا وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم أهل المقابر. ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى - إلى أن قال - ثم

---

(١) العنكبوت: ١ ـ ٣.

(٢) وقعة صفين: ٤٥٠.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢١٧٥، مادة (فتن).

(٤) أساس البلاغة: ٣٣٤، مادة (فتن).

(٥) العنكبوت: ٢.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٢، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٦٣.

استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدئ النبيّ ﷺ بوجعه الّذي قبض فيه[١].

وروى عن عائشة قالت: رجع النبيّ ﷺ من البقيع. فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وا رأساه! قال: بل أنا والله ياعائشة وا رأساه. ثم قال: ما ضرّك لو متّ قبلي فقمت عليك، وكفّنتك، وصلّيت عليك، ودفنتك، فقلت: والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك. فتبسّم النبيّ ﷺ وتتامّ به وجعه ـ إلى أن قالت ـ فخرج النبيّ ﷺ بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر تخطّ قدماه الأرض عاصباً رأسه حتى دخل بيتي. قال عبيد الله بن عتبة الراوي عن عائشة فحدّثت هذا الحديث عنها عبدالله بن عباس. فقال: هل تدري من الرجل. قلت: لا، قال: عليّ بن أبي طالب، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع[٢].

قلت: ولمّا سمعت في مكّة ببيعة الناس له قالت «ليت السماء خرّت على الأرض، ولم أسمع بذلك»[٣] وإذا كان هذا حال امرأة منهم لم يكن بينه عليه السلام وبينها ثأر، كيف كان حال رجال قتل عليه السلام صناديدهم. فكانوا ينظرون إليه عليه السلام كما قال عمر: نظر الثور إلى جازره. فكيف لا يشعلون بعد النبيّ ﷺ نار فتنة؟ وكيف يخلّون وصيّه يقوم مقامه؟ ولو كان عليه السلام عيّنه الله تعالى في كتابه في قوله جلّ وعلا: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾[٤]، ودلّ عليه نبيّه ﷺ في خلائه وملائه، ومنه في المتواتر عنه ﷺ: «من كنت مولاه

(١ و ٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٢، سنة ١١.

(٣) هذا المعنى رواه مؤلف الإمامة والسياسة فيه ١: ٥٢، واليعقوبي في تاريخه ٢: ١٨٠، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٦١، وغيرهم.

(٤) المائدة: ٥٥.

وأولى به من نفسه فعليٌّ مولاه»[١] وأولى به نفسه، وكان متعيّناً في علمه وعمله، وكونه من جنس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسنخه في دلالة فطرة العقول وناموس الطبيعة.

وروى الجوهري في (سقيفته) ـ ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ انّ عبد الرحمن بن عوف لمّا بايع عثمان قال المقداد «والله ما رأيت مثل ما أتى إلى هذا البيت» فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد. قال: إنّي والله أحبّهم لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانّي لأعجبُ من قريش، وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ثم انتزاعهم سلطانه من أهله. قال عبد الرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم. قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الّذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون؟! أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر وأُحُد فقال عبد الرحمن: ثكلتك أُمّك! لا يسمعنّ هذا الكلام الناس. فإنّي أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد: إنّ من دعا إلى الحقّ وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحقّ. فذلك صاحب الفتنة والفرقة ـ فتربّد وجه عبد الرحمن ـ الخبر[٢] وتربّد وجهه لأنّه جعلهم في قوله «قتالي إياهم ببدر وأُحُد» نظير أبي جهل ونظرائه.

«فقلت يا رسول الله أوليس قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين» استشهد يوم أُحد عمّه حمزة، وسبعون من الصحابة، منهم حنظلة غسيل الملائكة.

---

(١) حديث الغدير المتواتر أخرجه كثير من أهل الحديث، منه ما أخرجه ابن عساكر من طرق كثيرة في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ ـ ٩٠ ح ٥٠٣ ـ ٥٩٣.

(٢) السقيفة: ٨٨: وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٩١، شرح الخطبة ١٣٧.

وفي أُحد قال جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما في (الطبري) ـ لمّا رأى مواساة أمير المؤمنين عليه السلام معه صلى الله عليه وآله وسلم في الدفاع عنه لمّا أراد المشركون طائفة بعد طائفة قتله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ هذه للمواساة» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه منّي وأنا منه» فقال جبرئيل: «وأنا منكما» فسمعوا صوتاً: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي»[1].

وفي أُحد فرّ عثمان إلى جبل يلي الأعوص، وأقام به ثلاثاً. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقد ذهبت فيها عريضة[2].

«وحيزت» أي: انعدلت.

«عنّي الشهادة» فلم اقتل في من قتل.

«فشقّ ذلك عليّ» بحرماني عن الشهادة.

«فقلت لي» هكذا في النسخ[3]، والجملة إمّا زائدة، وإمّا مؤكّدة لقوله «قلت لي» قبل.

«أبشر فإنّ الشهادة من ورائك. فقال لي إنّ ذلك لكذلك» أي: قلت لك ذاك اليوم الشهادة من ورائك وهو كذلك شتان بين من شهد بشهادته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن شهد بكون قتله شهادة كعب الأحبار الّذي كان يهودياً ثم صار مسلماً منافقاً يحسّن لعثمان مساويه، ويصحّح له نهبه بيت مال المسلمين حتّى ضربه أبو ذر رضي الله عنه بعصاه فشجّه.

قال ابن قتيبة: دخل كعب الاحبار على عمر بعد طعنه. فقال: قد كنت أنبأتك أنّك شهيد قال: ومن أين لي الشهادة وأنا بجزيرة العرب. ثم جعل

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧، سنة ٣.

(٢) رواه المفيد في الارشاد: ٤٥.

(٣) كذا في نهج البلاغة ٢: ٥٠، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٢، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٦٣.

الناس يثنون عليه[١].

﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا﴾ وبشارة النبيّ صلى الله عليه وآله بالشهادة من اعلام النبوّة حيث وصل خبرها متواتراً مع ذكر خصوصيّاتها بضربة على رأسه تخضب منها لحيته، وكذلك تواتر عنه عليه السلام إخباره بذلك[٢].

«فكيف صبرك إذن فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر» قول النبيّ صلى الله عليه وآله له عليه السلام «فكيف صبرك إذن» كان على حسب الظاهر من كون القتل بلاء وليصبر عليه، وجوابه عليه السلام بحسب المعنى من كون القتل إذا كان في سبيل الله يصير نعمة يبشّر بها، ويلزم الشكر عليها.

«وقال: يا علي إنّ القوم سيفتنون» أي: يمتحنون.

«بعدي» هكذا في (المصرية)، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«بأموالهم» قال تعالى: ﴿أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[٤].

وعن ابن عباس: إنّ أوّل درهم ودينار ضربا في الأرض نظر إليهما إبليس فلمّا عاينهما أخذهما فوضعهما على عينيه، ثم ضمّهما إلى صدره، ثم صرخ صرخة، ثم ضمّهما إلى صدره، ثم قال: أنتما قرّة عيني، وثمرة فؤادي ما أُبالي من بني آدم إذا أحبّو كما أن لا يعبدوا وثناً، وحسبي من بني

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢١، والنقل بتلخيص.

(٢) أخرج هذا الحديث جماعة جاء تخريجه من طرق عديدة في ترجمة علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر ٣: ٣٤٣ ـ ٣٤٦ ح ١٣٩١ ـ ١٣٩٦، وغيره.

(٣) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٢، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٦٣.

(٤) الانفال: ٢٨.

آدم أن يحبّوكما[١].

قلت: إنّما قال ﷺ: «سيفتنون بأموالهم بعده» لأنّ في عصره عليه السلام لم يكن لهم مال وإنّما صاروا ذوي أموال بفتوح فارس والروم. روى ابن عبدالبر في (استيعابه) في ترجمة عبد الرحمن بن عوف بأسانيد؛ انّه دخل على أمّ سلمة فقال يا أمه! قد خفت ان يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريش مالاً قالت: تصدّق فإنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إنّ من أصحابي من لا يراني بعد أن أُفارقه» فخرج عبد الرحمن فلقي عمر فأخبره بما قالت أُم سلمة. فدخل عليها فقال لها: «بالله منهم أنا» قالت: لا ولن أقول لأحد بعدك. وفي خبر: ولن أُبرئ بعدك أحداً أبداً[٢].

قلت: إنّ عمر احتمل بموجب الخبر أن يكون من صحابة لا يرون النبيّ ﷺ في الآخرة، وقول أُمّ سلمة له ليس هو في من سمّاهم لها لو لم يكن عن تقيّة أو آستحياء لم يكن دليلاً على عدم كونه منهم، لأنّ غاية ما يدلّ عليه عدم المعلومية عندها لا العدم، وقولها لعمر: «لا أقول لأحد بعدك هكذا» أو «ولن أُبرئ بعدك أحداً أبداً» دالّ على أنّ أم سلمة كانت معتقدة أنّ جميع الصحابة الّذين كانوا مثل عمر كانوا منهم.

وروى (الاستيعاب) أيضاً: أنّ عبد الرحمن خلّف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس، وروى أنّ امرأته الّتي طلّقها في مرضه صولحت عن ربع الثمن من ميراثه بثلاثة وثمانين ألفاً[٣].

وروى ابن الأثير في (أُسد الغابة): أنّ عبد الرحمن خلّف مالاً عظيماً من

---

(١) أخرجه الصدوق في اماليه: ١٦٨ ح ١٤، المجلس ٣٦.

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٩٧، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الاستيعاب ٢: ٣٩٦، والنقل بتصرف.

ذهب قطع بالفؤس حتّى مجلت أيدي الرجال منه[١].

وروى (الاستيعاب) في طلحة: أنّ غلّته كانت كلّ يوم ألفا وافيا والوافي درهم وزنه وزن الدينار[٢].

وفي (مروج المسعودي): وبنى عثمان داره في المدينة، وشيّدها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة، وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين، وغيرهما مائة ألف دينار، وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً[٣].

وفي (المروج) أيضاً: وفي أيّام عثمان بنى الزبير بالبصرة داره المعروفة في هذا الوقت سنة (٣٣٢) تنزلها التجّار، وأرباب الأموال، وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم، وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والاسكندرية. وبلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّف ألف فرس، وألف عبد وأمة[٤].

وفيه: وابتنى طلحة داره بالكوفة المشهورة به في هذا الوقت، وكانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر[٥].

وفيه: وذكر سعيد بن المسيب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلّف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع[٦].

وفيه: ومات يعلى بن منية، وخلّف خمسمائة ألف دينار وديوناً على

---

(١) اسد الغابة ٣: ٣١٧.

(٢) الاستيعاب ٢: ٢٢٥.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٣٢.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٣٢.

(٥ و ٦) مروج الذهب ٢: ٣٣٣.

الناس وعقارات وغير ذلك[١]، وفي (جمل المفيد) عن الواقدي وأبي مخنف وابن دأب والمدائني بعد ذكر غدر طلحة والزبير بعامل أمير المؤمنين عليه السلام وقتلهما حارسي بيت المال: «وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأمّلا إلى ما فيه من الذهب والفضة، قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا أنّه يعجلها لنا. قال أبو الأسود الدؤلي: وقد سمعت هذا منهما، ورأيت عليّاً عليه السلام بعد ذلك، وقد دخل بيت مال البصرة، فلمّا رأى ما فيه قال: «يا صفراء يا بيضاء غرّي غيري المال يعسوب الظلمة، وأنا يعسوب المؤمنين» قال أبو الأسود: فلا والله ما التفت إلى ما فيه، ولا فكّر في ما رآه منه، وما وجدته عنده إلّا كالتراب هواناً. فتعجبت من القوم ومنه، فقلت: أُولئك ممّن يريد الدنيا، وهذا ممّن يريد الآخرة وقويت بصيرتي فيه[٢].

وروى الخطيب في (تاريخ بغداده) عن عتبة بن غزوان قال: لقد رأيتني سابع سبعة من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قرحت أشداقنا من أكل ورق الشجر ـ إلى أن قال ـ وما منّا اليوم إلّا أمير على مصر وأنّها لم تكن نبوّة إلّا أنّها تناسخت حتّى تكون ملكاً[٣].

وروى أيضاً عن أبي موسى قال: لو شهدتنا، ونحن مع نبيّنا، وقد أصابتنا السماء لحسبت ريحنا ريح الضأن من لبسنا الصوف[٤].

«ويمنّون بدينهم على ربّهم» وقد قال جلّ وعلا: ﴿يمنّون عليك أن أسلموا قلّ لا تمنّوا عليَّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٣.

(٢) الجمل للمفيد: ١٥٤.

(٣) تاريخ بغداد ١: ١٥٦.

(٤) لم أظفر به في تاريخ بغداد في مظانه.

صادقين﴾[١] وقال تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا، إلى ـ كذلك كنتم من قبل فمّن الله عليكم فتبيّنوا إنّ الله كان بما تعملون خبيرا﴾[٢] وقال عزّ اسمه: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾[٣].

«ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية» روى محمّد بن يعقوب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: انّ الله تعالى يقول: ويلٌ للّذين يختلون الدنيا بالدين، وويلٌ للّذين يقتلون الّذين يأمرون بالقسط من الناس، وويلٌ للّذين يسير المؤمن فيهم بالتقيّة. أبي يغترّون؟! أم عليّ يجترؤون؟! فبي حلفت لأتيحنّ لهم فتنة تترك الحليم منهم حيران[٤].

هذا، وفي (المروج): سأل المنصور عبدالله بن مروان بن محمّد عن قصّته مع ملك النوبة لمّا هرب إليه مع عدّة من أهل بيته من بني أُميّة. فقال: قال لي: لِمَ تشربون الخمر، وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟ فقلت: إجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم قال: فلِمَ تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرّم عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم. قال: فلِمَ تلبسون الديباج والحرير والذهب، وهو محرّم عليكم في كتابكم ودينكم؟ فقلت: انتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا. فلبسوا ذلك على الكره منّا فأطرق إلى الأرض يقلّب يده مرّة وينكت في الأرض أُخرى ويقول: عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا علينا في ديننا، ثم رفع رأسه. فقال: ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما

---

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) النساء: ٩٤.

(٣) آل عمران: ١٦٤.

(٤) الكافي ٢: ٢٩٩ ح ١.

حرّم الله وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم في ما ملكتم فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمة ولم يبلغ غايتها فيكم، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب، وأنتم ببلدي فينالني معكم فتزود ما احتجت، وارحل عن أرضي[1].

«فيستحلون الخمر» وهو كلّ مسكر.

«بالنبيذ» الذي لم يكن بمسكرٍ.

روى (الكافي): أنّ الكلبي النسّابة سأل أبا عبدالله عليه السلام عن النبيذ. فقال حلال. فقال الكلبي: انا ننبذه فنطرح فيه العكر ما سوى ذلك. فقال: شه شه تلك الخمرة المنتنة. فقال له: جعلت فداك: فأيّ نبيذ تعني قال: إنّ أهل المدينة شكوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تغير الماء وفساد طبائعهم. فأمرهم أن ينبذوا. فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له. فيعمد إلى كف من التمر. فيلقيه في الشنّ فمنه شربه، ومنه طهوره. فقال: وكم كان عدد التمرات الّذي كانت تلقى. فقال: ما يحمل الكف فقال: واحدة واثنتين، فقال: ربما كانت واحدة وربما كانت اثنتين (أي كف واحدة وكفان ثنتان)[2].

وروى الطبري في ذيله عن أبي مالك الأشعري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليشربنّ ناس من أمّتي الخمر يسمّونها بغير اسمها، ويضرب على رؤوسهم المعازف يخسف الله عزّوجلّ بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير[3].

وروى ابن سعد في (طبقاته) في وفد جيشان على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم سألوه عن أشربة تكون باليمن. فسمّوا له البتع من العسل والمرز من الشعير. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هل تسكرون منها ؟ قالوا: إن أكثرنا سكرنا. فقال: فحرام قليل ما

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٦: ٤١٦ ح ٣.

(٣) أخرجه الطبري في ذيل المذيل، منتخبه: ٧٨.

أسكر كثيره، وقال: كلّ مسكر حرام[١].

وروى الخطيب في (تاريخ بغداد): عن عبدالله بن مصعب قال: حضرت شريكاً في مجلس أبي، وعنده الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب والجريري. فتذاكروا الحديث في النبيذ، واختلافهم فيه. فقال شريك «حدّثنا أبو اسحق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب قال: إنّا نأكل من لحوم هذه الإبل، ونشرب عليها من النبيذ ليقطعها في أجوافنا وبطوننا. فقال الحسن بن زيد: ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق[٢].

وفي (الأغاني) -في عزّة الميلاء بعد ذكر غناء عزّة ورائقه بقول حسّان:

انظر خليلي بباب جلّق هل تبصر دون البلقاء من أحد

قال حسّان: لقد أذكرتني أمراً ما سمعته إذ نأى بعد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم -إلى أن قال -فجاء الله بالإسلام فمحا به كلّ كفر، وتركنا الخمر وما كره، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر، والفضيح من الزهر والرطب، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتّى يصاحب صاحبته ويفارقها وتضرب فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون[٣].

هذا، وقالوا: حرّم رئيس القرامطة على القرامطة النبيذ، وأحلّ لهم الخمر -كما أنّه جعل صلاتهم ركعتين قبل الطلوع، وركعتين بعد الغروب - وجعل صومهم يومين: يوم النيروز ويوم المهرجان، وجعل غسلهم وضوءً[٤].

وروى الطبري أنّ قتيبة بن مسلم الباهلي بعد فتح كشّ ونسف؛ سرّح أخاه إلى طرخون. فسار حتّى نزل بمرج قريباً منهم. فانتبذوا وشربوا حتى

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ ق ٢: ٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ٩: ٢٩٤.

(٣) الاغاني ١٧: ١٦٥ و١٦٦، والنقل بتصرف يسير.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ٨: ١٦١ و١٦٢، سنة ٢٧٨.

عبثوا وعاثوا وأفسدوا. فأمر مولاه أبا مرضية أن يمنع الناس من الشرب. فكان يضربهم ويكسر آنيتهم، ويصبّ نبيذهم، فسال في الوادي. فسمّي مرج النبيذ، فقال بعضهم:

أمّا النبيذ فلست أشربه أخشى أبا مرضية الكلب[1]

وروى الطبري أيضاً في سبب خروج بهلول الملقّب كثارة في زمن هشام على خالد القسري أنّه أمر غلامه أن يبتاع له خلّاً بدرهم، فجاءه غلامه بخمر فأمر بردّها وأخذ الدرهم فلم يجب إلى ذلك فجاء بهلول إلى عامل القرية، وهي من السواد فكلّمه فقال العامل «الخمر خير منك ومن قومك» فمضى بهلول في حجّه حتى فرغ منه وعزم على الخروج ـ الخ[2].

وقال البحتري لمّا استسقى نبيذاً من فرخا نشاه:

فهي الخمر غير أن غرمنها لقب محدث لها مستعار

وفي (شعراء ابن قتيبة): مدح ابن هرمة المنصور فاستحسن شعره فقال: سل حاجتك، قال: تكتب إلى عامل المدينة لا يحدّني في الشراب، فقال: هذا حدّ من حدود الله، وما كنت لأعطله. قال: فاحتل لي فيه. فكتب إلى عامله من أتاك بابن هرمة سكران، فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين. فكان الناس يمرّون به، وهو سكران، فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة[3][4].

«والربا بالبيع» روى (الكافي) عن ابن بكير أنّه بلغ أبا عبدالله عليه السلام عن رجل أنّه كان يأكل الربا ويسمّيه اللبا. فقال: لئن أمكنني الله تعالى

(١) رواه الطبري في تاريخه ٥: ٢٤٢، سنة ٩١، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٥: ٤٥٧، سنة ١١٩.

(٣) رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٢٨٩، والنقل بتصرف يسير.

(٤) أسقط الشارح هنا شرح فقرة «والسحت بالهدية».

لأضربن عنقه[١].

وعن الأصبغ سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: يا معشر التجار الفقه ثم المتجر. الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمّة أخفى من دبيب النمل على الصفا[٢].

وروى عنه عليه السلام قال: من اتّجر بغير علمٍ ارتطم في الربا ثم ارتطم. لا يقعدنّ في السوق إلّا من يعقل الشراء والبيع[٣].

وروى الواحدي في (أسباب نزوله) عن ابن عباس: أنّ بني المغيرة من مخزوم كانوا يربون لبني عمرو من ثقيف. فلمّا أظهر الله تعالى رسوله على مكّة وضع يومئذٍ الربا كلّه، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكّة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا. فقال بنو عمرو: صولحنا على أنّ لنا ربانا. فكتب عتاب في ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين* فإن لم تفعلوا فأْذنوا بحربٍ من الله ورسوله﴾[٤] فعرف بنو عمرو أن لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله[٥].

«فقلت: يا رسول الله بأيّ! المنازل أُنزلهم» من الإنزال.

«عند ذلك» أي: وقت صاروا مفتونين بأموالهم مانّين بدينهم على ربّهم آمنين سطوته، مستحلّين حرامه بالشبهات الكاذبة.

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٥: ١٤٧ ح ١١.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ١٥٠ ح ١، والصدوق في الفقيه ٣: ١٢١ ح ١٥، والطوسي في التهذيب ٧: ٦ ح ١٤.

(٣) هذا تلفيق بين حديثين أخرجهما الكليني في الكافي ٥: ١٥٤ ح ٢٣، والصدوق في الفقيه ٣: ١٢٠ ح ٩، والطوسي في التهذيب ٧: ٥ ح ١٤..

(٤) البقرة: ٢٧٨ و ٢٧٩.

(٥) رواه الواحدي في اسباب النزول: ٥٨.

«أبمنزلة ردّة» عن الإسلام؟

«أم بمنزلة فتنة» وامتحان في الدين هل يثبتون على ما قرّر لهم أم لا؟

«فقال بمنزلة فتنة» لأنّهم لم ينكروا كما أنكر الحرث الفهري حتّى ينزلوا بمنزلة ردّة.

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته): ذكر الثعلبي في (تفسيره): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما قال ذلك ـ أي في أمير المؤمنين عليه السلام ـ طار في الأقطار وشاع في الأمصار. فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد. ثم عقلها، وجاء فدخل في المسجد. فجثا بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا محمّد! إنّك أمرتنا أن نشهد ألّا إله إلّا الله، وأنّك رسوله. فقبلنا منك ذلك. وأمرتنا أن نصلّي خمس صلوات في اليوم والليلة، ونصوم رمضان ونحجّ البيت، ونزكّي أموالنا. فقبلنا منك ذلك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك، وفضّلته على الناس، وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فهذا شيء منك أو من الله؟

فقال النبيّ ـ وقد احمرّت عيناه ـ والله الّذي لا إلّه إلّا هو إنّه من الله وليس منّي ـ قالها ثلاثاً ـ فقام الحرث وهو يقول: «اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأرسل علينا من السماء حجارة أو آئتنا بعذابٍ أليم» فوالله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات، وأنزل تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقعٍ* للكافرين ليس له دافع﴾[1].

ومن لم يظهر نصباً ولم يكن له قوّة التمييز كان مسلماً مفتوناً يرجى له النجاة قال الباقر عليه السلام: إنّ الناس لمّا صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلى نفسه إلّا نظراً للناس، وتخوّفاً عليهم أن

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٠، والنقل بتصرف يسير، والآيات ١ و ٢ من سورة المعارج. (ل)

يرتدّوا عن الإسلام. فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله وكان الأحبّ إليه أن يقرّهم على ما صنعوا من أن يرتدّوا عن جميع الإسلام، وانّما هلك الّذين ركبوا ما ركبوا، فأمّا من لم يصنع ذلك، ودخل في ما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنّ ذلك لا يكفّره، ولا يخرجه من الإسلام، ولذلك كتم عليّ عليه السلام أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً[1].

وأمّا من عاند وناصب أو عرف الأمر وخالف فمسلم إسماً لشهادته بالشهادتين، كافر معنىً.

روى نصر بن مزاحم في (صفّينه) مسنداً عن الأصبغ قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام. فقال: يا أمير المؤمنين! هؤلاء القوم الّذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة، والحج واحد فبم نسمّيهم. قال: تسمّيهم بما سمّاهم الله في كتابه، قال: ما كلّ ما في الكتاب أعلمه قال: أما سمعت الله تعالى قال ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض -إلى قوله- ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[2] فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبيّ، وبالحقّ. فنحن الّذين آمنوا، وهم الّذين كفروا، وشاء الله قتالهم هدىً بمشيئة الله ربّنا وإرادته[3].

وقال أبو المقدام للباقر عليه السلام: إنّ العامة يزعمون أنّ بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله تعالى، وما كان الله ليفتن امّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٩٥ ح ٤٥٤.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) وقعة صفين: ٣٢٢.

بعده. فقال أبو جعفر عليه السلام: أوما يقرؤون كتاب الله؟! أوليس الله يقول: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[1]؟! فقال: انّهم يفسّرون على وجه آخر. فقال: أوليس قد أخبر الله عزّوجلّ عن الّذين من قبلهم من الأمم انّهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البيّنات حيث قال ﴿وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[2].

١١
من الخطبة (٨٥)

أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقلَ ٱلْأَصْغَرَ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ ٱلإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ ٱلْحَلاَلِ وَٱلْحَرامِ، وَأَلْبَسْتُكُمْ ٱلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَ فَرَشْتُكُمُ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ ٱلأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي. فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيما لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ٱلْبَصَرُ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ ٱلْفِكَرُ.

«ألم أعمل فيكم بالثقل» قرأوه بفتحتين حيث قرأوا قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين» كذلك، والأصل فيه ثعلب. ففي (اللسان): «قال ثعلب سمّى الكتاب والعترة ثقلين لأنّ الأخذ بهما ثقيل والعمل بهما ثقيل، وأصل الثَّقَل ان العرب تقول لكلّ شيء نفيس خطير مصون ثَقَل. فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما، وأصله في بيض النعام المصون، وقال ثعلبة بن

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٧٠ ح ٣٩٨، والآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

صغير المازني يذكر الظليم والنعامة.

فتذكّرا ثقلاً رثيداً بعدما ألقت ذكاءُ يمينها في كافر

ويُقال للسيّد العزيز: ثقل من هذا، وسمّى الله تعالى الجنّ والإنس الثقلين سمّيا ثقلين لتفضيل الله إياهما على سائر الحيوان المخلوق في الأرض بالتمييز والعقل خُصّا به قال ابن الأنباري: قيل للجن والإنس الثقلان لأنّهما كالثَقل للأرض وعليها، والثَقَل بمعنى الثِقْل، وجمعه أثقال، ومجراهما مجرى قول العرب: مَثَل ومِثْل، وشَبَه وشِبْه، ونَجَس ونجِس»[1].

قلت: لا حجّية في قول ثعلب، وله أوهام في مجالسه، ويكفي في ضعف قوله «وأصله في بيض النعام المصون» فما قاله بالعكس. فبيض النعام معروف بالضياع لا بالمصونية. فقالوا في المثل «أذل من بيض النعام» والبيت الّذي أنشد يدلّ على غفلتها أيضاً عن بيضها، ولا ريب في أنّ الجن والأنس يقال لهما: الثقلان بالتحريك قال - جلّ وعلا - ﴿سنفرغ لكم أيّها الثقلان﴾[2] واما الكتاب والعترة فالظاهر أنّه يقال لهما: الثِقْلان بالكسر والسكون بمعنى أنّهما ثقيلا القيمة، وعلى قول ابن الأنباري، كون ثقل بفتحتين مثل ثِقْل بكسر، فسكون لأنّ العرب قالوا: مَثَل ومِثل، وشَبَه وشِبه، ونَجَس ونِجس. يكون أيضاً في التعبير عن الكتاب والعترة بالكسر فرقاً بينهما. وبين الجن والأنس.

«الأكبر» وهو الكتاب.

«واترك فيكم الثقل الأصغر» من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام.

---

(١) لسان العرب ١١: ٨٨، مادة ثقل.

(٢) الرحمن: ٣١.

روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿وٱعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[١] بأسانيد؛ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أيُّها الناس! قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي: أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[٢].

وروى الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) عن زيد بن أرقم قال: قام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً بماء يدعى خمّا بين مكّة والمدينة، وقال: «إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجيب، وانّي تاركٌ فيكم الثقلين. أوّلهما كتاب الله ـ إلى أن قال ـ وأهل بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي». فقلنا لزيد: مَن أهل بيته؟ نساؤه؟ فقال: لا. وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها. فترجع إلى قومها[٣].

وروى أحمد بن حنبل في (مسنده)، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «انّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٤].

«وركزت» من ركزت الرمح: غرزته.

«فيكم راية الايمان» وبه عليه السلام يتحقق الإيمان، فمن لم يكن قائلاً بإمامته لم يكن مؤمناً وان كان مسلماً.

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) رواه عن الثعلبي ابن طاووس في الطرائف ١: ١٢٢.

(٣) رواه عن الحميدي ابن طاووس في الطرائف ١: ١٢٢، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ ح ٣٦، والنقل بتصرف.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩، والنقل بتصرف يسير.

«ووقفتكم» أي: اطلعتكم.

«على حدود الحلال والحرام» حتّى انه عليه السلام في محرّمات اتّقى من القول بتحريمها لأنّ المتقدّمين عليه أفتوا بحلّيتها قال عليه السلام لهم لمّا سألوه عنها «أنزّه نفسي وولدي عنها» ليدلّهم على حرمتها.

«وألبستكم العافية من عدلي» فعَدْلُهُ عليه السلام كان يشمل العربي والعجمي والمسلم والذمي، وسوّى عليه السلام في العطاء بين الأشراف وغيرهم.

«وفرشتكم» أي: بسطت لكم.

«المعروف من قولي وفعلي» فعفا عليه السلام عن أهل البصرة بعد ظفره بهم.

«وأريتكم» بالعمل.

«كرائم الأخلاق من نفسي» كما أراهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مكارم الأخلاق من نفسه وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد ذكر اختلاف أهل العراق في صفين ـ فقام عدي بن حاتم فقال: «أيُّها الناس! انّه والله لو غير عليّ عليه السلام دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه. فإنّه ما وقع بأمر قط إلاّ ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب، فقاتل أهل الجمل على النكث، وأهل الشام على البغي. فانظروا في أموركم وامره، فإن كان له عليكم فضل ليس لكم مثله؛ فسلّموا، وإلّا فنازعوا عليه، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة؛ إنّه لأعلم الناس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنّه لأخو رسول الله والرأس في الإسلام، ولئن كان من الزهد في الدنيا. فإنّه أظهر الناس زهداً وأنهكهم عبادة، ولئن كان إلى العقول والنحائز إنّه لأشدّ الناس عقلاً وأكرمهم نحيزة، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنّه لأعظم الناس شرفاً ونجدة، ولئن كان إلى الرضا لقد رضي المهاجرون والأنصار به وبايعوه ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام، فما الفضل الّذي قرّبكم إلى الهدى؟ وما النقص الّذي قرّبه إلى الضلال؟ والله لو اجتمعتم

على أمر واحد لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض وكتاب سابق»[١]. ـ فاعترف أهل صفّين لعديّ بعد هذا المقام، ورجع كلّ من تشعّب عليه.

«فلا تستعملوا الرأي في ما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل إليه الفكر» قال الجوهري: «تغلغل الماء في الشجر إذا تخللها»[٢].

روى (توحيد الصدوق) في خبر قدوم جاثليق مع مائة من النصارى المدينة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسؤاله أوّلاً أبا بكر عن مسائل وعجزه عن جوابه. ثمّ إرشاد بعضهم له إليه عليه السلام فكان من ما سأله أن قال له عليه السلام: أخبرني عن وجه الربّ. فدعا عليه السلام بنار وحطب فأضرمه، فلمّا اشتعلت قال عليه السلام: أين وجه هذه النار؟ قال: هي وجه من جميع حدودها فقال عليه السلام: هذه النار مدبّرة مصنوعة لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها ﴿ولله المشرق والمغرب. فأينما تولّوا فَثَمّ وجه الله﴾[٣].

هذا وقلنا لثعلب أوهام في مجالسه. فمنها قوله في بيت بشر بن أبي حازم:

تظلّ مقاليت النساء يطأنه ... يقلن الا يلقى على المرء مئزر

«هذا قتيل شريف فإذا قتل وطئته النساء يزعمن انهنّ يلدن مثله»[٤].

فإنّه وهم، فلا يطأنه ليلدن مثله، بل ليعيش ولدهنّ. قال ابن السكّيت: «ان العرب كانت تقول: إنّ المرأة المقلاة ـ وهي الّتي لا يعيش لها ولد ـ إذا وطأت القتيل الشريف عاش ولدها» ثم ذكر البيت. ولو أردنا الاستقصاء لطال[٥].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ٥: ١٧٨٤، مادة (غلل).

(٣) توحيد الصدوق: ١٨٢ ح ١٦، والآية ١١٥ من سورة البقرة.

(٤) مجالس ثعلب ق ١: ٧١.

(٥) نقله عن ابن السكيت ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٤٣٩، شرح الحكمة ٤٠٠.

١٢
من الخطبة (١١٨)

ومن كلام له عليه السلام:

«تَاللّٰهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالَاتِ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ؛ وَعِنْدَنَا - أَهْلَ ٱلْبَيْتِ، أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ، وَضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ. أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ؛ وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ؛ مَنْ أَخَذَبِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ».

«تالله لقد علمت تبليغ الرسالات» قال ابن أبي الحديد: تبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المكلّفين، وفيها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والّذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله﴾[١] وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في قصّة «لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي»[٢].

«وإتمام العدات» قال ابن أبي الحديد: إتمام العدّات: إنجازها، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[٣] وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه: «وقاضي ديني ومنجز موعدي»[٤].

قلت: وعن (التاريخ المعروف بالعباسي): أنّ الفقهاء رووا للمأمون انّ عليّا عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ينادي: «من كان له على النبيّ صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليحضر» فحضر جماعة فأعطاهم بغير بيّنة، وأنّ أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك. فحضر جرير بن عبدالله، وجابر بن عبدالله. فأعطاهم بغير بيّنة» فقال لهم المأمون: أما كانت فاطمة وشهودها يجرون

---

(١) الاحزاب: ٣٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٠.

(٣) الاحزاب: ٢٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٠.

مجرى جرير وجابر؟ فلم منعها فدك؟ فأمر المأمون بردّ فدك ـ في خبر طويل(١).

«وتمام الكلمات» قال ابن أبي الحديد: «تمام الكلمات» تأويل القرآن، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وتمّت كلمت ربّك صدقاً وعدلاً﴾(٢) وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه عليه السلام: «اللهمّ اهدِ قلبه، وثبّت لسانه»(٣).

وقال أيضاً: «وخلاصة كلامه عليه السلام إنّه أقسم بالله انّه قد علّم أو علم على اختلاف الروايتين أداء الشرائع إلى المكلّفين، والحكم بينهم بما أنزله الله تعالى وعلم مواعيد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّتي وعد بها. فمنها ما هو وعد لواحد من الناس بأمر نحو أن يقول له سأُعطيك كذا، ومنها ما هو وعد بأمر يحدث كأخبار الملاحم والأُمور المتجدّدة، وانّه عليه السلام قد علم تمام كلمات الله تعالى، أي: تأويلها وبيانها الّذي تتمّ به لأنّ في كلامه تعالى المجمل الّذي لا يستغني عن متمّم ومبيّن يوضحه»(٤).

«وعندنا أهل البيت أبواب الحكم» قال ابن أبي الحديد: يعني الشرعيات والفتاوى(٥).

«وضياء الأمر» قال ابن أبي الحديد: «يعني العقليات والعقائد، وهذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين سواه عليه السلام أن يدعيه،ولو أقدم أحد على إدعائه غيره لكذب، وكذّبه الناس»(٦).

«ألا وإنّ شرائع الدين واحدة» لأنّها من عند واحد عليم حكيم قال تعالى:

---

(١) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٥٠، والنقل بتصرف يسير، والمحتمل أن المراد بالتاريخ العباسي تاريخ ابن واضح المعروف باليعقوبي وتوجد هذه القصة باختصار فيه ٢: ٤٦٩.

(٢) الانعام: ١١٥.

(٣ و ٤ و ٥ و ٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٠.

﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّن من بعده﴾[١].

وقال الصادق عليه السلام -كما روى (الكافي)-: انّ الله تعالى ما بعث نبيّاً إلّا وفي علمه تعالى أنّه إذا أكمل له الدين كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً، وإنما ينقلون من خصلة إلى أُخرى، ولو حمل ذلك عليهم جملة لقطع بهم دون الدين[٢].

«وسبله قاصدة» الأصل فيه قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾[٣] قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٤] وقال جلّ وعلا: ﴿قل إنّني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[٥].

«من أخذ بها» وسلك فيها.

«لحق» ووصل المقصد.

«وغنم» في متجره قال عزّ اسمه: ﴿ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّن والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾[٦].

«ومن وقف عنها ضلّ» عن المقصد.

«وندم» على ترك سلوكه. قال جلّ وعلا: ﴿فإن لم يستجيبوا لك. فاعلم انّما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله انّ الله لا

---

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٦: ٣٩٥ ح ١ ـ ٣، بفرق يسير بين الالفاظ عن الصادق والباقر عليهما السلام.

(٣) النحل: ٩.

(٤) الحج: ٧٨.

(٥) الانعام: ١٧١.

(٦) النساء: ٦٩.

يهدي القوم الظالمين﴾[١].

ومن سبل الدين هو عليه السلام ثم المعصومون من عترته. روى (توحيد الصدوق) عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «أنا الهادي، وأنا المهتدي، وأنا أبو اليتامى، والمساكين، وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف، ومأمن كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى، وكلمة التقوى، وأنا عين الله، ولسانه الصادق، ويده، وأنا جنب الله الّذي يقول ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله﴾[٢] وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة من عرفني وعرف حقّي فقد عرف ربّه لأنّي وصيّ نبيّه في أرضه، وحجّته على خلقه لا ينكر هذا إلّا رادّ على الله ورسوله»[٣].

١٣
من الكتاب (٩)

بعد ذكره عليه السلام «فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بن المطلب في بَدْرٍ، وَحَمْزَةُ بن عبد في أُحُدٍ، وَجَعْفَرُ بن أبي‌طالب في مُؤْتَةَ»:

وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ.

فَيَا عَجَبَا لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَالاَ أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنَّ اَللّهَ يَعْرِفُهُ. وَاَلْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) أخرجه الصدوق في التوحيد: ١٦٤ ح ٢، وفي معاني الاخبار: ١٧ ح ١٤.

أقول: مرّ في فصل النبوّة الخاصّة صدره وأنّه رواه (صفين نصر بن مزاحم)[١].

«وأراد من لو شئت ذكرت اسمه» يعني عليه السلام نفسه.

«مثل الّذي أرادوا» يعني عبيدة وحمزة وجعفر.

«من الشهادة، ولكنّ آجالهم عُجّلت» فاستشهدوا.

«ومنيّته» أي: موته.

«أُجّلت» هكذا في (المصرية)، والصواب: «أُخّرت» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة المصححة)[٢].

«فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي» في الإسلام من بدئه إلى يومه.

قال سبط بن الجوزي في (تذكرته): سوابقه عليه السلام أشهر من الشمس والقمر، وأكثر من الحصى، والمدر، وقد اخترت منها ما ثبت واشتهر، وهي قسمان: قسم مستنبط من الكتاب، وقسم من السنّة الّتي ليس فيها ارتياب، وقد روى مجاهد أنّ ابن عباس سئل عن فضائله عليه السلام وقال السائل: أظنّها ثلاثة آلاف فقال ابن عباس، هي إلى الثلاثين ألفاً أقرب. ثم قال ابن عباس: لو أنّ الشجر أقلام، والبحور مداد، والإنس والجن كُتّاب وحُسّاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: ما أنزل آية في القرآن إلّا وعلي عليه السلام رأسها وأميرها.

أما نصوص الكتاب فمنها قوله تعالى في المائدة: ﴿انّما وليّكم الله

---

(١) مر في العنوان ٣٢ من الفصل السادس ورواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٩٠.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٧، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٦٣.

ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾[١] ذكر الثعلبي في تفسيره عن السدي، وغيره أنّ عليّاً عليه السلام مرّ به سائل، وهو في المسجد راكع فأعطاه خاتمه فنزلت الآية.

وروى الثعلبي مسنداً عن أبي ذر قال: صلّيت يوماً صلاة الظهر والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حاضر، فقام سائل فسأل فلم يعطه أحد شيئاً، وكان علي عليه السلام قد ركع. فأومأ إلى السائل بخنصره. فأخذ الخاتم من خنصره والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعاين ذلك. فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ انّ أخي موسى سألك. فقال ﴿ربِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ـ إلى ـ واشركه في أمري﴾[٢] فانزلت عليه ﴿سنشد عضدك بأخيك، ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾[٣] اللهمّ وأنا محمّد صفيك، ونبيّك. فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به أزري ـ أو قال ـ ظهري فما استتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عنده تعالى. فقال: يامحمّد إقرأ: ﴿انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٤] ـ إلى أن قال ـ وقال حسّان:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي	وكلّ بطيءٍ في الهدى ومسارع
فأنت الّذي أعطيت إذ كنت راكعاً	فَدَتْكَ نفوس الخلق يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد	ويا خير شار ثمّ يا خير بائع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبيّنها في محكمات الشرائع

وقال أيضاً:

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) طه: ٢٥ ـ ٣٢.

(٣) القصص: ٣٥.

(٤) المائدة: ٥٥.

من ذا بخاتمه تصدّق راكعاً واسرّها في نفسه اسرارا

ومنها قوله تعالى في آل عمران: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[1] ـ الآية ـ قال جابر كما روى عنه أهل السير أنّ وفد نجران قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: من أبو موسى؟ فقال: عمران. قالوا: فأنت؟ قال: عبدالله. قالوا: فعيسى؟ فسكت ينتظر الوحي فنزل: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾[2] فقالوا: لا نجد هذا في ما أوحي إلى أنبيائنا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: كذبتم. ونزل: ﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[3] ـ الآية ـ قالوا: أنصفت. فمتى نباهلك؟ قال: غداً إن شاء الله. فانصرفوا، وقال بعضهم لبعض: إن خرج في عدّة من أصحابه؛ فباهلوه لأنّه غير نبيّ، وان خرج في أهل بيته فلا تباهلوه؛ فانّه نبيّ صادق، ولئن باهلتموه لتهلكنّ. ثم بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل المدينة ومن حولها. فلم يبق بكر لم ترها الشمس إلّا خرجت، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعليّ عليه السلام بين يديه، والحسن عليه السلام عن يمينه، والحسين عليه السلام عن شماله وفاطمة عليها السلام خلفه، ثم قال: هلمّوا فهؤلاء أبناؤنا وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهذه نساؤنا يعني فاطمة عليها السلام وهذه أنفسنا يعني نفسي وأشار إلى عليّ عليه السلام فلمّا رأى القوم ذلك خافوا وقالوا: أقِلْنا أقالك الله. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والّذي نفسي بيده لو خرجوا لامتلأ الوادي عليهم ناراً ـ إلى أن قال ـ وقال الثعلبي في تفسيره: فقال أُسقف نجران: يا معاشر النصارى! إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) آل عمران: ٥٩.

(٣) آل عمران: ٦١.

مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا. فرجعوا وصالحوا على ألفي حلّة.

ومنها قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾[١] روى الثعلبي في تفسيره، عن زاذان عن عليّ عليه السلام قال: والّذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النار. فقال له رجل: فما آيتك الّتي نزلت فيك. فقال: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾ فرسول الله على بيّنة، وأنا شاهد منه.

ومنها في براءة: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[٢] قال علماء السير معناه كونوا مع علي وأهل بيته قال ابن عباس علي سيّد الصادقين.

ومنها في لم يكن ﴿أولئك هم خير البرية﴾[٣] قال مجاهد: هم عليّ وأهل بيته ومحبّوهم، ومنها في الصافات ﴿وقفوهم انّهم مسؤولون﴾[٤] قال مجاهد: مسؤولون عن حبّ عليّ عليه السلام.

ومنها في مريم ﴿انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً﴾[٥] روى الثعلبي في تفسيره أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام «قل اللهمّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين ودّاً» فانزل تعالى فيه هذه الآية[٦].

وقال في قسم «ألسنة الّتي بلا ارتياب» روى أحمد بن حنبل في مسنده،

---

(١) هود: ١٧.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) البينة: ٧.

(٤) الصافات: ٢٤.

(٥) مريم: ٩٦.

(٦) تذكرة الخواص: ١٣ ـ ١٨، والنقل بتصرف.

عن سعد بن أبي وقاص قال خلّف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً في غزوة تبوك في أهله. فقال يا رسول الله تخلّفني في النساء والصبيان. فقال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبيّ بعدي.

وروى أحمد بن حنبل في فضائله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوّة، وأنت خليفتي.

وروى أيضاً في فضائله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار. فبكى عليّ عليه السلام وقال: لم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّما ادّخرتك لنفسي. أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، أما علمت أنّ أوّل من يدعى به يوم القيامة أنا -إلى أن قال- وينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي. أبشر يا علي فإنّك ستكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، وتحيى إذا حييت، وتقف على عقر حوضي، تسقي من عرفت، فكان عليّ عليه السلام يقول: والّذي نفسي بيده لأذودنّ عن حوض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أقواماً من المنافقين كما تذاد غريبة الإبل عن الحوض ترده.

وروى في فضائله أيضاً عن أسماء بنت عميس قالت: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اللهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى: واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً.

وروى هو في مسنده، ومسلم والبخاري في (صحيحيهما)، عن سهل بن سعد قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون أيّهم يعطاها، فلمّا أصبحوا غدوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يرجو كلّ أن يعطاها فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله هو أرمد، قال: فأرسلوا إليه. فجاء فبصق في عينه، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية.

وروى في (فضائله)، عن ابن بريدة قال: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر فلم يفتح له. ثم أخذه عمر من الغد، فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس شدّة وجهد. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي دافع اللواء غداً إلى رجل يحبّه الله ورسوله لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه.

وذكر أحمد بن حنبل أيضاً في (فضائله): أنّهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائلاً يقول: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي.

وقال جابر بن عبدالله: حمل عليّ عليه السلام باب خيبر وحده. فدحاه ناحية ثم جاء بعده أُناس يحملونه فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً.

وفي (الطبري) قال أبو رافع: خرج إلى عليّ عليه السلام في خيبر رجل. فضرب عليّاً فطرح ترسه من يده، فتناول علي عليه السلام باباً عند الحصن، فتترّس به عن نفسه فلم يزل في يده، وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه. ثم ألقاه. فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجتهد على أن نقلب الباب. فلم نقدر عليه.

وروى أحمد بن حنبل في (مسنده) عن عليّ عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتينا الكعبة فقال لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس فجلست فصعد على كتفي. فذهبت لأنهض به فلم أطق، ورأى مني ضعفاً فنزل، وجلس لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: إصعد على منكبيّ. فصعدت على منكبيه فنهض بي، وانّه ليخيّل لي أنّي لو شئت أن انال أُفق السماء لنلته ـ إلى أن قال ـ قال سعيد بن المسيب: فلهذا كان عليّ عليه السلام يقول «سلوني عن طرق السماوات فإنّي أعرف بها من طرق الأرضين ولو كشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً»[1].

---

(١) روى هذه الاحاديث السبط في تذكرة الخواص: ١٨ ـ ٢٧، وما رواه عن صحيح البخاري فهو فيه ٢: ١٦١ و١٧١ و٢٩٩ و٣: ٥١، وما عن صحيح مسلم فهو فيه ٤: ١٨٧٢ ح ٣٤، وما عن مسند أحمد فهو فيه ١: ٨٤ و١٧٠ ـ ١٨٥ و٥: ٣٣٤، وما عن تاريخ الطبري فهو فيه ٢: ٣٠١، سنة ٧.

وفي (نهاية الجزري) في الحديث: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه الرجال كما يذاد البعير الصاد» يعني الّذي به الصيد، وهو داء يصيب الإبل في رؤوسها فتسيل أنوفها، وترفع رؤوسها ولا تقدر أن تلوي معه أعناقها يُقال بعير صاد أي ذو صاد[1].

وفي (التذكرة) أيضاً: وروى الثعلبي في (تفسيره): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما أراد أن يهاجر إلى المدينة خلّف عليّاً عليه السلام بمكّة لقضاء ديونه، وردّ الودائع الّتي كانت عنده، وأمره أن ينام تلك الليلة على فراشه، وقال له: تسجَّ ببردي الحضرمي لا يخلص إليك منهم أحد، ولا يصيبونك بمكروه، والقوم قد أحاطوا بالدار، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل أنّي قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة. فاختار كلاهما الحياة. فأوحى الله تعالى اليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه؟! اهبطا إلى الأرض. فاحفظاه من عدوّه، فنزلا؛ جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، والملائكة تنادي: بخّ بخّ من مثلك يا ابن أبي طالب، والله باهى بك ملائكته، فأنزل تعالى في شأن عليّ عليه السلام ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[2] وقال ابن عباس: أنشدني أمير المؤمنين عليه السلام شعراً قاله تلك الليلة:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

وروى الترمذي أن النبيّ صلى الله عليه وآله بعث جيشاً واستعمل عليهم عليّاً فمضى في السرية فأصاب جارية من السبي. فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله أخبروه. فلمّا قدموا عليه قام الأول فقال: يا رسول الله! ألا

---

(١) النهاية ٣: ٦٥، مادة (صيد).

(٢) البقرة: ٢٠٧.

ترى إلى علي فعل كذا وكذا، فأعرض عنه. ثم قام الثاني فقال كذلك فأعرض عنه، وقام الثالث، والرابع، فقالا كذلك، فأعرض عنهما. ثم أقبل عليهم والغضب يعرف في وجهه، وقال: ما تريدون من عليّ؟! ـ قالها ثلاثاً ـ عليّ منّي وأنا منه.

وذكر أهل السير: أنّ النبيّ ﷺ بعث أبا بكر يحجّ بالناس سنة تسع من الهجرة، وقال له: انّ المشركين يحضرون الموسم ويطوفون عراة، ولا أحبّ أن أحجّ حتّى لا يكون ذلك، وأعطاه أربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم. فلمّا سار دعا النبيّ ﷺ عليّاً عليه السلام فقال له: اخرج بهذه الآيات من صدر براءة فإذا اجتمع الناس إلى الموسم فأذّن بها، ودفع إليه ناقته العضباء. فأدرك أبا بكر بذي الحليفة، فأخذ منه الآيات. فرجع أبو بكر إلى النبيّ ﷺ. فقال: بأبي أنت وأُمي هل نزل فيّ شيء. فقال: لا، ولكن لا يبلغ عنّي غيري أو رجل منّي.

قال: وفي (فضائل أحمد): أنّ النبيّ ﷺ قال له: انّ جبرئيل جاءني فقال: ابعث علياً ـ إلخ[1].

وفي (فهرست ابن النديم): قال هشام بن الحكم: ما رأيت مثل مخالفينا عمدوا إلى من ولّاه الله من سمائه فعزلوه، وإلى من عزله من السماء فولّوه. قال ابن النديم: يذكر هشام قصّة مبلّغ سورة البراءة، ومردّ أبي بكر وإيراد عليّ عليه السلام بعد نزول جبرئيل عليه السلام قائلاً للنبي ﷺ عن الله تعالى «انّه لا يؤدّيها عنك إلّا أنت أو رجل منك» فردّ أبا بكر وأنفذ عليّاً عليه السلام[2].

وروى الزبير بن بكّار في (موفّقياته) عن ابن عباس قال: انّي لأُماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة إذ قال لي: يا ابن عباس! ما أرى

(١) روى هذه الاحاديث السبط في تذكرة الخواص: ٣٥ ـ ٣٧، وما رواه عن الترمذي فهو في سننه ٥: ٦٣٢ ح ٣٧١٢.

(٢) تكملة الفهرس: ٢٢٤.

صاحبك إلّا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها. فقلت: فاردد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته، فقال: يا ابن عباس! ما أظنّ منعهم إلّا أنّه استصغره قومه. فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأولى. فقلت له: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك. فأعرض عنّي وأسرع. فرجعت عنه[١].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): ذكر أحمد بن حنبل في (فضائله): أنّ صاحب لواء المشركين يوم أحد لمّا قصد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فداه عليّ عليه السلام بنفسه، وحمل على صاحب اللواء فقتله، فنزل جبرئيل عليه السلام. فقال: يا محمّد! إنّ هذه لهي المواساة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما.

وروى في (فضائله) أيضاً عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يُمضي فيهم أمري، ويقتل المقاتلة، ويسبي الذرّية. قال أبو ذر: فما راعني إلّا برد كف عمر من خلفي، فقال: من تراه يعني؟ قلت: ما يعنيك وانّما يعني خاصف النعل عليّاً عليه السلام. ورواه الترمذي في (سننه).

وروى عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة خطبها في حجّة الوداع: لأقتلنّ العمالقة في كتيبة. فقال له جبرئيل: أو علي بن أبي طالب. فقال: أو علي بن أبي طالب.

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. فمن أراد العلم فليأت الباب.

وروى أيضاً في فضائله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق آدم قسّم ذلك

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٥، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بتصرف يسير.

النور جزأين، فجزء أنا وجزء عليّ.

وروى أيضاً في (فضائله) عن عليّ عليه السلام قال: لمّا كانت ليلة بدر قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس. فقمت فاحتضنت قربة. ثم أتيت قليباً بعيد القعر مظلماً فانحدرت فيه؛ فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل تأهبّوا لنصرة محمّد وحزبه. فهبطوا من السماء لهم دويّ يذهل من يسمعه. فلمّا حاذوا القليب، وقفوا وسلّموا عليَّ من عند آخرهم.

وروى أيضاً في (فضائله) عن سفينة مولى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم طيراً ـ وفي رواية طيرين ـ بين رغيفين فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اللهمّ إيتني بأحبّ خلقك إليك. فإذا الباب يفتح. فدخل عليّ عليه السلام فأكل معه، وقال الحاكم: حديث الطائر صحيح يلزم البخاري ومسلماً إخراجه في (صحيحيهما) لأنّ رجاله ثقات.

وروى في (فضائله) أيضاً عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سُدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ بن أبي طالب. فتكلّم الناس في ذلك، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشئ فاتّبعته». ورواه الترمذي.

ورواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري، وغيرك».

وعن جابر بن عبدالله. قال: دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً يوم الطائف. فانتجاه طويلاً. فقال الناس: لقد طالت نجواه مع ابن عمّه. فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: «ما انتجيته، ولكنّ الله انتجاه». قال الترمذي: ومعناه ان الله أمرني أن

انتجي معه[١].

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) عن البراء بن عازب قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلنا بغدير خم. فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح للنبيّ صلى الله عليه وآله بين شجرتين. فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليّ عليه السلام وقال «اللهمّ من كنت مولاه فهذا مولاه» فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب. أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وعن عبد الملك بن عطية العوفي قال: أتيت زيد بن أرقم. فقلت له: إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن علي يوم الغدير، وأنا أُحبّ أن أسمعه منك. فقال: انكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم. فقلت، ليس عليك مني بأس، فقال: نعم. كنّا بالجحفة. فخرج علينا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ظهراً، وهو آخذ بعضد علي عليه السلام. فقال: «أيّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقالوا: بلى. فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» قالها أربع مرّات.

وعن رياح بن الحرث قال: جاء رهط إلى عليّ عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا مولانا، وكان بالرحبة، فقال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فقلت: من هؤلاء: فقيل: نفر من الأنصار فيهم أبو أيّوب صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن بريدة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه ـ أو وليه ـ فعليّ وليّه ـ وفي رواية لمّا أنشد عليّ عليه السلام الناس في الرحبة قام خلق كثير فشهدوا له بذلك ـ وفي لفظ ـ فقام ثلاثون رجلاً فشهدوا[٢].

---

(١) روى هذه الاحاديث السبط في تذكرة الخواص: ٣٨ ـ ٤٩، وما رواه عن الترمذي والحاكم فهو في سنن الترمذي ٥: ٦٣٤ ـ ٦٤١ ح ٣٧١٥ و٣٧٢٦ و٣٧٢٧ و٣٧٣٢، ومستدرك الحاكم ٣: ١٣١.

(٢) هذه الاحاديث رواها السبط في التذكرة: ٢٩، وحديث عبدالملك ورياح وبريدة في مسند أحمد ٤: ٣٦٨ و٥: ٣٤٧ و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١ و٤١٩، والصحيح عبدالملك عن عطية العرفي.

وذكر الغزالي في كتاب (سرّ العالمين): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقال عمر بن الخطاب: بخٍّ بخٍّ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وهذا تسليم ورضى وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى حبّا للرياسة، وعقد البنود، وخفقان الرايات، وازدحام الخيول في فتح الأمصار، وأمر الخلافة ونهيها، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ـ إلى آخر ما في تذكرة السبط[1].

ولو شئنا استقصاء ما فيه فقط لطال الكلام.

«التي لا يدلي» أي: لا يحتجّ.

«أحد بمثلها إلّا أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه ولا أظنّ الله يعرفه» لكون ادّعائه كذباً وميناً.

روى أحمد بن حنبل في (فضائله) عن سعيد بن المسيب: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال ـ وقد آخى بين أصحابه ـ أين علي بن أبي طالب، فجاء فقال: يا علي! أنت أخي وأنا أخوك. فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبدالله، وأخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب[2].

وروى (إرشاد) محمّد بن محمّد بن النعمان، عن حكيم بن جبير، وغيره قالوا: شهدنا عليّاً عليه السلام على المنبر يقول «أنا عبد الله، وأخو رسول الله، ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنا سيّد الوصيين، وآخر أوصياء النبيين، لا يدّعي ذلك غيري إلّا أصابه الله بسوء» فقال رجل من عبس كان جالساً بين القوم: «من لا يحسن أن يقول هذا: أنا عبد الله،

---

(١) تذكرة الخواص: ٦٢.

(٢) رواه عنه السبط في التذكرة: ٢٢.

وأخو رسول الله» فلم يبرح من مكانه حتى تخبّطه الشيطان. فجرّ برجله إلى خارج المسجد. فسألنا قومه عنه فقلنا هل تعرفون به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهمّ لا[1].

والأوّل والثاني وإن لم يستطيعا أن يدّعيا كونهما أخوَيْ رسوله إلّا أنّهما أنكرا له ذلك. ففي (خلفاء ابن قتيبة) في قصة السقيفة: أخرج عمر ومعه قوم عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: «إن لم أفعل فمه». قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: «إذن تقتلون عبد الله، وأخا رسوله»، قال عمر: أمّا عبد الله، فنعم، وأما أخو رسوله فلا. فلحق عليّ عليه السلام بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصيح ويبكي وينادي: «يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني»[2].

وامّا سوابق ذكروها للمتقدّمين عليه عليه السلام. فلعمر الله هي مفتعلة اختلقها لهم معاوية. فلو كان للأوّل سابقة لما اقتصر الثاني لمّا أراد توليته الخلافة يوم السقيفة على قوله «أمرك النبي بالصلاة بنا وأنت صاحب غاره» ولذكر ما عدّوه له.

ثم قول عمر لأبي بكر: «أمرك النبي بالصلاة بنا» كيف يعقل صحّته، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر بخروجه في جيش أُسامة، ولعن المتخلّف عنه، وانّما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال في شدّة مرضه: يصلّي بكم أحدكم فإنّي لا أستطيع الخروج إليكم فبعثت ابنته عائشة إليه أن يتصدّى هو للصلاة، ثمّ لمّا فهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قال لها: أنتن صواحب يوسف، وخرج مع حاله تلك معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام، والفضل بن العباس، وأخّره وصلّى بالناس

---

(١) الارشاد: ١٨٦.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٣، والنقل بتصرف يسير.

جالساً دفعاً للشبهة[١].

وأمّا قوله: «أنت صاحب غاره» فكونه صاحب الغار محقّق إلّا أنّه بالعار والعوار أقرب لكونه سبباً لاضطراب النبيّ ﷺ حتّى نهاه، وخصّ جلّ وعلا إنزال سكينته بنبيّه ﷺ دلالة على عدم كون أبي بكر مؤمناً بالله، وإلّا فقد قال في موضع آخر ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[٢].

«والحمد لله على كلّ حال» كان النبيّ ﷺ يقول في النعمة وما يسرُّه «الحمد لله على هذه النعمة» وكان يقول في البلية وما يكرهه «الحمد لله على كلّ حال»[٣].

وحيث قال عليه السلام قبل ذلك: «يا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم تكن له كسابقتي» قال «والحمد لله على كلّ حال»: أي حتّى في حال اقران الأجانب بي.

وفي (المروج) وغيره: كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية: كان أوّل من أجاب النبيّ ﷺ وأناب وآمن وصدّق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب. صدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه بنفسه كلّ هول، وحارب حربه، وسالم سلمة، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار، والخوف والجوع حتّى برز سابقاً لا نظير له في من اتّبعه، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نيّة، وأفضل الناس ذرّيّة، وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم. أخوه الشاري بنفسه يوم موته، وعمّه سيد الشهداء يوم أُحد، وأبوه الذابّ عن رسول الله وعن

(١) لم يعرف بهذا المتن نعم أقرب الألفاظ ما أخرجه البخاري في صحيحه ١: ١٢٢، ومسلم في صحيحه ١: ٣١٣ ح ٩٥.

(٢) الفتح: ٢٦.

(٣) أخرجه الطبرسي في مشكاة الانوار: ٣١.

حوزته، وأنت اللعين ابن اللعين. لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله. تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلّبان عليه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعليه خلفته، والشهيد عليك. من يدني منك، ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤساء النفاق، والشاهد لعليّ عليه السلام مع فضله المبين القديم، أنصاره الّذين معه. الّذين ذكرهم الله بفضله، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، وهم معه كتائب وعصائب. يرون الحقّ في أتّباعه، والشقاء في خلافه، فكيف -يا لك الويل- تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله، ووصيه، وأبو ولده. أوّل الناس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً. يخبره بسرّه، ويطلعه على أمره، وأنت عدوه، وابن عدوّه -إلى أن قال-.

فكتب إليه معاوية: ذكرت فضل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته إلى الرسول، ومواساته إيّاه في كلّ هول وخوف. فكان احتجاجك عليّ، وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك. فاحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقّه لازماً لنا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره، على كلّ ذلك اتفقاً واتّسقاً. ثم انهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم. ثم انّه بايع لهما، وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطّلعانه على سرّهما حتّى قبضا، ثم قام ثالثهما عثمان، فهدى بهديهما وسار بسيرهما. فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن توازي من يزن الجبال بحلمه، مهّد أبوك مهاده، وبنى له ملكه وشاده فإن يك ما نحن فيه صواباً؛ فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلّمنا

إليه، ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله. فعب أباك بما بدا لك أو دع[١].

وأقول: ولكون معاوية اقتدى بصدّيقهم وفاروقهم في فِعاله، وأنّهما أسّسا له قتاله مع أمير المؤمنين عليه السلام وقتله للحسن عليه السلام وتمهيده لقتل الحسين عليه السلام، وأسر أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبناته بتلك الكيفية قال الخطيب في تاريخه: قال الربيع بن نافع: معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه[٢].

اف لهذا الدّين المتضاد المُتَناقِض يَجْعَلُون لعين النَّبي مقدماً على نَفْس النَّبي.

١٤
من الخطبة (٦٥)

ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار: قالوا: لما انتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ؛ قال عليه السلام: «فَهَلّا ٱحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُول ٱللّه صلى الله عليه وآله وسلم وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إلى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ! قَالُوا: وَما في هذَا مِنَ ٱلحجَّةِ عَلَيْهِمْ»

قَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَت الإمَارةُ فِيهِمْ لَمْ تكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالُوا: ٱحْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ١١، وابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٨، والبلاذري في انساب الاشراف ٢: ٣٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ١: ٢٠٩.

فَقَالَ عليه السلام: اَحْتَجُّوا بِالشجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الَّثمَرَةَ.

من الكتاب (٢٨)

في جملة كتابه إلى معاوية: وَلَمَّا اَحْتَجَّ المُهَاجِرُونَ عَلَى اَلْأَنْصَارِ يَوْمَ اَلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اَللّهِ صلى الله عليه وآله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ اَلْفَلَجُ بِهِ فَالحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

من الحكمة (١٩٠)

«وَاَعْجَباهُ اَتَكُونُ الْخِلافَةُ بِالصَّحابَةِ وَالقَرابَةِ» قال الرضيّ: وروي له شعر في هذا المعنى:

فَاِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ اُمُـورَهُمْ
فَكَـيْفَ بِـهذَا وَالْـمُشِيرُونَ غُـيَّبُ
وَاِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبى حَجَجْتَ خَصيمَهُمْ
فَـغَيْرُكَ أوْلى بِـالنَّبِيِّ وَاَقْـرَبُ

أقول: ذكر الأوّل والأخير المصنّف في خصائصه أيضاً. الأوّل هكذا: «وفي خبر مرفوع، لمّا رفع عليه السلام يده من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله أتته أبناء السقيفة، فقال: ما قالت الأنصار ـ الخ[1].

وزاد في الأخير بعد قوله عليه السلام: «ولا تكون بالصحابة والقرابة» على ما يأتي تحقيقه «ويروي والقرابة والنص» وقال بعد ذكر البيتين «لقد أوضح عليه السلام بهذا القول نهج المحجّة، وأخذ على خصومه بمضائق الحجّة»[2].

وروى الثاني نصر بن مزاحم في (صفّينه) مع زيادة هكذا: «وذكرت حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم وبغيي عليهم. فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون،

(١) خصائص الائمة: ٦٢.

(٢) خصائص الأئمة: ٨٥.

وأمّا الإبطاء عنهم، والكراهة لأمرهم فلستُ أعتذر منه إلى الناس لأنّ الله جلّ ذكره لما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قالت قريش: منّا الأمير، وقالت الأنصار: منّا الأمير. فقالت قريش: منّا محمّد رسول الله. فنحنُ أحقّ بذاك الأمر. فعرفت ذلك الأنصار فسلّمت لهم الولاية والسلطان. فإذا أستحقوها بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم دون الأنصار فإنّ أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم أحقّ بها منهم، وإلّا فالأنصار أعظم العرب فيها نصيباً، فلا أدري أصحابي سلّموا من أن يكونوا حقّي أخذوا أو الأنصار ظلموا عرفت انّ حقّي هو المأخوذ[1].

قول المصنّف: «قالوا لما انتهت» أي: بلغت.

«إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة» أي: أخبارها.

«بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وبعد فراغه عليه السلام من غسله صلى الله عليه وآله وسلم كما عرفته من خصائصه)».

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد نقل أخبار السقيفة من الجوهري أوّلاً: ثم من (موفّقيات الزبير بن بكار)، ونحن ننقلها من (خلفاء ابن قتيبة)، فقال فيه: «حدّثنا ابن عفير عن أبي عون، عن عبدالله بن الرحمن الأنصاري، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قبض اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة، فقالوا له: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قبض. فقال لابنه قيس: إنّي لا أستطيع أن أُسمِعَ الناس كلاماً لمرضي، ولكن تلقّ منّي قولي فأسمِعهم. فكان سعد يتكلّم، ويحفظ ابنه قوله فيرفع صوته لكي يُسمِعَ قومه. فكان ممّا قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار! إنّ لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلّا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن

(١) وقعة صفين: ٩٠.

يمنعوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يعرّفوا دينه، ولا يدفعوا عن أنفسهم حتّى أراد الله تعالى لكم الفضيلة، فساق إليكم الكرامة، وخصّكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه. فكنتم أشدّ الناس على من تخلّف عنه منكم، وأثقلهم على عدوّه من غيركم. حتّى استقاموا لأمر الله تعالى طوعاًوكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتّى اثخن الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب. ثم توفّاه الله تعالى وهو راضٍ عنكم قرير العين بكم، فشدّوا أيديكم بهذا الأمر. فانكم أحقّ الناس وأولاهم به. فأجابوه جميعاً أن قد وفّقت في الرأي، وأصبت في القول وكفى بعد ذلك ما رأيت بتوليتك هذا الأمر فأنت مقنع، ولصالح المؤمنين رضى.

فأتى الخبر إلى أبي بكر ففزع أشدّ الفزع وقام ومعه عمر فخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح. فانطلقوا جميعاً إليها. فأراد عمر أن يبدأ بالكلام، وقال: خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام، فلمّا تجهّز للكلام قال له أبو بكر: على رسلك فستكفى. فتشهد وقال: انّ الله تعالى بعث محمّداً بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه. فكنّا معشر المهاجرين أوّل الناس إسلاماً، والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة النبيّ، وأوسط العرب أنساباً ليس قبيلة إلّا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضاً والله الذين آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا في الدين، ووزراء النبيّ وإخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في دينه، وفي ما كنّا في سرّاء وضرّاء، والله ما كنّا في خير قطّ إلّا كنتم معنا فيه، فأنتم أحبّ الناس إلينا، وأحقّ الناس أن لا تحسدوا إخوانكم المهاجرين، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة، والله ما زلتم تؤثرون إخوانكم من المهاجرين،

وأنتم أحقّ الناس ألا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم، وأبعد الاّ تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم، وإنّما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر، وكلاهما قد رضيته لكم ولهذا الأمر، وكلاهما له أهل، فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحدٍ من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار ثاني اثنين، وأمرك النبيّ بالصلاة، فأنت أحقّ الناس بهذا الأمر.

فقال الأنصار: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم وانّا كما وصفت، ولا أحد أحبّ إلينا منكم، ولكنّا نشفق ممّا بعد اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منّا ومنكم. فلو جعلتم اليوم رجلاً منّا، ورجلاً منكم بايعنا ورضينا، على أنّه إذا هلك أحدهما اخترنا مكانه كان ذلك أجدر أن يعدل في أُمّة محمّد، وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشي أن يرفع فينقض عليه الأنصاري، ويشفق الأنصاري أن يرفع فينقض عليه القرشي.

فقال أبو بكر: انّ الله بعث محمّداً رسولاً إلى خلقه ليوحدوه، وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتّى، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخصّ الله تعالى المهاجرين الأولين بتصديقه، والصبر معه على الشدّة من قومهم. فلم يستوحشوا من قلّة عددهم، واجتماع قومهم عليهم. فهم أوّل من عبد الله في الأرض، وأوّل من آمن بالله ورسوله، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقّ الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه إلّا ظالم.

فقام الحبّاب بن المنذر فقال: يا معشر الأنصار! إملكوا على أيديكم. فإنّما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير على خلافكم، ولن يصدر الناس إلّا عن رأيكم. أنتم أهل العز والثروة، وأُولو العدد والنجدة، وانّما ينظر الناس ما تصنعون. فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم. أنتم أهل الإيواء، واليكم كانت الهجرة، ولكم في السابقين الأوّلين مثل ما لهم، وأنتم أصحاب الدار

والايمان من قبلهم، والله ما عبدوا الله علانية إلّا في بلادكم، ولا جمعت الصلاة إلّا في مساجدكم ولا دانت العرب للإسلام إلّا بأسيافكم. فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر، وإن أبى القوم فمنّا أمير، ومنهم أمير.

فقام عمر: فقال هيهات والله لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم ولكنّ العرب لا ينبغي أن تولّي هذا الأمر إلّا من كانت النبوّة فيهم، وأُولو الأمر منهم، لنا بذلك على من خلفنا من العرب الحجّة الظاهرة، والسلطان المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمّد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا متعد لباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر، وقال يا معشر الأنصار! إملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر. فإن أبوا عليكم ما سألتم؛ فأجلوهم عن بلادكم، وولّوا عليكم وعليهم من أردتم، فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم، فإنّه دان لهذا الأمر من لم يكن يدين بأسلافنا. أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يردّ عليّ أحد ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسيف.

قال عمر: فلمّا كان الحباب هو الّذي تكلّم لم يكن لي معه كلام لأنّه كان بيني وبينه كلام في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فنهاني عنه. فحلفت ألاّ أكلمه كلمة تسوءه أبداً ثم قام أبو عبيدة. فقال: يا معشر الأنصار أنتم أوّل من نصر وآوى، فلا تكونوا أوّل من يغيّر ويبدّل، وإنّ بشير بن سعد لمّا رأى ما اتّفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد ـ وكان بشير من سادات الخزرج ـ فقال: يا معشر الخزرج! أما والله لئن كنّا أولي الفضيلة في جهاد المشركين، والسابقة في الدين ما أردنا غير رضى ربنا، وطاعة نبيّنا، وما ينبغي أن نستطيل بذلك على الناس وما نبتغي به عرضاً من الدنيا. فإنّ الله تعالى وليّ النعمة والمنة علينا بذلك، ومحمّد رجل من قريش، وقومه أحق

بميراثه، وتولّي سلطانه، وأيم الله لا يراني أُنازعهم هذا الأمر أبداً فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم قام أبو بكر على الأنصار ودعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقال إنّي ناصحٌ لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة أو عمر فبايعوا من شئتم منهما.

فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقّنا بهذا الأمر، وأقدمنا صحبة، وأفضل المهاجرين، وثاني اثنين، وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل دين الإسلام، فمن ذا ينبغي أن يتقدّمك، ويتولّى هذا الأمر عليك أُبسط يدك أبايعك. فلمّا ذهبا يبايعانه سبقهما إليه بشير الأنصاري فبايعه. فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد! عققت عقاق ما اضطرك إلى ما صنعت؟ حسدت ابن عمك على الإمارة؟ قال: لا. ولكني كرهت أن أُنازع قوماً حقاً لهم. فلمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة؛ قال بعضهم لبعض -وفيهم أسيد بن حضير- لئن ولّيتموها سعداً عليكم مرّة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة،ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً. فقوموا فبايعوا أبا بكر، فقاموا إليه فبايعوه.

فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه، فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه، فجعل يضرب بثوبه، وجوههم حتّى فرغوا من البيعة. فقال: فعلتموها يا معشر الأنصار! أما والله لكأنّي بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفّهم ولا يسقون الماء.

قال أبو بكر: أمنّا تخاف يا حبّاب؟ قال: ليس منك أخاف، ولكن ممّن يجيء بعدك. قال أبو بكر: فإذا كان كذلك فالأمر إليك، وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة.

قال الحباب: هيهات إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم.

فقال سعد بن عبادة: أما والله لو أنّ بي ما أقدر به على النهوض لسمعتم منّي في أقطارها زئيراً يخرجك يا أبا بكر وأصحابك، ولألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع خاملاً غير عزيز، فبايعه الناس جميعاً حتّى كادوا يطؤون سعداً فقال سعد: قتلتموني فقيل اقتلوه قتله الله.

فقال سعد: إحملوني من هذا المكان. فحملوه حتّى أدخلوه داره، وترك أيّاماً. ثم بعث إليه أبو بكر أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك. فقال: أما والله حتّى أرميكم بكلّ سهم في كنانتي، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأُقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي، ولا والله لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتّى أُعرض على ربيّ وأعلم حسابي. فلمّا أتي بذلك أبو بكر من قوله قال عمر: لا تدعه حتّى يبايعك. فقال لهم بشير بن سعد: إنّه قد لجّ وأبى، وليس يبايعك حتّى يقتل وليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته، ولن تقتلوهم حتّى تقتلوا الخزرج ولن تقتلوا الخزرج حتّى تقتلوا الأوس، فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه وليس تركه بضارّكم، وانّما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم، ولا يجمّع بجمعتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم، ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم، فلم يزل كذلك حتّى توفي أبو بكر وولي عمر، فخرج سعد إلى الشام فمات بها ولم يبايع لأحد[1].

ورواه الطبري عن أبي مخنف، وفيه، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه فقال عمر: أُقتلوه قتله الله. ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٤، والنقل بتصرف يسير.

أطأك حتّى تندر عضوك. فأخذ سعد بلحية عمر فقال عمر: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. فقال أبو بكر لعمر: مهلاً يا عمر. الرفق هنا أبلغ، فأعرض عنه عمر[١].

وفي (عقد ابن عبد ربه) قال الكلبي: بعث عمر رجلاً إلى الشام، وقال له: أُدع سعداً إلى البيعة، واحمل له بكلّ ما قدرت عليه. فإن أبى فاستعن الله عليه. فقدم الرجل الشام. فلقي سعداً بحوران في حائط. فدعاه إلى البيعة فقال: لا أبايع قرشياً أبداً. قال: فإنّي أُقاتلك. قال: وإن قاتلتني. قال: أفخارج أنت عمّا دخلت فيه الأُمّة. قال: أمّا من البيعة فخارج، فرماه بسهم فقتله[٢].

وفي (أنساب البلاذري): مات سعد بحوران فجأة لسنة من خلافة عمر، ويقال: إنّه امتنع من البيعة لأبيبكر. فوجّه إليه رجلاً ليأخذ عليه البيعة، وهو بحوران. فأباها. فرماه فقتله، وفيه يروي هذا الشعر الّذي ينتحله الجن.

قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة   ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده[٣]

وقال ابن أبي الحديد: سُئل شيعي بأنّه لِمَ سكت عليٌّ عليه السلام عن المطالبة بحقه؟ فقال: خاف أن تقتله الجن معرّضاً بقصّة سعد انّ الجنّ قتلته لأنّه لم يبايع[٤].

قوله: «قال عليه السلام ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير» قد عرفت من رواية (خلفاء ابن قتيبة) ان هذا كان قول الحباب بن المنذر الانصاري، وغيره من الانصار بعد تكلّم أبيبكر بأنهم من قريش، وقريش قوم النبي فهم أحق فقالت الانصار: لو جعلتم اليوم رجلاً منّا، ورجلاً منكم

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٩، سنة ١١.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٣، والنقل بتصرف يسير.

(٣) انساب الاشراف ١: ٢٥٠، والنقل بتصرف يسير.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٩١، شرح الكتاب ٦٢، والنقل بالمعنى.

كان ذلك أجدر ان يعدل في امة محمّد صلى الله عليه وآله[١].

وفي (الطبري) ـبعد ذكر تكلّم سعد بن عبادة للأنصار وقولهم له «نولّيك هذا الأمر فانّك فينا مقنع ولصالح المؤمنين» ثم انهم ترادّوا الكلام بينهم فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة النبيّ الأوّلون وعشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده فقالت طائفة منهم، فانّا نقول «اذن منّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدا» فقال سعد بن عبادة حين سمعها؛ هذا أوّل الوهن[٢].

قوله: «قال عليه السلام فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم» في (طبقات ابن سعد كاتب الواقدي) عن ابي سعيد الخدري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إن عيبتي الّتي آوي إليها أهل بيتي، وإن الأنصار كرشي، فاعفوا عن مسيئهم، وآقبلوا من محسنهم»[٣].

وفي (العقد): خطب الحجاج أهل الكوفة فقال: يا أهل العراق إنّي أردت الحج، وقد استخلفت عليكم محمّداً (ولدى) وما كنتم له بأهل، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله في الأنصار. فإنّه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا وإنّكم قائلون بعدي مقالةً لا يمنعكم من إظهارها إلّا خوفي؛ تقولون: لا أحسن الله له الصحابة، وإنّي أُعجّل الجواب. فلا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل[٤].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦، والنقل بتقطيع.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٦، سنة ١١.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٤٣.

(٤) العقد الفريد ٤: ١٧٩.

وفي السير: إنّ المنصور لما وجّه موسى بن عيسى لمحاربة محمّد بن عبدالله الحسني بالمدينة قال له: فإذا ظفرت به، فلا تخيفنّ أهل المدينة، وعمّهم بالعفو، فانّهم الأصل والعشيرة، وجيران قبر النبيّ، فهذه وصيتي إيّاك لا كما اوصى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لمّا وجّهه إلى المدينة، فأمره أن يقتل من ظهر إلى ثنية الوداع، وأن يبيحها ثلاثة أيّام. ففعل. فلمّا بلغ يزيد ما فعل تمثّل بقول ابن الزبعرى في يوم أُحد حين قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم الغريب أنّ أبابكر وعمر وأباعبيدة ومن ساعدهم من الأنصار لأغراض شخصية كبشير بن سعد الخزرجي، وأسيد بن حضير الأوسى وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بإخراجهما مع الثلاثة في جيش أُسامة، ولعن المتخلّف عنه كما رواه الجوهري، والشهرستاني في (السقيفة) و(الملل)[1]، وكان قومهما استنكفوا من فعلهما. فتزعم الأوس أنّ أوّل من بايع أبابكر بشير الخزرجي، وتزعم الخزرج أنّ أوّل من بايعه أسيد الأوسي كما صرّح بذلك محمّد بن إسحاق صاحب المغازي[2] فنسب كلّ منهما السبقة في بيعة أبي بكر إلى خصمه اطنبوا فى الاتيان بحجة في قبال الأنصار. فليأتوا بطائل، ولم يستطيعوا الاتيان بهذه الحجّة المختصرة الّتي بيّنها أميرالمؤمنين عليه السلام من وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بهم فانّها جملة قصيرة تحسم مادّة شغبهم.

ولقد أراد عمرو بن العاص مع دهائه ردّ الأنصار فقال: «إن كانوا سمعوا قول النبيّ: الأئمة من قريش ثم ادّعوها لقد هلكوا وأهلكوا، وان كانوا

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٧٥، والشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢٩ وابوالقاسم الكوفى في الاستغاثة: ٢٥، والقاضي النعمان في دعائم الاسلام ١: ٤١.

(٢) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٧، شرح الخطبة ٦٥.

لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين» فأجابه النعمان بن عجلان الأنصاري بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إن كان قال: «إنّ الأئمة من قريش» فقد قال أيضاً: «لو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار» والله ما أخرجناكم من الأمر اذ قلنا: منّا أمير ومنكم أمير(١).

وكيف كانوا يقدرون على الاتيان بمثلها حجّة قاطعة، ولم يفهموا وجه دلالتها حتّى بيّنها عليه السلام لهم، وأين أولئك الأغبياء عن مقام الخلافة الالهية.

ولا تستوحش من تسميتهم الأغبياء، ولم يكن أبوبكر متفطناً لمفاسد تصدّيه لهذا الأمر حتّى بيّن الحباب بن المنذر بعضها الراجع إلى عشيرته. فقال لهم بعد بيعتهم لأبيبكر: فعلتموها يا معشر الأنصار! أما والله لكأنّي بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفّهم، ولا يسقون الماء، ولم يذكر الحباب مفاسده في الدين بصيرورة بني أمية الشجرة الملعونة لاعبين بالدين. فقال لحباب أمنّا تخاف.

كما لم يتفطن بأنّ عمله يصير سبباً قهرياً لتسلط أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أمّته واضمحلالهم لشريعته، واستيصالهم لعترته، وانتقامهم من أنصاره كما مرّ من قول يزيد. فيقول لحباب «إذا كان كذلك، فالأمر إليك، وإلى أصحابك» حتّى نبّهه الحباب بأنّه أمر محال.

«قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم» ومثله في عدم فهم المراد ما في (العقد) أنّ رسولاً من اليمامة ورد على الحجّاج. فقال له: هل وراءك من غيث؟ قال: نعم سمعت الروّاد يدعون إلى الماء، وسمعت قائلاً يقول: هلمّ ظعنكم إلى محلّة تطفأ فيها النيران، وتشتكي فيها النساء، وتنافس فيها المعزى. قال الشعبي: فلم يدر الحجاج ما قال. فقال له: تبّاً لك إنّما تحدّث أهل الشام

(١) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢، شرح الخطبة ٦٥.

فأفهمهم. قال: أصلح الله الأمير اخصب الناس. فكثر التمر والسمن والزبد واللبن. فلا توقد نار يختبز بها. وأمّا تشكّي النساء فإنّ المرأة تظل تربق بهمها وتمخض لبنها. فتبيت ولها أنين من عضدها، وأما تنافس المعزى. فانّها ترى من أنواع الثمر والشجر ونور النبات ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها، ولها من الكظّة جرّة. فتبقى الجرّة حتّى تستنزل الدرة[1].

قوله: «فقال عليه السلام لو كان الأمارة فيهم لم تكن الوصية بهم» بل كان يوصيهم في سائر الناس قالوا كما في (العقد) ـكان عمرو بن سعيد الاشدق خلّفه أبوه غلاماً فدخل على معاوية فقال له: إلى من أوصى بك أبوك قال: انّ أبي أوصى إليّ ولم يوص بي. فقال له: وبِمَ أوصى إليك. قال: أن لا يفقد إخوانه منه إلّا وجهه[2].

وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله: ألا أوصى بك الأمير زياداً؟ قال: يا أبه! إذا لم يكن للحيّ إلّا وصيّة الميّت؛ فالحي هو الميت. وقال الشاعر:

إنّي إذا ما القوم كانوا انجيه   واضطرب القوم اضطرب الأرشية

هناك أوصيني ولا توصي بيه

قوله: «ثم قال عليه السلام فماذا قالت قريش؟ قالوا: إحتجّت بأنّها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عليه السلام: إحتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» مع انّ المقصود الأصلي من الشجرة هو الثمرة.

وقال العباس لما أتاه أبوبكر وعمر وأبوعبيدة باشارة المغيرة عليهم أن يذهبوا إليه، ويجعلوا له نصيباً في الأمر حتّى يحطّ من قدر أميرالمؤمنين عليه السلام كما في (خلفاء ابن قتيبة) لأبيبكر في جوابه: «وأما قولك

(١) العقد الفريد ٥: ٢٧٠.

(٢) العقد الفريد ٢: ٥٢.

إنّ النبيّ منّا ومنكم، فإنّه كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها»[١].

قوله عليه السلام في الثاني: «ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلجوا»: أي: ظفروا.

«عليهم فإن يكن الفلج به» والظفر به.

«فالحق لنا دونكم» لأنّه واضح أنّهم أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبوبكر وعمر بالنسبة إليهم عليهما السلام غرباء من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو دليل قطعي على بطلان خلافة صدّيقهم وفاروقهم، وصرّح به معاوية ففي (مقاتل أبي الفرج) وغيره: أنّ الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية بعد أبيه عليه السلام انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما توفي تنازعت سلطانه العرب. فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ ان تنازعونا سلطان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في الناس وحقّه، فرأت العرب أنّ القول كما قالت قريش، وأنّ الحجّة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. فأنعمت لهم العرب، وسلّمت ذلك، ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاجّت به العرب، فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها. إنّهم اخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وأولياؤه إلى محاجّتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا. فالموعد الله وهو الوليّ النصير. وقد تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم -إلى أن قال-:

فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده -إلى أن قال-:

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥.

فكتب إليه معاوية، وذكرت وفاة النبي، وتنازع المسلمين من بعده. فرأيتك صرّحت بتهمة أبي‌بكر الصدّيق وعمر الفاروق، وأبي‌عبيدة الأمين، وحواري النبيّ ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار فكرهت ذلك لك. فانّك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين[1] فلم يجبه معاوية عن قوله بغاصبية الرجلين على البرهان ولكن خوّفه بإثارة العامّة العمياء عليه بأنّه عليه السلام ممّن يتّهم صدّيقهم وفاروقهم وأمينهم.

بل اعترف به عمر نفسه عند وضعه الدواوين للأرزاق. ففي (أنساب البلاذري) قال ابن عجلان: لمّا دوّن عمر الدواوين قال للناس: بمن نبدأ؟ قالوا: بنفسك. قال: لا. انّ رسول الله أمامنا فبرهطه نبدأ. ثم بالأقرب فالأقرب[2].

فكيف علم هنا أنّ رهط البنيّ ﷺ أولى منه، ونسي ذلك في ما هو الأصل من سلطانه؟ فهل كان قوله إلّا تلبيساً وتدليسا.

ثم هب ليس الأمر كما تقول الإمامية، وبعض المعتزلة من كون كلامه عليه السلام حجّة ككلام الرسول. فما يقولون في ما آستند عليه السلام إليه من أدلّة العقول من أنّه إن كان الفلج بالرسول ﷺ فالحقّ له عليه السلام دون أُولئك البعداء.

وقال الصادق ﷺ: لقي المنهال بن عمرو عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: ويحك! أما آن لك أن تعلم كيف أصبحنا؟ أصبحنا في قومنا مثل بني اسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البريّة بعد محمّد ﷺ يلعن على المنابر، وأصبح عدوّنا يعطى المال والشرف، وأصبح من يحبّنا محقوراً منقوصاً

---

(١) رواه ابوالفرج في المقاتل: ٣٥ و٣٦، والمدائني، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩، شرح الكتاب ٣١.

(٢) لم يوجد هذا الحديث من المجلدات المطبوعة من أنساب الأشراف، نعم رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٧٨، سنة ٢٣، وغيره.

حقّه، وكذلك لم يزل المؤمنون، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقّها بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كان منها، وأصبحنا أهل البيت لا يعرف لنا حقّ. فهكذا أصبحنا يا منهال[1].

وقالت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب ـ كما في (بلاغات نساء البغدادي) ـ لمّا وفدت على معاوية في جملة كلامها لمعاوية «ونبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده، وتحتجّون بقرابتكم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن أقرب إليه منكم، واولى بهذا الأمر. فكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد نبيّنا بمنزلة هرون من موسى. فغايتنا الجنّة، وغايتكم النار»[2].

«وان يكن بغيره فالأنصار على دعواهم» وقد مات أبوبكر شاكّاً في أمره، وأمر الأنصار.

روى المبرد في (كامله)، وابن قتيبة في (خلفائه)، وابن عبد ربه في (عقده): أنّ أبابكر تمنّى حين وفاته ثلاثاً فعلهنّ ليته تركهنّ، وثلاثاً تركهنّ ليته فعلهنّ، وثلاثاً لم يسأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنهنّ ليته سأله عنهنّ ـ إلى أن قال ـ وليتني كنت سألته هل للأنصار فيها من حقّ ـ الخبر ـ[3].

ويقال له: ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب وصيّة لئلّا يضلّ الناس بعده فيعرفوا وظيفتهم فمنعه صاحبك، وقال: إنّ الرجل ليهجر، ليصل الأمر اليك واليه، والآن تتمنى سؤاله.

---

(١) أخرجه القمي في تفسيره ٢: ١٣٤، وابن سعد في الطبقات ٥: ١٦٢، والنقل بتقطيع.

(٢) بلاغات النساء: ٤٣، والنقل بتلخيص.

(٣) رواه مؤلف الإمامة والسياسة فيه ١: ١٨، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٥: ١٩، وجماعة غيرهم لكن المبرد روى صدر هذا الحديث في الكامل ١: ٥٤، فقط.

قوله عليه السلام في الثالث «واعجباه! أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة» هكذا في (المصرية) وهو غلط واضح، والصحيح ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1] وغيرها: «واعجباه! أتكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة».

قال الكراجكي في كنزه: ومن العجب أن يجتمعوا في السقيفة لطلب الخلافة فتحتجّ الأنصار بأنّها تستحقّها بنصرتها للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وتحتجّ المهاجرون بقربهم منه وليس فيهم من يذكر اميرالمؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم الّذي لا يلحقه الأنصاري في نصرة، ولا يدانيه القريشي في قرابة، ومن العجب قول القريشي: إنّ الخلافة لا تكون إلّا من حيث النبوّة، وانّها تستحقّها بذلك لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من قريش، ولم يقل لها أحد في الحال: إنّ بني هاشم أولى منكم بها على هذه الحجّة، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم. لكن صرفهم عن أن يحاجّوهم بهذا اتفاق جميع من حضر السقيفة على صرف الأمر عن أهله، ومنعه عن مستحقه، ومن عجيب أمرهم دعواهم أنّ إمامة أبي‌بكر تثبت عن إذنٍ من أهل الحل والعقد، واختيار وتأمّل هذا مع سماعهم قول عمر «كانت بيعة أبي‌بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه» فشهدوا أنّها كانت قد وقعت بغتة من غير رويّة، وحصلت فجأة من غير مشورة، وفي هذا غاية الذم والتكذيب لهم فيما ادّعوه من التهديد بسفك دم من عاد إلى مثلها[2].

وفي (سقيفة الجوهري): عن أبي الأسود قال: غضب رجال من

(١) كذا في تكملة شرح الخوئي ٢١، ٢٦٢، طبعة المكتبة الاسلامية، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٢٩، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٤١، أيضاً نحو المصرية.

(٢) هذا كلام الكراجكي في رسالة التعجب: ١٣ و١٤، والنقل بتقطيع.

المهاجرين في بيعة أبي‌بكر بغير مشورة، وغضب عليٌّ والزبير. فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة، منهم أسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة بن قريش وهما من بني عبدالأشهل، فاقتحما الدار، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهم، فأخذوا سيفي علي والزبير فضربوا بهما الجدار حتّى كسروهما. ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتّى بايعا. ثم قام أبوبكر فخطب الناس، واعتذر إليهم، وقال: إنّ بيعتي كانت فلتة وقى الله شرّها ـ الخبر ـ[١].

وفي (ارشاد المفيد): واغتنم القوم (في السقيفة) الفرصة لشغل أميرالمؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم بالنبي صلى الله عليه وآله. فتبادروا، واتّفق لأبي‌بكر ما اتّفق من اختلاف الأنصار بينهم وكراهية الطلقاء والمؤلفة قلوبهم من تأخر الأمر حتّى يفرغ بنو هاشم فيستقرّ الأمر مقره. فبايعوا أبابكر لحضوره المكان، وكانت أسباب معروفة تيسّر للقوم منها ما راموه ـ الخ ـ[٢].

قول المصنّف: «وروي له شعر في هذا المعنى:

«فإن كنت بالشورى ملكت أُمورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب»

وقال الكراجكي ـ بعد نقل قول من قال: إن الشعر له عليه السلام ـ وقيل: إنّه قول قيس بن سعد بن عبادة، وإنما تمثّل به أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد أخذ الكميت هذا المعنى. فقال:

فإن هي لم تصلح لخلقٍ سواهم فإنّ ذوي القربى أحقّ وأوجب[٣]

(١) السقيفة: ٧٠. والنقل بتصرف.

(٢) الارشاد: ١٠١. والنقل بتقطيع.

(٣) رسالة التعجب: ١٣.

قلت: لابدّ أنه أراد أخذ المعنى في غير مورد خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا ولله درّ القائل في غصب خلافته ومدفنه:

بأيّ حكم بنوه يتبعونكم	وفخركم أنكم صحب له تبع
وكيف ضاقت عن الأهلين تربته	وللأجانب في جنبيه متّسع
وفيم صيّرتم الإجماع حجّتكم	والناس ما اتّفقوا طواراً ولا اجتمعوا
أمرٌ عليٌّ بعيدٌ من مشورته	مستكره فيه والعباس يمتنع
وبدعة قريش بالقرابة والأنصار	لارفعوا فيه ولا وضعوا
فأيّ خلف كخلف كان بينهم	لولا تلفق اخبار ومصطنع

وقال كُثيّر الشاعر كما في أنساب قريش مصعب الزبيري:

يأمن الظبي والحمام ولا	يأمن آل الرسول عند المقام
حفظوا خاتماً وسحق رداء	وأضاعوا قرابة الأرحام[1]

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال المغيرة بن شعبة لأبيبكر: «أرى أن تلقوا العباس، فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجّة على عليّ وبني هاشم إذا كان العباس معكم» فانطلق أبوبكر وعمر وأبو عبيدة حتّى دخلوا على العباس -إلى أن قال- قال: فخلّى النبي على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متّفقين لا مختلفين. فاختاروني عليهم والياً، ولأمورهم راعياً، وما أخاف بحمد الله وهنا، وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لحافا. فأحذروا أن تكونوا جهد المنيع، فإمّا دخلتم في ما دخل فيه العامة أو دفعتموها عمّا مالوا إليه، وقد جئناك، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا يكون لك ولعقبك من بعدك، إذ كنت عم النبي، وان كان الناس قد رأوا مكانك ومكان

---

(١) نسب قريش: ٦، والنقل بحذف بعض الأبيات.

أصحابك فعدلوا الأمر عنكم ـإلى أن قال ـ:

قال العباس له: فإن كنت برسول الله طلبت فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن متقدّمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين. فإمّا بذلت لنا فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه، وإن يكن حقاً للمؤمنين، فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقّنا لم نرض عنك فيه ببعض[١].

قول المصنّف في (خصائصه): «ويروى: والقرابة والنص»[٢] أمّا قرابته عليه السلام فعنه عليه السلام لو استطاع مخالفوه إنكارها لأنكروها، وأمّا النصوص عليه فمع كونهم بصدد إخفائها بأنحاء مختلفة لم يقدروا، ولم نتعرض لذكرها بعد تواترها ونقل المخالف لها، ولأنّ استقصاءها يحتاج الى مجلّدات ضخمة، وقد كفانا ذلك رجال منهم ومنّا كالطبري وابن عقدة وغيرهما.

وفي (أُدباء الحموي) في ترجمة الطبري: وللطبري كتاب (فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام) تكلّم في أوّله بصحّة الأخبار الواردة في غدير خم. ثم تلاه بالفضائل، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم، وقال: كان عليٌّ باليمن في الوقت الّذي كان النبيّ بغدير خم. فقال في قصيدة له:

ثمّ مررنا بغدير خم ... كم قائل فيه بزور جمّ

على عليٍّ والنبي الأُمّي

فبلغ ذلك الطبري، فابتدأ بالكلام في فضائل علي عليه السلام وذكر طرق حديث خم[٣].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) خصائص الأئمة: ٨٦.

(٣) معجم الأُدباء ١٨: ٨٤، و٨٥، والنقل بالمعنى.

وقد نظمه شعراء منهم كحسّان العثماني وغيره، وشعراء منّا كقيس بن سعد بن عبادة وغيره من المتقدّمين والمتأخّرين. ولو أُريد استقصاءها لاحتيج أيضاً إلى مجلّدات، ولكن نكتفي تيّمنا ـ بقول كميت، وقول الحميري.

أمّا الكميت فقال:

ويوم الدوح دوح غدير خمّ   أبان له الولاية لو اطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها   فلم أر مثلها خطراً منيعا

نقل هذه الأبيات سبط ابن الجوزي وقال: ولها قصّة عجيبة حدّثنا بها شيخنا عمرو بن صافي الموصلي قال: أنشد بعضهم هذه الأبيات وبات مفكّراً فرأى علياً عليه السلام في المنام. فقال له: أَعِد عليّ أبيات كميت. فأنشده إيّاها حتى بلغ إلى قوله خطراً منيعا فأنشده علي عليه السلام بيتا آخر من قوله زيادة فيها:

فلم أر مثل ذلك اليوم يوماً   ولم أر مثله حقّا أُضيعا

فانتبه الرجل مذعورا، وأمّا الحميري فقال:

قالوا له لو شئت أعلمتنا   إلى مَن الغاية والمفزع
فقال في الناس النبي الّذي   كان بما قيل له يصدع
وكان مأموراً وفي كفّه   كفّ علي لهم تلمع
من كنت مولاه فهذا له   مولىً فلم يرضوا ولم يقنعوا[1]

نقلها المصنّف في (خصائصه)، وقال: «ولهذه الأبيات حديث شريف، حكي أنّ زيد بن موسى بن جعفر رأى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كأنّه جالس مع أميرالمؤمنين عليه السلام في موضع عال شبيه بالمسنّاة، وعليها مراقٍ. فإذا منشد ينشد قصيدة الحميري حتّى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئت أعلمتنا   إلى من الغاية والمفزع

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٣.

فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وتبسّم وقال: أوَلَمْ أُعلِمْهُمْ أولم أعلمهم ـ ثلاثاً ـ[1].

فإن قلت: إنّ إخلاص الأنصار لأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن مختلفاً فيه، وانّما الاختلاف في قريش، فلو كان نصّ عليه عليه السلام لما اقدم سعد بن عبادة على ما اقدم، ولما شهد السقيفة قبل أبيبكر وعمر، وحضّ الأنصار على اختيارهم له.

قلت: إنّ سعد بن عبادة علم أنّ قريشاً لا يخلّون الأمر لأهله، لكون ذلك معلوماً من أفعالهم من أوّل أمر الرسول صلى الله عليه وآله، وصار الأمر كالعيان عنده بتخلّفهم عن جيش أُسامة مع حثّ النبيّ صلى الله عليه وآله على تجهيزه وإشخاصه، ولعنه المتخلّف عنه ومنعهم له صلى الله عليه وآله عن الوصية، ونسبة الهجر إليه، وتقدمهم للصلاة بالناس في مرضه حتّى اضطر صلى الله عليه وآله مع شدة مرضه أن يتّكئ على نفرين ويشهد المسجد ويؤخّره، إتماماً للحجّة، ودفعاً للشبهة، وغير ذلك. فرأى نفسه أولى، لحصول الاستقلال للاسلام بقومه، وعدم حصول أثر في الاسلام من وجود المدّعين، لا في جهاد ولا في غيره، ولأنّه رأى معاضدة الطلقاء لهم، وعلم أنّهم إن غلبوا يذلّوهم ويطلبوا ثارهم عندهم، كما صرّح بذلك الحباب بن المنذر من عشيرته كما مرّ.

وفي (رسائل محمّد بن يعقوب الكليني): قال أميرالمؤمنين عليه السلام ـ في جملة ما كتب للناس بعد منصرفه من النهروان لمّا كانوا سألوه عن رأيه في أبيبكر وعمر ـ «ولقد كان سعد لمّا رأى الناس يبايعون أبابكر نادى أيّها الناس إنّي والله ما أردتها حتّى رأيتكم تصرفونها عن عليّ عليه السلام، ولا أُبايعكم

(١) خصائص الأئمة: ٨.

حتّى يبايع علي عليه السلام، ولعلّي لا أفعل وإن بايع». ثم ركب دابته وأتى حوران[١].

وفيه أيضاً أنّ الأنصار قالوا لقريش: أمّا إذ لم تسلّموها لعليّ عليه السلام فصاحبنا أحقّ بها من غيره[٢].

ومع ذلك كان اقدام الأنصار ذاك خطأً مع علمهم بأنّ الأمر حق أميرالمؤمنين عليه السلام، وكونهم مأمورين بالدفاع عنه، ولم يفعلوا. روى الجوهري في (سقيفته) عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: كنت أُبايع الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه. فلمّا عزّ الإسلام وكثر أهله قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي زدها «على أن تمنعوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم» فحملها على ظهور القوم فوفى بها من وفى، وهلك من هلك[٣].

وممّا يدلّ على تفريط الأنصار في أمره عليه السلام وتقصيرهم، مضافاً إلى تصريحات سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ في خطبها، وتلويحات أميرالمؤمنين عليه السلام في كلماته كقوله عليه السلام «وسخت عنها نفوس آخرين»[٤] وأمثاله أنّهم لم يتمكّنوا من أخذ البيعة عن سعد قهرا فقال لهم بشير ابن عم سعد الحاسد له حتّى بايع أبابكر قبل عمر «لا تأخذون البيعة منه قهراً حتّى تقتلوا جميع الأنصار خزرجهم واوسهم»[٥] وأمّا هو عليه السلام فأخذوا منه البيعة مع كونه منصوباً من الله ورسوله قسراً فكتب إليه معاوية «كنت تقاد إلى بيعة

(١) رواه عن رسائل الكليني ابن طاووس في كشف المحجة: ١٧٧.

(٢) كشف المحجة: ١٧٦.

(٣) السقيفة: ٦٩، والنقل بتصرف.

(٤) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٢: ٦٤، الخطبة ٦٠، و٣: ٧١، الكتاب ٤٥.

(٥) جاء هذا المعنى في تاريخ الطبري ٢: ٤٥٩، سنة ١١، والإمامة والسياسة ١: ١٠، وغيرهما.

أبي بكر كما يقاد الجمل المخشوش»[١] وحتّى لاذ عليه السلام بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: «يا ابن ام انّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[٢] وأرادوا إحراق بيته لو لم يخرج، وضرب عنقه لو لم يبايع.

١٥
الكتاب (٦٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه اللّه لمّا ولّاه إمارتها:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً عَلَى الْمُرسَلِينَ؛ فَلَمَّا مَضَى مُحَمَّداً عليه السلام تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَوَاللّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِه، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْاسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنصُرِ الْاسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمْ، الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّام قَلَائِلَ، يَزُولُ مِنْها مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، وَكَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر

---

(١) روى هذا المعنى ابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٥٧، شرح الكتاب ٢٨، وغيرهما.

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٣، وغيره.

لما ولّاه إمارتها».

أقول: الّذي وجدت الرواية عنه عليه السلام في هذه المضامين خطبته عليه السلام بها بالكوفة بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبي‌بكر، وكان قتله بعد قتل مالك الاشتر وسؤال الناس له عن عقيدته في أبي‌بكر وعمر.

روى ذلك ابن قتيبة في (خلفائه)، وابراهيم الثقفي في (غاراته)، ومحمّد بن يعقوب الكليني في (رسائله)، ومحمّد بن جرير بن رستم الطبري في (مسترشده).

قال الأوّل ـ بعد ذكره حث أميرالمؤمنين عليه السلام الناس على الجهاد واخباره إيّاهم بما يفعل بنو أُمية بهم بعده عليه السلام ـ فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحمق، وعبدالله بن وهب الراسبي. فدخلوا على عليٍّ عليه السلام فسألوه عن أبي‌بكر وعمر ما يقول فيهما، وقالوا بيّن لنا قولك فيهما وفي عثمان؟ قال عليّ عليه السلام : وقد تفرّغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتي فيها قد قتلت. إنّي مخرج إليكم كتاباً انبّئكم فيه ما سألتموني عنه فاقرؤوه على شيعتي. فأخرج إليهم كتاباً فيه «أما بعد فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمّة ـ إلى أن قال بعد ذكر حال العرب وقت بعثه صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

فلمّا مضى صلى الله عليه وآله وسلم تنازع المسلمون الأمر بعده. فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر عنّي. فما راعني إلّا إقبال الناس على أبي‌بكر. وإجفالهم عليه. فأمسكت يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله في الناس ممّن تولّى الأمور عليّ. فلبثت بذلك ما شاء الله حتّى رأيت راجعةً من الناس رجعتْ عن الإسلام، يدعون إلى محو دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وملّة ابراهيم عليه السلام . فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى

في الاسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولاية أمركم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب. فمشيت عند ذلك إلى أبي‌بكر فبايعته، ونهضت معه في تلك الأحداث حتّى زهق الباطل. وكانت كلمة الله هي العليا وأن يرغم الكافرون ـ الخبر بطوله ـ وفيه ذكر أيّام عمر وشوراه، وإعراض أهل الشورى عنه عليه السلام ليأسهم عن أن يشركهم في أمره وفيه ذكر أيّام عثمان، وقتل الناس له، وبيعة الناس له بعده، وقيام الناكثين، والقاسطين والمارقين، وغارات معاوية، وخذلان أصحابه له[1].

وروى الثاني ـ كما في ابن أبي الحديد في عنوان كلامه عليه السلام في قتل محمّد بن أبي‌بكر ـ عن رجاله عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال: خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر، وقتل محمّد بن أبي‌بكر. فقال: «أما بعد فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأُمّة ـ إلى أن قال ـ فلمّا مضى صلى الله عليه وآله وسلم لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده. فوالله ما كان يُلقى في رُوعي، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، ولا أنّهم منحُّوه عنّي من بعده. فما راعني إلّا انثيال الناس على أبي‌بكر وإجفالهم اليه ليبايعوه، فأمسكت يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده. فلبثت بذاك ما شاء الله حتّى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين الله وملّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام واهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أُموركم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب، وكما يتقشّع السحاب، فمشيت عند ذلك إلى أبي‌بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتّى زاغ

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٤.

الباطل وزهق، وكان كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون» ـ الخبر[1].

وروى الثالث في (رسائله) ـ كما في محجّة علي بن طاووس ـ عن القمي باسناده قال: كتب أميرالمؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يقرأ على الناس. وذلك أنّ الناس سألوه عن أبي‌بكر وعمر وعثمان. فغضب عليه السلام وقال: قد تفرّغتم للسؤال عمّا لا يعنيكم وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية بن حديج محمّد بن أبي‌بكر فيا لها من مصيبة ما اعظمها بمصيبتي بمحمّد. فوالله ما كان إلّا كبعض بنيَّ سبحان الله، بينا نحن نرجو أن نغلب القوم على ما في أيديهم إذ غلبونا على ما في أيدينا. وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم إن شاء الله تعالى. فدعا كاتبه عبيدالله بن أبي رافع فقال له: أدخِلْ عليَّ عشرة من ثقاتي. فقال سمِّهم لي يا أميرالمؤمنين. فقال: أدخِلْ أصبغ بن نباتة، وابا الطفيل، وزرّ بن حبيش الأسدي، وجويرية بن مسهّر العبدي، وخندف بن زهير، وحارثة بن مضرب الهمداني، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ومصباح النخعي، وعلقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة. فدخلوا عليه. فقال لهم: خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيدالله بن أبي رافع، وأنتم شهودٌ كلّ يوم جمعة. فإن شغب شاغب عليكم؛ فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه ـ إلى أن قال ـ:

فمضى لسبيله صلى الله عليه وآله وسلم وترك كتاب الله، وأهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان، ومجتمعين لا يتفرّقان، ولقد قبض الله محمّداً نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ولأنّا أولىْ الناس به منّي بقميصي هذا، وما أُلقي في رُوعي، ولا عرض في رأيي انّ وجه الناس إلى غيري ـ إلى أن قال ـ:

---

(١) رواه الثقفي في الغارات ١: ٣٠٢، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥، شرح الخطبة ٦٦، واللفظ لابن أبي الحديد.

فلمّا رأيت الناس قد انثالوا على أبي بكر للبيعة أمسكت يدي، وظننت أنّي أولى وأحقّ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ومن غيره ـ إلى أن قال ـ:

فلمّا رأيت راجعة من الناس قد رجعت من الإسلام تدعو إلى محو دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وملّة إبراهيم عليه السلام خشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أرى فيه ثلماً وهدماً تكون المصيبة عليَّ فيه أعظم من فوت ولاية أُموركم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل ثم تزول وتتقشع كما يزول ويتقشع السحاب. فنهضت مع القوم في تلك الأحداث حتّى زهق الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، وان رغم الكافرون ـ الخبر ـ[1].

وفي (مسترشد) ابن جرير بن رستم الطبري روى الشعبي عن شريح بن هاني قال: خطب عليٌّ عليه السلام بعد ما افتتحت مصر ثم قال: وإنّي مخرج إليكم كتاباً ـ إلى أن قال ـ فلمّا مضى صلى الله عليه وآله وسلم لسبيله ترك كتاب الله وأهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان، ومجتمعين لا يفترقان، وقد كنت أولى الناس به منّي بقميصي. فسارع المسلمون بعده فوالله ما كان يُلقى في رُوعي ولا يخطر على بالي انّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عنّي. فلمّا ابطأوا بالولاية عليّ، وهمّوا بإزالتها عنّي، وثبت الأنصار ـ وهم كتيبة الإسلام ـ فقالت: إذ لم تسلموها لعليّ فصاحبنا سعد أحقّ بها من غيره ـ إلى أن قال ـ:

فبينا أنا على ذلك إذ قيل انثال الناس على أبي بكر وأجفلوا عليه ليبايعوه، وما ظننت أنّه تخلّف عن جيش أُسامة إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمّره عليه وعلى صاحبه، وقد كان أمر أن يجهّز جيش أُسامة. فلمّا رأيته قد تخلّف وطمع في الامارة، ورأيت انثيال الناس عليه أمسكت يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في الناس ممّن قد رفض نفسه. فلبث ما شاء الله حتّى رأيت

---

(١) كشف المحجة: ١٧٣.

راجعة من الناس رجعت عن الإسلام، وأظهرت ذلك إلى محو دين الله وتغيير ملّة محمّد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وقعدت، أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون مصيبته عليّ أعظم من فوت ولاية أموركم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب، وينقشع السحاب، ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج إليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي‌بكر فتألّفته، ولولا أنّي فعلت ذلك لباد الاسلام. ثم نهضت في تلك الأحداث حتّى أتاح الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره المشركون ـ الخبر ـ[1].

وبالجملة فالروايات الأربع متفقة على كون العنوان مما خطب عليه السلام كتابة للناس بالكوفة بعد فتح مصر بقتل محمّد بن أبي‌بكر في شرح حاله عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا سألوه عن المتقدّمين عليه، ووجود رواية أُخرى في كونه كتاباً له عليه السلام إلى أهل مصر مع الأشتر واستند إليها المصنّف محتمل، لكنّ المظنون أنّ المصنّف لم ينظر في الأسانيد لكون همّه في المتون، فظنّ بحدسه كونه كتاباً له عليه السلام إلى أهل مصر.

«أمّا بعد فانّ الله سبحانه بعث محمّداً ﷺ نذيراً للعالمين» قد عرفت انّ في رواية (المسترشد) بدل «نذيراً للعالمين» «بشيراً ونذيراً للعالمين».

«ومهيمناً على المرسلين» أي: شاهداً عليهم قال الجوهري: وأصل «مهيمن» مؤامن من «آمن» قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة لاجتماعهما ثم صيّرت الأُولى هاء[2].

قلت: مراده من «آمن» على وزن فاعل لا على وزن أفعل ففي مثله يتّحدان لفظاً ويختلفان تقديراً ثم بعد هذا الكلام كلام كثير في تلك الروايات

---

(١) المسترشد: ٩٥ ـ ٩٧.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٢١٧، مادة (همن).

أسقطه المصنّف. ففي رواية الكليني: «وأنتم معاشر العرب على شر حال يغذو أحدكم كلبه، ويقتل ولده، ويغير على غيره فيرجع وقد أُغيرَ عليه، تأكلون العلهز والهبيد، والميتة والدم. منيخون على أحجار خشن، وأوثان مضلّة...»[١].

«**فلمّا مضى عليه السلام**» هكذا في (المصرية)، والصواب: بدل «عليه السلام» «صلّى الله عليه وآله» كما في (ابن ميثم)[٢] الّذي نسخته بخطّ المصنّف.

ثم في رواية (المسترشد) و(الرسائل): «وترك كتاب الله، وأهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان، ومجتمعَينِ لا يفترقان، وقد كنت أولى الناس به منّي بقميصي»[٣].

«**تنازع المسلمون**» أي: قريش والأنصار.

«**الأمر من بعده**» بشرح مرّ في العنوان السابق.

«**فوالله ما كان يُلقى في رُوعي**» رُوع: هنا بالضم بمعنى القلب والبال، وأما بالفتح فبمعنى الخوف، ولا ربط له هنا.

«**ولا يخطر ببالي**» قال الجوهري: «البال: القلب تقول: ما يخطر فلان ببالي والبال رخاء النفس، يقال: فلان رخيُّ البال»[٤].

قلت: الصواب مما قال؛ المعنى الأوّل. وأمّا الثاني فغلط منه لكونه تفسير مطلق بمقيد، كأن تقول: معنى الانسان الانسان العالم.

«**أنّ العرب تزعج**» أي: تقلع.

«**هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته**» فإنّ القاعدة عند ملل العالم أنّ كلّ

---

(١) كشف المحجة: ١٧٤.

(٢) لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٠، أيضاً «عليه السلام».

(٣) لفظ كشف المحجة: ١٧٥، «ولقد قبض الله محمداً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولأنا اولى الناس به منّي بقميصي هذا.

(٤) صحاح اللغة ٤: ١٦٤٢، مادة (بول).

من كانت له أمارة تكون أمارته بعده لأهل بيته». فلا يظنّ ظانّ انّ العرب تخالف عرف باقي العالم.

والى هذا ينظر قوله تعالى: ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين* ذرّيّة بعضها من بعض﴾[١].

ولهذه القاعدة لمّا سأل السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي وكان على طريقة أهل السنّة السنائي الشاعر ـ وكان إمامياً ـ عن مذهبه أجابه بأبيات بالفارسيّة منها:

از پى سلطان ملكشاه چون نميدارى روا
تاج و تخت پادشاهى جز كه سنجر داشتن

از پى سلطان دين چون همى دارى روا
جز على و عترتش محراب و منبر داشتن

«ولا أنّهم مُنَحّوه» بتشديد الحاء: أي: مبعّدوه.

«عنّي من بعده» وفي هذا الكتاب في رواية (رسائل الكليني) ـ بعد ذكر اتّفاق أهل الشورى وباقي قريش على خلافه ـ «فكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاء هذه الأُمّة وكان لي بعده ما كان له، فما جاز لقريش من فضلها عليها (أي العرب) بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جاز لبني هاشم على قريش، وجاز لي على بني هاشم بقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» إلّا أن تدّعي قريش فضلها على العرب بغير النبيّ صلى الله عليه وآله»[٢].

وقال ابن عائشة: قال خزيمة بن ثابت الأنصاري في صرف الأمر عنه عليه السلام:

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) كشف المحجة: ١٧٨.

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى بقبلتهم وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
ماذا الّذي ردّكم عنه فنعلمه ها إنّ بيعتكم من أغبن الغبن

وحيث إنّ قوله عليه السلام «فوالله ما كان يُلقى في رَوعي -إلى- ولا أنّهم مُنحّوه عنّي من بعده» ورد في ذاك المقام الّذي قلنا من كون الأمر له بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على مقتضى ناموس الفطرة والقاعدة المتداولة بين الناس عربهم وعجمهم، وكون خلافه امراً لا يحتمله أحد ولا ينتظره، لا ينافي وجود نصوص متواترة باستخلافه وعدم استناده عليه السلام إليها، لأنّ مقامات الكلام متفاوتة، وحيثيّات الأغراض مختلفة فقول ابن أبي الحديد إنّ ذاك الكلام يدلّ على بطلان دعوى الإمامية النصّ وخصوصاً الجليّ[1] نفخ في غير ضرام.

ثم قوله: دعوى الامامية النص الخ -غلط، فنقل النص نصاب العامة، وقوله «خصوصاً الجلى» أيضاً غلط فهل نصٌّ أجلى من أن يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم «ألست أولى بكم من أنفسكم» فيقولون: بلى فيقول لهم: «من كنت مولاه، أي أولى به من نفسه، فهذا عليٌّ مولاه وأولى به من نفسه» إلّا انّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور.

مع أنّه عليه السلام تمسّك بالنّص في هذا الكتاب كما عرفته من رواية الكليني، ولم ينقله الرضي حيث إنّه يختار من الكلام ما يتضمّن النكات البيانية.

مع أنّه لا يتمسّك بالنصّ فكان عليه السلام يتّقي حتّى أيّام خلافته كما يفهم من أسانيد هذا العنوان، فكان لا يمكنه التصريح بهلاكة المتقدّمين عليه، ولم يجترئ أن يخطب بالعنوان مشافهة حتّى كتبه لهم كما عرفته من رواية ابن

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٦٥.

قتيبة، وحتّى أنّه وكّل جمعاً من ثقات شيعته بمراقبة القاري إن شغب عليه الناس كما عرفته من رواية الرسائل.

وتدلّ أسانيد العنوان على أنّ أصحابه فهموا من حاله عليه السلام كونه كشيعته اليوم معتقداً فيهم الهلاكة وأرادوا منه التصريح، ولم يكن صلاحاً له عليه السلام لا سيّما وأنّ ذاك الوقت كان وقت تزلزل أمره، وفتح معاوية لمصر، وغاراته على بلاده عليه السلام سوى الكوفة مقرّه. فقال عليه السلام لهم: أَوَقَدْ تفرّغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلوا.

وكان أكثر أصحابه غير عارف به، وكان معاوية دائماً يكتب إليه عليه السلام بما يستثيره في المتقدّمين عليه. فيفصح ببطلان أمرهم فيتفرق أصحابه عنه. فكان يكتب إليه كراراً «كنت كارهاً للخلفاء باغياً عليهم قد عرفنا ذلك في نظرك الشزر وتنفّسك الصعداء»[1].

وقد أفصح معاوية عن غرضه ذلك في كتابه إلى الحسن عليه السلام بعد أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا كان عليه السلام كتب إليه «انّ قريشاً بغوا على أهل بيت نبيّهم بعده» في قوله «صرّحت بتهمة أبيبكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبيعبيدة الأمين وحواري النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك. فانّك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين»[2] كما عرفت في سابقه.

ومع ذلك كان أميرالمؤمنين عليه السلام لم يبال بذلك، فيظهر الحقّ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، إتماماً للحجّة، كما لم يبال بفوت حكومته الّتي جعلها الله تعالى له ـ يوم الشورى لمّا شرطوا عليه سنّة الشيخين ـ كما لم يبال بتفرّق الناس عنه بترك تفضيله الأشراف كعمر لكونه خلاف حكم الله.

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٥٧، شرح الكتاب ٢٨، والنقل بتصرف.

(٢) مر في العنوان ١٤، من هذا الفصل.

وممّا يوضح كونه عليه السلام كباقي أهل بيته وشيعته اليوم؛ ما رواه الخطيب في تاريخ بغداد في عنوان عبدالله بن نوح باسناده عن سويد بن غفلة قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبابكر وعمر، وينتقصونهما بغير الّذي هما له من الامة أهل فدخلت على عليّ عليه السلام. فقلت: يا أميرالمؤمنين! مررت بنفر من الشيعة، وهم ينتقصون أبابكر وعمر بغير الّذي هما له من الأُمة أهل، ولولا انّهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك. فقال علي: أعوذ بالله أن أضمر لهما إلّا الحسن الجميل[١].

فانّه عليه السلام ورّى في جوابه، وصدق في توريته فانّه عليه السلام كان لا يضمر لأحد سوءً بل كان يريد لجميع الناس الجميل كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان الناس استحبّوا العمى على الهدى فأيّ شيءٍ عليه، ولو لم يكن عليه السلام على ما نقل له من شيعته لم لم يبعث وراءهم ويزجرهم إذا لم يكونا أهلاً لانتقاصهم كما قاله سويد، وقد كان عليه السلام لا يتسامح مع أحد في أدنى شيءٍ على خلاف الشريعة.

«فما راعني» في (أساس الزمخشري): «ما راعني إلّا مجيئك» بمعنى ما شعرت إلّا به»[٢] قلت: والصواب أن يقال: إنّه بمعنى شعور بشيءٍ مفزع لاشتقاقه من الرَوع بالفتح، بمعنى: الفزع.

وفي (صحاح الجوهري): «راعني الشيء: أي: أعجبني»[٣] قلت: والصواب التفصيل في استعماله بين السلب والايجاب بأن يقال: لا يستعمل في النفي إلّا مع إلّا، كما في كلامه عليه السلام، وما يأتي من الشعر بمعنى عدم الشعور إلّا بمفزع.

---

(١) تاريخ بغداد ١٠: ١٨١.

(٢) اساس البلاغة: ١٨٤، مادة (روع).

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٢٣، مادة (روع).

«إلّا انثيال الناس» أي: انصبابهم.

«على فلان» أي: أبي‌بكر، وقد صرّح به في الروايات الأربع المتقدمة[١].

«يبايعونه» جملة إلّا يبايعونه فاعل لقوله «فما راعني»، وكلمة «ما راعني» مختصّة في كلام العرب بمجيء فاعله جملة. قال عمر بن أبي ربيعة:

فلم يرعهن إلّا العيس طالعة بالقوم ركباناً وأكوارا

ويأتي بسط القول في ذلك في الشقشقية.

ثم إنّ انثيال الناس على أبي‌بكر للبيعة إنّما كان مصداق قوله تعالى ﴿واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة﴾[٢] فشملت الأنصار الّذين لم يكن لهم نيّة سوء وانّما شهد سعد بن عبادة السقيفة، وحثّ الأنصار على بيعته لما استشعره من الرجلين ومن أعوانهم الطلقاء والمؤلفة والمنافقين عدم ابقائهم الأمر لأميرالمؤمنين عليه السلام وتصدّيهم له، وكان سعد وقومه قد وتروا قريشاً فخافوا انتقامهم منهم، وصار الأمر كذلك فأذلّوهم، وقتلوهم يوم الحرّة. وفيه قال يزيد متمثلاً:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم إنّ انثيالهم عليه كان لأمور: أحدها حسد بشير بن سعد لابن عمّه سعد بن عبادة، وحسد الأوس للخزرج. فلمّا أراد عمر وأبوعبيدة وهما ركنا بيعة أبي‌بكر ان يبايعاه سبقهما إليه بشير فبايعه. فناداه الحباب بن المنذر ـ كما قال الطبري ـ «عققت عقاق. ما أحوجك إلى ما صنعت؟ أنَفَسْتَ على ابن عمك الامارة»[٣] ولمّا رأى أسيد بن حضير الأوسي ما تطلب الخزرج من

---

(١) كذا في الإمامة والسياسة ١: ١٥٥، والغارات ١: ٣٠٥، وكشف المحجة، ١٧٦.

(٢) الانفال: ٢٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٨ و ٤٥٩، سنة ١١.

تأمير سعد قال للأوس -كما في (الطبري)- «والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبابكر»[١]، قال الطبري: فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سعد وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم، فأقبلوا من كلّ جانب يبايعون أبابكر وكادوا يطؤن سعداً، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه. فقال عمر: اُقتلوه قتله الله ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك -إلى آخر ما قال-[٢].

وثانيها: أنّ جماعة من الأعراب -كما رواه أبو مخنف- دخلوا المدينة ليتمادوا منها في وقت موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فشغل الناس عنهم. فشهدوا السقيفة فقال لهم عمر: خذوا بالحظّ من المعونة على بيعة خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، واخرجوا إلى الناس، واحشروهم ليبايعوا. فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه. قال زائدة بن قدامة: والله لقد رأيت الأعراب تحزّموا واتّشحوا بالأزر الصنعانية، وأخذوا بأيديهم الخشب، وخرجوا حتّى خبطوا الناس خبطاً وجاءوا بهم مكرهين إلى البيعة[٣].

وقال البراء بن عازب -كما في (ابن أبي الحديد) في موضع آخر- لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم فكنت أتردّد إليهم، وهم عند جنازة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الحجرة -إلى أن قال- فلم ألبث وإذاً أنا بأبي‌بكر قد أقبل ومعه عمرو أبوعبيده وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٨، سنة ١١.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٤٥٨ و٤٥٩، سنة ١١، والنقل بتلخيص.

(٣) رواه عن أبي مخنف المفيد؛ في الجمل: ٥٩، والنقل بتصرف يسير.

فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك او أبى ـ الخ ـ[1].

وثالثها: اشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا قال عليه السلام لهم ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) ـ «أيّها الناس لا تخرجوا سلطان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الامر منكم ما كان فينا القاري لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيّة، المدافع عنهم الأُمور السيّئة، والقاسم بينهم بالسويّة، والله إنه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بُعْداً. قال له بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير ـ وهو الّذي كان بايع أبابكر قبل عمر كما مرّ ـ (لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك) فقال عليه السلام: أفكنت أدعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه[2].

ولمّا كان عليه السلام يحمل لا تمام الحجّة سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ ليلاً على دابة تسأل الأنصار النصرة ـ وكان معاوية يعيّره عليه السلام بذلك ـ كانوا، يقولون لها ـ كما في (الخلفاء) أيضاً: لو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فتقول فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[3].

«فأمسكت يدي» عن الدخول في أمر من أُمورهم.

وزاد في رواية الثقفي والقتيبي بعد قوله عليه السلام «فأمسكت يدي» «ورأيت أنّى أحقّ بمقام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده،

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٧٤، شرح الخطبة ٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢ و ٣) الإمامة والسياسة ١: ١٢.

فلبثت بذلك ما شاء الله»[١].

«حتّى رأيت راجعة الناس» وفي روايتهما: «راجعة من الناس»[٢].

«قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق» أي: محو.

«دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم » مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وطليحة بن خويلد في بني أسد، وقد كانوا تنبأوا قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنّ الأسود قتل في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وجاء نعيه بعده صلى الله عليه وآله وسلم .

«فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً» أي: خللا.

«أو هدماً» وخراباً لبنيانه.

«تكون المصيبة به» أي: بالثلم أو الهدم.

«عليّ أعظم من فوت ولايتكم» وحكومتكم.

روى الثقفي عن الحسن بن سلمة قال: لمّا بلغ علياً عليه السلام مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة نادى: الصلاة جامعة. فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحقّ الخلائق به لا ننازع حقّه وسلطانه. فبينما نحن على ذلك إذ نفر المنافقون. فانتزعوا سلطان نبيّنا منّا، وولّوه غيرنا. فبكت والله لذلك العيون والقلوب منّا جميعاً، وخشنت والله الصدور، وأيم الله لولا مخافة الفرقة من المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لكنّا قد غيّرنا ذلك ما استطعنا[٣].

وقال الباقر عليه السلام : لم يمنع أميرالمؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلى نفسه إلّا

(١) كذا في الغارات ١: ٣٠٦، والإمامة والسياسة ١: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) رواه عن الثقفي المفيد في أماليه: ١٥٤ ح ٦، المجلس ١٩، والنقل بتلخيص.

نظراً للناس، وتخوّفاً عليهم أن يرتدّوا عن الاسلام. فيعبدوا الأوثان ولا يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الأحب إليه أن يقرّهم على ما صنعوا من أن يرتدّوا عن جميع الإسلام، وانّما هلك الّذين ركبوا ما ركبوا. فأمّا من لم يصنع ذلك، ودخل في ما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأميرالمؤمنين عليه السلام؛ فإنّ ذلك لا يكفّره ولا يخرجه من الإسلام، ولذلك كتم عليّ عليه السلام أمره، وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً[1].

وروى المدائني ـكما في (الشافي)ـ عن أبي عون قال: لمّا ارتدّت العرب مشى عثمان إلى علي عليه السلام فقال: يا ابن عم! إنّه لا يخرج واحد إلى قتال هذا العدوّ وأنت لم تبايع، ولم يزل به حتّى مشى إلى أبي‌بكر فسرّ المسلمون بذلك وجدّ الناس في القتال[2] ـورواه الواقدي كما في (مسترشد الطبري)ـ.

وروى الثقفي عن موسى بن عبدالله بن الحسن قال: أبت أسلم أن تبايع فقالوا: ما كنا نبايع حتّى يبايع بريدة لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لبريدة: عليٌّ وليُّكم من بعدي فقال علي عليه السلام: انّ هؤلاء خيروني ان يظلموني حقي وابايعهم وارتدّ الناس حتّى بلغت الردّة احدا. فاخترت ان اظلم حقّي، وان فعلوا ما فعلوا[3].

وفي (الطبري): أنّ أسلم ـوهو قوم بريدةـ لمّا أقبلت لبيعة أبي‌بكر قال عمر: أيقنت بالنصر[4]، وروى الأوّل عن موسى أيضاً أنّ علياً عليه السلام قال لهم: بايعوا فإنّ هؤلاء خيّروني أن يأخذوا ما ليس لهم

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٩٥ ح ٤٥٤.

(٢) تلخيص الشافي ٣: ٧٧.

(٣) رواه عن الثقفي الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٧٨.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٩، سنة ١١.

أو أُقاتلهم وأُفرّق أمر المسلمين[١].

وعن سفيان بن فروة عن أبيه: قال جاء بريدة حتّى ركز رايته في وسط اسلم ثم قال: لا أُبايع حتّى يبايع عليّ عليه السلام. فقال علي عليه السلام: يا بريدة! أُدخل في ما دخل فيه الناس. فإنّ اجتماعهم أحبّ إليّ من اختلافهم اليوم[٢].

«**الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب**» شبّه عليه السلام رياسة الدنيا وحكومتها بالسراب في عدم حقيقة له كما شبّه تعالى عمل الكفار به. فقال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾[٣] وقالوا في المثل: «أخدع من سراب»[٤].

«**أو كما يتقشّع**» أي: يتفرّق.

«**السحاب**» شبّهها عليه السلام بتقشع السحاب في سرعة زواله.

«**فنهضت**» أي: قمت.

«**في تلك الأحداث**» الراجعة إلى رجعة جمع عن الاسلام.

قال ابن أبي الحديد: انّه إشارة إلى ما رواه الطبري من أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا مات اجتمعت أسد وغطفان وطيّ على طليحة بن خويلد. فاجتمعت أسد بسميراء، وغطفان بجنوب طمية، وطي في حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن أسد، ومن يليهم من قيس بالأرق من الربذة وباشت إليهم ناس من بني كنانة ولم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقامت إحداهما بالأرق، وسارت الأُخرى إلى ذي القصة، وبعثوا وفوداً إلى أبي بكر يسألونه أن يقارّهم على إقامة الصلاة ومنع الزكاة. فقال: لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه، ورجع الوفود إلى

(١) رواه عن الثقفي الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٧٨.

(٢) رواه عن الثقفي الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٧٨.

(٣) النور: ٣٩.

(٤) أورده الزمخشري في المستقصى ١: ٩٥، بلفظ «اخدع من يلمع».

قومهم فأخبروهم بقلّة من أهل المدينة. فأطمعوهم فيها، وعلم أبوبكر والمسلمون بذلك. فقال لهم: رأى وفدهم منكم قلّة وأنّكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً، وادناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم ونبذنا إليهم، فأعدّوا واستعِدّوا فخرج علي عليه السلام بنفسه. وكان على نقب من أنقاب المدينة، وخرج طلحة والزبير وابن مسعود فكانوا على الأنقاب الثلاثة. فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى طرق القوم المدينة غارة مع الليل وخلّفوا بعضهم بذي حسا ليكونوا ردءاً لهم، فوافوا الأنقاب وعليها المسلمون، وخرج أبوبكر في جمع من أهل المدينة على النواضح. فانتشر العدو بين أيديهم، وأتبعهم المسلمون على النواضح حتّى بلغوا داحسا فخرج عليهم الكمين بأنحاء قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوا بها في وجوه الابل فتدهده كلّ نحي منها في طول. فنفرت ابل المسلمين وهم عليها، ولا تنفر الابل من شيء نفارها من الأنحاء. فعاجت بهم لا يملكونها حتّى دخلت بهم المدينة ولم يصرع منهم أحد ولم يصب. فبات المسلمون تلك اللّيلة يتهيأون. ثم خرجوا على بغتة فما طلع الفجر الّا وهم والقوم في صعيد واحد. فلم يسمعوا للمسلمين حسّاً ولا همساً، حتّى وضعوا فيهم السيف. فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذرّ قرن الشمس إلّا وقد ولّوا الأدبار، وغلبوا على عامّة ظهرهم، ورجعوا إلى المدينة ظافرين[1].

قلت: ما نقله من الطبري من روايات سيفه الّذي له يد طولى في الجعل حتّى في وضع الأشعار والرجال والأمكنة لما يضع، وأصل ارتداد طليحة معلوم لكن صحّة باقي خصوصيات ما نقل غير معلومة.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٤٧٦، سنة ١١، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١٦٥، شرح الكتاب ٦٢، والنقل بتصرف.

وممّا يشهد لوضعه هنا قوله «بعثوا وفودا إلى أبي‌بكر يسألونه أن يقارّهم على اقامة الصلاة ومنع الزكاة فقال لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه» فإنّهم كانوا ارتدوا عن اصل الإسلام. فكيف يقولون لأبي‌بكر ما قال، وإنّما كان جمع آخر ثابتين على الإسلام قالوا: إنّ النبيّ ﷺ أمرنا بإعطاء زكاتنا إلى فقرائنا ولم يعطوا عمّال أبي‌بكر. فعاملهم أبوبكر معاملة المرتدين وقال: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم كما لا يخفى على من راجع تاريخ ابن أعثم[1]، وإنّما سيف يأخذ الأشياء من موضع ويجعلها في موضع آخر.

والصواب في ارتداد طليحة ومن بعث أبي‌بكر لحربه ما قاله اليعقوبي في تاريخه. فقال «وممّن تنبّأ طليحة بن خويلد الأسدي، وكان أنصاره غطفان ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري. فخرج أبوبكر في جيشه إلى ذي القصة، ودعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّك ذو رأي قريش، وقد تنبّأ طليحة فما ترى في عليّ؟ قال: لا يطيعك. قال: فالزبير؟ قال: شجاع حسن. قال: فطلحة؟ قال: للخفض والطعن. قال: فسعد؟ قال: محشّ حرب. قال: فعثمان؟ قال: أجلسه واَستعن برأيه قال: فخالد بن الوليد؟ قال: بسوس للحرب، نصير للموت له أناة القطاة، ووثوب الأسد. فلمّا عقد له قام ثابت بن قيس بن شمّاس وقال: يا معشر قريش! أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟ أما والله ما نحن عمياً عمّا نرى، ولا صمّاً عمّا نسمع، وأمرنا رسول الله ﷺ بالصبر فنحن نصبر، وقام حسّان فقال:

يا للرجال لخلفة الأطوار ... ولما أرادَ القَومُ بالأنصار

لم يُدْخلوا منّا رئيساً واحداً ... يا صاحِ في نقضٍ ولا إمرارِ

فعظم على أبي‌بكر هذا القول. فجعل على الأنصار ثابت بن قيس، وأنفذ

---

(١) فتوح ابن أعثم ١: ١٣ ـ ٨٧.

خالداً على المهاجرين. فقصد طليحة. ففرق جمعه وقتل خلقاً من أتباعه، وأُخذ عيينة فبعث به إلى أبي‌بكر مع ثلاثين أسيراً، وهو مكبّل بالحديد. فجعل الصبيان يصيحون به: يا مرتد. فيقول: ما آمنت طرفة عين قطّ. فاستتابه، واطلق سبيله، ولحق طليحة بالشام وبعث بشعر إلى أبي‌بكر يراجع الاسلام» ـإلخ ـ(١).

«حتّى زاح» أي: بَعُدَ وذهب.

«الباطل، وزهق» أي: اضمحلّ.

«واطمأنّ الدين وتنهنه» أي: استقر وكفّ عن تطرّق الباطل إليه.

قال الجوهري: «الأصل في نهنه نههَهَ بثلاث هاءات وإنما ابدلوا من الهاء الوسطى نوناً للفرق بين فعلل، وفعّل وإنما زادوا النون من بين سائر الحروف لأنّ في الكلمة نونا»(٢).

قلت: هو شيء تفرّد به. فإذا كان أصل نهنه نَهَهَهَ فليقل أصل زلزل زلزل ولا يبعد أن يكون الأصل في الرباعيات المضاعفة كونها مخفّفة ثلاثيات مضاعفة مكرّرة بأن يقال: إن الأصل في زلزل زلّ زلّ، ولكن في (اللسان) «كانّ الأصل في نهنه النهى»(٣) وكيف كان فالأصل في معنى نهنه الكفّ قال شاعر:

نهنه دموعك انّ من ... يفترّ بالحدثان عاجز

وقال أبو جندب الهذلي:

فنهنهت أُولى القوم عنهم بضربة ... تنفس عنها كلّ حشيان محجر

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٩، والنقل بتلخيص.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٢٥٤، مادة (نهنه).

(٣) لسان العرب ١٣: ٥٥١، مادة (نهنه).

١٦
من الكتاب (٢٨)

في كتابه عليه السلام الى معاوية:

«وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ المَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَالَمْ يَكُنْ شَاكاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا».

أقول: قال ابن أبي الحديد: انّ النقيب قال: إنّه جواب كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام مع أبي امامة الباهلى[1]. قلت: بل مع أبي مسلم الخولاني. فروى نصر بن مزاحم في (صفّينه): انّ معاوية كتب مع أبي مسلم الخولاني إليه عليه السلام ـ مشيراً إلى أبي بكر وعمر وعثمان ـ «فكلّهم حسدت، وعلى كلّهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وفي قولك الهجر، وفي تنفّسك الصعداء، وفي إبطائك عن الخلفاء. تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتّى تبايع وأنت كاره» ـ إلخ ـ[2].

«وقلت: إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش» أي: جمل أُدخل في عظم أنفه خشب، وقد عرفت أنّ نصر بن مزاحم رواه «الفحل المخشوش».

وفي (فقه لغة الثعالبي): «فصل في الهنة تجعل في أنف البعير إذا كانت من خشب فهي خِشاش، فإذا كانت من صفر فهي بُرَة، فاذا كانت من شَعر فهي خزامة، فإذا كانت من بقيّة حبل فهي عِران»[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٥٧.

(٢) وقعة صفين: ٨٧.

(٣) فقه اللغة: ٢٥٩.

«حتّى أُبايع» أي: أُبايع أبا بكر. روى الكشي عن الباقر عليه السلام قال: لمّا مرّوا بأميرالمؤمنين عليه السلام ـ وفي رقبته حبل آل زريق ـ ضرب أبوذر بيده على الأُخرى ثم قال: «ليت السيوف قد عادت بأيدينا ثانية» وقال المقداد: «لو شاء لدعا عليه ربّه ـ عزّ وجلّ ـ» وقال سلمان: «مولانا أعلم بما هو فيه»[1].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ في عنوان بيعة علي ـ تفقد أبوبكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ. فبعث إليهم عمر. فجاء فناداهم، وهم في دار علي. فأبوا أن يخرجوا. فدعا بالحطب، وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأُحرّقنّها على من فيها. فقيل له: إنّ فيها فاطمة. فقال: وإن، فخرجوا. فبايعوا إلّا عليّاً. فانّه زعم انّه قال: حلفت أن لا أخرج، ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن فوقفت فاطمة على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم النبيّ صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستامرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً. فأتى عمر أبابكر. فقال له: ألا تاخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبوبكر لقنفذ ـ مولى له ـ قم فادع لي علياً. فذهب إليه وقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليّ: لسريع ما كذبتم على رسوله. فرجع فأبلغ الرسالة. فبكى أبوبكر طويلاً. فقال له عمر: الثانية. لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبوبكر لقنفذ: عد إليه وقل: أميرالمؤمنين يدعوك لتبايع. فجاء فأدّى. فرفع عليّ صوته وقال: سبحان الله! إدّعى ما ليس له. فرجع قنفذ. فأبلغ الرسالة. فبكى أبوبكر طويلاً، ثم قام عمر ومشى معه جماعة حتّى أتوا بيت فاطمة، فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبه يا رسول الله! ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة. فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدّع، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال، اختياره: ٧: ١٦ .

فمضوا به إلى أبي بكر، وقالوا له بايع. فقال: إن انا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. قال عمر: أما عبد الله فنعم، أما أخو رسوله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك. فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق علي بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصيح وينادي: «يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[١].

فهل أمر أبين من كون بيعته عليه السلام كرهاً وأنّهم أرادوا إحراق بيته عليه وعلى امرأته سيّدة نساء العالمين، وعلى ابنيه سيّدى شباب أهل الجنّة لو لم يكن خرج، وأرادوا ضرب عنقه مع كونه كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يبايع، وأنّه عليه السلام جعلهم في اتّباعهم لأبي‌بكر، وتركهم له بمنزلة عابدي العجل. ونفسه بمنزلة هارون. فكيف يصحّح إخواننا خلافة الرجل بإمضائه عليه السلام لها، وكيف يدّعون فيها الإجماع، ولو صدق في هذا إجماع. فليقل لم يكن في العالم يوماً نزاع.

ثمّ لو كان كلّ إجماع حجّة لكان إجماع أُمّة موسى على كون العجل إلّههم حجة. مع أنّ في إجماع أُمّة موسى إنّما تخلّف هارون أخو موسى، وبيعة أبي‌بكر لم تكن ابتداءً إلّا من عمر وأبي‌عبيدة لمواطأتهما معه، ومن بشير بن سعد لحسده ابن عمه سعد بن عبادة أن ينال أمارة، ثم من الأوس بإشارة رئيسهم أسيد بن حضير ضغناً ورقابةً للخزرج، ثم باقي المؤلفة والطلقاء طمعاً في أن ينالوا امارة، ثم من باقي الناس بضرب العصا وخبطا. مع أنّ أُمّة موسى الّذين أجمعوا على عبادة العجل كانوا من أولاد الأنبياء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الّذين قال تعالى فيهم انّهم فضّلهم على العالمين، وقال لهم

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢، والنقل بتصرف يسير.

جدّهم يعقوب لما حضره الموت: ﴿ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك وإله آباءك ابراهيم واسماعيل وإسحاق﴾[١] والمبايعين لأبي‌بكر كانوا أعراباً جلفاً شابوا لحاهم في عبادة الأوثان.

وإنّي لأعجب من ابن قتيبة واستحي له أنّ يقول ـ بعد ما نقلناه عنه وبعد ذكره إتيان أبي‌بكر وعمر إلى العباس بجعله شريكاً لو هي أميرالمؤمنين عليه السلام بإشارة المغيرة، وردّ العباس على أبي‌بكر بأنّه إن كان الأمر حقّاً لك. فلا حاجة لي فيه، وإن كان حقّ المؤمنين. فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقّنا لم نرض منك ببعض دون بعض ـ «فلمّا تمّت البيعة لأبي‌بكر أقام ثلاثة أيّام يقيل الناس، ويستقيلهم يقول قد أقلتكم في بيعتي هل من كاره؟ هل من مبغض؟ فيقوم عليّ في أوّل الناس فيقول: والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً قد قدّمك النبيّ لتوحيد ديننا من ذا الّذي يؤخّرك لتوجيه دنيانا»[٢].

فهل هو إلّا كلام مضحك للثكلى، ومسخرة للعقلاء. كيف يصدق أبوبكر في استقالته مع اخذه البيعة بإحراق أهل بيت نبيّه، وقتل وصيّه، وكيف يقول اميرالمؤمنين عليه السلام في أبي‌بكر ما مر ويجعله عجل السامري. ثم يقول له ما قاله هنا؟ هل يكون كذلك إلّا من كان رذلاً نذلاً، وانّما نسب إليه عليه السلام كلام عمر في السقيفة فإنّه لمّا كان هو وأبوبكر يتقارضان الخلافة ويقول أبوبكر: هذا عمر بايعوه أو بايعوا أباعبيدة. قال له عمر: أنت الّذي قدّمك النبيّ لديننا فكيف لا نقبلك لدنيانا[٣].

مع أنّه كلام مغالطة: فإنّه جعل خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عبارة عن سلطنة

---

(١) البقرة: ١٣٣ .

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٥ ـ ١٦.

(٣) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٢٣، شرح الخطبة ٢٦، والنقل بالمعنى .

دنيوية وأدون من امامة جماعة. فلم يكفّر اتباعهم الشيعةَ لانكارهم ائمتهم مع اعتراف فاروقهم بأنّ الخلافة مجرّد رياسة دنيوية.

ولازمه كون النبوّة أيضاً رياسة دنيوية كما أفصح عنه من أسّسوا له الأمر في قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا ‏ ‏ ‏ ‏ خبر جاء ولا وحي نزل

وأمّا الإماميّة فإنّما يكفّرون من أنكر أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّهم يجعلون ولايته من أُصول الدين كنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّهم يعتقدون كون الإمام كالنبيّ صلى الله عليه وآله في كونه من قبل الله تعالى لا مجرّد إمارة، ونحن لا ننكر تصدي خلفائهم للإمارة إن كان الأمر كما قال عمر.

وروى الثقفي مسنداً عن عدي بن حاتم قال: ما رحمت أحداً رحمتي علياً حين أُتي به ملبّباً، فقيل له بايع، قال: فإن لم أفعل. قالوا: إذن نقتلك، قال: «اذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله» ثم بايع كذا ـ وضمّ يده اليمنى ـ[١].

وعنه أيضاً قال: إنّي جالس عند أبي‌بكر إذ جيء بعليّ عليه السلام فقال له أبوبكر: بايع. فقال له علي عليه السلام: فإن لم أُبايع. قال: أضرب الّذي فيه عيناك. فرفع رأسه إلى السماء فقال: «اللّهمّ اشهد» ثم مدّ يده فبايعه[٢].

ويكفي في عدم صحّة خلافة صدّيقهم اعتراف معاوية الّذي هو أصل مذهبهم وفرعه وأوّله وآخره لا سيّما في ثالثهم الّذي حملهم على القول به، وإلّا فالناس كانوا فيه بعد قتله بين مكفّر ومفجّر بأنّه عليه السلام قيد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش.

ونظير قوله هذا في كشف حقيقة الأمر منه؛ قوله الآخر في ما كتب إليه عليه السلام أيضاً: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يد

(١ و ٢) رواه عن الثقفي المرتضى في تلخيص الشافي، ٣: ٧٩.

ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبوبكر الصدّيق. فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله ﷺ. فلم يجبك إلّا أربعة أو خمسة[1].

وصرّح بذلك أيضاً الجبار الدوانيقي في ما كتب إلى محمّد بن عبدالله الحسني، ورواه القتيبي[2].

«ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت» بكوني مظلوماً.

«وأن تفضح فافتضحت» بكون من جعلته حجتك ظالما.

ونظير ما قاله عليه السلام من كون معاوية أراد ذمّه عليه السلام بقيادته كالجمل المخشوش لبيعة أبيبكر فمدحه؛ أنّ حجل بن نضلة ذكر عند النعمان بن المنذر معاوية بن شكل. فقال: إنّه لقعو الاليتين مقبل النعلين، فحج الفخذين، مشّاء باقراء، تبّاع اماء، قتّال ظباء. فقال له النعمان: أردت أن تذمّه فمدحته.

وفي (الأغاني): خاصم رجل أبادلامة في داره. فارتفعا إلى عافية القاضي. فأنشأ أبو دلامة يقول:

لقد خاصمتني دهاة الرجال	وخاصمتها سنة وافية
فما أدحض الله لي حجة	ولا خيّب الله لي قافية
ومن خفت من جوره في القضاء	فلست اخافك يا عافية

فقال له عافية القاضي: لأشكونك إلى الخليفة، ولأُعلمنّه أنّك هجوتني. قال: إذن يعزلك. قال: ولم؟ قال: لأنّك لا تعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٣١، شرح الخطبة ٢٦.

(٢) أشار الى الكتاب ابن قتيبة في عيون الاخبار ١: ٢٠٩، ويوجد أيضاً متن الكتاب في تاريخ الطبري ٦: ١٩٥، سنة ١٤٥، وانساب الاشراف ٣: ٩٥.

المنصور. فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة[١] ولمّا قال الأخطل لسويد بن منجوف:

وما جذع سوء خرّق السوء وسطه لمـا حـملته وائـل بـمطيق

قال له سويد: هجوتني بزعمك. فمدحتني لأنّك جعلت وائلاً حملتني أمرها، وما طمعت في بني تغلب منها.

وانبرى فتى للاخطل. فقال له: أردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي، وان تصغّر من شأنه، وتضع من شأنه، وتضع منه. فقلت:

وسوّد حاتماً أن ليس فيها إذا مـا أوقـد النـيران نـار

فأعطيته السؤدد في الجزيرة وأهلها ومنعته ما لا يضرّه.

ولمّا بسط يوسف بن عمر الثقفي العذاب على خالد بن عبدالله القسرى لم يكلّمه خالد حتّى قال له يوسف: يا ابن الكاهن ـيعني بالكاهن شقّ بن صعب فقال له خالد: إنّك لأحمق. تعيّرني بشرفي، ولكنّك يا ابن السبّاء! إنّما كان أبوك سبّاء الخمر: أى بيّاعه.

وعن علي بن المنذر قال: قال لي الحسن البصري: ما قول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه، وهجا قومه. قال: ما مدح من هجا قومه.

وفي (المعجم) كان الخليل النحوي العروضي يقطّع بيتاً من الشعر فدخل عليه ابنه في تلك الحالة. فخرج إلى الناس، وقال لهم: إنّ أبي قد جنّ. فدخلوا عليه وهو يقطّع البيت فأخبروه بما قال ابنه. فقال لابنه:

لوكنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

(١) الأغاني ١٠: ٢٥٧، والنقل بتصرف يسير.

لكن جـهلت مـقالتي فـعذلتني وعلمت أنّك جاهل فعذرتكا[1]

أيضاً:

عــذلت عـلى مـا لو عـلمت بـبعضه فـسحت مكان اللوم والعذل من عذر

وعكسه أنّ الأخطل أراد أن يمدح سماك بن مخرمة الأسدي. فقال فيه:

إنّ سماكاً بنى مجداً لأسـرته وفـــعل الخـــير يـــبتدر

قد كنت أحسبه قـينا وأخـبره فاليوم طيّر عن أثوابه الشـرر

فقال سماك: ويحك ما أعياك! أردت أن تمدحني فهجوتني. قال ذلك لأنّه كان من بني الهالك، وكان الهالك أوّل من عمل الحديد، وكان ولده يـعيّرون بذلك.

وفي (الأذكياء) مدح الخالديان سيف الدولة بن حـمدان بـقصيدة قـالا فيها:

فـــوجهٌ كـله قـمر وسـائر جسـمه أسـد

فاستحسنه سيف الدولة، وجعل يردّد إنشـاده. فدخل عليه الشـيطمي الشاعر. فقال له: اسمع هذا البيت، وأنشده إيّاه. فقال له الشيطمي: إحمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر[2].

«وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً» أي: ذلّة ومنقصة.

«ما لم يكن شاكّا في دينه ولا مرتاباً بيقينه» وأمّا لو ظلمه الناس فليس فيه غضاضة بل رفع درجة وعلوّ منزلة.

وقال عليه السلام في مثل ذلك في موضع آخر «فإنّ المرء المسلم البريء من الخيانة ما لم يخش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت وتغرى بها لئام الناس؛

---

(١) معجم الأُدباء ١١: ٧٥ ، والنقل بتصرّف يسير.

(٢) الأذكياء لابن الجوزي: ١٥٢، والنقل بتلخيص .

كان كالفالج الياسر الّذي ينتظر اوّل فورة من قداحه توجب له المغنم، ويرفع بها عنه المغرم»[١] ولبعضهم في نظيره:

لعمري ما بالموت عار على امرئ إذا لم تصبه في الحياة المعائر

وللنابغة:

وعيّرتني بنو ذبيان رهبته وهل عليّ بأن أخشاك من عار

ولآخر:

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأيُّ مهنّد لم يغمد

والحبس ما لم تغشه لدنيّة شنعاء نعم المنزل المستورد

ولقد أجاد من قال بالفارسية:

ما نداريم از قضاى حق گله عار نايد شير را از سلسله

وروى (الكافي): أنّ رجلاً كان يدخل على الصادق عليه السلام في حجّه. فغبر زماناً لا يحجّ. فدخل عليه عليه السلام بعض معارفه. فسأله عنه. فجعل يضجع الكلام يظنّ أنّه عليه السلام يعني الميسرة والدنيا فقال عليه السلام له: كيف دينه. فقال: كما تحب. فقال: هو والله الغنى[٢].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى في مؤمن آل فرعون: ﴿فوقاه الله سيّئات ما مكروا﴾[٣] أما لقد بسطوا عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه[٤].

«**وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها**» قال عليه السلام لمعاوية ذلك لأنّ معاوية كان مصداق قوله تعالى: ﴿ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا

---

(١) نهج البلاغة ١: ٦٠، الخطبة ٢٣.

(٢) الكافي ٢: ٢١٦ ح ٤.

(٣) غافر: ٤٥.

(٤) الكافي ٢: ٢١٥ ح ١.

عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا﴾[١] وإنّما قصده عليه السلام بحجّته من كان لقبولها أهلاً.

«ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح» أي: عرض ولزمه المقام إتماماً للحجّة.

«من ذكرها» فإنّه عليه السلام لو لم يجبه بأن قودي للبيعة لم يكن ذماً لي بل لخصمي، ومن عاملني بذلك يمكن أن تؤثّر شبهته في القاصرين بأنّ المغلوبية في الدنيا تنافي كمال الدين أو لم يقل أهل الدنيا الّذين لم تكن لهم بصيرة في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[٢] ولِمَ أُنزل على يتيم أبي طالب.

١٧
الحكمة (١٦٣)

لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.

أقول: وقبل هذا الكلام هكذا: «إنّما حقّي على هذه الأُمّة كرجل له حق على قوم الى أجل معلوم. فإن أحسنوا وعجّلوا له حقّه؛ قَبِلَهُ حامداً، وإن أخّروه إلى أجله؛ أخذه غير حامد».

وبعده هكذا: «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليّ عهداً. فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أُمّتي. فإن ولّوك في عافية، وأجمعوا عليك بالرضا؛ فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك؛ فدعهم وما هم فيه. فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً»[٣].

روى الكليني في (رسائله) على نقل (محجّة ابن طاووس): أنّهم لمّا

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) الزخرف: ٣١.

(٣) كشف المحجة: ١٨٠.

سألوه عن الثلاثة قال عليه السلام ذلك عند حكايته إجبار قريش له على بيعة عثمان في الشورى طمعاً في أن ينالوا الأمر بعده[١].

«**لا يعاب المرء بتأخير حقّه**» وإنّما يعاب من أخّر حقّه لأنّه ظالم له، وهو نظير قوله عليه السلام في سابقه بأنَّ قوده لبيعة أبي‌بكر كالجمل المخشوش ليس نقصاً له لأنّه ليس على المسلم من غضاضة ما لم يكن شاكّاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه.

روى ابن قتيبة في (عيونه) عن الهيثم عن ابن عياش، عن الشعبي: أنّ معاوية أقبل ذات يوم على بني هاشم. فقال: ألا تحدّثوني عن ادعائكم الخلافة دون قريش؟ أتكون لكم بالرضا بكم والاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعاً؟ فإن كانت بالرضا والجماعة فلا أرى القرابة أثبتت حقاً وإن كانت بالقرابة فما منع العباس عم النبيّ ووارثه وساقي الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها، وقد ضمن له أبوسفيان بني عبد مناف؟ وإن كانت بالرضا والقرابة جميعاً فإنّ القرابة خصلة من خصال الإمامة وأنتم تدّعونها بها وحدها ولكنّا نقول أحقّ قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة، ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة، وطارت إليه أهواؤهم للثقة، وقاتل عنها بحقّها فأدركها من وجهها. إنّ أمركم لأمر تضيق به الصدور -إلى أن قال-:

فقال له ابن عباس: ندّعي هذا الأمر بحقّ من لولا حقّه لم تقعد مقعدك هذا، ونقول: كان ترك الناس أن يرضوا بنا، ويجتمعوا علينا حقّاً ضيّعوه وحظّاً حرموه -إلى أن قال-:

فأمّا الّذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فعهد منه إلينا قبلنا

---

(١) لفظ كشف المحجة: ١٨٠، «وليس يعاب».

فيه قوله، ودِنّا بتأويله، ولو أُمرنا أن نأخذه على الوجه الّذي نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقّه، انّما المعيب من يطلب ما ليس له[1].

وروى الثقفي ـكما في (أمالي) محمّد بن محمّد بن النعمان ـ عن المسعودي عن محمّد بن كثير عن يحيى بن حماد القطّان عن أبي محمّد الحضرمي عن أبي عليٍ الهمداني؛ أنّ عبدالرحمن بن أبي ليلى قام إلى عليّ عليه السلام فقال: إنّي أسالك لآخذ عنك وقد انتظرنا ان تقول لنا من أمرك شيئاً فلم تقله. ألّا تحدّثنا عن أمرك هذا أكان بعهد من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو شيء رأيته؛ فانّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما سمعناه من فيك، انّا كنّا نقول: لو رجعت الخلافة إليكم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول؟ أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؛ فعلام نصبك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد حجّة الوداع فقال: «أيّها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه»؟ وان تك اولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولاهم؟

فقال له علي عليه السلام: انّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اليّ عهد لو خزموني بأنفي لأقررت سمعاً وطاعة، وإنّ اوّل ما انتقصناه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إبطال حقّنا في الخمس، فلمّا رقّ أمرنا طمعت رعيان البُهمِ من قريش فينا، وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قمت به ـإلى أن قال ـ:

وكنت كرجل له حقّ على الناس إلى أجل. فإن عجّلوا له ما له؛ أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه؛ أخذه وهم غير محمودين ـإلى ان قال ـ:

فقال عبدالرحمن: لعمرك أنت يا أميرالمؤمنين كما قيل:

---

(١) رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٥، والنقل بتصرف يسير.

لقــد ايـقظت مـن كـان نـائماً　　　واسمعت من كانت له اذنان[١]

«انما يعاب من أخذ ما ليس له» روى ابن بابويه مسندا عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبـين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾[٢].

قال: الأمانة: الولاية، من ادّعاها بغير حق فقد كفر[٣].

وعن الباقر عليه السلام: الأمانة: الولاية، أبى السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وحملها الإنسان أبو فلان[٤].

١٨
الخطبة (٥)

ومن خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخاطبه العباس وأبوسفيان ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة:

«أَيُّهَا النَّاسُ! شُقُّوا أَمْوَاجَ ٱلْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيق المُنافَرَةِ، وضَعُوا تِيجَانَ ٱلْمُفَاخَرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ . ماءٌ آجِنٌ ، ولُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا . ومُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى ٱلْمُلْكِ، وإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ ٱلْمَوْتِ! هَيْهَاتَ بعدَ اللَّتَيَّا وَالَّتي! واللهِ لَابْنُ أبي طالبٍ آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ ٱلْأَرْشِيَةِ في الطَّوِيِّ ٱلْبَعِيدَةِ».

أقول: روى (تذكرة سبط ابن الجوزي)، عن مجاهد، عن عكرمة، عن ابن

---

(١) رواه المفيد في أماليه: ٢٢٣ ح ٢، المجلس ٢٦، والنقل بتصرف.

(٢) الاحزاب: ٧٢.

(٣) أخرجه الصدوق في عيون الأخبار ١: ٢٣٨ ح ٦٦، وفي معاني الأخبار: ١١٠ ح ٣.

(٤) أخرجه الصفار في البصائر: ٩٦ ح ٣، والنقل بالمعنى.

عباس قال: لمّا دفن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جاء العباس وأبوسفيان وجماعة من بني هاشم إلى عليّ عليه السلام. فقالوا: مدّ يدك نبايعك وحرضوه فامتنع وقال له العباس انت والله بعد أيّام عبد العصا (وهذا اليوم الذي قال فيه ابوسفيان ان شئت ملأتها خيلا ورجلا) فخطب عليه السلام وقال: أيّها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. فقد أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها. أجدر بالعاقل من لقمة تحشى بزنبور. ومن شربة يلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور. فإن أقل؛ يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت؛ يقولوا جزع من الموت. هيهات هيهات بعد اللتيا والّتي، والله لابن أبيطالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه، ومن الرجل بأخيه وعمّه، ولقد اندمجت على علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة، ونقل مثله عن (مناقب) جدّه ابن الجوزي[1].

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام» هكذا في (المصرية)، والصواب: «ومن كلام له عليه السلام» كما في «حد وثم والخطية»[2] ولأنّ الخطبة تكون على المنبر ولم يكن عليه السلام في وقت ذاك الكلام على منبر.

«لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبوسفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة» هكذا في (المصرية) و(ابن أبي الحديد[3] والخطيّة) لكن ليس هذا الكلام في (ابن ميثم)[4] رأساً.

---

(١) رواه السبط في تذكرة الخواص ٥: ١٢٨، ونقله عن مناقب ابن الجوزي المجلسي في البحار ٥: ٤٥، وهو خلط من المجلسي بين كتاب ابن الجوزي وسبطه.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٧١، وشرح ابن ميثم ١: ٢٧٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧١.

(٤) يوجد العنوان في شرح ابن ميثم ١: ٢٧٦، أيضاً.

وكيف كان ففي (الإرشاد): جاء أبوسفيان إلى باب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ونادى:

بني هاشم لا تُطمِعوا الناس فيكم	ولا سيّما تيم بن مرّة أو عَدِي
فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم	وليس لها إلّا أبو حسنٍ عليّ
أبا حسنٍ فاشدد بها كفّ حازم	فإنّك بالأمر الّذي ترتجي ملي

ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم! يا بني عبد مناف! أرضيتم أن يلي عليكم أبوفصيل الرذل ابن الرذل؟ أما والله لو شئتم لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً. فناداه أميرالمؤمنين عليه السلام «إرجع يا أباسفيان. فوالله ما تريد الله بما تقول، وما زلت تكيد الاسلام وأهله ونحن مشاغيل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى كل امرئٍ ما اكتسب، وهو وليٌّ ما احتقب» فانصرف أبوسفيان إلى المسجد. فوجد بني اُميّة مجتمعين. فحرّضهم على الأمر ولم ينهضوا»[1].

وأقول: أمّا أبوسفيان وان كان من الطلقاء، وأبوبكر وعمر نالا غرضهما بواسطة الطلقاء إلّا أنّ شخص أبي سفيان مع كونه من بني امُيّة الّذين كانوا يرون أنفسهم عدلاء بني هاشم لكون كلّ منهما من بني عبد مناف لمّا كان من مشائخ قريش في الجاهلية، وكان أسنّ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يحتفل بشخص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى قهره الاسلام بفتح مكّة. فكيف كان يحضر نفسه لأن يصير محكوم أبي‌بكر الّذي حيّه، تيم بن مرة كانوا من أخسّاء قريش، ولم يكن له بيت ولا شخصية في حيّه، حتّى أنّ أبابكر لمّا رفع صوته في أيّام خلافته عليه في حضور أبي قحافة أبيه تعجّب أبوه من ذلك، وقال له: أعلى شيخ قريش ترفع صوتك، وكان أبوسفيان لا يرضى بأبي بكر وأبيه خادماً له، وكان في خلافة عمر ومحاربته الروم لو سمع بانهزام الروم يتأسّف لهم،

(١) الارشاد: ١٠٢.

ويقول «ويح بني الأصفر» ولو كان رأى منهم غلبة لسرّ ويقول «إيهاً بني الأصفر» وكان ميله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام لكونه من بني عبد مناف أكثر، ولذا كتب أميرالمؤمنين عليه السلام ـ كما في (صفّين نصر)، و(عقد ابن عبد ربه) ـ إلى معاوية: «قد كان أبوك أتاني حين ولّى الناس أبابكر، فقال: «أنت أحق بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك، أُبسط يدك أُبايعك» فلم أفعل، وأنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتّى كنت أنا الّذي أبيت لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الاسلام. فأبوك كان أعرف بحقّي منك. فإن تعرف من حقّي ما كان يعرف أبوك؛ تُصِب رشدك، وإن لم تفعل فيسغني الله عنك»[1].

وأمّا أبناه يزيد ومعاوية، وباقي بني أُمية. فماشوا أبابكر وعمر وساعدوهما وقد عدّوا أباسفيان ممّن كان ذا رأي في الجاهلية لا في الاسلام. ووجهه أنّه كان كلّما رأى في الجاهلية رأياً تبعه قريش، وأمّا في أمر أبي بكر فحرّض بني أُمية على ضدّه فلم يعتنوا به حتّى أبناه يزيد ومعاوية، بل استندوا إلى عثمان، وقاموا معه وبايعوا أبابكر لينالوا به أغراضهم، وقد نالوا فوق ما أمّلوا.

ومن كتاب معاوية إليه عليه السلام المشهور: «وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا ـ إلى أن قال ـ فلا أنسى قولك لأبي سفيان لمّا حرّكك وهيّجك لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم فما يوم المسلمين منك بواحد»[2].

وحيث انّ قصد أبي سفيان لم يكن لله بل لأن ينال رياسة أو مالاً؛ زجره

---

(١) وقعة صفين: ٩١، والعقد الفريد ٥: ٧٩.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٣١، شرح الخطبة ٢٦.

أميرالمؤمنين عليه السلام، وروى الجوهري في (سقيفته): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث أباسفيان ساعياً، فرجع من سعايته وقد مات النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال: من ولّي بعده؟ قيل: أبوبكر. قال: أبو الفصيل؟ قالوا: نعم. قال: فما فعل المستضعفان عليّ والعبّاس؟ أما والّذي نفسي بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما ـ وذكر الراوي شيئاً آخر لم تحفظه الرواة ـ فلمّا قدم المدينة قال إنّي لأرى عجاجة لا يُطفئها إلّا الدم. فكلّم عمر أبابكر. فقال له: «إنّ أباسفيان قد قدم، وإنّا لا نأمن شرّه. فدع له ما في يده» فتركه فرضي[1].

وروى الطبري: أنّ أبابكر لمّا استخلف قال أبوسفيان: ما لنا ولأبي فصيل إنّما هي بنو عبد مناف، فقيل له: إنّه قد ولّى (يزيد) ابنك، قال: وصلته رحم[2].

وكما لم يبال النبيّ صلى الله عليه وآله بقول عتبة لما رجع من الطائف، ودخل المسجد المشركون عند الكعبة. فلمّا رآه أبوجهل قال لعتبة: هذا نبيّكم يا بني عبد مناف فقال له عتبة «وما تنكر أن يكون منّا نبيّ أو ملك» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعتبة «أمّا أنت يا عتبة فوالله ما حميت لله ولا لرسوله» ـ الخبر ـ[3] لأنّه قاله عصبية، كذلك لم يبال أميرالمؤمنين عليه السلام بقول أبي‌سفيان لأنه قاله عصبية.

وكيف يصانع أميرالمؤمنين عليه السلام أبا سفيان، وهو الّذي لمّا بويع عثمان قال «كان هذا الأمر في تيم، وأنّى لتيم هذا الأمر ثم صار الى عَدِيٍّ فأبعد وأبعد. ثم رجعت إلى منازلها واستقرّ الأمر قراره. فتلقفوها تلقف الكرة.

---

(١) السقيفة: ٣٧، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٩، سنة ١١.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه ٢: ٨٢.

فوالله ما من جنّة ولا نار»[١].

وهو الّذي رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً على حمار، ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به. فقال «لعن الله القائد والراكب والسائق»[٢].

وشتّان بينه عليه السلام وبين الرجلين. فتركا له مال المساكين والأيتام، وولّيا ابنيه لئلا يتكلّم في أمرهما، ولأن يقوى بنو أمية، ويضعف أهل بيت نبيّهم ـكما أنّهما ذهبا بإشارة المغيرة إلى العباس، وأرادا جعل سهم له في الأمر لتضعيف جانب أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا أنّ العباس لم يقبل منهما، ولاغرو منهما فإنّ أهل الدنيا يتوسّلون لمقاصدهم بكلّ وسيلة ولو في غاية المنكرية.

وأمّا العباس وإن كان طلبه مبايعته عليه السلام عن حقيقة، وبدون غرض دنيوي كأبي‌سفيان، إلّا أنّه لمّا لم يكن له تلك الوجهة عند الناس لتأخّر إسلامه كأخيه عقيل؛ كانت بيعته له عليه السلام لا تغني عنه شيئاً، ولو كان بدل العباس عمّه حمزة وأخوه جعفر لاستطاعا أن يدافعا عنه عليه السلام: ففي ما كتبه عليه السلام للناس لمّا سألوه عن الثلاثة بعد فتح معاوية لمصر ـبرواية الكليني ـ «ولو كان لي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّي حمزة، وأخي جعفر لم أبايع كرهاً، ولكنّني بليت برجلين حديثي عهد بالاسلام العباس وعقيل. فضننت بأهل بيتي عن الهلاك، فأغضيت عيني على القذى، وتجرعت ريقي على الشجا، وصبرت على أمَرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشفار»[٣].

هذا، وقال محمّد بن محمّد بن النعمان: «وما رأيت أوهن ولا أضعف من تعلّق المعتزلة وتكلّم المجبّرة بقول العباس لأميرالمؤمنين عليه السلام: اُمدد يدك يا

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٣٧ و٨٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤: ٨٧ وغيرهما، والنقل بالمعنى، سنة ٢٨، وابن مزاحم في وقعة صفين: ٢٢٠، وغيرهم.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٨: ١٨٩.

(٣) رواه عن رسائل الكليني ابن طاووس في كشف المحجّة: ١٨٠.

ابن أخي أُبايعك؛ فيقول الناس: عمُّ رسول الله بايع ابن أخيه، فلا يختلف عليك إثنان، فادّعوا انّ في هذا دليلاً على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصّ على اميرالمؤمنين عليه السلام لأنّ المنصوص عليه لا يفتقر في إمامته وكمالها إلى البيعة فيقال لهم: إن كان دعاء العباس له عليه السلام إلى البيعة يدلّ على ما زعمتم على بطلان النص وثبوت الإمامة من جهة الاختيار يجب أن يكون دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار إلى بيعته في ليلة العقبة، ودعاؤه الأنصار والمهاجرين تحت شجرة الرضوان إلى بيعته دليلاً على أنّ نبوّته إنما ثبتت له من جهة الاختيار. فإن قالوا إنّما كانت بيعتهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للعهد في نصرته بعد معرفة حقّه، وصدقه في ما أتى به من الله عزّ وجلّ من رسالته؛ قيل لهم: كذلك دعاء العباس إنّما كان بعد ثبوت امامته بتجديد العهد في نصرته والحرب لأهل مضادّته يدلّ على ما ذكرنا قول العباس «يقول الناس عم رسول الله بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك آثنان» فعلّق الاتّفاق بوقوع البيعة. فلم يكن إلّا وهي بيعة الحرب الّتي يرهب عندها الأعداء، ولو كانت بيعة الاختيار من جهة الشورى لما منع ذلك من الاختلاف بل كانت نفسها الطريق إلى تشتّت الرأي، وتعلّق كلّ قبيلة باجتهاده واختياره ألا ترى أنّه لمّا ألحّ عليه العباس في هذا الباب قال: «يا عم! إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوصى إليّ، وأوصاني أن لا أُجرّد سيفاً بعده حتى يأتيني الناس طوعاً، وأمرني بجمع القرآن، والصمت حتّى يجعل الله عزّ وجلّ لي مخرجاً».

ووجه آخر أنّ القوم لمّا أنكروا النص، وأظهروا أنّ الإمامة تثبت لهم من طريق الاختيار؛ أراد العباس أن يكيدهم من حيث ذهبوا إليه، ويبطل أمرهم بنفس ما جعلوه طريقاً لهم إلى الظلم وجحد النص، فقال له عليه السلام: «ابسط يدك أُبايعك. فان سلّموا الحقّ لأهله لم تضرّك البيعة، وإن آدّعوا الشورى

والاختيار، وأنكروا حقّك؛ كان لك من البيعة، والاختيار والعقد مثل ما لهم، فلا يمكنهم الاستبداد بالأمر دونك» فأبى عليه السلام ذلك، وكره أن يتوصّل إلى حقّه بباطل لا يوصل إليه لظهور النص عليه، ولأنّه كره أن يبسط يده للبيعة فيلزمه بعد ذلك تجريد السيف على دافعيه، وقد تقدّمت الوصية له عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالكفّ عن الحرب مخافة بطلان الدين ودرس الاسلام، وقد بيّن عليه السلام ذلك في مقاله حيث يقول «أما والله لولا قرب عهد الناس بالكفر لجاهدتهم».

قال: فإن قالوا قد وصل إلى حقّه كما زعمتم بعد عثمان بالاختيار، ودخل في الشورى. فكيف استجاز التوصل إلى الحقّ بالباطل؟

قلت: إنّه عليه السلام لم يتوصّل إلى حقّه في حال من الأحوال بما توصّل إليه من اختيار الناس له على ما ظنّه الخصوم، وذلك أنّه احتجّ يوم الشورى بنصوص النبيّ صلى الله عليه وآله الموجبة له فرض الطاعة كقوله عليه السلام «أفيكم أحد قال له النبيّ من كنت مولاه فعليّ مولاه غيري؟ أفيكم أحد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت منّي بمنزلة هرون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي غيري؟» وأشباه ذلك من الكلام الموجب لإمامة صاحبه بدليله المغني له عن اختيار العباد، ولمّا قتل عثمان لم يَدْعُ أحداً إلى اختياره لكنّه دعاهم إلى بيعته على النصرة له، والإقرار له بالطاعة، وليس في هذا من معنى الاختيار الّذي يذهب المخالف إليه شيء.

قال: فإن قالوا: إذا زعمتم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّ عليه عليه السلام بالامامة، وبيّن عن فرض الطاعة، ودعا الامّة إلى اتّباعه؛ فما قول العباس له عليه السلام في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «يا ابن أخ! أُدخل معي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأسأله عن الأمر من بعده هل هو فينا فتطمئنّ قلوبنا أم هو في غيرنا فيوصيه بنا» فدخلا عليه فسأله العباس عن ذلك. فلم يجبه هل هو فيهم أو في غيرهم، وقال لهم «على

رسلكم معشر بني هاشم. أنتم المظلومون، وأنتم المقهورون» فيقال لهم: اخطأتم الغرض في معنى هذا المقال إنّ العباس إنّما سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن كون الأمر لهم بعده على تسليم الامّة لهم، وأنّ المعلوم عند الله تعالى تمكّنهم منه، وعدم الحيلولة بينهم وبينه. أو يغلبون عليه، ويحال بينهم وبينه. فسأل النبيّ صلى الله عليه وآله أن يوصي بهم في الإكرام والإعظام، ولم يك في شك من الاستحقاق، والاختصاص بالحكم. ألا ترى إلى جواب النبيّ صلى الله عليه وآله له: «إنكم المقهورون وأنتم المضطهدون» فجميع هذه الألفاظ جاءت بها الرواية، ولولا أنّ سؤال العباس إنّما كان عن حصول المراد من التمكّن، ونفوذ الأمر والنهي في ما استحقّه لم يكن لجواب النبيّ صلى الله عليه وآله له بما ذكرنا معنى يعقل، وكان جواباً عن غير السؤال، والنبيّ صلى الله عليه وآله يجلّ عن صفات النقص كلّها[١].

قلت: وممّا يوضح كون مراد العباس من سؤاله ما قاله المفيد ما رواه البلاذري في (أنسابه) عن أُمّ الفضل امرأة العباس قالت: كنت جالسة عند النبيّ صلى الله عليه وآله وهو مريض. فبكيت. فقال: ما يبكيك؟ قلت: أخشى عليك، ولا أدري ما نلقى من الناس بعدك. فقال: أنتم المستضعفون[٢].

وما رواه (ابن قتيبة في عيونه): أنّ ابن عمر لحق الحسين عليه السلام لمّا توجه إلى العراق، وقال له: أما أنّي ساحدّثك حديثاً إنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فخيّره بين الدنيا والآخرة. فاختار الآخرة، وانكم بضعة من النبيّ صلى الله عليه وآله والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك، وما صرفها الله عنكم إلّا لما هو خير لكم ـ الخبر ـ[٣].

---

(١) هذا كلام المفيد في العيون والمحاسن نقله المرتضى في الفصول المختارة ٢: ٢٠٠ ـ ٢٠٤، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٥٥١.

(٣) عيون الأخبار ١: ٢١١.

وفي (المناقب) سأل عباس المفيد بمحضر أجلّة العباسية انّ الامام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من كان؟ قال: من دعاه العباس ان يمدّ يده لبيعته على حرب من حارب وسلم من سالم. قال: ومن هذا؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث قال له العباس في ما اتّفق عليه أهل النقل «ابسط يدك يا ابن اخي ابايعك فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عمّه ـ يعني ابن عم رسوله ـ فلا يختلف عليك اثنان» قال: فما كان الجواب من عليّ؟ قال: كان الجواب: «انّ النبيّ صلى الله عليه وآله عهد إليّ عهداً ألّا أدعو أحداً حتّى يأتوني. فإنّما أنا كالكعبة أُقصَدُ، ولا أقصُد، ومع هذا فلي بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شغل» فقال العباسي: كان العباس اذن على خطأ في دعائه إلى البيعة. قال: لم يخطئ العباس في ما قصد لأنّ العباس عمل على الظاهر وكان عمل اميرالمؤمنين عليه السلام على الباطن وكلاهما أصابا الحق. قال: فإن كان عليّ هو الإمام بعد النبيّ فقد أخطأ الشيخان ومن تبعهما. قال المفيد: إن استعظمت تخطئة من ذكرت فلا بدّ لك من تخطئة عليّ والعباس من قبل انّهما تأخّرا عن بيعة أبي‌بكر ولم يرضيا بتقدّمه عليهما، ولا رآهما أبوبكر وعمر أهلاً ان يشاركاهما في شيء من أُمورهما وخاصّة ما صنعه عمر يوم الشورى لمّا ذكر عليّاً عليه السلام عابه، ووصفه تارة بالدعابة، وأُخرى بالحرص على الدنيا، وأمر بقتله إن خالف عبدالرحمن، وجعل الحقّ في حيّز عبدالرحمن دونه، وفضّله عليه، وذكر من يصلح للإمامة في الشورى، ومن يصلح للاختيار، ولم يذكر العباس في إحدى الطائفتين، وقد أخذ من عليّ عليه السلام والعباس وجميع بني هاشم الخمس وجعله في السلاح والكراع[1].

قلت: قال هو وصاحبه للعباس بإشارة المغيرة عليهما في نحت حجّة لهما على أميرالمؤمنين عليه السلام «نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك

(١) مناقب السروي ١: ٢٦٢.

ولعقبك من بعدك إذ كنت عم النبيّ». فلم يقبل العباس منهما إلّا أن يكون الأمر كلّه لأميرالمؤمنين صلّى الله عليه وآله. فلمّا كان عمر يعرف ذلك من العباس لم يدخله في الشورى لئلّا ينتخب أميرالمؤمنين عليه السلام، وإنّما حكّم عبدالرحمن بن عوف لينتخب عثمان رأس بني أُمية، فعل ذلك عن عمد مع اعترافه في ذاك الوقت بأنّه إن ولي أميرالمؤمنين عليه السلام يحمل الناس على الصراط المستقيم كالنبيّ صلّى الله عليه وآله، وإن ولي عثمان يحمل أعداء النبيّ صلّى الله عليه وآله على اللعب بالدين ـ ومع ذلك يقول إخواننا هو الفاروق لعمر الله كان فاروقاً بين الحق والباطل لكن بترك الأول والتعلّق بالثاني.

هذا، واما سند الخطبة فنقله ابن أبي الحديد غير مسند هكذا «لمّا اشتغل عليّ عليه السلام بغسل النبيّ صلّى الله عليه وآله ودفنه، وبويع أبوبكر، خلا الزبير وأبوسفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعليّ عليه السلام لإجالة الرأي، وتكلّموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهييج فقال العباس: قد سمعنا قولكم. فلا لقلّة نستعين بكم، ولا لظنّة نترك آراءكم. فأمهلونا نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصر بنا وبهم الحقّ صرير الجدجد ونبسط إلى المجد أكفالا نقبضها أو نبلغ المدى، وإن تكن الأُخرى فلا لقلّة في العدد، ولا لوهن في الايد، والله لولا أنّ الاسلام قيد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحلّ العليّ. فحلّ علي عليه السلام حبوته وقال: الصبر حلم، والتقوى دين، والحجّة محمّد، والطريق الصراط أيّها! الناس! شقّوا ـ إلخ ـ[1].

والّذي وجدت عنه عليه السلام ألفاظاً قريبة من العنوان؛ رسالة له إلى أبي بكر لا خطبة. ففي (احتجاج الطبرسي): «رسالة لأميرالمؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر لمّا بلغه عنه كلام بعد منعه فدك»: «شقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٣.

النجاة وحطّوا تيجان أهل الفخر بجمع أهل الغدر، واستضيئوا بنور الأنوار، ولا تقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار. فكأنّي بكم تتردّدون في العمس كما يتردّد البعير في الطاحونة. أما والله لو أذن لي بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد. بقواضب من حديد. ولقلعت من جماجم شجعانكم ما أقرح به آماقكم، وأوحش به محالّكم. فإنّي منذ عرفت مُردِي العساكر، ومُفني الجحافل، ومُبيدُ خضرائكم، ومخمد ضوضائكم، وجرار الدوارين، إذ أنتم في بيوتكم معتكفون، وإنّي لصاحبكم بالأمس، لعمر أبي وأمّي لن تحبّوا أن تكون فينا الخلافة والنبوّة، وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أُحد. أما والله لو قلت ما سبق من الله فيكم لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دوارة الرحى. فإن نطقت يقولون حسد، وإن سكتُّ يقال: ابن أبي طالب جزع من الموت. هيهات هيهات!! الساعة يقال لي؟!! هذا وأنا المميت المائت، وخوّاض المنايا في جوف ليل حالك. حامل السيفين الثقيلين والرمحين الطويلين، ومنكّس الرايات في غطامط الغمرات، ومفرّج الكرب عن وجه خير البريات، أيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل الى محالب أُمّه. هبلتكم الهوابل. لو بحت بما أنزل الله سبحانه في كتابه فيكم، لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة، ولخرجتم من بيوتكم هاربين، وعلى وجوهكم هائمين، ولكنّي أُهوّن وجدي حتّى ألقى ربّي بيد جذّاء صِفراً من لذّاتكم، خِلواً من طحناتكم. فما مثل دنياكم عندي إلّا كمثل غيم علا فاستعلى. ثم استغلظ فاستوى. ثم تمزّق فانجلى. رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل. فتجدون ثمرة فعلكم مرّا. وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقراً. وسمّا قاتلاً. وكفى بالله حكيماً وبرسوله خصيماً، وبالقيامة موقفاً. فلا ابعد الله فيها سواكم. ولا اتعس فيها غيركم. والسلام على من اتّبع الهدى».

فلمّا أن قرأ أبوبكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً. وقال: يا سبحان الله ما أجرأه عليّ، وأنكله عن غيري[١].

والألفاظ فيه، وإن كانت مختلفة إلّا أنّ الأصل واحد قطعاً.

قوله عليه السلام «أيّها الناس شقّوا أمواج الفتن» شبّه عليه السلام الفتن ببحر ذي أمواج كناية عن شدة الفتن، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبرهم قبل وفاته بإقبال فتن عظيمة إليهم مشبّهاً لها بقطع ليل مظلم، روى كاتب الواقدي في (طبقاته) مسنداً عن أبي مويهبة مولى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من جوف الليل: يا أبا مويهبة! إنّي قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع. فانطلق معي. فخرج، وخرجت معه حتّى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلاً. ثم قال «ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أوّلها الآخرة شرّ من الأُولى»[٢].

«بسفن النجاة» وكما أخبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بإقبال فتن مهلكة إليهم أخبرهم بسبيل النجاة منها.

روى (معارف ابن قتيبة) مسنداً عن حنش بن المعتمر قال: جئت وأبوذر آخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: أنا أبوذر الغفاري من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا»[٣].

وروى (طبقات كاتب الواقدي) عن أبي سعيد الخدري: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي؛

---

(١) الاحتجاج ١: ٩٥، والنقل بتصرّف يسير.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٩.

(٣) المعارف: ٢٥٢.

كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما[١].

«وعرّجوا عن طريق المنافرة» في (الأساس): أصل المنافرة قولهم «أيّنا أعزّ نفراً»[٢]، وفي (الصحاح): قال الأعشى في علقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل:

قد قلت شعري فمضى فيكما   واعترف المنفور للنافر[٣]

ومعنى كلامه عليه السلام: ارتقوا عن ذاك الطريق، ولا تسلكوه؛ لأنّه طريق ينزل بسالكه إلى حضيض الهلكة.

«وضعوا تيجان المفاخرة» أي: ارفعوها عن رؤوسكم فتاج المفاخرة كان لبس إبليس حيث قال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[٤] وقال شاعر:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

ووجه خطابه عليه السلام إلى أهل السقيفة، وقيام قريش والأنصار المنافرة والمفاخرة.

«أفلح من نهض بجناح» في (الأساس) «نهض الطائر»: نشر جناحيه ليطير و«فرخ ناهض»: وفر جناحاه وقدر على الطيران[٥].

«أو استسلم فأراح» يعني أنّ العاقل لابدّ له من أحد أمرين: النهوض مع

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٢.

(٢) أساس البلاغة: ٤٦٧، مادة (نفر).

(٣) صحاح اللغة ٢: ٨٣٤، مادة (نفر).

(٤) الأعراف: ١٢.

(٥) أساس البلاغة: ٤٧٥، مادة (نهض).

الجناح حتّى لا يكون كفرخ خرج من وكره قبل استقلاله بالطيران فيصير ملعبة يد الصبيان فيهلك، أو الاستسلام وترك الخروج فيريح نفسه.

ومراده عليه السلام جواب من طلب منه مبايعته. فإنّ العباس وحده لم يكن كافياً في قبال قيام جميع قريش عليه وخذلان باقي الناس له. فكان عليه السلام يقول: «لو كان لي أربعون ناصراً لجاهدتهم».

قيل لعلي بن ميثم: لم قعد (علي عليه السلام) عن قتالهم. قال كما قعد هارون عن السامري وقد عبدوا العجل قيل فكان ضعيفاً قال كان (علي عليه السلام) كهارون حيث يقول ﴿يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[1] وكنوح إذ قال ﴿ربّ إنّي مغلوب فانتصر﴾[2] وكلوط إذ قال ﴿لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد﴾[3].

وقال أبوحنيفة لمؤمن الطاق: لِمَ لم يطلب عليّ بحقّه بعد وفاة النبيّ إن كان له حقّ؟ قال: خاف أن تقتله الجنّ كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة.

وقال ضرار لهشام بن الحكم: ألا دعا عليّ عليه السلام الناس عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الايتمام به إن كان وصيّاً؟ قال: لم يكن واجباً عليه لأنّه قد دعاهم إلى موالاته، والايتمام به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير، ويوم تبوك، وغيرهما فلم يقبلوا منه، ولو كان ذلك جائزاً لجاز على آدم أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد إذ دعاه ربّه إلى ذلك. ثم إنّه صبر كما صبر أُولو العزم من الرسل[4].

هذا وقال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام «نهض بجناح» يقال: إنّ أبا تمام

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) القمر: ١٠.

(٣) هود: ٨٠.

(٤) روى الحكايات الثلاث السروي في مناقبه ١: ٢٧٠.

لمّا قال:

لا تسقني مـاء المـلام فـإنّني صبٌّ قد آستعذبت ماء بكائي

مخلد الموصلي بعث إليه بقارورة يسأله أن يبعث له فيها قليلا من ماء الملام فقال لصاحبه قل له يبعث إليّ بريشة من جناح الذلّ لاستخرج بها من القارورة ما أبعثه إليه. وهذا ظلم من أبي‌تمام لمخلد، وما الأمران سواء لأنّ الطائر إذا اعيا وتعب ذلّ وخفض جناحيه، وكذلك الانسان إذا استسلم ألقى بيديه ذلاًّ. ويده جناحه، فذاك هو الّذي حسّن قوله تعالى ﴿وآخفض لهما جناح الذلِّ﴾[1] ألا ترى أنّه لو قال واخفض لهما ساق الذلّ أو بطن الذلّ لم يكن مستحسناً[2].

قلت: إنّ ابن أبي الحديد في اعتراضه على أبي‌تمام مصداق ما قيل بالفارسية:

چه بشنوی سخن أهل دل مگو كه خطاست

سخن شناس نه‌ای دلبرا خطا اينجاست

فلم يعب أبوتمام على مخلّد أصل استعارة خفض جناح الذلّ لإظهار الخضوع والمسكنة، كيف وهي أحسن استعارة وردت في كتاب الله تعالى، وانّما عاب عليه إثباته الريشة لجناح الذلّ، وأيّ ربط في ردّه بأنّ ساق الذلّ لم يكن مستحسناً، وجناح الذل مستحسن، ولو كان اعتراض أبي‌تمام غير وارد لكان مخلد يجيبه. فإنّ الشعراء أعرف بمواقع الشعر.

«هذا ماء آجن» هكذا في (المصرية)، وكلمة هذا زائدة فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[3].

---

(١) الاسراء: ٢٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٣.

(٣) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ١: ٧١، وشرح ابن ميثم ١: ٢٧٦.

ومعنى «ماء آجن» متغيّر الطعم واللون، وآجن يمكن أن يكون بالمدّ على وزن فاعل من أجن بالفتح يأجن بالضم والكسر، وأن يكون بالفتح والكسر على وزن خشن على ما حكي عن اليزيدي[١].

«ولقمة يغصّ بها آكلها» هو تشبيه آخر منه عليه السلام لقيامه ذاك الوقت الّذي لم يكن له أعوان بكونه كلقمة تبقى في حلق آكلها كجرعة من آجن لا يسيغها شاربها.

وقال ابن أبي الحديد في معنى «ماء آجن ولقمة يغصّ بها آكلها» «يعني أنّ الإمرة على الناس وخيمة العاقبة ذات مشقّة في العاجلة. فهي في عاجلها كالماء الآجن يجد شاربه مشقة، وفي آجلها كاللقمة المذكورة، ويجوز أن يكون عنى عليه السلام الإمرة المخصوصة يعني بيعة السقيفة»[٢].

وهو كما ترى بلا ربط. فليس عليه السلام في مقام ذم الإمارة، ولا في مقام بيان مفاسد بيعة السقيفة، بل ما عرفت من قيامه عليه السلام: روي أنّ زرارة قال للصادق عليه السلام: ما منع أميرالمؤمنين عليه السلام أن يدعو الناس إلى نفسه؟ قال: خوفاً أن يرتدّوا. فلا يشهدوا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله[٣].

هذا، ويناسب قوله عليه السلام «ولقمة يغص بها آكلها» ما نقلوا أنّ أباتراب النخشبي وكان من الزهاد قال: ما تمنّت نفسي عليّ إلّا مرّة كنت في سفر فتمنّت عليّ خبزاً وبيضاً. فعدلت من الطريق إلى قرية. فلمّا دخلتها وثب عليّ رجل، وقال: إنّ هذا كان مع اللصوص. فبطحوني فضربوني سبعين جلدة. فوقف علينا رجل يعرفني. فصرح هذا أبوتراب النخشبي. فأقاموني،

(١) رواه عنه الجوهري في صحاح اللغة ٥: ٢٠٦٧، مادة (اجن).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٢، والنقل بالمعنى.

(٣) رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤٩ ح ٨.

واعتذروا إليّ وأدخلني الرجل منزله، وقدّم إليّ خبزاً وبيضاً. فقلت لنفسي: كل الخبز والبيض بعد سبعين جلدة.

«ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها» هو تشبيه ثالث: أي: قيامي في هذا الوقت كاجتناء ثمرة غير يانعة لا ينتفع مجتنيها بها.

«كالزارع بغير أرضه» هو تشبيه رابع أي: قيامي في هذا الوقت كمن زرع في غير أرضه. فلا يبقى الزرع له.

وهو خبر بعد خبر للمبتدأ المقدر، وهو «قيامي» حذف لمعلوميته، وإنّما وصل عليه السلام الثلاثة الأُولى، وفصل هذا لأنّ الأُولى من واد، وهذا من آخر مع احتمال سقوط «أو» من نسخة نقل عنها المصنّف.

وتوهم (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي) كون هذا خبراً لقوله «ومجتنى» فقالوا في معناه: «مجتني الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بما اجتناه كمن زرع في غير أرضه»[1]. ولا معنى لما قالوه. فلا يريد عليه السلام ان يبيّن عدم فائدة اجتناء ثمرة غير يانعة حتّى يجعله كالزارع بغير أرضه بل كلّ منهما واضح؛ كونه أمراً غير عقلائي.

ونظير تشبيهه عليه السلام في «الزارع بغير أرضه» قول أعشى تغلب في مُدرك الكناني لمّا مدحه فأساء ثوابه بكونه كباني حوض في موضع بلا ماء:

لعمرك أنّي يوم أمدح مالكا لكالمبتني حوضاً على غير منهل

هذا، ونظير ما ذكره عليه السلام في عدم المصلحة لقيامه ذاك الوقت ما ذكره الصادق عليه السلام لمّا استنهضوه في اوّل أمر العباسيّة. ففي (مروج المسعودي): لمّا قتل إبراهيم الامام خاف أبو سلمة وزير العباسية انتقاض الأمر عليه. فبعث بمحمّد بن عبدالرحمن بن أسلم، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٧٢، وشرح ابن ميثم ١: ٢٧٨، وشرح الخوئي ١: ٣٢١.

إلى أبي‌عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام، وإلى أبي محمّد عبدالله بن الحسن يدعو كلّ واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول العجل العجل. فلا تكونن كوافد عاد. فقدم المدينة على أبي عبدالله عليه السلام ليلاً، وأعلمه أنّه رسول أبي‌سلمة إليه، ودفع إليه كتابه. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: وما أنا وأبوسلمة، وهو شيعة لغيري؟ قال له: إنّي رسول فتقرأ كتابه، وتجيبه بما رأيت. فدعا بسراج. ثم أخذ الكتاب فوضعه عليه حتّى احترق وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت، ثم تمثّل عليه السلام بقول الكميت:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده، ودخل على عبدالله بن الحسن، فدفع إليه الكتاب فقرأه، وابتهج. فلمّا كان غد ذلك اليوم ركب حماراً حتّى أتى منزل أبي عبدالله عليه السلام. فلمّا رآه أكبر مجيئه. فقال: أمرٌ ما أتى بك؟ قال: نعم هو أجلّ من أن يوصف. هذا كتاب أبي‌سلمة يدعوني، وقد قدمت عليه شيعتنا من خراسان فقال عليه السلام له: ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبامسلم إلى خراسان؟ أنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الّذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجّهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبدالله بن الحسن الكلام. فقال عليه السلام له: «ولقد كتب إليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك. فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه» فانصرف عبدالله بن الحسن مغضباً، ولم ينصرف رسول أبي‌سلمة إليه إلى أن بويع السفاح بالخلافة[1].

«فإن اقل يقولوا حرص على الملك» في (خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد ذكر عمر

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٥٣، والنقل بتصرف يسير.

ستّة الشورى، وبيانه عيبا لكلّ منهم ـ وقال لعليّ عليه السلام: «وما يمنعني منك يا عليّ إلّا حرصك عليها، وإنّك أحرى القوم إن وليتها، أن تقيم على الحقّ المبين والصراط المستقيم»[١].

وفيه أيضاً وفي كتاب ابراهيم الثقفي عنه عليه السلام قال في أهل الشورى: فأجمعوا إجماعاً واحداً. فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها، رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا من قبلي. ثم قالوا: هلمّ فبايع، وإلّا جاهدناك. فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً. فقال قائلهم: يا آبن أبي طالب إنّك على هذا الأمر لحريص. فقلت: أنتم أحرص منّي وأبعد، أأنا احرص اذا طلبت تراثي، وحقّي الّذي جعلني الله ورسوله أولى به؛ أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه، وتحولون بيني وبينه؟! فبهتوا والله لا يهدى القوم الظالمين[٢].

«وإن أسكت يقولوا: جزع من الموت. هيهات» أن يكون سكوتي جزعاً من الموت بل لعهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليّ بالتسليم لئلّا يرتدّ الناس إلى الكفر.

«بعد اللتيا» بالفتح والتشديد. قال الحريري في أوهام خواصّه: ضمّ اللام لحن فاحش لأنّ العرب خصّت الّذي والّتي وأسماء الإشارة عند تصغيرها بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها وبأن زادت ألفاً في آخرها عوضاً عن ضم اولها[٣].

«والّتي» في أمثال الكرماني «اللتيا والّتي» علمان للداهية ولذا استغنيا عن الصلة. والّتي داهية لم تبلغ النهاية، واللتيا داهية بالغة للنهاية وتصغيرها للتعظيم كقوله:

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٥.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٥٥، والغارات للثقفي ١: ٣٠٧، واللفظ للثقفي.

(٣) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري: ١٠.

دويهية تصفرّ منها الأنامل[١].

وقال ابن ميثم: «بعد اللتيا والّتي: مَثَلٌ، وأصله أنّ رجلاً تزوّج امرأة قصيرة سيّئة الخلق. فقاسى منها شدائد. فطلّقها، وتزوّج طويلة. فقاسى منها أضعاف ما قاسى من القصيرة فطلّقها، وقال بعد اللتيا والّتي لا أتزوّج أبداً فصار ذلك مثلاً»[٢]. قلت: لم يذكر ذلك أمثال العسكري، ولا الميداني[٣]، ولا أدري من أين نقله.

وكما خصّت اللتيا بإبقاء فتحها كترك صلة لها كذلك بعدم ذكرها إلّا مع الّتي كما في كلامه عليه السلام هنا، وكما في كلام سيّدة النساء صلوات الله عليها في احتجاجها على أبي‌بكر في فدك «فأنقذكم الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والّتي، وبعد أن مني بِبُهَمِ الرجال»[٤]. وكما في قول شاعر:

بعد اللتيا واللَّتيا والتي   إذا علتها أنفُسٌ تردّت

أيضاً:

ولقد رأيت نأى العشيرة كلّها   وكفيت جانبها اللتيا والتي

ومن الأخير يعلم أنّ ذكر «بعد» قبل اللَّتَيّا والّتي ليس بلازم وإن كان كثيراً.

هذا وفي (اللسان): «وتصغير الّتي واللاتي واللات اللتيّا. واللَّتيا بالفتح والتشديد. قال العجّاج:

دافع عني بنفير موتتي   بعد اللُتيا واللَتيا والّتي

(١) لسان العرب ١٥: ٢٤٠، مادة (لتا).

(٢) شرح ابن ميثم ١: ٢٧٩.

(٣) ذكر المثل العسكري في جمهرة الامثال: ٦٠، والميداني في مجمع الامثال ١: ٩٢، وذكر الميداني القصة أيضاً.

(٤) رواه عن سقيفة الجوهري الاربلي في كشف الغمة ٢: ١١١، وغيره.

اذا علتها أنفُسٌ تردّت»[١]

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه» كان عليه السلام متفرداً بهذا الكلام كما بقوله «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا»[٢] قلنا: إنّه عليه السلام متفرد بذلك لأنّ الأخبار وردت بأنّ الأنبياء من آدم الّذي وهب مقداراً من عمره لداود إلى غيره حتّى ابراهيم عليه السلام الّذي كان أشرف أُولي العزم كانوا مستوحشين من الموت. ففي الخبر لمّا هبط ملك الموت لقبض روح ابراهيم عليه السلام قال له: أداعٍ أم ناعٍ؟ قال: بل ناعٍ. فقال: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فقال: إلٰهي قد سمعت ما قال خليلك. فقال تعالى: قل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه[٣].

وأمّا قصّة آدم. فروى (الكافي) عن عبدالله بن سنان عن الصادق عليه السلام في خبر أنّ ابن شبرمة القاضي قال له: ما تقول في شيء سألني عنه الأمير ـ أي عيسى بن موسى العباسي ـ فلم يكن عندي فيه شيء. فقال: وما هو؟ قال: سألني عن أوّل كتاب كتب في الأرض قال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم عليه السلام ذريّته عرض العين في صور الذرّ نبياً فنبياً، وملكاً فملكاً ومؤمناً فمؤمناً، وكافراً فكافراً، فلمّا انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الّذي نبّيته، وكرّمته، وقصّرت عمره؟ فأوحى إليه: هذا ابنك داود، عمره أربعون سنة، وإنّي كتبت الآجال، وقسمت الأرزاق، وأنا أمحو ما أشاء، وأثبت وعندي أمّ الكتاب. فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له. قال: يا ربّ! قد جعلت له من عمري ستّين سنة تمام المئة. فقال عزّ وجلّ لجبرئيل وميكائيل، وملك الموت:

---

(١) لسان العرب ١٥: ٤٤٦، مادة (لتا)، والنقل بتصرف.

(٢) رواه الجاحظ في مائة كلمة، وشرحه لابن ميثم: ٥٢، والخوارزمي في مناقبه: ٢٧١، وغيرهما.

(٣) أخرجه الصدوق في علل الشرائع ١: ٣٦ ح ٩، وفي اماليه: ١٦٤ ح ١، المجلس ٣٦، والنقل بتخليص.

أُكتبوا عليه كتاباً فإنّه سينسى. فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين. فلمّا حضرت آدم الوفاة أتاه ملك الموت. فقال له آدم: ما جاء بك؟ قال: لأقبض روحك. قال: قد بقي من عمري ستّون سنة. فقال: إنّك جعلتها لابنك داود، ونزل عليه جبرئيل وأخرج له الكتاب. قال أبو عبدالله عليه السلام: فمن أجل ذلك إذا خرج الصك على المديون ذلّ؛ فقبض روحه[1].

وأمّا هو عليه السلام فروى نصر بن مزاحم في (صفّينه) مسنداً عن حبّة العرني قال: لمّا نزل عليّ عليه السلام الرقّة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات، نزل راهب من صومعته. فقال لعليّ عليه السلام: إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم عليه السلام أعرضه عليك؟ قال: نعم فما هو؟ قال هو: «بسم الله الرحمن الرحيم الّذي قضى في ما قضى، وسطر في ما سطر أنّه باعث في الأُميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة، ويدلّهم على السبيل لا فظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أُمّته الحمّادون الذين يحمدون الله على كلّ نشز، وفي كلّ صعود وهبوط. تذلّ ألسنتهم بالتهليل والتكبير. ينصره الله على كلّ من ناواه. فإذا توفّاه اختلفت أُمّته ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم اختلفت، فيمرّ رجل من أُمّته بشاطئ هذا الفرات. يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقضي بالحقّ، ولا يرتشي في الحكم، الدُّنيا أهون عليه من الرَّماد في يوم عصفت فيه الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ» ـ الخبر ـ[2].

ومثله عليه السلام كانت سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ ففي (طبقات كاتب الواقدي) عن عائشة قالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا ابنته فاطمة في وجعه الّذي

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٧: ٣٧٨ ح ١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) وقعة صفين: ١٤٧، والنقل بتصرف يسير.

توفّي فيه. فسارّها بشيء. فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت. قالت فسألتها عن ذلك. فقالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يقبض في وجعه هذا فبكيت. ثم أخبرني أنّي أوّل أهله لحاقا به فضحكت[1].

وكذلك كان باقي أئمّتنا عليهم السلام وفي (اعتقادات الصدوق): قال الحسين عليه السلام يوم الطف لبعض أصحابه ـ وكان تعجب من عدم مبالاته بالموت ـ: ما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّ، إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم[2].

وفيه: وقال السجاد عليه السلام: الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة. وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل ـ الخبر ـ[3].

هذا وقيل في مدح الموت أشعار كثيرة منها:

وما الموت إلّا راحة غير أنّها   من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

أيضاً:

جزى الله عنّا الموت خيراً فإنّه   أبرُّ بنا من كلّ بَرّ وأرأف

يعجّل تخليص النفوس من الأذى   ويدني من الدار الّتي هي أشرف

أيضاً:

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا   في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقاءه بلقائه   وفراق كلّ معاشر لا ينصف

أيضاً:

من كان يرجو أن يعيش فإنّني   أصبحت أرجو أن أموت فأُعتَقا

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٣٩.

(٢ و ٣) الاعتقادات للصدوق: ١٥.

في الموت ألف فضيلة لو أنّها عُرِفَتْ لكان سبيله أن يُعْشَقا

أيضاً:

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزعنا

أصبح الناس فيه من سوء حال حقُّ من مات منهم أن يُهنّا

«بل اندمجتُ» أي: انطويتُ.

«على مكنون علم» أي: مصونه ومستوره عن العامّة.

«لو بحتُ به» أي: أظهرته من باح الرجل بسرّه أظهره.

«لاضطربتم اضطراب الأرشية» الأرشية جمع الرشاء: حبل يُستقى به من البئر، والرشوة قيل إنّها من هذا لأنّه يتوصّل بها إلى الحاجة كما يتوصل بالحبل إلى الماء، وقيل: إنّها من رشا الفرخ إذا مدّ رأسه إلى أمّه لتزقّه.

«في الطويّ البعيدة» أي: في البئر العميقة، وبحسب ازدياد العمق يزداد اضطراب الحبل.

كان هو عليه السلام وأهل بيته، وخواص شيعته يكتمون كثيراً ممّا يعلمون عن كثير من الناس لعدم استعدادهم لفهمه. وفي كتاب سليم بن قيس: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لو حدّثت عامّة شيعتي الذين سمّوني أميرالمؤمنين واستحلوا جهاد من خالفني ببعض ما أعلم ممّا نزل به جبرئيل عليه السلام وسمعته من النبيّ صلى الله عليه وآله لتفرّقوا عنّي حتّى أبقى في عصابة حقّ قليلة إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يعرفه ولا يقرّ به إلّا ثلاثة: ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان[1].

وعن السجاد عليه السلام كما في (فواتح الميبدي) ثم (وافي الكاشاني)، وإن نسبها الخطيب إلى العتابي:

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٦٩، والنقل بتصرف.

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبوحسن ... إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا
وربّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا(١)

وفي (الحلية) عن أبي داود قال: كنّا يوماً عند شعبة وفي البيت جراب معلّق في السقف. فقال: أترون ذلك الجراب؟ والله لقد كتبت فيه عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما لو حدّثتكم به لرقصتم، والله لا حدّثتكموه(٢).

وفي (الكافي): قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام أنّ الحسن البصري يزعم أنّ الّذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار. فقال عليه السلام: فهلك إذن مؤمن آل فرعون. مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا(٣).

وفي (عيون القتيبي): قال سلمان: لو حدّثت الناس بكلّ ما أعلم لقالوا: رحم الله قاتل سلمان(٤).

وفي (رجال الكشّي) عن الصادق عليه السلام قال سلمان في خطبته: أيّها الناس اسمعوا من حديثي، ثم اعقلوه عنّي. قد أُوتيت من العلم كثيراً، ولو أخبرتكم بكلّ ما أعلم لقالت طائفة: إنّه لمجنون، وقالت طائفة: اللّهمّ اغفر لقاتل سلمان. ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا. فإنّ عند عليّ عليه السلام علم المنايا وعلم

---

(١) رواه الميبدي في الفواتح، مخطوط، والكاشاني في المحجة البيضاء ١: ٦٥، والشبراوي في الإتحاف: ١٣٨، والآلوسي في روح المعاني ٦: ١٩٠، عن السجّاد عليه السلام، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٢: ٤٨٩، عن العتابي.

(٢) حلية الأولياء ٧: ١٥٧.

(٣) الكافي ١: ٥١، ١٥.

(٤) عيون الأخبار ٢: ١٢٧.

الوصايا، وفصل الخطاب على منهاج هارون بن عمران. قال له النبيّ عليه السلام: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى، ولكنكم أصبتم سنّة الأوّلين، وأخطأتم سبيلكم، والّذي نفس سلمان بيده لتركبنَّ طبقاً عن طبق، سنّة بني اسرائيل القُذَّة بالقُذَّة، أما والله لو ولَّيتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم. فأبشروا بالبلاء. واقنطوا من الرجاء، وأنذرتكم على سواء، وانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء ـ الخبر ـ[١].

وفي (استيعاب ابن عبد البر): سئل عليّ عليه السلام عن أبي ذر. فقال: ذاك رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه[٢].

وروى المرتضى في (شافيه): أنّ الشعبي كان يقول: كان عند عبدالله بن عباس دفائن علم يعطيها أهله، ويصرفها عن غيرهم، وكان حذيفة يقول: كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه عن الخير، وأنا أسأله عن الشرّ مخافة أن أقع فيه، وكان يقول: لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لاغترف. فحدّثتكم بكل ما اعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتّى أُقتل[٣].

وروى الخطيب عن عيسى بن يونس قال: حدّثنا الأعمش بأربعين حديثاً فيها ضرب الرقاب لم يشركني فيها غير محمّد بن إسحاق ربما قال الأعمش لمحمّد بن إسحاق: من معك؟ فيقول: عيسى بن يونس. فيقول: أُدخلا وأَجيفا الباب، وكان يسأله عن حديث الفتن[٤].

قلت: وهل تحتمل أن يكون حديث: لو حدّثهم سلمان لقالوا: رحم الله قاتله، ولو حدّثهم حذيفة ما أمهلوه حتّى يشرب ماءه الّذي اغترفه من

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢١.

(٢) الاستيعاب ٤: ٦٤.

(٣) لم أظفر به في مظانه في الشامن.

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١: ١٥٣، والنقل بتصرف يسير.

النهر ليشربه، ولو حدّثهم الأعمش كان فيه ضرب الرقاب؛ إلّا بطلان أمر الأوّلين؟! كيف لا وكان مالك بن نويرة قد خاطب خالد بن الوليد في التعبير عن أبي‌بكر بصاحبك. فقتله خالد لذلك، ومعاوية ومن بعده من خلفاء بني أُميّة لا يمهلون أحداً يتفوّه بإنكار خلافتهم حفظاً لسلطنتهم، وكذلك العباسيّة، وقد خوّف معاوية الحسن عليه السلام لمّا قال: إنّ قريشاً آثروا علينا بأنّك صرّحت بتهمة أبي‌بكر الصدّيق، وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين.

ولقد صدق عليه السلام في أنّه اندمج على مكنون علمٍ لو باح به لمن كان ميله إليه عمّه وغيره اضطربوا اضطراب الارشية في الطويّ البعيدة. فكيف كانوا يخلّونه عليه السلام يتصدّى للأمر مع أنّه بعد مضيّ ثلاثة منهم، وبعد ما قاسوا من ثالثهم حتّى اضطروا إلى قتله دفعاً لشرّه بتسليطه بني أُميّة على الناس، وأخذهم مال الله دولا، وعباده خولا، وبعد بيعة العامة له عليه السلام بتلك الكيفية حتّى شقّوا من الشوق والولع إلى بيعته عطفيه، ووطؤا الحسنين عليهما السلام ما تركوه والناس بل نكثت طائفة منهم، وقسطت أُخرى، ومرقت ثالثة حتّى قتلوه وخضبوا لحيته من رأسه. وكان عليه السلام عالماً بجميع ذلك كما يعلم من أخباره عليه السلام بخصوصيات ما يتّفق قبل وقوعها في الجمل وصفّين والنهروان. فقد أخبر في النهروان بأنّه لا يقتل من أصحابه عشرة، ولا يفلت من المارقة عشرة، وان مصارعهم دون النطفة وكون شيطان الردهة ذي الثديّة فيهم حتّى أنّهم لمّا قالوا له لا نجده فيهم قال عليه السلام: ما كذبت ولا كذبت، وقام بنفسه حتّى أخرجه من تحت قتلاهم[1] ـ إلى غير ذلك ـ

---

(١) رواه المسعودي في مروج الذهب ٢: ٤٠٥ و٤٠٦، وغيره.

١٩
من الخطبة (٢٦)

ومنها:

«فَنَظَرْتُ فَإذا لَيسَ لِي مُعِينٌ إلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْـمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى ٱلْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى ٱلشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ ٱلْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ ٱلْعَلْقَمِ».

من الخطبة (١٧٠)

منها:

«وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الأمْرِ يَاٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ لحَرِيصٌ. فَقُلتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَٱللّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ. فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالحُجَّةِ فِي ٱلْمَلَا الحَاضِرِينَ، هَبَّ كأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ، ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ. فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ».

من الخطبة (٢١٥)

ومن كلام له عليه السلام:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ. فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَؤوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقَ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلّا أَهْلَ بَيْتِي. فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ. فَأَغْضَيْتُ عَلَى ٱلْقَذَى،

وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ ٱلْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ ٱلْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ.

وَقَدْ مَضَى هذا ٱلْكلامُ في أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إِلّا أَنِّي ذَكَرْتُهُ هاهنا لِاخْتلاَفِ الرِّوَايَتَيْنِ.

من الكتاب (٣٦)

في كتابه عليه السلام إلى عقيل:

«فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي ٱلْجَوَازِي؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ٱبْنِ أُمِّي».

أقول: الأصل في الثلاثة الأُولى هو كتاب كتبه عليه السلام للناس ليخطب به عبيدالله بن أبي‌رافع لمّا سأله الناس عن قوله في أبي‌بكر وعمر وعثمان بعد فتح معاوية لمصر، وقتله محمّد بن أبي‌بكر. شرح عليه السلام في كتابه ذاك الأمر من بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى وفاته، وأيام أبي‌بكر وعمر وعثمان. ثم بيعة الناس له. ثم قيام الناكثة والقاسطة والمارقة عليه. ثم غارات معاوية، وخذلان الناس له.

والعناوين الثلاثة الأُول كلامه عليه السلام من ذاك الكتاب في بيان حال قريش يوم الشورى، واتّفاقهم على صرف الأمر عنه عليه السلام إلى عثمان. ذكر ذاك الكتاب الثقفي في (غاراته)، والقتيبي في (خلفائه)، والكليني في (رسائله). وابن رستم الطبري في (مسترشده)[1].

قال الثقفي والقتيبي ـ في جملة نقلهما الكتاب ـ «فجعلني الثاني سادس ستّة. فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولايتي عليهم فكانوا يسمعوني

---

(١) جاء في الغارات للثقفي ١: ٣٠٢، والإمامة والسياسة ١: ١٥٤، ورسائل الكليني، عنه كشف المحجة: ١٧٤.

عند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم احاجّ أبابكر وأقول: يا معشر قريش! إنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة، ويدين دين الحق. فخشي القوم إن أنا وُلّيتُ عليهم ألّا يكون لهم في الأمر نصيب ما بقوا. فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولاية عنّي الى عثمان، وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها، إذ يئسوا أن ينالوها من قبلي. ثم قالوا: هلمّ فبايع وإلّا جاهدناك. فبايعت مستكرها، وصبرت محتسباً. فقال قائلهم: يا ابن أبي‌طالب إنّك على هذا الأمر لحريص. فقلت: أنتم أحرص منّي وأبعد. أأنا أحرص اذا طلبت تراثي، وحقّي الّذي جعلني الله ورسوله أولى به؛ أم أنتم؟ تضربون وجهي دونه، وتحولون بيني وبينه. فبهتوا، والله لا يهدي القوم الظالمين. اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش. فإنّهم قطعوا رحمي وأصغوا إنائي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به منهم فسلبونيه. ثم قالوا: ألا إنّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه. فاصبر كمداً متوخما. أو مُت متأسفاً حنقاً. فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذابّ ولا مساعد إلّا أهل بيتي. فضننت بهم عن الهلاك. فأغضيت على القذى، وتجرّعت ريقي على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على امرّ من العلقم -وفي الأوّل- آلم للقلب من حزّ الشفار -وفي الثاني- وآلم للقلب من حزّ الحديد.

وقال محمّد بن يعقوب «ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي. كانوا يسمعون وأنا احاجّ أبابكر وأقول: يا معشر قريش! أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم. ما كان منّا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة، ويدين دين الله الحق، وإنّما حجّتي أنّي وليّ هذا الأمر من دون قريش؛ أنّ نبيّ الله قال «الولاء لمن أعتق» فجاء الرسول صلى الله عليه وآله بعتق الرقاب من النار، وأعتقها من الرقّ. فكان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولاء هذه الأمّة، وكان لي بعده ما كان له. فما جاز لقريش من

فضلها عليها بالنبيّ ﷺ جاز لبني هاشم على قريش، وجاز لي على بني هاشم بقول النبيّ ﷺ يوم غدير خم «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» إلّا أن تدّعي قريش فضلها على العرب بغير النبيّ ﷺ فإن شاءوا فليقولوا ذلك فخشى القوم إن أنا ولّيت عليهم أن آخذ بأنفاسهم، واعترض في حلوقهم، ولا يكون لهم في الأمر نصيب. فأجمعوا عليَّ إجماع رجل واحد منهم حتّى صرفوا الولاية عنّي إلى عثمان رجاء أن ينالوها ويتداولوها فيما بينهم. فبيناهم كذلك إذ نادى منادٍ لا يُدرى من هو، واظنّه جنيّاً فأسمع أهل المدينة ليلة بايعوا عثمان. فقال:

يا ناعي الاسلام قم فانعه	قد مات عرف وبدا منكر
ما لقريش لا علا كعبها	من قدّموا اليوم ومن أخّروا
إنّ علياً هو أولى به	منه فولّوه ولا تُنكروا

فكان لهم في ذلك عبرة، ولولا أنّ العامّة قد علمت بذلك لم أذكره فدعَوني إلى بيعة عثمان؛ فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً، وعلّمت أهل القنوت أن يقولوا: «اللّهمّ لك أخلصت القلوب، وإليك شخصت الأبصار وأنت دعيت بالألسن، وإليك تحوكم في الأعمال. فافتح بيننا وبين قومنا بالحق. اللهم إنّا نشكو اليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وهواننا على الناس، وشدّة الزمان، ووقوع الفتن بنا. اللّهمّ ففرّج ذلك بعدل تظهره، وسلطان حق تعرفه».

فقال عبدالرحمن بن عوف: يا ابن أبيطالب إنّك على هذا الأمر لحريص.
فقلت: لست عليه حريصاً. إنّما أطلب ميراث رسول الله ﷺ وحقّه، وأنّ ولاء أمّته لي من بعده، وأنتم أحرص عليه منّي إذ تحولون بيني وبينه، وتصرفون وجهي دونه بالسيف. اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش. فإنّهم قطعوا رحمي

وأضاعوا أيّامي، ودفعوا حقّي، وصغّروا قدري، وعظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به منهم فاستلبونيه ثم قالوا: إصبر مغموماً أو مت متأسّفاً. وايم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي فعلوا، ولكنّهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً ـ إلى أن قال ـ:

فقال (لي النبيّ ﷺ): يا ابن أبي‌طالب لك ولاء أُمّتي. فإن ولّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم. وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه. فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً. فنظرتُ فإذا ليس لي رافد، ولا معي مساعد، إلّا أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك، ولو كان لي بعد الرسول ﷺ عمّي حمزة، واخي جعفر، لم أُبايع كرهاً، ولكنّني بليت برجلين حديثي عهد بالاسلام العباس وعقيل. فأغضيت عيني على القذى، وتجرّعت ريقي على الشجا، وصبرت على أمرّ من العلقم وآلم للقلب من حزّ الشفار. ومثله قال ابن رستم الطبري مع اختلاف يسير.

وأما العنوان الرابع فذكره ابن قتيبة في جواب كتاب أخيه عقيل، وقد كان وصل إليه كتابه في الطريق لمّا شخص عليه السلام من المدينة إلى البصرة.

وفي كتاب عقيل إليه عليه السلام وانّي خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجّهون إلى البصرة. قد أظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، وركّبوا عليك قتل عثمان، وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم. ثم مرّ عبدالله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بني أُميّة. فقلت لهم ـ وعرفت المنكر في وجوههم ـ أبمعاوية تلحقون عداوة لله، والله إنّها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله ـ إلى أن قال ـ:

فكتب علي عليه السلام في جوابه: «تذكر في كتابك انّك لقيت ابن أبي سرح في

أربعين من أبناء الطلقاء من بني أُميّة متوجّهين إلى الغرب، وابن أبي سرح يا أخي طالما كاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصدّ عن كتابه وسنته وبغاهما عوجاً. فدع ابن أبي سرح وقريشاً وتركاضهم في الضلال. فإنّ قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل اليوم، وجهلوا حقّي، وجحدوا فضلي ونصبوا لي الحرب، وجدّوا في إطفاء نور الله. اللّهمّ فاجز قريشا عنّي بفعالها؛ فقد قطعت رحمي، وظاهرت عليّ، وسلبتني سلطان ابن عمّي، وسلّمت ذلك لمن ليس في قرابتي، وحقّي في الاسلام، وسابقتي الّتي لا يدّعي مثلها مدّعٍ إلّا أن يدّعي ما لا أعرف، ولا أظن الله يعرفه»[1].

ونقله (الأغاني) في عنوان ذكر الخبر في مقتل ابني عبيدالله بن العباس راوياً له باسناده عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن ابن أبي الكنود عبدالرحمن بن عبيد[2].

ورواه (غارات الثقفي) كما نقله ابن أبي الحديد عند ذكر خطبته عليه السلام «أيّها الناس المجتمعة أبدانهم»[3].

قوله عليه السلام في العنوان الأوّل «فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي. فضننت بهم عن الموت». وفي العنوان الثالث «فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا ذابّ ولا مساعد إلّا أهل بيتي. فضننت بهم عن المنية» الأصل فيهما واحد وقد عرفت أنّه عليه السلام قاله لمّا اتفق قريش الطلقاء مع عبدالرحمن بن عوف حكم عمر على صرف الامر عنه عليه السلام إلى عثمان، وأنّهم قالوا له إن لا تبايع عثمان نقاتلك، وقد كان عمر أيضاً دعا قبل موته أباطلحة الأنصاري، وقال له: كن في

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٤ ـ ٥٦، والنقل بتلخيص.

(٢) الأغاني ١٦: ٢٦٨.

(٣) الغارات ٢: ٤٢٨، وشرح ابن أبي الحديد ١: ١٥٥، شرح الخطبة ٢٩.

خمسين رجلاً من قومك فاقتل من أبى من ستّة الشورى حكمي وحكمية ابن عوف، وقد كان علم أنّ الآبي منهم إنّما هو أميرالمؤمنين عليه‌السلام فنظر عليه‌السلام فلم ير له رافداً ومعيناً، ولا ذاباً ومدافعاً عنه، ولا مساعداً له وناصراً إلّا أهل بيته. فان أرادوا الدفاع عنه عليه‌السلام قتلوا كما قتل أهل بيت الحسين عليه‌السلام يوم الطف لمّا ساعدوه. فضنّ عليه‌السلام أي بخل بهم لنفاستهم عن المنية أي الموت، والأصل في الضنّة البخل عن شيء نفيس يقال «علق مضنّة»: أي شيء نفيس علق القلب به فلا يرضى ببذله.

ونفاسة أهل بيته عليهم‌السلام معلومة، وقد أخبر الله سبحانه عن نفاستهم في قوله عزّ اسمه ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[1].

وكذلك أخبر رسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن نفاستهم في قوله «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[2]، وفي قوله «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض وإن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً»[3].

ولأنّ بهم قوام الأرض كما بالكواكب قوام السماء، ولو هلكوا لهلك أهل الأرض، ولأنّهم كانوا حججه على عباده، ولا يخلي عزّ آسمه أرضه من حجّة طرفة عين.

وقوله عليه‌السلام في الأوّل «وأغضيت على القذى» وأمّا ما في (المصرية)

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) حديث السفينة أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٣٤٣، وابو يعلى في مسنده، وعنه المطالب العالية ٤: ٧٥ح ٤٠٠٣ و٤٠٠٤، وغيرهم عن أبي ذر وعلي عليه‌السلام وابن عباس وأبي سعيد وغيرهم.

(٣) حديث الثقلين أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ و١٨٧٤ ح ٣٦، و٣٧ والترمذي في سننه ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٨ والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٨، وجماعة كثيرة اخرى.

«عن القذى» بدل «على القذى» فتصحيف[1].

«وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم»

وفي (ابن ميثم) الّذي نسخته بخط مصنّفه «من العلقم» بدل «من طعم العلقم»[2] وقوله عليه السلام في الثالث: «فأعضيتُ على القذى، وجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشفار» أيضاً الأصل فيهما واحد كما عرفت.

والإغضاء على القذى الّذي معناه غضّ البصر على ما دخل فيه من التراب كرهاً، وكان عليه السلام في إكراههم له على بيعة عثمان مصداق ما قيل «الكريم ربّما أغضى وبين جنبيه نار الغضا» «والشرب على الشّجا» و«جرع الريق على الشجا» معناه أن يكون اعترض في حلقه شيء حتى يجفّ لعابه. فيكون شربه، وطلب الرطوبة لحلقه حتّى يتنفّس في غاية الشدّة وكان عليه السلام في ذلك مصداق ما قيل «عليك بالكظم، وان شجيت بالعظم».

وصبر عليه السلام من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم والعلقم شجر مرّ ويقال للحنظل وكلّ شيء مرّ علقم. وقال في ذلك السيّد الحميري:

لم يشكروا لمحمّد إنعامه	أفيشكرون لغيره إن أنعما
الله منّ عليهم بمحمّد	وهداهم وكسا الجلود وأطعما
ثم انهروا لوصيّه ووليّه	بالمنكرات فجرّعوه العلقما

وصبر عليه السلام في ذلك على ماهو آلم للقلب من حزّ الشفار: أي قطع السكّين. روى الجوهري والثقفي في (سقيفتيهما) وعوانة في (شوراه) عن الشعبي عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال: كنت جالساً بالمسجد حين

---

(١) لفظ نهج البلاغة ١: ٦٧، وشرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٢، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٦، «على القذى».

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٢٦.

بويع عثمان فجئت إلى المقداد. فسمعته يقول: «والله ما رأيت مثل ما أُتي إلى أهل هذا البيت» ـوكان عبدالرحمن بن عوف جالساًـ فقال: وما أنت وذاك يا مقداد. قال المقداد: «إنّي والله أُحبّهم بحبّ رسوله ﷺ وإنّي لأعجب من قريش وتطاولهم بفضل النبيّ ﷺ وانتزاعهم سلطانه من أهله» قال عبدالرحمن: اما والله لقد أجهدت نفسي لكم. قال المقداد: «أما والله لقد تركت رجلاً من الّذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون، أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي ايّاهم ببدر وأُحد» فقال له عبدالرحمن: ثكلتك أمّك! لا يسمعنّ هذا الكلام الناس. فإنّي أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة. وتربدّ وجهه. ثم قال: «لو أعلم أنّك إيّاي تعني لكان لي ولك شأن. قال المقداد: «إيّاي تهدّد يا ابن أُم عبدالرحمن؟» ثم قام فانصرف. قال جندب: فاتّبعته وقلت له: يا عبدالله أنا من أعوانك. فقال: رحمك الله إنّ هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة فدخلت من فوري ذلك على عليّ عليه السلام. فلمّا جلست إليه قلت: يا أباالحسن! والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك. فقال: صبر جميل والله المستعان. فقلت: والله انّك لصبور قال: فإن لم أصبر فماذا أصنع. قلت: «إنّي جلست إلى المقداد وعبدالرحمن بن عوف، فقالا كذا وكذا، ثم قام المقداد فاتّبعته فقلت له كذا فقال لي كذا». فقال عليّ عليه السلام: صدق المقداد. فما أصنع؟ فقلت: «تقوم في الناس فتدعوهم إلى نفسك وتخبرهم أنّك أولى بالنبيّ ﷺ وتسألهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك. فإن أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقين. فإن دانوا لك فذاك وإلّا قاتلتهم، وكنت أولى بالعذر قتلت أو بقيت وكنت عندالله على حجّة». فقال «أترجو يا جندب أن يبايعني من كلّ عشرة واحد»؟ قلت: أرجو ذلك. قال «لكنّي لا أرجو ذلك لا والله، ولا من المائة واحد، وسأُخبرك أنّ الناس إنّما ينظرون إلى قريش فيقولون: هم قوم

محمّد وقبيلته، وأمّا قريش فتقول: إنّ آل محمّد يرون على الناس بنبوّته فضلاً يرون أنّهم أولياء هذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس، وأنّهم إن ولّوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا، ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها. لا والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبداً». فقلت: جعلت فداك يا ابن عم رسول الله، لقد صدعت قلبي بهذا القول. أفلا أرجع إلى المصر فأُوذن الناس بمقالتك، وأدعو الناس إليك. فقال: يا جندب ليس هذا زمان ذاك، فانصرفت إلى العراق فكنت أذكر فضل عليّ عليه السلام على الناس. فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره، وأحسن من أسمعه قولاً من يقول: دع عنك هذا وخذ في ما ينفعك فاقول: «إنّ هذا مما ينفعني وينفعك». فيقوم عنّي ويدعني.

وزاد الجوهري في خبره: «حتّى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة أيّام وَلِيَنا فبعث إليّ فحبسني حتّى كُلِّم فيّ فخلّى سبيلي»[1].

وفي (سقيفة الجوهري) و(شورى عوانة) عن الشعبي -بعد ذكر بيعة ابن عوف لعثمان- وأقبل عمّار ينادي:

يا ناعي الاسلام قم فانعه	قد مات عرف وبدا نكر

أما والله لو أنّ لي أعواناً لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحد لأكونن له ثانياً. فقال عليّ عليه السلام «يا ابا اليقظان! والله لا أجد عليهم أعواناً، ولا احبّ أن أعرضكم لما لا تطيقون» وبقي عليه السلام في داره، وعنده نفر من أهل بيته، وليس يدخل إليه أحد مخافة عثمان[2].

وروى الخليل بن أحمد أنّ أعرابياً ورد على الوليد بن يزيد بن عبدالملك

---

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٨، والثقفي، وعنه امالي المفيد: ١٦٩ ح ٥، المجلس ٢١، وعوانة في الشورى، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٩١، شرح الخطبة ١٣٧، والنقل بتصرف.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٧، وعوانة في الشورى، وعنه شرح ابن ابى الحديد ٢: ٣٩١، شرح الخطبة ١٣٧.

-إلى أن قال بعد ذكره لمقامات عليّ عليه السلام -طلب منه الوليد هجاءه. فقال له: أمثل هذا يستحق الهجاء، وعزمه الحاذق، وقوله الصادق، وسيفه الفالق وإنّما يستحق الهجاء من سامه عليه، وأخذ الخلافة، وأزالها من الوراثة، وصاحبها ينظر إلى فيئه، وكأنّ الشبادع تلسعه -الخبر- والشبادع: العقارب.

قول المصنّف: «وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة إلّا أنّي كرّرته هنا لاختلاف الروايتين» أقول: لم يمض الكلام كله في موضع واحد بل صدره: «اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش -إلى- وفي الحق أن تمنعه» مضى في ذيل العنوان الثاني، وذيله «فنظرت» -إلخ- مضى في العنوان الأوّل.

قوله عليه السلام في الثاني: «وقد قال قائل: إنّك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص» هكذا في (المصرية)، والصواب: ما في (ابن ميثم) وكذا (ابن أبي الحديد والخطيّة) «وقال لي قائل إنّك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص»[1].

قال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام: هذا الكلام يوم الشورى، والقائل الّذي قال له «إنّك على هذا الأمر لحريص» سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه «أنت بمنزلة هارون من موسى» وهذا عجب، وقالت الامامية: قال يوم السقيفة والقائل أبوعبيدة بن الجراح[2].

قلت: كيف نسب ما قاله إلى الامامية، وقد روى محمّد بن يعقوب الكليني ومحمّد بن جرير بن رستم الطبري وهما من قدماء الامامية: إنّه عليه السلام قاله يوم الشورى، وقد عرفت من خبرهما أنّ القائل كان عبدالرحمن بن عوف لا أبوعبيدة الّذي قال.

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٥، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٢٩، أيضاً نحو المصرية.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٥، والنقل بتلخيص.

ثم أيّ شيء يغني عنه في كونه كلامه عليه السلام يوم الشورى في صحة أمر يوم السقيفة، وقد تضمّن قوله عليه السلام يوم الشورى بطلان أمر السقيفة، وأنّه الأساس فمرّ في رواياتهم عن الثقفي، وابن قتيبة قوله عليه السلام يوم الشورى «فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي، لأنّهم كانوا يسمعونني وأنا أحاجّ أبابكر فأقول: يا معشر قريش، إنّا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ـ إلى آخر ما مرّ ـ»[1].

ثم لم ادر إلى أي شيء استند في قوله: إن القائل كان سعدا، وخبرالثقفي الوارد من طريقهم وقد نقله نفسه في شرح قوله عليه السلام «ومن كلام له عليه السلام لمّا قلّد محمّد بن أبي‌بكر مصر» خال من اسم القائل كخبر ابن قتيبة، والمجمل يحمل على المفصل خبر الكليني والطبري المصرّح بعبد الرحمن[2].

وأيضاً الجريء منهم على أن يقول له هذا الكلام، ويخاطبه بذاك الخطاب إنّما كان عبدالرحمن لكونه حكم عمر في اختيار من شاء منهم.

«**فقلت: بل انتم والله أحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب**» إنّما قال عليه السلام «بل أنتم» مع أنّ القائل له «انّك لحريص» إنما كان واحداً لقوله عليه السلام قبل «وقال لي قائل» لكون باقيهم على رأيه. فيصحّ النسبة إلى جميعهم كما في قوله تعالى: ﴿فعقروها﴾[3] مع أنّ العاقر كان واحداً.

ثم الأصل في قول عبدالرحمن له عليه السلام «انّك على هذا الأمر لحريص» قول فاروقهم فقال له عليه السلام في ما قال للستّة كما قال ابن قتيبة «وما يمنعني

---

(١) مر في اوائل هذا العنوان.

(٢) جاء في الغارات ١: ٣١٨، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٦، شرح الخطبة ٦٩، والإمامة والسياسة ١: ١٥٥، ورسائل الكليني، عنه كشف المحجة: ١٧٩.

(٣) الشمس: ١٤ .

منك يا عليُّ إلّا حرصك عليها»[١].

ورماه بالرياء أيضاً كما عابه بصغر السنّ. فرووا عن ابن عباس أنّه قال: دخلت على عمر يوماً. فقال: يا ابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتّى نحلته رياءً. قلت: من هو؟ قال: ابن عمّك. قلت: وما يقصد بالرياء قال: يرشّح نفسه للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح؟ قد رشّحه لها النبيّ ﷺ فصرفت عنه. قال: كان شابّاً حدثا فاستصغرت العرب سنّه، وقد كمل الآن. ألم تعلم انّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا بعد أربعين. قلت: أمّا أهل الحجى والنهى ما زالوا يعدّونه كاملاً منذ رفع الله منار الاسلام، ولكنّهم يعدّونه محروماً مجدوداً. فقال: أمّا إنّه سيليها بعد هياط ثم تزلّ قدمه، ولا يقضي منها اربه، ولتكونن شاهداً ذلك. ثم يتبين الصبح لذي عينين، وتعلم العرب صحّة رأي المهاجرين الأوّلين الّذين صرفوها عنه بادئ بدء فليتني أراكم بعدي يا عبدالله إنّ الحرص محرمة وإنّ دنياك كظلّك[٢].

وأقول: أما قوله «يجتهد رياء للخلافة» فابن عباس أجابه باستخلاف النبيّ ﷺ له وإنّما أخّره هو وصاحبه، وقد اعترف بذلك معاوية في كتابه إلى محمّد بن أبي‌بكر.

وأما قوله «بصغر سنّه» فأجابه أيضاً بانّه عند أهل المعرفة كان من أوّل الاسلام الّذي كان يومئذٍ ابن عشر كاملاً. فلا يضرّه طعن الأجلاف، وأُولي الغلّ والحقد مثله، ومن كان على رأيه.

وأجابه في موضع آخر بأنّ الله تعالى ورسوله ما استصغراه حيث أمراه بأخذ سورة البراءة من صاحبه.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٥.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١١٥، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بتلخيص.

وأما قوله بعدم استقرار الأمر له «فتعلم العرب صحّة رأي المهاجرين الأوّلين الّذين صرفوها عنه» فيقال له: أنت وصاحبك زلزلت أمره بمساعدة المنافقين والطلقاء، وقد ولّيت الأمر عثمان وبني أُميّة أعداء النبيّ حتّى لا تثبت له قدم إن ولي يوماً، وتبيّن الصبح لذي عينين بعملك، ولاغرو ان لم يبصر الأعمى.

وكل أقواله صار منشأ لجرأة جمع وشبهة فريق حتّى سمّى كثير منهم خلافته فتنة كخلافة ابن الزبير، ونحن لا نسوء من ذلك فيكفيهم ثلاثتهم، ويكفينا هو وأحد عشر من عترته الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطيهرا.

ومن المضحك حديثه « ما بعث الله نبياً إلّا بعد أربعين» أو لم يسمع قوله تعالى في يحيى ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾[1] وحكايته عن عيسى عليه السلام في مهده ﴿إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّا﴾[2].

كما أنّ من المضحك وعظه لأميرالمؤمنين برسالة ابن عباس «إنّ الحرص محرمة» أو لم يقل ذلك لنفسه حيث أراد إحراق أهل بيت نبيّه، وقتل من كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حرصاً على نيل الامارة، ولعمر الله وإن قال لصاحبه مغالطة «قدّمك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لديننا في أمرك بالصلاة لنا أفلا نرضاك لدنيانا للخلافة»[3] إلّا أنّه ما أراد بذلك أن يصلّوا ويصوموا بل ليتأمّر عليهم مثل معاوية إلّا أنّ معاوية أظهر، وهو أسرّ، ولكنّه إن لم يصرّح أفصح بما جرى على لسانه «أفلا نرضاك لدنيانا».

---

(١) مريم: ١٢.

(٢) مريم: ٣٠.

(٣) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٢٣، شرح الخطبة ٢٦، والنقل بالمعنى.

«وإنّما طلبت حقاً لي، وانتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه»

أي: أنتم معشر قريش مع رأسكم فاروقكم الّذين نسبتموني إلى الحرص على هذا الأمر لم تفهموا معنى الحرص ومورد استعماله. فالحرص يقال لمن طلب شيئاً لم يكن له، وأما من طالب بحقّه الثابت الواضح عند الكلّ إذا طلبه من المتغلبين عليه لا يقال له إنّه حريص عليه ولو كان جادّاً.

مع أنّه عليه السلام إنّما طلب وقتاً أمكنه الطلب، وهو يوم السقيفة ويوم الشورى دون قيام عمر بنصب أبي بكر له بقدر إتمام الحجّة ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة.

وكيف نسبوا إليه عليه السلام الحرص مع أنّه رضي بترك حقّه الثابت لما عرض عليه عبدالرحمن بن عوف بيعته له بشرط عمله بسنّة الشيخين. فأنكر عليه السلام عليه ذلك وطوى عنه كشحاً مع زعمهم حرصه عليه السلام عليه دلالة على بطلان سنّتهما.

هذا، وقال ابن حاطب: ابن الزبير طالما حرص على الامارة قيل له: كيف؟ قال: أمر أبو بكر أغيلمة من أبناء المهاجرين أنا فيهم بقتل لصّ. فقال ابن الزبير: أمّروني عليكم فأمّرناه ثم انطلقنا به فقتلناه.

قلت: وكان من حرصه على الامارة أنّه صار في من نصر عثمان مع كون أبيه في من قتل عثمان، ومع كونه مثل أبيه في بغض عثمان إلّا أنّه علم أنّ عثمان يقتل وعلم أنّ الأمر يصير إلى أميرالمؤمنين عليه السلام. فأراد أن يكون له مستمسك لادعاء الخلافة إن اتّفق يوم يمكنه القيام بأنّه لمّا نصر عثمان جعله وصيّه. فهكذا ادّعى يوم قيامه بعد يزيد ومنّ يوماً على معاوية بأنّه نصر عثمان. فقال له معاوية ـ وكان يعرف الناس حق المعرفة ـ فوالله لو لا شدّة بغضك لابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع.

«فلمّا قرعته بالحجّة» القرع بالحجّة استعارة. فالأصل في القرع ضرب الرأس بالعصا.

«في الملأ الحاضرين» الملأ: الجماعة في محلّ قيل لهم الملأ لامتلاء المحلّ بهم.

«هبّ كأنّه بهت لا يدري ما يجيبني به» هكذا في ابن أبي الحديد[1] ولكن في (ابن ميثم): «بهت كأنّه لا يدري ما يجيبني به» وجعل «هبّ» رواية[2]، ومعنى هبّ استيقظ.

ووجه بهته وعدم درايته لجواب؛ أنّ كلّهم كانوا مشاهدين لاستخلاف النبيّ ﷺ له، وعارفين بسوابقه ومقاماته، وأحقيّته بأقربيّته إلى النبيّ ﷺ من كلّ أحد. فإذا ذكّرهم ذلك لابدّ أن يبهتوا لعدم جواب لهم.

كما أنّ إبراهيم عليه السلام لما قال للملك الّذي يدّعي الربوبية ﴿إنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾[3] بهت ولم يدر ما يجيبه.

هذا، وممّا ذكروا من الجواب المسكت للخصم أنّ ثابت بن عبدالله بن الزبير نظر إلى أهل الشام. فقال: إنّي لأبغض هذه الوجوه. فقال له سعيد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك. قال: صدقت ولكنّ أباك قتله المهاجرون والأنصار.

وأنّ معاوية قال يوماً: أيّها الناس! إنّ الله فضّل قريشاً بثلاث. فقال: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[4] فنحن عشيرته، وقال: ﴿وانّه لذكر لك

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٥.

(٢) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٩، نقلاً عن نسختين «هبّ» و«بهت».

(٣) البقرة: ٢٥٨.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

ولقومك﴾[١] ونحن قومه وقال: ﴿لإيلاف قريش﴾ إلى آخر السورة[٢]، ونحن قريش. فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية! فإنّ الله يقول: ﴿وكذّب به قومك﴾[٣] وأنتم قومه، وقال: ﴿ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يَصِدّون﴾[٤] وأنتم قومه، وقال: ﴿وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[٥] وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة، ولو زدتنا لزدناك، فأفحمه.

قلت: وافترى معاوية في كونه عشيرته، وإنّما عشيرته بنو هاشم، ولذا جمعهم حسب بعد نزول الآية، وأنذرهم، والأخيران لا مدح فيهما مع أنّ معاوية كان مصداق قوله تعالى: ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا﴾[٦] فأيّ أثر لإنذاره، وأيّ وقت كان القرآن ذكراً له.

وقالوا: كان عدي بن حاتم فقئت عينه يوم الجمل. فقال له ابن الزبير يوماً: متى فقئت عينك؟ قال: يوم قتل أبوك، وهربت عن خالتك، وأنا للحقّ ناصر وأنت له خاذل.

قوله عليه السلام في ذيل الثاني «اللّهمّ إنّي استعديك على قريش ومن أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي. ثم قالوا: الا إنّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه» وقوله عليه السلام في صدر الثالث «اللّهمّ إنّي

---

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) قريش: ١.

(٣) الانعام: ٦٦.

(٤) الزخرف: ٥٧.

(٥) الفرقان: ٣٠.

(٦) الانعام: ١١١.

أستعديك على قريش، ومن أعانهم. فإنّهم قد قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه» أيضاً الأصل فيهما واحد كما عرفت.

ثم قوله في الثالث «ومن أعانهم» إنّما نقله ابن أبي الحديد[١] وليس في (ابن ميثم)[٢] ولابد أنّه لم يكن في النهج حيث إنّ نسخته بخط مصنّفه، ولابدَّ أنّه كان في نسخة ابن أبي الحديد حاشية اخذا من الثاني خلط بالمتن.

وأمّا قوله في الثاني: «ان تأخذه» وقوله: «أن تتركه» بالتاء فيهما. فكذا في (المصرية)، ونقل ابن أبي الحديد[٣] الأول «نأخذه» بالنون، والثاني «تتركه» بالتاء، وقال معناه «قالوا له الحق أخذنا وتركك» ونقل «ثم» عن خط الرضيّ كونهما بالنون، وقال معناه «قالوا له نتصرف بالأخذ والترك دونك»[٤].

كما أنّ قوله في الثالث: «أن تأخذه» و«أن تمنعه» بالتاء فيهما هو في (المصرية) وقال ابن أبي الحديد: قال الراوندي في خط الرضيّ تأخذه بالتاء وقيل: إنّه بالنون[٥].

وكيف كان، فالصواب أن «نأخذه» فيهما بالنون و«تتركه» و«تمنعه» فيهما بالتاء، والمراد أنّ قريشاً قالوا مكابرة في قبال حجّته عليه السلام أخذنا حقّ، وتركك ومنعك حق، ويشهد لما قلنا رواية الثقفي،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٤٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٥.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ٣٣١.

(٥) كذا قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٣٧، لكن الراوندي في شرحه ٢: ١٥٢، ذكر كونه بقاء ولم يوجد فيه نسبة إلى خط الرضي.

ورواية ابن قتيبة للكلام المتقدّمتان[١].

هذا وقال ابن أبي الحديد بعد الثالث: «لم يؤرخ الوقت الّذي قال عليه السلام هذا الكلام، وحمله أصحابنا على أنّه قاله يوم الشورى»[٢] وقال ابن ميثم يشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه عليه السلام حين خروج طلحة والزبير[٣].

قلت: قد عرفت من أسانيده الأربعة أنّه جزء كلامه عليه السلام بعد قتل محمّد بن أبي‌بكر، وفتح مصر. قال: الكلام كله لمّا سألوه عن رأيه عليه السلام في حقّ الخلفاء والثلاثة فكتب لهم ما مرَّ.

وحمل أصحاب ابن أبي الحديد له على أنّه قاله يوم الشورى غير مفيد لهم لأنّه كما تضمن شكايته عليه السلام من الشورى تضمن شكايته من السقيفة، وهل مؤسس الشورى ومؤسس السقيفة غير فاروقهم مع أنّ مراده عليه السلام بقوله «اللّهمّ انّي أستعينك أو أستعديك على قريش» عمومهم حتّى صدّيقهم وفاروقهم. فإنّه عليه السلام لم يقل «أستعينك على أُولئك»: أي الّذين حكى إجبارهم له على بيعة عثمان بل قال «على قريش»: أي: هؤلاء ومن أسّس لهم.

وممّا يوضح إرادته العموم كلام المقداد لابن عوف لمّا بايع عثمان «ما رأيت مثل ما أُتِيَ على أهل هذا البيت بعد نبيّهم. إنّي لأُعجب من قريش! إنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل، وإنّي لأُعجب من تطاولهم بفضل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم انتزاعهم سلطانه من أهله! لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر وأُحد»[٤].

---

(١) كذا في الغارات ١: ٣٠٩، وبفرق في الإمامة والسياسة ١: ١٥٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٧، والنقل بالمعنى.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٥٠.

(٤) رواه الجوهري في السقيفة: ٨٨، والطبري في تاريخه ٣: ٢٧٩، سنة ٢٣، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٤٣، وغيرهم والنقل بالمعنى.

قوله عليه السلام في الثالث: «اللّهمّ إنّي استعينك على قريش ومن أعانهم» روى أبو مخنف في جمله عنه عليه السلام قال: «ما لي ولقريش! أما والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقتلنّهم مفتونين ـ إلى أن قال ـ والله لأبقرن الباطل حتّى يظهر الحق من خاصرته فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها»(١).

وفي (معجم الأُدباء) قرأت بخط الازهري، قال المازني: لم يصحّ عندنا تكلّم عليّ عليه السلام بشيء من الشعر غير قوله:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني ... ولا وجِدّك ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

«بذات روقين» أي: بداهية عظيمة(٢).

وفي أمثال أبي عكرمة الضبي يقال: إنّ علياً عليه السلام تمثّل بقول الشاعر في المثل لظالمية الحيّة.

لعمري إنّي لو أُخاصم حيّة ... إلى فقعس ما أنصفتني فقعس
فوالله ما أدري وإنّي للابس ... لكم لِبسةً أيّ النسيجين ألبس
أَلِبسة بقيا لابقاء على الّذي ... تريدون بي أم أستمرّ فأعبس(٣)

قوله عليه السلام «فانهم قطعوا رحمي» في (إرشاد المفيد): روى العبّاس بن عبدالله العبدي، عن عمرو بن شمر عن رجاله قالوا: سمعنا علياً عليه السلام يقول: ما رأيت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رخاء والحمد لله. والله لقد خفت صغيراً، وجاهدت كبيراً اقاتل المشركين، وأُعادي المنافقين حتّى قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الطامّة الكبرى(٤).

---

(١) رواه عن أبي مخنف في الجمل ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٧٨، شرح الخطبة ٦.

(٢) جاء في معجم الادباء ١٤: ٤٣.

(٣) الأمثال لأبي عكرمة الضبي: ٦٩ ـ ٧٠.

(٤) الارشاد: ١٥١.

«وصغّروا عظيم منزلتي» في (صفين نصر)، و(مروج المسعودي)، وغيرهما: كتب معاوية إلى محمّد بن أبي‌بكر في جواب كتابه ـ وكان في كتاب محمّد بن أبي‌بكر إليه «فكيف ـ يالك الويل ـ تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسوله، ووصيه، وأبو ولده، أوّل الناس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً. يخبره بسرّه، ويطلعه على أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه» ـ إلى أن قال ـ «ذكرت في كتابك فضل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته إلى الرسول، ومواساته إيّاه في كلّ هول وخوف. فكان احتجاجك عليَّ وعيبك لي ـ إلى أن قال ـ فقد كنّا ـ وأبوك فينا ـ نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا. فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وعده وأظهر دعوته وأبلج حجته قبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره. على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما فابطأ عنهما، وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم. ثم إنّه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قبضهما الله ـ إلى أن قال ـ:

ـ مشيراً إلى نفسه وقيامه في قباله عليه السلام ـ مهّد أبوك مهاده وبنى له ملكه وشاده. فإن يك ما نحن فيه صواباً. فأبوك أوّله، وإن يكن جوراً، فأبوك أسّسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي‌طالب وسلّمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك. فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله. فعب أباك أو دع»[1].

«وأكفؤوا إنائي» أي: اكبّوه، وقلّبوه. روت العامّة أنّ عمر قال لابن عباس: أنتم أهل رسول الله وآله وبنو عمّه، فما تقول في منع قومكم منكم؟ قال: لا

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٩، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، والبلاذري في انساب الاشراف ٢: ٣٩٣، واللفظ للمسعودي.

أدري علّتها، والله ما أضمرنا لهم إلّا خيراً» قال: اللّهمّ غفراً. إنّ قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوّة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخاً وبذخاً، ولعلكم تقولون إنّ أبابكر أوّل من أخّركم أما إنّه لم يقصد ذلك، ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم ممّا فعل، ولولا رأي أبي بكر فيّ لجعل لكم من الأمر نصيباً، ولو فعل ما هنّأكم مع قومكم انّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره[1].

قلت: إنّ الله جلّ وعلا جمع لهم النبوّة والخلافة. ألم يقل نبيّهم لهم «من كنت مولاه وأولى به من نفسه. فعليّ مولاه وأولى به من نفسه»؟

وأما كراهة قومهم ذلك فقد قال عزّ اسمه ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[2] ولقد أجاب ابن عباس عمر بذلك في خبر آخر[3].

ورووا أيضاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال ـ مشيراً إلى أبي بكر وعمر ـ «اصغيا باناءنا وحملا الناس على رقابنا»[4].

«**وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ـ أو ـ حقاً كنت أولى به من غيري**» روى أبو هلال في (أوائله): انّ أبا الهيثم بن التيّهان ـ وهو اوّل من ضرب على يد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للبيعة في أوّل نبوّته ـ قام خطيباً بين يدي علي عليه السلام. فقال: إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين: أمّا خيارهم فتمنّوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ وارتفاع الدرجة، وأمّا أشرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب، وأحبط الأعمال، وذلك أنّهم رأوا عليك نعمة قدّمك اليها الحظّ، وأخّرهم عنها الحرمان. فلم يرضوا أن يلحقوك حتّى طلبوا أن يسبقوك؛ فبعدت عليهم والله الغاية، وأسقط المضمار. فلمّا تقدّمتهم بالسبق، وعجزوا عن اللحاق. بلغوا منك ما

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٩٤، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٢) محمد: ٩.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٧، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧٦، شرح الخطبة ١٧٠.

رأيت، وكنت والله أحقّ قريش بشكر قريش. نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلّا على أنفسهم، ولا نكثوا إلّا بيعة الله. يد الله فوق أيديهم فها نحن معاشر الأنصار، أيدينا وألسنتنا لك؛ فأيدينا على من شهد، وألسنتنا على من غاب[1].

«ثم قالوا في الحق أن ناخذه وفي الحقّ أن تتركه ـ أو ـ أن تمنعه» روى الزبير بن بكار ـ كما في (أمالي المفيد) ـ انّ ابن عباس حضر مجلس معاوية فأقبل عليه معاوية. فقال له: إنّكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما اختصصتم بالنبوّة والله لا يجتمعان أبداً. إنّ حجّتكم في الخلافة مشتبهة على الناس. إنّكم تقولون: نحن أهل بيت النبوّة فما بال خلافة النبيّ في غيرنا وهذه شبهة لانّها تشبه الحق وبها مسحة من العدل وليس الأمر كما تظنون. إنّ الخلافة تتقلب في أحياء قريش برضى العامّة وشورى الخاصة ولسنا نجد الناس يقولون ليت بني هاشم ولونا ولو ولونا كان خيراً لنا في دنيانا وآخرتنا، ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون ما قاتلتم عليها اليوم، ووالله لو وليتموها يا بني هاشم لما كانت ريح عاد وصاعقة ثمود باهلك للناس منكم.

فقال له ابن عباس: امّا قولك: إنّا نحتجّ بالنبوّة في استحقاق الخلافة فهو والله كذلك، وإن لم تُستَحقَّ الخلافة بالنبوّة فبم تستحق.

وامّا قولك: انّ النبوة والخلافة لا تجتمعان لأحد؛ فأين قوله عزّ وجلّ: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾[2] فالكتاب هو النبوّة والحكمة هي السنّة والملك هو الخلافة، فنحن آل ابراهيم والحكمة جارية فينا إلى يوم القيامة.

---

(١) الاوائل: ١٧٦.

(٢) النساء: ٥٤.

وامّا دعواك على حجّتنا أنّها مشتبهة فليس كذلك؛ فإنّ حجّتنا أضوأ من الشمس، وأنور من القمر؛ كتاب الله معنا، وسنّة نبيّه فينا، وانّك لتعلم ذلك ولكن شيء عطفك وصعّرك؛ قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمّك. فلا تبك على أعظُمٍ حائلةٍ وأرواح في النار هالكة، ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك، وأحلّها الكفر، ووضعها الدين.

وامّا ترك تقديم الناس لنا في ما خلا وعدولهم عن الاجماع علينا فما حُرِموا منّا أعظم ممّا حُرِمنا منهم، وكل أمر إذا حصل ثبت حقّه وزال باطله.

وأمّا قولك: إنّا لو ملكنا كان ملكنا أهلك للناس من ريح عادٍ وصاعقة ثمود فقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾[1] يكذّبك، فنحن أهل بيته الأدنون، ورحمة الله بنا خلقه؛ كرحمة الله بنبيّه خلقه[2].

وأقول: وصدق معاوية، لو وليها بنو هاشم، أي أميرالمؤمنين عليه السلام، كانوا أهلك من ريح عاد وصاعقة ثمود، لكن لمعاوية وأضرابه أحزاب الشيطان، وأمّا للمؤمنين فكانوا رحمة الله الواسعة، ونعمته السابغة. قال تعالى: ﴿أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾[3].

وقالت سيّدة نساء العالمين لمّا غصبوا الخلافة من أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبتها في فدك: «وما نقموا من أبي الحسن عليه السلام إلّا تنمّره وشدّة وطأته في ذات الله»[4].

وفي زيارته عليه السلام: «كنت على الكافرين عذاباً صبّاً ونهباً،

---

(١) الانبياء: ١٠٧.

(٢) امالي المفيد: ١٤ ح ٤، المجلس ٢، والنقل بتصرف.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) رواه عن سقيفة الجوهري الاربلي في كشف الغمة ٢: ١١١، وغيره، والنقل بالمعنى.

وللمؤمنين غيثاً وخصباً»[١].

«فاصبر مغموماً أو مُت متأسّفاً» كتب معاوية إليه عليه السلام: «عرفنا ذلك في نظرك الشَّزر، وفي قولك الهجر، وفي تنفسُّك الصُّعداء»[٢].

ومرّ قوله عليه السلام لجندب: «والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبدا»، ومرّ قوله عليه السلام له: «فإن لم أصبر فماذا أصنع؟»، ومرّ قول جندب له عليه السلام يا ابن عمّ رسول الله لقد صدعت قلبي بهذا القول[٣].

وقال المدائني: قال عبدالله بن جنادة: قدمت من الحجاز أُريد العراق في أوّل أمارة عليّ عليه السلام. فمررت بمكّة. فاعتمرت. ثم قدمت المدينة. فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ نودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه. فشخصت الأبصار نحوه. فحمد الله وصلّى على رسوله. ثم قال: أمّا بعد فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: نحن أهله وورثته، وعترته وأولياؤه دون الناس. لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل. فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس. وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين؛ لكنّا على غير ما كنّا لهم ـ الخبر ـ[٤].

قوله عليه السلام في الرابع: «فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضّلال» في (الصحاح) الركض: تحريك الرِجل قال تعالى ﴿أُركض برجلك﴾[٥] وركضت

---

(١) رواه المجلسي في بحار الأنوار ١٠٠: ٣٢٢، وبفرق يسير في المصدر ١٠٠: ٣٧٦، ضمن زيارة عن عدة مصادر.

(٢) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٥٧، شرح الكتاب ٢٨.

(٣) مرّ في هذا العنوان.

(٤) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢.

(٥) ص: ٤٢.

الفرس برجلي إذا أستحثثته ليعدو، ثم كثر حتّى قيل ركض الفرس إذا عدا. والصواب ركض الفرس مجهولا فهو مركوض[١].

قلت: ويفسّر التركاض بالفارسية بقولهم «تاخت كردن».

«وتجوالهم» أي: تطوافهم. وتجوال كتركاض للمبالغة ففي الجمهرة «رجل تكلام كثير الكلام، ورجل تلقام: عظيم اللقم، وتلعاب: كثير اللعب» وقد عقد لما جاء على تفعال بابا[٢].

«في الشقاق» أي: الخلاف والعداوة.

«وجماحهم في التيه» قال الجوهري: الجموح: الّذي يركب هواه فلا يمكن ردّه[٣]، والتيه المفازة يتاه فيها. وتاه في الأرض: أي: ذهب متحيراً.

«فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلي» قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الّذين بدّلوا نعمة الله كفرا﴾[٤] عنى الله تعالى بهم قريشاً الذين عادوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجحدوا وصية وصيّه[٥].

وقال الباقر عليه السلام ـ على رواية العامة عنه عليه السلام ـ: ما لقينا من ظلم قريش إيّانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس؛ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبض، وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس. فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثم تداولتها قريش، واحداً بعد واحد حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا،

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١٠٧٩، مادة (ركض).

(٢) جمهرة اللغة ٣: ٣٨٨.

(٣) صحاح اللغة ١: ٣٦٠، مادة (جمح).

(٤) ابراهيم: ٢٨.

(٥) رواه الكليني في الكافي ١: ٢١٧ ح ٤.

ونصبت الحرب لنا ـ الخبر ـ[١].

وفي (ذيل الطبري): عن عبدالمطلب بن ربيعة الهاشمي قال: دخل العباس على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب وأنا عنده. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما أغضبك؟ فقال: يا رسول الله! ما لنا ولقريش إذا تلاقوا تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟ فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى احمرّ وجهه حتّى استدرّ عرق بين عينيه ـ وكان إذا غضب استدرّ ـ فلمّا سُرّي عنه قال: «والّذي نفس محمّد بيده لا يدخل قلب امرئٍ من الايمان أبداً حتّى يحبّكم لله ولرسوله»[٢].

وأمّا إجماعهم على حرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فمعلوم، وفي (الطبري): قال سعد بن معاذ ـ بعد أن حكم في بني قريظة بما حكم ـ اللّهمّ إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إليّ أن أُقاتل أو أُجاهد من قوم كذّبوا رسولك، اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فابقني لها، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك ـ إلى أن قال ـ فلمّا انصرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الخندق قال «الآن نغزو قريشاً ولا يغزونا» فكان كذلك حتّى فتح الله على رسوله مكّة[٣].

والرجلان وإن لم يحارباه ظاهراً بل صارا من تبعه إلّا أنّه كان ضررهما على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من ضرر محاربيه. فمنعاه من الوصية، وتخلّفا عن جيشٍ أكّد تجهيزه حتّى لعن المتخلّف عنه، وبتاهما تظاهرا عليه صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ تظاهر حتّى أخبر جلّ وعلا عن عملهما في قوله: ﴿وإن

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨.

(٢) منتخب ذيل الهذيل: ٤٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٣، سنة ٢٥.

تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[١].

وقريش كانوا أشد قريش عداوة له صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً، وهم بنو أميّة. فعلوا ما فعلوا بتوسطهما. فجعل الثاني رئيسهم خليفته.

«فجزت قريشاً عنّي الجوازي» قال كعب بن مالك الأنصاري في حرب قريش كانت قريش: لأكلها السخينة ـ وهي طعام يتّخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة ـ سمّيت بسخينة:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها وليغلبنّ مغالب الغلّاب

وتمثّل به الكاظم عليه السلام لما هدّده موسى الهادي العباسي بالقتل. فعجّل الله تعالى هلاكه[٢].

«فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمّي» هو نظير قول هارون لموسى ﴿يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني﴾[٣] إلّا أنّ هارون وموسى كانا بنفسيهما من أمّ واحدة، وأميرالمؤمنين عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أبواهما كانا من أمّ واحدة هي فاطمة المخزومية، وباقي أعمامه غير الزبير كانت أمّهم غير أمّ أبي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما قول ابن ميثم: قيل إنّه عليه السلام قال: «وسلبوني سلطان ابن أمّي» لأنّ أمّه فاطمة بنت أسد كانت تربّي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين كفّله أبوطالب يتيماً فهي كالأمّ له فأطلق عليه البنوّة لها مجازاً[٤]؛ فبعيد عن لحن اللغة العربية وخطاباتهم. قال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ ﴿وإلى ثمود أخاهم

(١) التحريم: ٤.

(٢) رواه ابن طاووس في مهج الدعوات: ٢١٩.

(٣) الاعراف: ١٥٠.

(٤) شرح ابن ميثم ٥٠: ٨٠.

صالحاً﴾[1] وإنّما كانا من قوم عاد وثمود.

وكان بنو زهرة يعدّون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ابن أُختهم لأنّ أُمّه كانت منهم، وعدّ الضبابي العباس عليه السلام، وإخوته من أُمّه بني أُختهم لأنّ أُمّهم كانت من عشيرتهم.

وإنّما قال عليه السلام لأخيه عقيل «فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه» لأنّهم سمّوا تارة طلبه عليه السلام لحقه حرصاً وعدّوا عزّة نفسه ـ وقد جعل الله العزّة للمؤمنين، وهو أميرهم حقّاً ـ كبراً وعجباً، وثالثة: بِشره الّذي هو من صفات المؤمن ـ وهو اوّل مؤمن بالله بعد رسوله ـ دُعابةً، ورابعة: خلوصه الّذي شهد له تعالى في ﴿هل أتى﴾[2] رياءً، وتشكّكوا في سبق إيمانه بعدم بلوغه مع أنّ لازمه عدم عرفان الله تعالى وعرفان رسوله حيث قبلاه، وتشكّكوا في نصب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له بخمّ مع تواتر الروايات به من طريقهم، تارة بانكاره رأساً، وأُخرى على أنّ المراد كونه ابن عمه أو مولى معتق زيد بن حارثة، وثالثة بإخفائه حتّى استنشدهم أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بأنّ من شهد ذاك اليوم يشهد. فاعتذر بعضهم بنسيانه. فدعا عليهم بالعمى والبرص وغير ذلك. فابتلوا بما دعا، وبهتوا عليه بخطبته بنت أبي جهل، وموجدة النبيّ صلى الله عليه وآله عليه بذلك، مع أنّه لو فرض صحته كان اعتراضاً على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث أنكر ما أحلّته شريعته.

وعبّروا عنه عليه السلام تحقيراً من جهالتهم بأبي تراب كما عيّروه بذلك ما عيّر ابليس آدم بكونه من تراب، وعبّروا عن شيعته بالترابية لذلك، كما أنّهم عبّروا عنهم تلبيساً بالسبائية. فكانوا يعبّرون عن حجر بن عدى، وعمرو بن

---

(١) هذا تلفيق بين آيتي الاعراف: ٧٣ و ٦٥.

(٢) الانسان: ١.

الحمق وصعصعة بن صوحان، ونظرائهم الّذين لا يعتقدون بسواه حتّى بأبي‌بكر وعمر فضلاً عن عثمان بذلك ليموّهوا على الناس بأنّهم كعبد الله بن سبأ[١] من الغلاة وتبع قريشاً أُولئك مؤرّخوهم كالجاحظ وأبن قتيبة وأبن عبد ربه وغيرهم. فإنّهم عنونوا في كتبهم الشيعة، ولم يذكروا غير الغلاة وخلّطوا ولبّسوا، ونسبوا إلى أبيه عليه‌السلام الكفر مع تفادياته تلك الّتي لم يأت أحد بمثلها للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلّا ابنه اميرالمؤمنين عليه‌السلام ومع أبياته المصرّح فيها بحقيّة دينه.

وبالجملة دين إخواننا من يوم السقيفة لأبي‌بكر إلى يوم الشورى لعثمان دين قريش الّذين كانوا مسلمين ظاهراً وكافرين باطناً، وإنّما أسرّوا كفرهم بعد قهر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لهم في حياته. فلمّا وجدوا بعده أعواناً أظهروه.

أما في السقيفة فقد أقرّ فاروقهم بأنّ نصب صدّيقهم كان من قبل أُولئك فقال لابن عباس ـ كما في (الطبري) وغيره ـ «أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا. قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة. فتجحفوا الناس جحفاً فنظرت قريش لأنفسهما فاختارت، ووفّقت فأصابت» فقال له ابن عباس: أمّا قولك: إنّ قريشاً كرهت، فانّ الله تعالى قال لقوم: ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[٢] وأمّا قولك: إنّ قريشاً اختارت فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[٣] وقد علمت أنّ الله أختار لذلك من اختار. فلو نظرت قريش من

(١) عبد الله بن سبأ لا وجود له، كما أثبت ذلك العلّامة السيّد مرتضى العسكري في كتابه «اسطورة عبدالله بن سبأ» فراجع.

(٢) محمد: ٩.

(٣) القصص: ٦٨.

حيث نظر الله لها لوفّقت وأصابت[1].

وامّا يوم الشورى، ففي (الطبري) وغيره قال عبدالرحمن بن عوف: اشيروا عليّ. فقال عمّار: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً. فقال المقداد: صدق عمّار. إن بايعت علياً قلنا سمعنا وأطعنا. فقال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبدالله بن أبي ربيعة: صدق ابن أبي سرح إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا. فشتم عمّار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين. فتكلّم بنو هاشم وبنو أُميّة. فقال عمّار: أيّها الناس! إنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبيه، وأعزّنا بدينه، فانّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم. فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية، وما انت وتأمير قريش لأنفسها. فقال سعد لعبد الرحمن: افرغ قبل أن يفتتن الناس[2].

فترى انّ عماراً ومقداداً ـ وجلالهما في الاسلام وشموخ مقامها معلوم ـ جعلا قريشاً مقابلة للمسلمين كما ترى أنّ الداعي إلى عثمان لميل قريش إليه ابن أبي سرح ونظراؤه الّذين نزل القرآن بكفرهم.

وفي (المروج) ـ بعد ذكر قول أبي سفيان لمّا بويع عثمان «يا بني أُميّة تلقفوها تلقف الكرة. فوالّذي يحلف به أبوسفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة». فانتهره عثمان وساءه ما قال ونمي هذا القول وغيره من الكلام إلى المهاجرين والأنصار وغير ذلك فقام عمّار في المسجد. فقال: يا معشر قريش أمّا إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٨٩، سنة ٢٣، وابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٧، شرح الخطبة ٢٢٦، والنقل بالمعنى.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣، والجوهري في السقيفة ٥: ٨٤، والنقل بتصرف يسير.

هاهنا مرّة، وهاهنا مرّة. فما أنا بآمن أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله، وقام المقداد. فقال: ما رأيت مثل ما أُوذي به أهل هذا البيت بعد نبيّهم ـ فقال له عبدالرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد. فقال: إنّي والله لأُحبّهم لحبّ رسوله، وانّ الحق معهم وفيهم. يا عبدالرحمن! أعجب من قريش، ومن تطوّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت. قد اجتمعوا على نزع سلطان الرسول من بعده من أيديهم. أما وأيم الله يا عبدالرحمن لو أجد على قريش انصاراً لقاتلتهم كقتالي ايّاهم مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم بدر[1].

فتراه دالاّ على كون قريش في قبال أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الشورى ككونهم في قبال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم بدر، وأنّهم وعلى رأسهم عبدالرحمن بن عوف كأبي جهل وعتبة وشيبة ونظرائهم يجب الجهاد ضدّهم لو وجد أعوان والمقداد وعمّار ممّن أجمع على جلالهما وأنّهما من أربعة لم يكن أحد فوقهم في الصحابة.

هذا وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان الأوّل: وآعلم أنّ الآثار والأُخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأمّلها وأنصف علم أنّه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به تختلجه الشكوك ولا يتطرق اليه الاحتمالات كما تزعم الامامية. فإنّهم يقولون: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّ على أميرالمؤمنين عليه السلام نصّاً صريحاً جليا ليس بنص يوم الغدير، ولا خبر المنزلة ولا ما شابههما من الأُخبار الواردة من طرق العامّة، وغيرها بل نصّ عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين، وأمر المسلمين أن يسلّموا عليه بذلك. فسلموا عليه بها، وصرّح لهم في كثير من المقامات بأنّه خليفة عليهم من بعده، وأمرهم بالسمع والطاعة له،

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٤٣.

ولا ريب في أنّ المصنف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعلم قطعاً انّه لم يكن هذا النص، ولكن قد يسبق إلى النفوس والعقول انّه قد كان هناك تعريض وتلويح، وكناية وقول غير صريح وحكم غير مبتوت، ولعلّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصده عن التصريح بذلك أمر يعلمه، ومصلحة يراعيها أو وقوف مع اذن الله تعالى في ذلك[1].

قلت: هل نصّ يوم الغدير، وخبر المنزلة، وما أشبههما ممّا ورد من طرقهم متواترا لا يكفي في استخلافه؟ إن لم يكفيا فأيُّ لفظ يكفي؟ ألم يقرِّرهم النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّي أولى بكم من أنفسكم فاقروا. فقال عند ذلك «من كنت مولاه ـأي: أولى به من نفسه ـفعلي مولاه» أي: أولى به من نفسه؟ أليس هذا صريحاً في كونه كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى نصّ الله تعالى في قوله جلّ وعلا: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾[2] وإنّه عليه السلام أولى بهم من أنفسهم كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فهل فوق هذا شيء؟

وكذلك خبر المنزلة وكونه عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كهارون من موسى عليه السلام إلّا في أصل النبوّة.

ولصراحة دلالتهما أنكرهما كثير منهم مع تواترهما، كما أنّ بعضهم أوّلهما بتأويلات مضحكة. كما أنّ بعضهم حظر التكلم في ذلك، وقال: لا ينبغي لأحد أن يخوض في ذكر الصحابة وما جرى بينهم من تنازع واختلاف، وان استطاع أن لا يسمع شيئاً من الأخبار الواردة به فيفعل. فإنّه إن خالف هذه الوصاية فقد أبدع، والتصنيف في السقيفة ومقتل عثمان والجمل وصفّين ضلال.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٥.

(٢) آل عمران: ٦١.

واما قوله «يقول الشيعة إنّه نصّ عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين، وأمر المسلمين أن يسلّموا عليه بذلك» فغريب فقد روى ذلك أئمّة العامّة كابن مردويه في (مناقبه)، والخوارزمي، والخطيب، وعثمان السماك، وجمع آخر منهم حتّى صنّف عليّ بن طاووس في ذلك كتاباً سمّاه كتاب اليقين[١].

كقوله إنّ الشيعة قالوا: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صرّح في كثير من المقامات بأنّه خليفته بعده وأمرهم بالسمع والطاعة له. فقد اتّفق العامة، ومنهم الطبري في (تاريخه) في نزول قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٢] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا بني عبدالمطلب، وهم يومئذٍ أربعون فيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب، وقال: «يا بني عبدالمطّلب! انّي والله ما أعلم شاباً جاء في قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيي وخليفتي فيكم» فأحجم القوم عنها جميعاً، وقام عليّ عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبته. ثم قال «إنّ هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: لقد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[٣].

ولو لم يكن في استخلافه إلّا هذا لكفى. فهل كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يكذب في حديثه، ويخلف في وعده، ويخدع في دينه كالملوك الدنيوية.

وهل الدليل على وجود الصانع، وعلى نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من الأدلّة العقلية والنقلية على امامته. فهل أراد خصومنا أن ينزّل الله تعالى على كلّ أحد

---

(١) اليقين: ٩، ١٨، ١٩، ٢٠ وغيره.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦٢، وغيره والنقل بتلخيص.

منهم كتابا يقرؤه أنّ عليّ بن أبي‌طالب خليفة محمّد بن عبدالله، والّا فقد أنزل على عامّتهم كتاباً يقرؤونه ليلاً ونهاراً ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[١]. ولا ريب في نزوله فيه عليه السلام[٢].

وقول ابن أبي الحديد: «ولا ريب في أنّ المنّصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله يعلم قطعاً انّه لم يكن هذا النص»[٣] يقال في جوابه: ولا ريب في أنّ من كان له لبّ ولم يكن مكابراً ولا سوفسطائيا إذا سمع لهم ما جرى لهم في مرض موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من حثّه على تجهيز جيش اسامة مرّة بعد مرّة، وكلّما أفاق من غشيته حتّى لعن المتخلف منهم، وعلى رأسهم صدّيقهم وفاروقهم، ومنعهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة وصيّته وقالوا: إنّه ليهجر ولا نحتاج إلى وصيّته، ويكفينا القرآن، والمتصدي لذلك فاروقهم حتّى اغضبوه. فأخرجهم من عنده، وكان ابن عباس يبكي من ذلك بكاء الثكلى ويقول: لا رزية فوق هذا أن يحولوا بين نبيّنا ووصيته وينسبوا الهجر إلى من قال تعالى في حقه ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٤] وبعد قبض روحه صلى الله عليه وآله وسلم يقوم فاروقهم لعدم حضور صاحبه تلك الساعة ويقول: ما مات محمّد بل غاب كما غاب موسى ويرجع ويفتح كنوز كسرى وقيصر كما وعدنا، ومن قال مات لأفعلن به كذا وكذا، وما جرى لهم في السقيفة من السب والشتم والضرب والوطء إلى غير ذلك يعلم قطعاً أنّ مع وجود النص

---

(١) المائدة: ٥٥ .

(٢) رواه جمع كثير من أهل الأثر أورد بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٣ و٢٩٤، والمجلسي في البحار ٣٥: ١٨٣، باب ٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٥ .

(٤) النجم: ٣.

القطعي الذي ذكرنا وجوده في مواضع متعددة لو كان نبيّهم من ساعة بعثته إلى حين وفاته يكرر دائماً «عليّ خليفتي عليّ خليفتي» ما كانوا يقبلونه.

وقد احتجّ اميرالمؤمنين عليه السلام في زمان خلافته وبسط يده بنصوص يوم الغدير، وآستشهد جمعاً لم يكن لهم ادّعاء في قباله. فأنكره كثير منهم حتّى دعا عليهم. روى ابن الأثير في أُسد الغابة في عبدالرحمن بن مدلج مسنداً عن أبي إسحاق حدّثه جمع لا يحصيهم أنّ علياً عليه السلام نشد الناس في الرحبة من سمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقام نفر فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكتم قوم. فما خرجوا من الدنيا حتى عموا، وأصابتهم آفة، منهم يزيد بن وديعة، وعبدالرحمن بن مدلج[1].

وفي (معارف ابن قتيبة): أن أنس بن مالك كان بوجهه برص، وذكر قوم أنّ علياً عليه السلام سأله عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقال: كبرت سنّي، ونسيت فقال له علي عليه السلام: «إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة»[2].

فكيف يحتجّ في زمن مقهوريته في قبال من يريد حيازة مقامه بالنص عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا ردّوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه فلابدّ أن يحتجّ في قبال ادّعائهم بكونهم من قومه بكونه من عترته وبمنزلة نفسه.

وقد قال عليه السلام في هذه الخطبة بالرواية الّتي نقلنا أنّ قريشاً لو استطاعوا إنكار قرابته كما أنكروا سببه من سوابقه وفضائله، وما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه مقاماً بعد مقام، لفعلوا.

---

(١) أُسد الغابة ٣: ٣٢١.

(٢) المعارف: ٥٨٠.

أو ليس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عقد الاخوّة بين كل نفرين من أصحابه لم يعقد بينه وبين أحد وقال له: «تركتك لنفسي»[١] وثبت في المتواتر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له عليه السلام في مقامات مختلفة: «أنت أخي»[٢] وقد أنكر ذلك فاروقهم مكابرة. ففي (خلفاء ابن قتيبة) في أخذ البيعة منه عليه السلام لأبي‌بكر: أخرج عمر ومعه قوم علياً فمضوا به إلى أبي‌بكر. فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل فمه. قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبدالله، وأخا رسوله. قال عمر: «أمّا عبدالله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا»[٣].

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «ولكن قد يسبق إلى النفوس والعقول أنّه قد كان هناك تعريض وتلويح، وكناية وقول غير صريح»[٤] فالأصل فيه فاروقهم أيضاً فروى الخطيب عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته، وقد اُلقي له صاع من تمر على خصفة. فدعاني إلى الأكل. فأكلت تمرة واحدة. وأقبل يأكل حتّى أتى عليه ثم شرب من جرّ كان عنده واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله، يكرّر ذلك. ثم قال: من أين جئت يا عبدالله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلّفت ابن عمك ـ فظننته يعني عبدالله بن جعفر ـ قلت: خلّفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعنِ ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبدالله! عليك دماء البدن إن كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم انّ النبيّ نصّ عليه. قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه.

---

(١) أخرجه ابو يعلي في مسنده، عنه منتخب كنز العمال ٥: ٤٥، واحمد في فضائله، عنه تذكرة الخواص: ٢٠، وغيرهما.

(٢) جاء هذا المعنى ضمن حديث يوم الدار وحديث المؤاخاة وموارد اُخر جاء تخريجه في مواضعه.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٣، والنقل بتصرف يسير.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٥ .

فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من النبيّ ﷺ في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً مّا، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه. فمنعت من ذلك إشفاقاً، وحيطة على الاسلام. لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها فعلم النبيّ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم[1].

فيقال لفاروقهم في قوله «لقد كان من النبيّ في امره ذرو من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً»: لو لم يكن من النبيّ ﷺ قول فيه عليه السلام إلّا قوله يوم خيبر لمّا ولّيت أنت وصاحبك الدبر وانهزمتما من اليهود، وصرتما عاراً على المسلمين: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه»[2]؛ لكفى في إتمام الحجّة في خلافته، وكشف الحقيقة في كونك مع صاحبك غير محبّين لله ولرسوله، وعدم حبّ الله ورسوله لكما وكونكما فرّارَين غير كرّارَين.

وأمّا قوله «أراد (النبيّ) في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الاسلام» فهل كان أشفق على الاسلام من النبيّ ﷺ ولعمر الله إنّه أشفق على عدم نيله ونيل صاحبه الرياسة لو نصّ النبيّ ﷺ على اميرالمؤمنين بالكتابة لعدم تأتّي إنكاره لنصّه الكتابى كإنكاره لنصوصه الشفاهية في يوم غدير وغيره.

وتعالوا أسمعوا الغرائب. يقول النبيّ ﷺ: «إيتوني بدواة وقلم أكتب لكم ما لن تضلّوا بعدي أبدا» ويقول فاروقهم: إنّه ليهجر. انّي

(١) رواه عن الخطيب ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٩٧، شرح الخطبة ٢٢٦.

(٢) حديث الراية أخرجه جماعة منهم مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧١ ح ٣٢، والترمذي في سننه ٥: ٦٣٨ ح ٣٧٢٤، وابن ماجه في سننه ١: ٤٥ ح ١٢١.

أُشفق على الاسلام من وصيته[١].

وأمّا قوله: «لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً» فيقال له: عدم اجتماع قريش أعداء الله وأعداء دينه لم يكن يضرّه، ولم يجتمع قريش على النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا بعد مقهوريتهم.

وأمّا قوله: «ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها» فيقال له: إنّا رأينا أنّه عليه السلام وليها ولم ينتقض عليه العرب من قطر، وإنّما انتقض عليه قريش طلحة والزبير من قطر، ومعاوية من قطر بتدبيرك لهم في جعل الشورى، وجعل طلحة والزبير منهم، وابن عوف حكمهم حتّى يصير الأمر بتوسطه إلى عثمان، ومن عثمان إلى بني أُميّة، وحتّى يعدّ طلحة والزبير نفسيهما في قباله، ولو لم تقم أنت وصاحبك بما قمت بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من مساعدة قريش، وصار الأمر إليه عليه السلام أوّلاً لاجتمع عليه قريش قهراً كما اجتمعوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كذلك أخيراً، والأصل في ضغن قريش لأميرالمؤمنين عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه فعل ما فعل معهم من قبله.

وأما قوله «فأمسك (النبيّ)» فأتى بالإجمال، وإلّا فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غضب، وأخرجهم من عنده وقال: لا ينبغي التنازع عندي.

ويقول تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ﴾[٢] ويردّ فاروقهم قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويجعلون قول فاروقهم فوق قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا قوله: «وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم» فمغالطة. فإلقاء إبراهيم عليه السلام في النار وذبح يحيى كان ممّا حتم. فهل ذلك عذر لفاعلي ذلك.

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «ولعلّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصدّه عن التصريح بذلك

---

(١) هذا الحديث أخرجه جمع منهم البخاري في صحيحه ١: ٣٢ و٤: ٧ و٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢.

(٢) الحجرات: ٢.

أمر يعلمه» فكلام وقيح. فلو كانت نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم عليه عليه السلام قولاً وعملاً قالبا حسيّا لملأت بين السماء والأرض، ولو جمع منها ما نقله نفسه في مطاوي شرحه لصار كتاباً متعارفاً.

مع أنّه لو فرض كون أميرالمؤمنين عليه السلام مثل باقي أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن له ذلك العلم ولا العمل، ولا تلك العصمة كان نصب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له في الحكمة واجباً لئلا ينتقم منه ما فعل من قبله في أيّامه فقال ابن أبي الحديد نفسه قرأت خبر سقيفة الجوهري المشتمل على أنّ الحباب بن المنذر قال لقريش «منّا أمير ومنكم أمير انّا لا ننفس هذا الأمر عليكم، ولكن نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم على النقيب»، فقال: لقد صدقت فراسة الحباب[1]، وأنّ الّذي خافه يوم الحرة واخذ من الانصار ثار المشركين يوم بدر، ومن هذا خاف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ايضا على ذريته وأهله. فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان وتر الناس وعلم أنّه إن مات وترك ابنته وولدها سوقة ورعية تحت أيدي الولاة كانوا بعرض خطر عظيم. فما زال يقرّر لابن عمّه قاعدة الأمر بعده حفظاً لدمه ودماء أهل بيته. فانّهم إذا كانوا ولاة الأمر كانت دماؤهم أقرب إلى الصيانة والعصمة ممّا إذا كانوا سوقة تحت يد والٍ من غيرهم فلم يساعده القضاء والقدر، وكان من الأمر ما كان. ثم أفضى ذرّيته في ما بعد إلى ما قد علمت.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً بعد العنوان الأوّل: «فأمّا امتناع عليّ عليه السلام من البيعة حتّى أُخرج على الوجه الّذي أُخرج عليه. فقد ذكره المحدّثون، ورواه أهل السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث من الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة. فأمّا

---

(١) قاله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٣٣، والحديث في سقيفة الجوهري: ٥٧.

الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنّه ضربها بالسوط. فصار في عضدها كالدملج، وبقي أثره إلى أن ماتت، وأنّ عمر ضغطها بين الباب والجدار. فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله، وألقت جنيناً ميتاً، وجعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به، وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه الحسن والحسين معهما يبكيان، وانّ علياً عليه السلام لما أُحضر سلموه البيعة. فامتنع فتهدّد بالقتل. فقال: إذن تقتلون عبدالله، وأخا رسول الله. فقالوا أما عبدالله فنعم، وأما أخو الرسول فلا، وانّه طعن في أوجههم بالنفاق، وستر صحيفة الغدر الّتي اجتمعوا عليها، وبأنّهم أرادوا أن ينفروا ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة. فكلّه لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وانّما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله[1].

قلت: عدم نقل العامة جميع ما نقله الشيعة ليس بدليل على عدم صحة ما تفرّدوا به مع انّ ما شاركوهم فيه يكفي في كون أئمّتهم جبابرة.

مع أنّ ما نسبه إلى تفرد الشيعة به ليس كذلك. فالنظّام أُستاد الجاحظ من شيوخ المعتزلة قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان عمر يصيح أحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[2].

وعامّة العامة رووا حلف عمر إحراق أهل البيت لو لم يخرج عليّ للبيعة فخرج وتصميمه كان كالعمل. فكان يحرقهم لو لم يكن خرج أميرالمؤمنين[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٥.

(٢) نقله الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٥٩.

(٣) حديث الاحراق رواه الجوهري في السقيفة: ٣٨ و٥٠ و٧١، والطبري في تاريخه ٢: ٤٤٣، سنة ١١، وغيرهما.

وفي (المروج): كان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبدالله بن الزبير اذا جرى ذكر بني هاشم، وحصره ايّاهم في الشعب، وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ويقول: انّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته، كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف[١].

واما تهديد هم له عليه السلام بالقتل وقوله عليه السلام «اذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله» فقد عرفت أنّ ابن قتيبة منهم رواه، وكتاب معاوية إليه عليه السلام «وكنت تقاد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش»[٢] من رواياتهم معروف.

ولو لم يكن أمر الصحيفة، وليلة العقبة صحيحاً لما تخلّفوا عن جيش أُسامة مع تأكيداته بتجهيزه حتّى لعن المتخلّف عنه، ولما منعوه عن الوصيّة، ونسبوا إليه الهجر.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً بعد العنوان الثاني: «واَعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله: «ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله حتّى يوم الناس هذا»، وقوله عليه السلام: اللهم اَجز قريشاً فانها منعتني حقي وغصبتني أمري، وقوله فجزى قريشاً عني الجوازي فانّهم ظلموني حقّي واغتصبوني سلطان ابن أُمّي، وقوله عليه السلام: وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم فقال هلمّ فلنصرخ معاً فإنّي مازلت مظلوماً، وقوله عليه السلام: وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، وقوله عليه السلام: أرى تراثي نهبا، وقوله عليه السلام أصغيا بإنائنا وحملا الناس على رقابنا»، وقوله: إنّ لنا حقّاً إن نُعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، وإنْ طال السرى ،وقوله عليه السلام: مازلت مستأثراً عليّ

(١) مروج الذهب ٣: ٧٧.

(٢) رواه بفرق يسير ابن مزاحم في وقعة صفين: ٨٧، والشريف الرضي في نهج البلاغة ٣: ٤٥٧، الكتاب ٢٨، وابن أبي الحديد ٣: ٤٥٧، شرح الكتاب ٢٨.

مدفوعاً عمّا أستحقّه وأستوجبه.

وأصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه الأمر بالأفضلية والأحقيّة، وهو الحق والصواب. فإنّ حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار، ولكنّ الإمامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها وارتكبوا بها مركباً صعباً، ولعمري إنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم لكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظن، ويدرأ ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على الباري تعالى فإنا لا نعمل بها ولا نعوّل على ظواهرها، لأنا لمّا تصفّحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وان تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب[١].

قلت: الكبرى صحيحة في اقتضاء أدلّة العقول العدول عن ظاهر الآيات المتشابهات كقوله تعالى ﴿يدالله فوق أيديهم﴾[٢] لكنّ الكلام في كون أقواله عليه السلام في ظلم المتقدّمين عليه إيّاه صغرى لها، ومن أين أنّها ليست كآيات محكمات أنكر الله تعالى فيها على من جعل الأصنام شريكة له تعالى ومقرّبة إليه جل وعلا. وقد قال معزّالدولة الديلمي لشيخنا الصدوق محمّد بن علي بن بابويه، لم لا يمكن الجمع بين أميرالمؤمنين عليه السلام والثلاثة؟ قال له: كما لا يمكن الجمع بين الله تعالى والأصنام[٣].

وكيف يتاوّل قوله عليه السلام «والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لقد عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اليّ انّ الأمّة ستغدر بك من بعدي»[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٦.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) رواه التستري في مجالس المؤمنين: ١٩٧، المجلس ٥، والنقل بالمعنى والملك هو ركن الدولة لا معزالدولة.

(٤) أخرجه المفيد في الجمل: ٩٢، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و١٤٢، وغيرهما.

وما يفعل بآيات الله تعالى في تقدمه عليه السلام الّتي احال عزّ وجلّ فيها إلى العقل كقوله جلّ ثناؤه: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكر أولوا الألباب﴾(١).

وقوله عزّ اسمه: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يَهِدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾(٣) وقد كان عليه السلام مؤمناً بالاجماع وقد كان ثالثهم وقت قتله فاسقاً بإجماع المسلمين، واما الأُموية واتباعهم فلم يكونوا من المسلمين.

وبالجملة فإنّ الجمع بين الثلاثة وبينه عليه السلام كما تدّعيه العامّة المتسمّون بالسنة كالجمع بين الضدين والقول بالمتناقضين، ولعمر الله لقد انصف إسماعيل الحنبلي في ما نقل عنه ابن أبي الحديد بعد ما مرّ فقال: «وحدّثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية ساكن قطفتا بالجانب الغربي من بغداد، وأحد الشهود المعدلين بها، قال: كنت حاضراً عند الفخر إسماعيل بن علي الفقيه المعروف بغلام ابن المتي ـ وكان إسماعيل هذا مقدّم الحنابلة في الفقه والخلاف، ويشتغل بشيء في علم المنطق، وكان حلو العبارة، وقد رأيته أنا وحضرت عنده وسمعت كلامه. توفي سنة (٦١٠) ونحن عنده نتحدّث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة. فانحدر إليه يطالبه، واتّفق ان حضرت زيارة الغدير، وهو بالكوفة يجتمع بمشهده عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة يجاوز حدّ الإحصاء قال ابن

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) السجدة: ١٨.

عالية: فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص ما فعلت وما رأيت، وذلك الشخص يجاوبه حتّى قال له: يا سيّدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر عليّ بن أبي طالب من الفضائل والأقوال الشنيعة وسبّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة فقال إسماعيل أيّ ذنب لهم والله ما جرّأهم على ذلك، ولا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر. فقال الرجل: ومن صاحب ذاك القبر؟ قال: عليّ بن أبي طالب قال: يا سيّدي هو الّذي سنّ لهم ذلك، وعلّمهم ايّاه وطرقهم إليه. قال: نعم والله قال: يا سيّدي فان كان محقّاً فمالنا نتولّى فلاناً وفلاناً، وان كان مبطلاً فمالنا نتولّاه. ينبغي أن نبرأ منهما قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نعليه وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ـ ودخل دار حرمه وقمنا فانصرفنا»[1].

وروى الثقفي، عن محمّد بن يحيى، عن يحيى بن حماد القطان، عن أبي محمّد الحضرمي، عن أبي علي الهمداني أنّ عبدالرحمن بن أبي ليلى قام إلى عليّ عليه السلام فقال: إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا، أكان بعهد من النبيّ صلى الله عليه وآله أو بشيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما سمعناه من فيك. إنّا كنّا نقول: لو رجعت اليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحداً، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول؟ أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك، فعلام نصبك النبيّ صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع، فقال: «أيّها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ وإن تك أولى منهم فعلام نتولّاهم؟ فقال عليه السلام «إنّ الله تعالى قبض نبيّه، وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي» ـإلى أن قال ـ فقال ابن أبي ليلى: فأنت

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧٦، شرح الخطبة ١٧٠، والنقل بتصرف يسير.

يا أميرالمؤمنين لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان[١]

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: «قلت ليحيى بن زيد النقيب: إنّي لأعجب من عليّ عليه السلام كيف بقي تلك المدّة الطويلة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومافُتِكَ به مع تلظّي الأكباد عليه! فقال: إنّه أخمل نفسه، وآشتغل بالعبادة والصلاة، والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزيّ الأوّل، وذاك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب، ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، فلمّا أطاع القوم الّذين ولوا الأمر تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم إلّا بمواطاة من متولّي الأمر، وباطن في السرّ منه، فلمّا لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله، وقع الامساك عنه، ولو لا ذلك لقتل. ثم الأجل بعدُ، معقل حصين. فقلت له: أحقّ ما يقال في حديث خالد؟ فقال: إنّ قوماً من العلوية يذكرون ذلك وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن هذيل (صاحب أبيحنيفة) فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم نحو الكلام والفعل الكثير؛ فقال: إنّه جائز، قد قال أبوبكر في تشهده ما قال. فقال الرجل: وما الّذي قاله أبوبكر؟ قال: لا عليك. فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة. فقال: أخرجوه اخرجوه قد كنت أُحدّث أنّه من أصحاب أبي الخطاب[٢].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً بعد العنوان الثالث بعد ذكر تظلّماته عليه السلام:

«وكلّ هذا إذا تأمّله المصنف علم أنّ الشيعة أصابت في أمر، وأخطات في أمر، أمّا الّذي أصابت أنه عليه السلام امتنع وتلكّأ وأراد الأمر لنفسه، وأمّا الّذي أخطأت أنّه

---

(١) رواه عن الثقفي المفيد في أماليه: ٢٣٣ ح ٢، المجلس ٢٦، والنقل بتلخيص، وسند الثقفي عن المسعودي عن محمد بن كثير عن يحيى بن حماد القطان.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٨٧، شرح الخطبة ٢٣٨.

كان منصوصاً عليه نصّاً جليّاً بالخلافة تعلمه الصحابة كلّها أو أكثرها، وأنّ ذلك النصّ خولف طلباً للرياسة الدنيوية، وإيثاراً للعاجلة، وأنّ حال المخالفين للنصّ لا تعدو أحد أمرين إمّا الكفر أو الفسق فإنّ قرائن الأحوال لا تدلّ على ذلك بل على خلافه، وهذا يقتضي أنه عليه السلام كان في مبتدأ الأمر يظنّ أن العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة، وأنه لم يقصد به إلّا صرف الأمر عنه والاستيثار عليه؛ فظهر منه ما ظهر من الامتناع، والقعود في بيته إلى أن صحّ عنده وثبت في نفسه أنّهم أصابوا في ما فعلوه، وأنّهم لم يميلوا إلى هوىً، ولا أرادوا الدنيا، وانّما فعلوا الأصلح في ظنونهم، لأنّه رأى من بغض الناس له، وأنحرافهم عنه وميلهم عليه، وثوران الأحقاد الّتي كانت في أنفسهم، واحتدام النيران الّتي كانت في قلوبهم، والترات الّتي وترهم في ما قبل بها، والدماء الّتي سفكها منهم وأراقها، وتعلّل طائفة أُخرى منهم للعدول بصغر سنّه، واستهجانهم تقديم الشبّان على الكهول والشيوخ، وتعلّل طائفة أُخرى بكراهة الجمع بين النبوّة والخلافة في بيت واحد فيتكبّرون على الناس كما قاله من قاله، واستصعاب قوم منهم شكيمته، وخوفهم شدّته، وعلمهم بأنّه لا يحابي ولا يراقب في الدين، وانّ الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه، ويعمل بموجب استصلاحه، وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الّذي كان عندهم له في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بشدّة اختصاصه له وتعظيمه ايّاه، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالّة على رفعة شأنه، وعلوّ مكانه، وما اختصّ به من مصاهرته وأُخوّته، ونحو ذلك من أحواله معه، وتنكّر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب والتيه كما زعموا، واحتقاره العرب واستصغاره الناس كما عدّدوه عليه، وان كانوا عندنا كاذبين، ولكنه قول قيل وأُمر ذكر، وحال نسبت إليه، وأعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا نحو قوله «فإنّا صنائع ربّنا،

والناس بعد صنائع لنا» ما صحّ به انّ الأمر لم يكن ليستقيم له يوماً واحداً، ولا ينتظم ولا يستمر، وانّه لو ولي الأمر لفتقت العرب عليه فتقاً يكون فيه استيصال شافة الاسلام، وهدم أركانه فأذعن بالبيعة، وجنح إلى الطاعة، وأمسك عن طلب الإمرة، وإن كان على مضض ورمض.

وقد روي عنه عليه السلام انّ فاطمة عليها السلام حرّضته يوماً على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» فقال لها: أيسُرّك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا. قال: فإنه ما أقول لك.

وهذا المذهب أقصد المذاهب، وعليه متأخرو بغداديي أصحابنا وبه نقول.

واعلم أنّ حال عليّ عليه السلام في هذا المعنى أشهر من أن تحتاج في الدلالة عليها إلى الاطناب. فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بخمس وعشرين سنة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وفي دون هذه المدّة تنسى الاحقاد وتموت الترات، وتبرد الأكباد الحامية، وتسلو القلوب الواجدة، ويعدم قرن من الناس، ويوجد قرن ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء إلّا الأقل. فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنّها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم من إظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب، حتّى انّ الاخلاف من قريش، والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه، وفتكاته في اسلافهم وآبائهم، فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شأوه. فكيف كانت حاله لو جلس على منبر الخلافة، وسيفه يقطر دماً من مهج العرب. لا سيما من قريش الذين كان ينبغي لو دهمه خطب أن يعتضد بهم، وعليهم كان يجب أن يعتمد، إذن كانت تدرس اعلام الملّة، وتعفى رسوم الشريعة، وتعود الجاهلية الجهلاء إلى حالها

ويفسد ما أصلحه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد. فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن ألهم الصحابة ما فعلوه ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[1].

قلت: ونزيد هنا على ما تقدم في إنكاره النص الواضح في قوله «وامّا الّذي أخطأت الشيعة أنّه كان منصوصاً عليه نصّاً جليا -إلى قوله- بل تدلّ القرائن على خلافه»[2] بأنّ الواجب من النصّ ما يتمّ به الحجّة. فأخبر جلّ وعلا ان نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم كان مكتوباً عند أهل الكتاب في توراتهم وإنجيلهم، ونعلم قطعاً انّه لم يكن مكتوباً كتباً واضحاً بحيث لا يمكن إنكاره بدليل أنّ أهل الكتاب ينكرون ذلك ولو كانوا لا ينكرونه لأسلموا وما بقوا على دينهم.

ولو كان الوضوح بتلك المثابة شرطاً؛ فليضرب على كثير مما قامت عليه البراهين القطعية. فإنّ وجود الصانع للعالم أوضح من الشمس عند العقل مع انكار الدهريّين له.

وليس الشرط في الدليل على شيء أن يكون كما ذكر بسنة الله تعالى، وإلّا لجسّم نفسه حتّى يشاهده الكل، ولا يبقى غير موحد، ويُنزل الملائكة من السماء ويجعل الموتى يكلّمهم، ويحشر عليهم كلّ شيء قبلاً بحقيّة دين الاسلام، ولو كان فعل ذلك لسقط البلاء الّذي يبلو به تعالى عباده، وصارت الدنيا كالآخرة في الاضطرار إلى الإقرار به تعالى، وبأنبيائه ورسله وما جاءوا به من عنده، ولم يبق فرق حينئذٍ بين سلمان وأبي جهل.

مع أنّه لو لم يكونوا لبسوا؛ كانت النصوص عليه عليه السلام بذاك الوضوح، حيث دل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليه عليه السلام من مبدأ أمره في إنذار عشيرته إلى منتهاه،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٨، شرح الخطبة ٢١٥، والنقل بتصرف يسير. والآية ٨ من سورة الصف.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٨.

ومن مبعثه إلى احتضاره في ارادته صلى الله عليه وآله وسلم تسجيل خلافته عليه السلام في كتاب وصيته فصدّوه عنه، ولا سيّما في الغدير الّذي صنّفت الخاصّة والعامّة مجلّدات في طرق خبره.

ويوضح ما قلنا من تلبيسهم الواضح الّذي لا مرية فيه أصلا: قياس مراجعة الانسان عصره في تلبيس الملوك وأرباب الدنيا أموراً محسوسة يشهدها آلاف من الناس على العامة، وخوف الخواصّ من التكلم: على ذاك العصر.

وأمّا قوله: «وهذا يقتضي أنه عليه السلام كان في مبتدأ الأمر يظن أنّ العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة -إلى قوله- إلى أن صحّ عنده أنّهم أصابوا» فممّا كان يضحك الثكلى. أكان باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلم الأصلح للإسلام ويعلمه من كان لم يعرف معنى الأبّ، ومن لم يعرف ما يعرف ربّات الحجول من أمر الصداق؟

وليست هذه الأقوال من إخواننا بعجب في جعل الرجلين أعرف بمصالح الإسلام ممّن كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن[1]. ألم يقولوا إنّهما كانا أعرف بمصالح الاسلام من نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنّه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهما بالتجهّز في جيش أسامة، وأكّد وشدّد حتّى لعن المتخلّف، ومع ذلك تخلّفا وقالا: كيف نتجهّز والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شديد مرضه، وأراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الوصيّة؛ فلم ير فاروقهم ذلك صلاحاً، وجعل كلامه هجراً.

والأصل في الاعتذار الّذي قال أعداء أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كأبي‌عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي‌سفيان، ونظرائهما. ففي (خلفاء ابن قتيبة): «أنّ علياً لمّا قال لأهل السقيفة: «نحن أولى برسول الله حياً وميّتاً انصفونا إن كنتم

---

(١) بالنظر الى قوله تعالى ﴿انفسنا وانفسكم﴾ آل عمران: ٦١.

تؤمنون وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون» فقال له عمر: لست متروكاً حتّى تبايع. قال له أبو عبيدة بن الجراح: يا أباالحسن إنّك حديث السنّ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبابكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً» ـ الخ[١].

وفي (مقاتل أبي‌الفرج) وغيره أنّ الحسن عليه السلام بعد قيامه بعد أبيه عليه السلام لما كتب إلى معاوية «فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كتب معاوية إليه «والحال في ما بيني وبينك اليوم مثل الحال الّتي كنتم عليها أنتم وأبوبكر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولو علمت أنّك أضبط منّي للرعيّة، وأحوط على هذه الأمّة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو؛ لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً. ولكنّي قد علمت أنّي أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الامة تجربة، وأكثر منك سياسة»[٢].

وحينئذٍ فليقل: إنّ خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إن كانت سلطنة دنيوية محضة كما ادّعاه فاروقهم. فقال لصدّيقهم: «إنّ النبيّ رضيك في صلاتك بنا لأمر ديننا أفلا نرضاك لدنيانا بأن نبايعك ونولّيك خلافته»[٣] ولازمه كون أصل النبوة أيضاً كذلك كما صرّح به خالهم للمغيرة في تأسّفه من عدم استطاعته رفع اسم ذاك الرجل الهاشمي: أي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من المأذنات، وابنه في قوله: لعبت هاشم بالملك كان الأمر كما قال الشارح من كون تصدّى أبي‌بكر للأمر

(١) الإمامة والسياسة ١: ١١، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه أبوالفرج في المقاتل: ٣٥ و٣٧، والمدائني، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩، شرح الكتاب ٣١.

(٣) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٢٣، شرح الخطبة ٢٦، والنقل بالمعنى.

أصلح، وكان خلافة عن رسول ربّ العالمين في ما يفعل، ويقول كما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام في جواب أبي‌عبيدة عن كلامه المتقدّم: «نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القاري لكتاب الله. الفقيه في دين الله. العالم بسنن رسول الله. المضطلع بأمر الرعيّة. الدافع عنهم الأُمور السيّئة. القاسم بينهم بالسويّة. والله انّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله. فتزدادوا من الحق بعداً» فكلامه كما ترى.

ومن المضحك قول الشارح: إلى أن صحّ عنده وثبت في نفسه أنّهم أصابوا في ما فعلوه ـ إلى قوله: ـ فأذعن بالبيعة ـ الخ. فهل كانت شكايته عليه السلام يوم السقيفة فقط، مع أنّ من المتواتر شكايته عليه السلام منهم إلى آخر عمره.

وفي خطبته لمّا سألوه عن رأيه في أبي‌بكر وعمر بعد فتح معاوية لمصر في جملة كلامه عليه السلام في ذكر يوم الشورى: «فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي، لأنّهم كانوا يسمعونني وأنا أُحاجّ ابابكر فأقول: «يا معشر قريش أنا أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرأ القرآن، ويعرف السنّة» فخشوا أن وُلّيت عليهم ألّا يكون لهم في هذا الأُمر نصيب. فبايعوا إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمر عنّي لعثمان. فأخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها» ـ الخ[1].

فإنّه صريح في أنّه عليه السلام في ذاك الوقت الّذي كان قرب وفاته كان معتقداً أنّ الخلافة لغيره، وغير أهل بيته غير صحيحة، وانّ الخلافة ليست بجعل جاعل، وإنّما هي كالنبوة أمر من قبل الله تعالى.

وهو عقيدة أهل بيته أهل بيت العصمة والطهارة ففي كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية وقد رواه أبو الفرج: «فلمّا صرنا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأولياؤه

(١) الإمامة والسياسة ١: ٣٠٧، وغيره.

إلى محاجّتهم، وطلب النصف منهم؛ باعدونا وآستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير. وقد تعجّبنا لتوثُّب المتوثّبين علينا في حقّنا، وسلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم ...»[1].

ومثله كتب الحسين عليه السلام من مكة إلى أهل البصرة في ما رواه الطبري[2]، وقد هدّد معاوية الحسن عليه السلام باظهاره عقيدته عند العوام. فكتب إليه: «رأيتك صرّحت في كتابك بتهمة أبي بكر الصّديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين وحواري النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وصلحاء المهاجرين، والأنصار فكرهت ذلك لك. فإنّك أمرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ولا المسيء ولا اللئيم، وأنا أحبّ لك القول السديد والذكر الجميل...»[3].

وإخواننا أخذوا دينهم عن معاوية. فكتب إلى الحسن عليه السلام في كتابه ذاك «انّ هذه الأُمّة لمّا اختلفت بعد نبيّها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم ولا قرابتكم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا مكانتكم في الاسلام وأهله، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار، وغيرهم من سائر الناس، وعامّتهم أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله وأحبّها له، وأقواها على أمر الله واختاروا أبابكر، وكان ذلك رأي ذوى الحجى والدين والفضيلة، والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتّهمين، ولا في ما أتوا بمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم المسلمين ذبّه، ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه

(١) رواه أبو الفرج في المقاتل: ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٦، سنة ٦٠.

(٣) رواه أبوالفرج في المقاتل: ٣٦.

صلاحاً للاسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيراً»[١].

قال معاوية في قبال دفع ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي شهد الله تعالى بعصمته، وصرّح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بكونه سيّد شباب أهل الجنّة عن مقامه الّذي جعله الله تعالى له؛ أنّ صلحاء الناس اختاروا أبابكر لكونه أقدمهم سلماً، وأعلمهم بالله وأقواهم. لكن لمّا أراد استخلاف ابنه يزيد، وادّعى عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير أنّهما أحق قال: «انّما كان هذا الأمر لبني عبدمناف لأنّهم أهل رسول الله فلمّا مضى رسول الله ولّى الناس أبابكر وعمر من غير معدن الخلافة والملك غير أنّهما سارا بسيرة جميلة. ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف. فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة، وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها»[٢] فان كان كلام معاوية حجّة لهم فلم اقتصروا على كلامه الأوّل.

مع أنّ قوله عليه السلام الأوّل دالّ على بقاء أهل البيت على إنكارهم إلى الأبد وأمّا بيعته عليه السلام أخيراً بعد إتمام الحجّة واستقرار الملك؛ فلئلّا يقتل كما قتل سعد بن عبادة، كما انّه عليه السلام لم يتكلّم ايّام قيام عمر لئلّا يقتل، وانّما استطاع أن يتكلّم يوم الشورى فتكلّم.

ولقد أغرب في تعليلاته في قوله: «لأنّه رأى من بغض الناس له» ـ إلى آخر ما عدّد، فهل ما عدّد أمور يصحّح خلافة المتقدّمين أو يبطلها فإنّما هي أسباب لدفعهم له عليه السلام عن حقّ جعله الله تعالى له، فإذا كان ذلك مصحّحاً لخلافة المتقدّمين عليه كان قتل يحيى بن زكريا لكونه ينهى الملك الباغي عن البغاء صحيحاً. فإنّه خلط بين سبب وقوع شيء، وسبب جوازه وصحّته.

---

(١) رواه أبوالفرج في المقاتل: ٣٦.

(٢) مناظرة ابن الزبير ومعاوية رواها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤: ٨٨، بتفصيل وغيره.

كما أنّ قوله عليه السلام: «إنّا صنائع ربّنا، والناس بعدُ صنائع لنا» لم يكن سبباً لتأخيره بل لتقديمه ـ فهو بنص القرآن كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[1] ومعلوم شموخ مكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الناس.

وأما قوله: «وانّه لو ولي الأمر لفتقت على العرب» وقوله: «فقد رأيت انتقاض العرب عليه العرب حين بويع بعد خمس وعشرين سنة...»، فمغالطة. فلو كان عليه السلام ولي لاتّفقت عليه الأمّة عربهم وعجمهم لكونه من بيت الرسالة. فقال لهم سلمان كما روى (سقيفة الجوهري): «لو جعلتموها في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغداً»[2].

وقال عبدالله بن جعفر لمعاوية لما قدم المدينة لأخذ البيعة ليزيد كما في (خلفاء ابن قتيبة): «وأيم الله لو ولّوه (أميرالمؤمنين عليه السلام) بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه ولأُطيع الرحمن، وعُصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان»[3].

وإنّما صار تصدّي أبي‌بكر للأمر سبباً لخروج من خرج وارتداد من ارتدّ، وقيام الأنصار، وغير ذلك كما صرّح به في تاريخ ابن أعثم الكوفي وغيره[4].

فالمناسب أن يقال للرجل: «إقلب تُصب»، بل نقول: لو كان عليه السلام وَلِيَ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لدانت له قريش وبنو أُميّة قهراً كما دانوا للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قهراً بعد فتحه لمكّة، والأصل في بغضهم له عليه السلام بغضهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. أفلم يقل ابن رئيس قريش وبني أُمية يزيد بن معاوية.

---

(١) بالنظر الى قوله تعالى ﴿انفسنا وانفسكم﴾ آل عمران: ٦١.

(٢) السقيفة: ٤٣، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٧٣.

(٤) هذا استنباط الشارح من كلام ابن أعثم في الفتوح ١: ٢ ـ ٧.

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل؟

وأمّا ما قاله «من انتشار الأمر عليه يوم قيامه» فإنّما كان سببه فاروقهم، ولم ينتقض عليه عرب ولا عجم، وإنّما انتقض عليه طلحة والزبير لجعل فاروقهم لهما قرينين له عليه السلام يوم الشورى مع مساعدة ابنة صدّيقهم لهما، وانتقض عليه معاوية لأنّ فاروقهم جعله والياً في عصره على جميع بلاد الشام، وفوّض الأمر إلى جميع بني أُميّة باسم عثمان.

مع أنّه لو كان الأمر كما قال من عدم صلاح تصدّيه عليه السلام للأمر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما لفّق؛ لم يكن تصدّيه عليه السلام بعد عثمان أيضاً صلاحاً، فَلِمَ جعلوه من خلفائهم، فلابدّ أن يصير إلى قول من عدَّ قيامه فتنة، وكفاهم بذلك خزياً.

وأما قوله: «فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافة، وسيفه بعدُ يقطر دماً من مهج العرب ـ إلى قوله ـ إذن كانت تدرسُ أعلام الملّة» فقد عرفت أنّه ليس كذلك لو لم يكن صدّيقهم وفاروقهم تواطئاً أوّلا مع أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فعصياه في الخروج في جيش اسامة، والمنع عن الوصية، وأخذ البيعة منه عليه السلام بإحراق بيته وأهل بيته فاطمة والحسنين، وضرب عنقه لو لم يخرج، ولم يبايع.

نعم لو كان عليه السلام قام مع تلك الكيفية بتواطئهما مع الطلقاء؛ لدرست أعلام الملّة، ولفسد ما أصلحه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمساعدته عليه السلام في ثلاث وعشرين سنة، فرضي عليه السلام بمسالمتهم لئلّا يضمحلّ الدّين، فخطب عليه السلام في أوّل خلافته وقال: «إنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن أهل بيته لا ينازعنا في سلطانه منازع، إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبيّنا منّا وولّوه غيرنا، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعودوا إلى الكفر؛ لكنّا

غيرنا ذلك ما استطعنا...»[١].

كما أنّ ابنه الحسين رضي بقتل نفسه، وأعزّته، وأسرحرمه وعترته بعدم المسالمة مع يزيد لئلّا يضمحلّ الدّين حسب اقتضاء وقته. فكان عليه‌السلام يقول: «لو لم يبق في الأرض ملجأً لي لم أُبايع يزيد، ولو بايعته فعلى الاسلام السلام»[٢].

وأمّا قول ابن أبي الحديد: «فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن ألهَمَ الصَّحابة ما فعلوه» فإنّي استحي عوضه من كلامه. فهل كان سبب حدوث هذه المذاهب الفاسدة، وصدور جنايات الجبابرة من الاموية والعباسية، وقتل أهل بيت الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالسيف والسم، وحبسهم، ونهبهم وأسرهم في كلّ عصر وتفصيلها مذكورة في مقاتل أبي‌الفرج الاصبهاني وشنائع أُخَر سوّدت وجه التاريخ إلّا ما فعل أُولئك الصحابة، وانّما أرادوا إطفاء نور الله بما فعلوا ولكنّ الحق ظهر وتبيّن بما تحمّل عليه‌السلام، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون.

ولو كان ابن أبي الحديد قال: «وكان من عقوبة الله لأُولئك الصحابة، وباقي الناس الّذين رضوا بفعلهم ولم ينكروا، أن ولّاهم الله أيام عثمان بني أُمية، فاتّخذوا دين الله دغلاً، وعباده خولاً، ومال الله دولاً، وولّاهم معاوية ويزيد، والمروانيّة وأن حرمهم من نعمة أهل بيت نبيّهم أهل بيت الرحمة إلّا أياماً معدودة في قيامه عليه‌السلام، وقد قال فيها: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر لسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألقيت حبلها على غاربها»[٣]ـ كان في محله.

---

(١) رواه المدائني، وعنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٠١، شرح الخطبة ٢٢، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) أقرب الألفاظ ما أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين ١: ١٨٨.

(٣) هذه فقرات من الخطبة الشقشقية رواها الشريف الرضيّ في نهج البلاغة ١: ٣٦، الخطبة ٣.

٢٠
الحكمة (٣١٧)

وقالَ له بعضُ اليهودِ: ما دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فيه فقالَ عليه السلام: **إِنَّما اخْتَلَفْنا عَنْهُ لا فِيهِ، وَلَكِنَّكُمْ ما جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ﴿إِجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.**

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى هذا العنوان على وجه آخر أنه قيل له عليه السلام: إختلفتم بعد نبيكم ولم يجفّ ماؤه يعني غسله، فقال: «وأنتم قلتم إجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة ولم يجفّ ماؤكم»[١].

قلت: والأصل في رواية المصنّف رواية الشعبي، وابن المسيب، قالا: جاء حبر من أحبار اليهود إلى عليّ عليه السلام فناظره فقطعه. فقال له: أنتم ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه. فقال عليه السلام: «إنّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم: إجعل لنا إلهاً». فأسلم اليهودي ـ ذكر ذلك (تذكرة سبط ابن الجوزي)[٢].

ورواه ابن شهر آشوب بوجه آخر. فقال في (مناقبه): قال له رأس الجالوت لم تلبثوا بعد نبيكم إلّا ثلاثين حتّى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف. فقال عليه السلام: وانتم لم تجفّ أقدامكم من ماء البحر حتّى قلتم لموسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة[٣].

ويمكن تعدد الواقعة ـ قول اليهودي «ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه» المختلفون في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل دفنه إنما كانوا الأنصار وقريش، والطعن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٨٩.

(٢) تذكرة الخواص: ١٦٢.

(٣) مناقب السروي ٢: ٤٦.

عليهم حيث نازعوه عليه السلام في حقّه دونه عليه السلام إلّا أنّ اليهودي وجّه الطعن على جميعهم بجامع كون الجميع أهل الاسلام، فأجابه عليه السلام بما أفحمه. فالكلام يختلف باختلاف المقام لمن عرف الخصام، فمعاوية الّذي كان أعدى عدوّ لبني‌هاشم كان يفتخر بهم في قبال الزبير بجامع كون أُميّة وهاشم من بني عبدمناف، ففي (العقد الفريد) ـ بعد ذكر بيان ابن الزبير مفاخر له عند معاوية مع حضور أبي‌عبدالله الحسين عليه السلام ـ:

فقال معاوية لابن الزبير: ويحك! كيف تصف نفسك بما وصفتها، ووالله مالك في القديم من رياسة، ولا في الحديث ـ أي الجديد ـ من سياسة، ولقد قُدْناك وسُدْناك قديماً وحديثاً لا تستطيع لذلك انكاراً، ولا عنه فراراً، وإنّ هؤلاء الخصوم ليعلمون أنّ قريشاً قد اجتمعت يوم الفجار على رياسة حرب بن أُمية، وإنّ أباك وأُسرته تحت رايته ان أمر أطاعوا، وإن قال أنصتوا، فأنزل فينا القيادة وعزّ الولاية «حتّى بعث الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم فانتخبه من خير خلفه من أُسرتي لا أُسرتك، وبني أبي لا بني أبيك، فجحدته قريش أشدّ الجحود، فما ساد قريشاً وقادهم إلّا أبوسفيان. فكانت الفئتان تلتقيان، ورئيس الهدى منّا، ورئيس الضلالة منّا. فمهديكم تحت راية مهدينا، وضالّكم تحت راية ضالّنا فنحن الأرباب وأنتم الأذناب. حتّى خلّص الله تعالى أباسفيان بفضله من عظيم شِرْكه، فكان في الجاهلية عظيماً شأنه، وفي الاسلام معروفاً مكانه، ولقد أُعطي يوم الفتح ما لم يُعط أحد، وإنّ منادي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم نادى: من دخل دار أبي‌سفيان فهو آمن. وأمّا جدّك لأُمك الصِّدّيق فبتصديق عبدمناف، سمّي صدّيقاً لا بتصديق عبدالعزّى ـ أي جدّه لأبيه ـ.

وأمّا ما ذكرت من جدّي المشدوخ ببدر، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه. فلو برزت إليه أنت ـ أي إن كنت قابلاً للبراز ـ وأبوك ما بارزوكم

ولا رأوكم لهم أكفاء، كما قد طلب ذلك غيركم ـ أي الأنصار ـ فلم يقبلوهم حتّى برز إليهم أكفاؤهم من بني أبيهم ـ أي أميرالمؤمنين عليه السلام وحمزة وعبيدة ـ فقضى الله منایاهم بأيديهم، فنحن قَتلنا، ونحن قُتلنا، وأما عمّتك أُم المؤمنين ـ يعني خديجة ـ فبنا شرفت، وسمّيت أمّ المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفّية ـ أي بنت عبدالمطلب أم أبيه ـ فهي أدنتك من الظلّ، ولولا هي لكنت ضاحياً، وأمّا ما ذكرت من زوج عمتك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وخال ابيك سيّد الشهداء ـ أي حمزة ـ ففخرهم وإرثهم لي دونك، ولا فخر لك فيهم، ولا إرث بينك وبينهم ـ أي لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة من بني عبدمناف الّذي كان معاوية منهم لا من أسد بن عبدالعزّى الّذي كان ابن الزبير منهم ـ.

وأما قولك: أنا عبدالله، وأنت معاوية. فقد علمت قريش أيّنا أجود في الإزَم وأحزم في القِدَم، وأمنع للحرم. لا والله ما أراك منتهياً حتّى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك. فقد طالبهم الذحول، وقدم إليهم الخيول، وخدعتم أُم المؤمنين ـ أي عائشة ـ ولم تراقبوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ مددتم على نسائكم السجوف، وأبرزتم زوجته للحتوف، ومقارعة السيوف، فلمّا ألتقى الجمعان نكص أبوك هارباً. فلم ينجه ذلك أن طحنه أبوالحسن بكلكله طحن الحصيد، بأيدي العبيد، وأما أنت فأفلتَّ بعد أن خمشتك براثنه، ونالتك مخالبه، وأيم الله ليقوّمنك بنوعبد مناف بثقافها، أو لتصبحن منها صباح أبيك بوادي السباع، وما كان أبوك المدهن خده، ولكنّه كما قال الشاعر:

تناول سرحان فريسة ضيغم ... فقضقضه بالكفّ منه وحطّما[1]

وإلّا فلو كان الخصام في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل دفنه من المتصّدين للأمر معه عليه السلام لكان اختلافهم أشدّ طعن عليهم، لأنهم تركوا جنازه نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) العقد الفريد ٤: ٨٨ والنقل بتصرف يسير.

وتكالبوا على طلب الإماره. ففي (خلفاء ابن قتيبة): بعث أبوبكر عمر إلى قوم تخلّفوا عن بيعته فجاء فناداهم، وهم في دار عليّ عليه السلام، فأبوا أن يخرجوا. فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: إنّ فيها فاطمة. فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج، ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها. فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم. تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً ـ الخ[١].

وروى المصنّف في (خصائصه) ـ في خبر ـ أنّ عليّاً عليه السلام انكبَّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في احتضاره فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا أخي! إنّ القوم سيشغلهم عنّي ما يريدون من عرض الدنيا، وهم عليه واردون، فلا يشغلك عنّي ما شغلهم فإنّما مثلك في الأمّة مثل الكعبة نصبها الله علماً وانّما يؤتى من كلّ فجّ عميق، ونادٍ سحيق، وإنّما أنت العلم علم الهدى، ونور الدين وهو نور الله. يا أخي والّذي بعثني بالحق لقد قدّمت إليهم بالوعيد، ولقد أخبرت رجلاً رجلاً منهم بما افترض الله عليهم من حقّك، وألزمهم من طاعتك، فكلّ أجاب اليك، وسلّم الأمر لك، وإنّي لأعرف خلاف قولهم. فإذا قبضت وفرغت من جميع ما وصيّتك به، وغيّبتني في قبري. فالزم بيتك، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله. ثم أمض ذلك على عزائمه وعلى ما أمرتك، وعليك بالصبر على ما ينزل بك منهم حتّى تقدم عليّ ـ الخبر[٢].

«فقال عليه السلام: **إنّما اختلفنا عنه لا فيه**» قال ابن أبي الحديد: ما أحسن

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢،والنقل بتصرف يسير.

(٢) خصائص الأئمة: ٤٣.

قوله عليه السلام اختلفنا عنه لا فيه، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوّة، بل في فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث[١].

قلت: الإمامة أيضاً من أصول الدين وانّما هي من فروع النبوّة بمعني أنّ الامام يعيّنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بوحي الله تعالى إليه لا الناس. قال جلّ وعلا: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[٢].

وقد عرفت اختلاف الكلام بالمقام، وأنّه عليه السلام أجاب جدلاً حيث إنّ ذاك اليهودي أدخله في المختلفين. فأجابه بما يسكته، وإلّا فاختلافهم إنّما كان عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الظاهر، وفيه في الباطن كما يلمّح إليه قوله ـجلّ وعلاـ ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[٣].

فقال أبو المقدام لأبي جعفر عليه السلام: إنّ العامة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله، وما كان الله تعالى ليفتن أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من بعده فقال أبو جعفر عليه السلام أو ما يقرؤون كتاب الله؟ أو ليس الله يقول: «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»[٤] فقلت: إنّهم يفسّرون هذا على وجه آخر. فقال: أو ليس قد أخبر الله عن الذين من قبلهم من الأُمم أنّهم اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات حيث قال: ﴿وآتينا عيسى بن مريم البيّنات ـإلى ـفمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[٥] ففي هذا ما يستدّل به على أنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قد اختلفوا من بعده

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٨٩.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣ و ٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) البقرة: ٢٥٣

فمنهم من آمن، ومنهم من كفر[١].

وفي خبر آخر عنه: كان الناس أهل ردّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ثلاثة المقداد وأبوذر وسلمان الفارسي ثم عرف الناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى، وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتّى جاءوا بأميرالمؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع، وذلك قول الله -عزّ وجلّ- ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم﴾[٢].

«ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة فقال انكم قوم تجهلون» أشار عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون* إنّ هؤلاء متبّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾[٣].

ومن الآية يرفع استبعاد المخالفين مخالفة الصحابة نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لو كان نصّ. فإنّ بني اسرائيل أُولئك كانوا أولاد أنبياء يعقوب، وإسحاق وإبراهيم وكانوا من أوّل عمرهم موحّدين وهم الذين قال عزّ وجلّ فيهم ولهم: ﴿يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنّي فضّلتكم على العالمين﴾[٤]. ومع ذلك مالوا إلى عبادة الأصنام والارتداد عن الدين مع حياة نبيّهم، وحضوره عندهم ساعة نجاتهم من عدوّهم، فكيف يستبعد ذلك من أُولئك الصحابة مع شيخوختهم في الكفر وعبادة الأصنام، وبغضهم لوصيه لثارات لهم عنده، ومعاضدة المنافقين ومن أسلم كرهاً لهم، وبعد موت نبيّهم.

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٧٠، ح ٣٩٨.

(٢) أخرجه الكشي في معرفة الرجال، اختياره: ٦، ح ١٢. والآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

(٣) الاعراف: ١٣٨ و ١٣٩.

(٤) البقرة: ٤٧.

ثم لم يرتدع بنو إسرائيل بردع نبيّهم لهم، وقوله لهم ﴿إنكم قوم تجهلون* انّ هؤلاء متبرّ ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون﴾(١) لكونهم أُشربوا في قلوبهم العجل حتّى عبدوا العجل وكفروا.

ولمّا نهاهم هارون عن ذلك أرادوا قتله. قال تعالى: ﴿واتّخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار ـإلى ـ قال ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾(٢) فكيف يستبعد إخواننا وقوع الارتداد من أُولئك الصحابه الذين عرفت وصفهم بعد وفاة نبيّهم، وقد ارتدّ أولاد الأنبياء أُولئك الذين عرفتَ وصفهم بغيبة نبيّهم عنهم ساعات.

وقد أشار إلى ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا أحضروه للبيعة قال ابن قتيبة في (خلفائه): «أتى عمر ومعه جماعة بيت فاطمة. فدقّوا الباب. فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبه يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي‌قحافة. فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع، وأكبادهم تتقطّر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً. فمضوا به إلى أبي‌بكر. فقالوا له: بايع فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله. قال عمر: أما عبدالله فنعم. وأمّا أخو رسوله فلا. وأبوبكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر بأمرك فيه. فقال: لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصيح وينادي: «يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»(٣).

---

(١) الاعراف: ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) الاعراف: ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٣،والنقل بتصرف يسير.

ومن قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر﴾[١] إلى آخر الآية؛ يعلم أنّ صلاح الانسان في الدنيا الابتلاء بالبلاء. فقال بنو اسرائيل لموسى: ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾[٢] فقال لهم موسى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في ٱلأرض فينظر كيف تعملون﴾[٣] فلمّا آمنهم الله ومكّنهم في البلاد صاروا كفرعون يقتلون أنبياء الله ويفعلون ما حكى الله تعالى عنهم كالمسلمين في أوّلهم وآخرهم بعد نبيّهم.

هذا ويقرب من العنوان ما في (العقد الفريد): أنّ معاوية قال لرجل من أهل اليمن «ما كان أجهل قومك حين ملّكوا عليهم امرأة» فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ٱئتنا بعذاب أليم﴾[٤].

٢١
خطبة (١٣٧)

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى:

«لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ؛ فَٱسمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي. عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا ٱلْيَوْمِ؛ تُنْتضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ ٱلْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ ٱلْجَهَالَةِ».

أقول: رواه الطبري مع زيادة في صدره وذيله ففيه «ثم تكلّم عليّ عليه السلام (يوم الشورى) فقال: الحمد لله الّذي بعث محمّداً منا نبيّاً وبعثه إلينا رسولاً

---

(١) الاعراف: ١٣٨.

(٢ و ٣) الاعراف: ١٢٩.

(٤) العقد الفريد ٤: ٩٧، والآية ٣٢ من سورة الأنفال.

فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حقّ إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، ولو طال السرى -إلى أن قال-لن يسرع أحد قبلي -إلى آخر العنوان-وزاد، ثم أنشأ يقول:

فإن تك جاسم هلكت فإنّي بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع في الهواجر كلّ عيّ بصير بالنوى من كلّ نجم[1]

وقال ابن أبي الحديد: قال الشعبي: فأمّا ما يذكره الناس من المناشدة، وقول عليّ عليه‌السلام لأهل الشورى: «أفيكم أحد قال له رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كذا؟» فإنّه لم يكن يوم البيعة، وإنّما كان بعد ذلك بقليل[2].

وروى أبوالطفيل عامر بن واثلة قال: كنت في البيت يوم الشورى فسمعت علياً عليه‌السلام وهو يقول: إستخلف الناس أبابكر وأنا والله أحقّ بالأمر، وأولى به منه، واستخلف أبوبكر عمر، وأنا والله أحقّ بالأمر، وأولى به منه. إلّا أنّ عمر جعلني مع خمسة أنا سادسهم لا يعرف لهم فضل عليّ، ولو أشاء لاحتججت عليهم بما لا يستطيع عربيّهم، وعجميّهم، المعاهد منهم والمشرك بغير ذلك.

ثم قال نشدتكم بالله أيّها النفر! هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: اللهم لا قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أُتيَ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بطير يأكل منه فقال: «اللهم آئتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فجئته فقال «اللهم وإلى رسولك» غيري؟ قالوا اللهم لا. قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حين رجع عمر يوم خيبر

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٠، سنة ٢٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٩١.

يجبّن أصحابه ويجبّنونه قد ردّ راية النبي منهزماً فقال النبيّ ﷺ «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً ليس بفرّار يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه» فلمّا أصبح قال: أُدعوا لي عليّاً، فقالوا: هو أرمد ما يطرف. فقال: جيئوني به. فلمّا قمت بين يديه تفل في عيني وقال «اللهمّ أذهب عنه الحرّ والبرد» فأذهب الله عنّي الحرّ والبرد إلى ساعتي هذه، وأخذت الراية فهزم الله المشركين وأظفرني بهم غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر المزيَّن بالجناحين في الجنّة يحلّ حيث يشاء؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم الله هل فيكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطيّ الحسن والحسين ابني رسول الله وسيّدي شباب أهل الجنّة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم احد له زوج مثل زوجي فاطمة بنت رسول الله، وبضعة منه، وسيّدة نساء الجنّة؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «من فارقك فارقني ومن فارقني فارق الله» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال فيه النبيّ ﷺ «لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي؛ طاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي يغشاهم بالسيف» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ «كذب من زعم أنّه يحبّني، وهو يبغضك» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «أنت الخليفة في الأهل والمسلمين في كلّ غيبة وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله، ووليّك وليّي، ووليّي وليّ الله» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ «من أحبّك وو الاك سبقت له

الرحمة، ومن أبغضك سبقت له اللعنة» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ «أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ومنزلك مواجه منزلي كما يتواجه الأخوان في الخلد» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «إنّ الله خصّك بالزهد في الدنيا فليس تنال منها شيئاً، ولا تنال منك، وهي زينة الأبرار. فطوبى لمن أحبّك وصدق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد بعثه النبيّ ﷺ ليجيء بالماء كما بعثني فذهبت حتّى حملت القربة على ظهري، ومشيت بها فاستقبلتني ريح فردّتني حتّى أجلستني، ثم قمت إلى النبيّ ﷺ. فقال: ما حبسك؟ فقصصت عليه القصّة. فقال: قد جاءني جبرئيل فقال: أمّا الريح الأُولى فجبرئيل جاء في ألف من الملائكة يسلّمون عليك، وأمّا الثانية فميكائيل جاء في ألف من الملائكة يسلّمون عليك» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال فيه جبرئيل «يا محمّد! أترى هذه المواساة من عليّ» فقال له النبيّ ﷺ: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد يكتب للنبيّ ﷺ كما جعلت اكتب. فأغفى النبيّ ﷺ فأنا أرى أنه يملي عليّ. فلمّ انتبه قال لي: من أملى عليك من هاهنا إلى هاهنا؟ فقلت: أنت. فقال: لا. ولكن جبرئيل أملاه عليك» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ كما قال لي: «لولا أن أخاف أن لا يبقى أحد إلّا قبض من أثرك قبضة يطلب بها البركة لعقبه بعده لقلت فيك قولاً لا يبقى أحد إلّا قبض من أثرك قبضة»؟ فقالوا: اللهم لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «إحفظ الباب فإنّ زوّاراً من الملائكة تزورني فلا تأذن لأحد منهم» فجاء عمر فرددته ثلاث مرات،

وأخبرته أنّ النبيّ ﷺ محتجب، وعنده زوّار من الملائكة، وعدّتهم كذا وكذا. ثم أذنت له فدخل فقال للنبيّ ﷺ: إنّي جئت غير مرّة كلّ ذلك يردّني عليّ، ويقول: إنّ النبيّ محتجب، وعنده زوّار من الملائكة، وعدّتهم كذا وكذا، فكيف علم بالعدّة؟ أعاينهم؟ فقال: لا. يا عليّ كيف علمت بعدّتهم؟ فقلت: اختلفت التحيات، وسمعت الأصوات. فأحصيت العدد قال: صدقت؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ كما قال لي: «إنّ طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار عليّ، وليس من مؤمن إلّا وفي منزله غصن من أغصانها» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد جاء إلى النبيّ ﷺ ورأسه في حجر جبرئيل فقال: «أُدن إلى ابن عمك فأنت أولى به منّي» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وضع النبيّ ﷺ رأسه في حجره حتّى غابت الشمس، ولم يصلّ العصر. فلمّا انتبه النبيّ ﷺ قال: هل صليت العصر. قلت: لا، فدعا النبيّ ﷺ فردّت الشمس بيضاء نقية فصلّيت ثم انحدرت» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد أمر الله تعالى رسوله أن يبعث ببراءة فبعث بها مع أبي‌بكر فأتاه جبرئيل فقال: يا محمد! إنّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك. فبعثني النبيّ ﷺ فأخذتها من أبي‌بكر، فمضيت بها، وأدّيتها عن رسوله وأثبت الله على لسان رسوله ـ أي جبرئيل ـ أنّي منه» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت إمام من أطاعني، ونور أوليائي، والكلمة الّتي ألزمتها المتّقين» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنتي الّتي وعدني ربي -إلى أن قال- فليوالِ عليّاً وذريّته من بعده. فهم الأئمة وهم الأوصياء أعطاهم الله علمي وفهمي. لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. يزول الحقّ معهم أينما زالوا» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «قضي فانقضى أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ مثل ما قال لي: «أهل ولايتك يخرجون يوم القيامة من قبورهم على نوق بيض. شراك نعالهم نور حتّى ينطلق بهم إلى ظل عرش الرحمن. يوضع بين أيديهم مائدة. يأكلون منها حتّى يفرغ الناس من الحساب. يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حين جاء أبوبكر يخطب فاطمة فأبى أن يزوّجه فخطبت إليه فزوّجني فجاء أبوبكر وعمر. فقال: أبيت أن تزوّجنا وزوّجته فقال النبيّ ﷺ ما منعتكما وزوّجته؛ بل الله منعكما وزوّجه غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل سمعتم النبيّ ﷺ: يقول «كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي» فأيّ سبب أفضل من سببي، وأيّ نسب أفضل من نسبي؟ إنّ أبي وأبا رسول الله لأخوان لأبٍ وأم، وإنّ الحسن والحسين ابني رسول الله وسيّدي شباب أهل الجنّة إبناي، وفاطمة بنت رسول الله، وسيّدة نساء أهل الجنّة زوجتي؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ «انّ الله تعالى خلق الخلق. ففرّقهم فرقتين. فجعلني من خير الفرقتين. ثم جعلهم شعوباً فجعلني في خير شعبة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت. ثم اختار من البيت أنا وعليّاً وجعفراً. فجعلني خيرهم. فكنت نائماً بين ابني أبي‌طالب فجاء جبرئيل ومعه ملك. فقال: يا جبرئيل إلى أيّ هؤلاء أرسلت. فقال: إلى هذا. ثم أخذ بيدي فأجلسني» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد سدّ النبيّ ﷺ أبواب المسلمين كلّهم من المسجد، ولم يسدّ بابي فجاء العباس وحمزة، وقالا: أخرجتنا وأسكنته فقال: «ما أنا أخرجتكم وأسكنته بل الله أخرجكم وأسكنه إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى أخي موسى عليه السلام أن اتّخذ مسجداً طهوراً، واسكنه أنت وهارون وابنا هارون، وأوحى إليّ أن اتَّخذ مسجداً طهوراً، واَسكنه أنت وعليّ، واَبنا عليّ» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ: «انّه مع الحق والحقّ معه لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقى النبيّ ﷺ حيث جاء المشركون يريدون قتله فاضطجعت في مضجعه، وذهب النبيّ ﷺ نحو الغار، وهم يرون أنّي هو. فقالوا أين ابن عمك فقلت: لا أدري. فضربوني حتّى كادوا يقتلونني؛ غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ كما قال لي: «إنّ الله أمرني بولاية عليّ، فولايته ولايتي وولاية ربي، عهد عهده إليّ ربّي، وأمرني أن ابلّغكموه فهل سمعتم» قالوا: نعم قد سمعناه قال: «أما إنّ فيكم من يقول سمعت وهو يحمل الناس على كتفيه ويعاديه» قالوا: اخبرنا بهم قال: أما إنّ

ربّي قد أخبرني بهم وأمرني بالإعراض عنهم لأمرٍ قد سبق، وإنّما يكتفي أحدكم بما يجد لعلي في قلبه» غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قتل من بني عبدالدار تسعة مبارزة كلهم بأخذ اللواء. ثم جاء صواب الحبشي مولاهم، وهو يقول: والله لا أقتل بسادتي غير محمّد، قد أزبد شدقاه، واحمرّت عيناه فاتقيتموه وحُدْتم عنه. فخرجت إليه. فلمّا أقبل كأنّه قبّة مبنية فاختلفت أنا وهو ضربتين فقطعته بنصفين، وبقيت رجلاه وعجزه وفخذه قائمة على الأرض ينظر إليه المسلمون ويضحكون منه؛ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد جاء عمرو بن عبد ود ينادي هل من مبارز فكعتم عنه كلّكم. فقمت أنا. فقال لي النبيّ ﷺ: إلى أين تذهب؟ قلت: إلى هذا الفاسق. فقال: إنّه عمرو بن عبد ود فقلت فانا عليّ بن أبيطالب. فأعاد عليّ الكلام، وأعدت عليه. فقال: إمض على آسم الله. فلمّا قربت منه قال: من الرجل؟ قلت: عليّ بن أبيطالب. قال: كفوٌ كريم، ارجع يا ابن أخي فقد. كان لأبيك معي صحبة ومحادثة. فأنا أكره قتلك. فقلت له: يا عمرو! إنّك قد عاهدت الله أنّه لا يخيّرك أحد ثلاث خصال إلّا آخترت إحداهن. فقال: إعرض عليّ. قلت: تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسوله، وتقرّ بما جاء من عنده. قال: هات غيرها. قلت: ترجع من حيث جئت. قال: والله لا تحدّث نساء قريش بهذا أنّي رجعت عنك. فقلت: فانزل فأُقاتلك. قال: أمّا هذه فنعم. فنزل، فاختلفت أنا وهو ضربتين. فأصاب سيفه رأسي، وضربته ضربة. فقتله الله على يدي. ففيكم أحد فعل هذا غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حين جاء مرحب وهو يقول:

أنا الّذي سمّتني أُمّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب

أطعن أحياناً وحينا أضرب

فخرجت إليه فضربني وضربته فقتلته. ففيكم أحد فعل هذا غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1] فأخذ النبيّ ﷺ كساءً خيبرياً فضمنّي فيه، وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: «يا رب! هؤلاء أهل بيتي. فأذهِبْ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»؟ قالوا: اللهم لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ «أنا سيّد ولد آدم وأنت يا عليّ سيّد العرب» قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد كان النبيّ ﷺ في المسجد إذ نظر إلى شيء فبادره ولحقه أصحابه. فانتهى إلى سودان أربعة يحملون سريراً. فقال لهم: ضعوه فوضعوه فقال: اكشفوا عنه فإذا أسود مطوّق بالحديد. فقال النبيّ ﷺ: من هذا؟ قالوا: غلام آل فلان كان قد أبق عنهم «فأخذوه فقيّدوه فمات» فأمرونا أن ندفنه في حديده كما هو فنظرت إليه. فقلت: ما رآني هذا قط إلّا قال: أنا والله أُحبّك، والله ما أحبّك إلّا مؤمن وما أبغضك إلّا كافر. فقال النبيّ ﷺ: «يا عليّ! لقد أثابه الله بهذا بسبعين قبيلاً من الملائكة كل قبيل ألف نزلوا يصلّون عليه. ففكّ النبيّ ﷺ حديدته، وصلّى عليه ودفنه»؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ مثل ما قال لي قال «أُذِنَ لي البارحة في الدعاء. فما سألت ربّي شيئاً إلّا أعطانيه، وما سألت لنفسي شيئاً إلّا سألت لك مثله فقلت: الحمد لله»؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله! هل علمتم أنّ النبيّ ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى بني خزيمة. ففعل ما فعل، فصعد النبيّ ﷺ المنبر فقال: «اللهم إنّي أبرأ إليك ممّا فعل خالد» ثلاث

(١) الأحزاب: ٣٣.

مرات ثم قال: «يا عليّ! إذهب فأعطهم الدية». فذهبت فوفّرت ديتهم. ثم ناشدتهم بالله هل بقي شيء فقالوا: فميلغة كلابنا، وعقال بعيرنا؛ فأعطيتهم لهما، وبقي معي ذهب كثير فأعطيتهم إيّاه، وقلت: هذا لِذمة رسول الله ﷺ ولما تعلمون ولما لا تعلمون، ولروعات النساء والصبيان. ثم جئت إلى النبيّ ﷺ. فأخبرته فقال: والله ما يسرّني انّ لي بما صنعت حمر النعم»؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: نشدتكم بالله! هل سمعتم النبيّ ﷺ يقول لي: «لقد عرضت عليّ أُمتي البارحة فمرّ بي أصحاب الرايات. فاستغفرت لك ولشيعتك»؟ قالوا: اللهمّ نعم قال: نشدتكم بالله! هل سمعتم النبيّ ﷺ قال لأبي بكر: «اذهب فاضرب عنق ذلك الرجل الّذي تجده في موضع كذا وكذا. فرجع فقال له: قتلته؟ قال: لا. وجدته يصلّي، قال يا عمر: إذهب فاقتله. فرجع. فقال له: قتلته؟ قال: لا. وجدته يصلّي فقال: أمرتكما بقتله فتقولان وجدناه يصلّي فقال لي: اذهب فاقتله. فلمّا مضيت قال: إن أدركه قتله. فرجعت فقلت: لم أجد أحداً. قال: صدقت أما إنّك لو وجدته لقتلته»؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: نشدتكم بالله! هل علمتم أنّ عائشة قالت للنبيّ ﷺ: «إنّ إبراهيم ليس منك، وانّه ابن فلان القبطي» فقال: «يا عليّ فاذهب فاقتله» فقلت: «يا رسول الله إذا بعثتني أكون كالمسمار المحمي في الوبر أو اتثبّت» قال: «لا. بل تثبّت» فذهبت فلما نظر اليّ استند إلى حائط. فطرح نفسه فيه. فطرحت نفسي على أثره. فصعد على نخلة، وصعدت خلفه. فلمّا رآني قد صعدت رمى بإزاره. فإذا ليس له شيء ممّا يكون للرجال، فجئت فأخبرت النبيّ ﷺ فقال: «الحمد لله الّذي صرف عنّا السوء أهل البيت»؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: نشدتكم بالله! هل فيكم أحد قال له النبيّ ﷺ كما قال لي: «انّ

وليّك في الجنّة، وعدوّك في النار»؟ قالوا: اللهمّ لا قال: اللهمَّ اَشهد.

نقله (مناقب ابن شهر آشوب) وقال: رواه ابن مردويه في كتابه، والخوارزمي في (أربعينه)، ورواه الزمخشري عن أبي ذر[1].

«لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق» قال الاسكافي في (نقض عثمانيته): قال ابن عباس: فرض الله تعالى الاستغفار لعلي عليه السلام في اَلقرآن على كل مسلم بقوله تعالى: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾[2] فكلّ من أسلم بعد عليّ عليه السلام فهو يستغفر لعليّ عليه السلام.

قال: وقال ابن عباس أيضاً: السُبّاق ثلاثة: سبق يوشع بن نون إلى موسى عليه السلام، وسبق صاحب يس إلى عيسى عليه السلام، وسبق عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: وقال عفيف بن قيس الكندي: كنت في الجاهلية عطّاراً. فقدمت مكه. فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فبينا أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلّقت الشمس في السماء؛ أقبل شابّ كأنّ وجهه القمر حتّى رمى ببصره إلى السماء. فنظر إلى الشمس ساعة. ثم أقبل حتّى دنا من الكعبة. فصفّ قدميه يصلّي. فخرج على أثره فتىً كأنّ وجهه صفيحة يمانية. فقام عن يمينه فجاءت اَمرأة متلففة في ثيابها. فقامت خلفهما. فأهوى الشاب راكعاً فركعا معه ثم أهوى إلى الأرض ساجداً فسجدا معه. فقلت للعباس: يا أبا الفضل! أمر عظيم. فقال: أمر والله عظيم. أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا. قال: هذا اَبن أخي محمّد ابن عبدالله. أتدري من هذا الفتى؟ قلت: لا. قال: هذا اَبن أخي عليّ بن أبي طالب. أتدري من المرأة؟ قلت: لا. قال هذه اَبنة خويلد بن أسد بن عبدالعزّى، هذه

---

(١) رواه عنهم ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤١١ ـ ٤١٧.

(٢) الحشر: ١٠.

خديجة زوج محمّد هذا. وإنّ محمّداً هذا يذكر أنّ إلٓهه إلٓه السماء والأرض أمره بهذا الدين. فهو عليه كما ترى، ويزعم أنّه نبي، وقد صدّقه على قوله عليٌّ ابن عمّه، هذا الفتى، وزوجته خديجة، هذه المرأة، والله ما أعلم على وجه الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. فقلت له: فما تقولون أنتم؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع. يعني أباطالب أخاه.

وروى مثله عن ابن مسعود. قال: وقال السدّي: إنّ أبابكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام فردّهما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لم أُومر بذلك. فخطبها عليّ عليه السلام فزوّجه إيّاها، وقال لها زوّجتك أقدم الأمّة إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وما زوّجتك إلّا بأمر من السماء أما علمت أنّه أخي في الدنيا والآخرة.

قال: ورواه جابر بن عبدالله، وابن عباس، وأُم أيمن، وأسماء بنت عميس.

قال: وقال عبّاد بن عبدالله الأسدي: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصّديق الأكبر، لا يقولها غيري إلّا كذّاب، وقد صلّيت قبل الناس سبع سنين.

قال: وروى أبوأيوب الأنصاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين، وذلك انّه لم يصلّ معي رجل فيها غيره[1].

وفي (الطبري) عن ابن عباس قال: قال عليّ عليه السلام: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[2] على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعاني فقال: انّ الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متى أُباديهم بهذا الأمر

---

(١) هذه الأحاديث رواها عن نقض الاسكافي ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٦٠ ـ ٢٦٢، شرح الخطبة ١٩٠.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

أرى منهم ما أكره. فصمتّ عليه حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد! إن لا تفعل يعذّبك ربك. فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسّاً من لبن. ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتّى أكلّمهم وأبلّغهم ما أُمرت به. ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون، فيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الّذي صنعت لهم. فجئت به. فلمّا وضعته تناول النبيّ ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه. ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلّا موضع أيديهم، وأيم الله الّذي نفس عليّ بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم. فجئتهم بذلك العسّ. فشربوا منه حتّى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلمّا أراد النبيّ ﷺ أن يكلّمهم بدره أبولهب فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم.

فتفرقوا ولم يكلّمهم. فقال: الغد يا عليّ انّ هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت. فتفرقوا قبل ان أكلّمهم. فعد لنا من الطعام بمثل ما فعلت، ثم اجمعهم إليّ ففعلت ثم دعا بالطعام، فقرّبته إليهم، ففعل كما فعل بالأمس. فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة. ثم قال: إسقهم فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعاً. ثم تكلّم النبيّ ﷺ فقال: يا بني عبدالمطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه. فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي، وخليفتي فيكم. فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وأنا لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: «إنّ هذا أخي، ووصيي، وخليفتي

فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

وروى قريباً عنه منه ربيعة بن ناجد عنه عليه السلام[١].

«وصلة رحم وعائدة كرم» ظفر عليه السلام يوم الجمل بمروان وابن الزبير، وسعيد ابن العاص، وهم مبغضوه لاسيّما الأوّلان فعفا عنهم تكرّماً.

ولما قال طلحة بن عثمان العبدري صاحب لواء المشركين يوم أُحد: يا معشر أصحاب محمّد! إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل منكم أحد يعجّله الله بسيفي إلى الجنّة، أو يعجّلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه عليّ بن أبي طالب فقال: والّذي نفسي بيده لا أُفارقك حتّى أُعجّلك بسيفي إلى النار. أو تعجّلني بسيفك إلى الجنّة. فضربه عليّ عليه السلام فقطع رجله فسقط. فانكشفت عورته، فقال: أُنشدك الله والرحم يا آبن عم. فتركه. فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال لعليّ عليه السلام أصحابه: ما منعك أن تجهز عليه قال: إنّ آبن عمّي ناشدني حين آنكشفت عورته، فاستحييت منه[٢].

ولمّا كشف عمرو بن العاص ـ وبمعاونته تمكن معاوية من مقابلته معه عليه السلام ـ يوم صفين عورته، وبعده بسر بن أرطاة ـ وهو الّذي قتل كثيراً من شيعته وكان يسبّه أيضاً ـ عورته لئلّا يقتلهما عليه السلام تركهما تكرّما[٣].

«**فاسمعوا قولي وعوا منطقي**» أي: اجعلوا آذانكم وعاءً لمنطقي. كناية عن حفظه والعمل به.

«**عسى أن تروا هذا الأمر**» أي: أمر الخلافة.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٦٢ و٦٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ١٩٤، سنة ٣؛ والواقدي في المغازي ١: ٢٢٥؛ وابن هشام في السيرة ٣: ٢٣.

(٣) رواهما ابن مزاحم في وقعة صفين: ٤٢٤ و٤٦١.

«بعد هذا اليوم» أي: يوم الشورى الّتي جعلها عمر.

«تنتضي» أي: تُسَلُّ.

«فيه السيوف» فان جعله شورى لم يكن باقلّ فساداً من منعه النبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصية. كما اعترف به محمد بن سليمان حاجب الحجاب، كما نقل عنه ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السلام للمغيرة بن أخنس[1].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد، وامتنع الحسين عليه السلام وامتنع ابن أبي‌بكر، وابن عمر، وابن الزبير، أخرجهم معه إلى مكّة، وأمر بنصب منبر قرب الكعبة، وأحضرهم فقال لهم: انّي أتقدّم اليكم، وقد أعذر من أنذر. إنّي قائل مقالة فأقسم بالله لئن ردّ عليّ رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتّى يضرب رأسه. فلا ينظر امرؤ منكم إلّا إلى نفسه، ولا يبقي إلّا عليها -وأمر أن يقوم على رأس كلّ رجل منهم رجلان- بسيفيهما. فإن تكلّم بكلمة يردّ بها عليه قوله قتلاه، وخرج وأخرجهم معه حتّى رقى المنبر، وحفّ به أهل الشام، واجتمع الناس. فقال بعد حمدالله: «إنّا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار. قالوا: إنّ حسيناً، وابن أبي‌بكر، وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين، وخيارهم. لا نبرم أمراً دونهم، ولا نقضي أمراً إلّا عن مشورتهم، وإنّي دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين، فبايعوا وسلّموا وأطاعوا».

فقال أهل الشام: وما يعظم من أمر هؤلاء إئذن لنا لنضرب أعناقهم فنحن لا نرضى حتّى يبايعوا علانية. فقال معاوية: «سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشرّ وما أحلّ دماءهم عندهم! أنصتوا فلا اسمع هذه المقالة من أحد. ثم قربت رواحله فركب ومضى، فقال الناس للحسين عليه السلام

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨١، شرح الخطبة ١٣٣.

وأصحابه: قلتم لا نبايع فلمّا دعيتم وارضيتم بايعتم، قالوا: لم نفعل، قالوا: بلى قد فعلتم وبايعتم. أفلا أنكرتم!؟ قالوا: خفنا القتل، وكادكم بنا، وكادنا بكم[1].

ولما رغّب معاوية ـ في الشام ـ الوافدين عليه في الخطبة ليزيد تكلّم الضحّاك بن قيس، وعمرو بن سعيد. ثم قام يزيد بن المقفع فقال: الخليفة هذا وأشار إلى معاوية فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد فمن أبى فهذا وأشار إلى سيفه. فقال له معاوية: اجلس فانّك سيّد الخطباء.

«وتخان فيه العهود» في (مقاتل أبي الفرج): قال أبو إسحاق: قال معاوية بالنخيلة أي بعد أخذه البيعة من الحسن عليه السلام بشرائط وعهود: ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به. قال أبو إسحاق وكان والله غدّارا[2].

وقال سعيد بن سويد: صلّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الصحن ثم خطبنا فقال: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا إنكم لتفعلون ذلك، وانّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون. قال شريك في حديثه هذا هو التهتّك[3].

قلت: قول معاوية وإن كان تهتّكاً إلّا أنّه كان قولاً صدقاً في إخباره عن نفسه بعيداً من الرياء والنفاق، بخلاف قول من أسّس له ذلك في تخلّفه تارة عن جيش بعذر عدم قبول قلبه ترك النبيّ في تلك الحالة، وفي منعه للنبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصية أُخرى بكفاية القرآن لهم، وثالثة بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه لا يمكن أن يموت لغرض وصول أبي بكر إليه، ورابعة لتقديم صاحبه بأن جعله الخليفة أولى من أمره بالصلاة لكون الصلاة أمراً دينياً والخلافة امرا دنيوياً.

---

(١) الامامة والسياسة ١: ٩٠،والنقل بالمعنى لكن هذه القصة قد وقعت في المدينة لا مكة.

(٢ و ٣) مقاتل الطالبيين: ٤٥.

«حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضّلالة، وشيعة لأهل الجهالة» في (الطبري) -بعد ذكر وصول رسول عبيدالله بن زياد إلى الحر-أنّ أبا الشعثاء الكندي من أصحاب الحسين عليه السلام نظر إلى الرسول فقال: أمالك بن التسير البدي؟ قال: نعم فقال له: ثكلتك أمّك ماذا جئت فيه؟ قال: وما جئت فيه! أطعت إمامي، ووفيت ببيعتي. فقال له أبوالشعثاء: عصيت ربّك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك كسبت العارو النار. قال الله عزّ وجلّ «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار»[١] فهو إمامك[٢].

نبّههم عليه السلام في قوله «لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ، وصلة رحم، وعائدة كرم» على ما فطر الله تعالى العقول عليه من وجوب تقديم الأفضل، وخبطهم في اختيار أبيبكر، وفي قوله: «عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف، وتخان فيه العهود حتّى يكون بعضكم أئمّةً لأهل الضّلالة، وشيعة لأهل الجهالة» على أنّهم إن اختاروا عثمان -كما دبّر عمر لقريش المنافقين- يترتب عليه تلك المفاسد من سلطنة بني أُميّة المشتملة على تلك الأُمور من انتضاء السيوف في طلب الخلافة، وخيانة العهود، وغير ذلك. قال النّظام مخاطباً عبد الملك بعد نقل خطبته لمّا بويع: «إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا بالخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا بالخليفة المأفون (يعني يزيد)»: «والله لولا نسبك من هذا المستضعف، وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العيّوق»[٣].

---

(١) القصص: ٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨، سنة ٦١.

(٣) رواه الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٢٧٣.

٢٢
الخطبة (٧٢)

ومن كلام له عليه‌السلام لمّا عزموا على بيعة عثمان:

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَوَٱللّهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، ٱلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديده فضائله، وخصائصه الّتي بانَ بها منهم ومن غيرهم ـ إلى أن قال ـ ثم قال عليه‌السلام لهم: «أُنشدكم الله! أفيكم أحد آخى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض؛ غيري؟ فقالوا: لا. فقال: أفيكم أحد قال له النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» غيري؟ فقالوا: لا. فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي» غيري؟ قالوا: لا. قال: أفيكم من أؤتمن على سورة براءة وقال له النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «انّه لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي» غيري؟ قالوا: لا. قال: ألا تعلمون أنّ أصحاب النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فرّوا عنه في مأقط الحرب في غير موطن، وما فررت قط؟ قالوا: بلى. قال: ألا تعلمون أنّي أوّل الناس إسلاماً؟ قالوا: بلى. قال: فأيّنا أقرب إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نسباً؟ قالوا: أنت». فقطع عبدالرحمن بن عوف كلامه، وقال: يا عليّ قد أبى الناس إلّا على عثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ثم قال: يا أبا طلحة ما الّذي أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شقّ عصا الجماعة. فقال عبدالرحمن لعليّ: بايع إذن، وإلّا كنت متّبعاً غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به. فقال عليه‌السلام: «لقد علمتم أنّي أحقّ بها من غيري، والله لأُسلِّمَنّ

ما سَلِمَتْ...» ثم مدّيده فبايع[١].

«لقد علمتم أنّي أحقُّ النّاس» هكذا في (المصرية)، وليست كلمة «الناس» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] فهي زائدة.

«بها من غيري» حيث أقرّوا بمقاماته، ومقالات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه من كونه كنفسه أولى بهم من أنفسهم، وأنّه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى وغير ذلك ممّا مرّ في مناشداته إلّا انّهم لم يكونوا يريدون العمل بالحق، ولا فهم من هو أحقّ، ولذا قطع ابن عوف كلامه عليه السلام، وقال له: إنّ الناس، ومراده ابن أبي سرح الّذي نزل القرآن بكفره، والوليد بن عقبة الّذي نزل القرآن بفسقه[٣] ونظراءهما أبوا إلّا عثمان لأنّهم نظروا لأنفسهم في دنياهم، ولم يكن لهم شغل بالدين، وهدّده أيضاً بأمر عمر بقتله عليه السلام إن أراد شقّ عصا الجماعة أي جماعة الكفر والنفاق، وأنّه عليه السلام إن لم يقبل ذلك كان متّبعاً غير سبيل المومنين: أي بالجبت والطاغوت.

«ووالله لأُسَلِّمَنّ ما سَلِمَتْ أُمور المسلمين ولم يكن فيها جور الّا عليّ خاصة» قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام يدلّ على أنّه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافة عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والاسلام، وانّما تتضمن جوراً عليه خاصّة، وأنّها وقعت على جهة مخالفة الأُولى لا على جهة الفساد الكلي[٤].

قلت: ما ذكره من الدلالة غريب. فإنّ معنى كلامه عليه السلام أنّ باقي الستة الذين عيّنهم عمر لم يكن عليهم جورٌ لأنّهم لا حق لهم في الخلافة ولا استحقاق وعمر ذكرهم بغير حق، وانّما الجور عليه عليه السلام خاصّة حيث غصب حقّه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦٠؛ وشرح ابن ميثم ٢: ٢٠٤.

(٣) أُنظر الى الآيات: الأنعام: ٩٣ والسجدة: ١٨ والحجرات: ٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦١.

وأمّا قوله: «لم يكن جوراً على الاسلام» فمضحك. إذ مر أبو سفيان أيّام عثمان على قبر حمزة. فضربه برجله، وقال له: يا أباعمارة! قم فانظر أنّ الدين ـ الذين كنت تضربنا عليه بالسيف ـ في يد شبّاننا يلعبون به[1]، وسمعوا ليلة بيعته هاتفاً يقول: «ياناعي الاسلام قم فانعه»[2].

وامّا قوله عليه السلام «ما سلمت امور المسلمين» فمعناه ما كانت صورة الاسلام على الظاهر محفوظة، وإلّا فكيف كانت بيعة عثمان صحيحة، وقد أكرهوه على البيعة وأرادوا قتله، وكيف كانت صحيحة، وقد تضمّنت تلك المفاسد الجليلة من ركوب بني أُميّة أعداء الدين رقاب الامة، واخذ الخلافة بنقض العهد وسلّ السيف.

وكيف كانت صحيحة، وجميع من بايعه من أهل الشورى وغيرهم من المهاجرين، والأنصار والتابعين على إباحة قتله فضلا عن وجوب خلعه.

وكيف كانت صحيحة، وكل فقرة ممّا قرّرها عليه السلام عليهم قبل هذا الكلام من مناشداته الواردة في الروايات دالّة على بطلان خلافة الأوّلين فضلاً عن عثمان.

وروى ابن مردويه في (مناقبه)، والخوارزمي في (أربعينه)، عن الطبراني مسنداً عن أبي الطفيل. قال: كنت على الباب يوم الشورى. فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً عليه السلام يقول: بايع الناس أبا بكر، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه. فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً أو يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف. ثم بايع أبوبكر لعمر وأنا أولى بالأمر منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً. ثم أنتم

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٥١، شرح الكتاب ٣٢،والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن طاووس في كشف المحجة: ١٧٩.

تريدون أن تبايعوا عثمان ـ الخبر[١] ـ.

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في مغالطة ابن أبي الحديد في قوله: «فان قلت: فهلّا سلّم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل، وأغضى على اغتصاب حقّه حفظاً للاسلام من الفتنة قلت: إنّ الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل، ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقصوراً عليه خاصّة. بل كان يعمّ الاسلام والمسلمين جميعاً لأنّهم لم يكونوا عنده ممّن يصلح لرياسة الأُمّة، وتحمّل أعباء الخلافة»[٢].

فإنّه أيُّ فرق بين عثمان ومعاوية، بل كانت أُمور المسلمين في زمان معاوية أقرب إلى الصلاح منها في زمان عثمان، لأنّ معاوية إنّما كان ظالماً جائراً، ولم يكن مفسداً بخلاف عثمان، ولذا انتقضت عليه الأُمور حتّى أجهز عليه عمله.

ثمّ ننشدهم بالله انّ الزبير وطلحة، وهما عندهم من حواري النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن العشرة المبشّرة، وممّن توفي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راضٍ، ولهما سوابق في أيام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيّ نقص كان لهما عن عثمان بل عن أبي‌بكر وعمر سوى أنّهم نالوها وهما لم ينالاها؟ والكلام في الاستحقاق لا الاتفاق.

ولما قال عمر لأهل الشورى: أكلّكم يطمع بعدي في الخلافة؟ قال له الزبير: «وما الّذي يبعّدنا منها؟ وليتها أنت فقمت بها، ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة»[٣].

---

(١) رواه عنهما ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤١١ وأخرجه الخوارزمي في مناقبه: ٢٢١ أيضاً.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦١.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٢، شرح الخطبة ٣.

وإنّما الفارق أنّه عليه السلام يوم السقيفة ويوم الشورى كان وحده في مقابل سلطنة مستقرة. هدّدوه في الأول بالإحراق والقتل، وفي الثاني بضرب العنق كما أمرهم عمر، ووكّل أبا طلحة بذلك لو تخلّف متخلّف عن دستوره في البيعة لمن ينتخبه ابن عوف، وهو عثمان.

وأما أهل الجمل وأهل الشام فبالعكس كان هو عليه السلام ذا سلطنة قاهرة أراد الأوّلون نكثها، والأخيرون التخلّف عنها، وكان عليه السلام مكلّفاً بعدم تخليتهم بعد قدرته. فقال عليه السلام: «لو لا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها»[1].

وقال عليه السلام أيضاً في ذلك «لم يسعني إلّا القتال أو الجحود بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»[2] وقد أباد عليه السلام الأوّلين في يوم واحد، وأراد استيصال الآخرين إلّا أنّ الأقدار منعت عن ذلك بامتحان الله تعالى لعباده، سنّة الله الّتي قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا[3].

٢٣
الخطبة (١٦)

ومن كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة:

«ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ ٱلْعِبَرُ. عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ ٱللّٰهُ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وآله وسلم. وَٱلَّذِي بَعَثَهُ

---

(١) نهج البلاغة ١: ٣٦، الخطبة ٣.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٠٣، الخطبة ٥٤، والنقل بتصرف يسير.

(٣) اسقط الشارح هنا شرح قوله عليه السلام: «التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه».

بِالحقّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، ولَتُسَاطُنَّ سَوْطَ ٱلقِدْرِ؛ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرُنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، واللّٰهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، وَلاكَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا المَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ. أَلَا وَإِنَّ ٱلخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ. أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ. حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمِرَ ٱلبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعلَ، وَلَئِنْ قَلَّ ٱلْحَقُّ لَرُبَّمَا وَلَعَلَّ؛ وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيءٌ فَأَقْبَلَ».

قال الشريف: أقول: إنّ في هذا الكلام الأدنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، وإن حظّ العجب منه أكثر من حظّ العُجب به، وفيه مع الحال الّتي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطلع فجّها إنسان، ولا يعرف ما أقول إلّا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق،﴿وما يعقِلُها إلّا العالمون﴾.

وَمنْ هذِهِ الْخُطْبَة:

شُغِلَ مَنِ ٱلجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ . سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . أليَمِينُ وَٱلشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَٱلطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ ٱلْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَاب وَآثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ ٱلسُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ ٱلْعَاقِبَةِ. هَلَكَ مَنِ ادَّعَى، وَخَابَ مَنِ ٱفْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَايَهْلِكُ عَلَى ٱلتَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ. فَاسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ. وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وٱلتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إلا نَفْسَهُ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذه الخطبة من جلائل خطبه، ومن مشهوراتها قد رواها الناس كلّهم، وفيها زيادات حذفها الرضي. إمّا اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين، وقد ذكرها الجاحظ في كتاب البيان على وجهها، ورواها عن أبي‌عبيدة قال: أوّل خطبة خطبها أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بالمدينه في خلافته حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «ألا لا يُرعين مرع إلّا على نفسه. شغل من الجنّة والنار أمامه. ساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر في النار، ثلاثة وآثنان. ملك طار بجناحه، ونبي أخذ الله بيده لا سادس. هلك من أدّعى وردي من آقتحم، أليمين والشمال مضلّة، والوسطى الجادّة. منهج عليه باقي الكتاب والسنّة، وآثار النبوّة. انّ الله داوى هذه الأُمة بدواءين: السوط والسيف، لاهوادة عند الامام فيهما. إستتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك. قد كانت أُمورٌ لم تكونوا عندي فيها محمودين. أما إنّي لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف. سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همته بطنه، ويحه لو قُصّ جناحاه وقُطع رأسه لكان خيراً له. أُنظروا فان أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فآزِروا. حقٌّ وباطل ولكلّ أهل، ولئن أَمِرَ الباطل لقديماً فعل، وإن قل الحق لربّما ولعل، وقلّما أدبر شيء فأقبل، ولئن رجعت إليكم أُموركم إنّكم لسعداء، وإنّي لأخشى ان تكونوا في فترة، وما علينا إلّا الاجتهاد.

قال الجاحظ: وقال أبوعبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام ألا انّ أبرار عترتي، وأطائب أُرومتي. أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كبارا. ألا وإنّا أهل بيت مِنْ عِلمِ الله علمُنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا. فإن تَتَّبِعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق، من تبعها لحقّ، ومن تأخّر عنها غرق. ألا وبنا يدرك

ترة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذلّ عن أعناقكم، وبنا فتح لابكم، وبنا يختم لا بكم[١].

وقال ابن ميثم تمام الخطبة هكذا: «الحمد لله أحق محمود بالحمد، وأولاه بالمجد إلهاً واحداً صمداً. أقام أركان العرش. فأشرق لضوئه شعاع الشمس. خلق فأتقن، وأقام. فذلّت له وطأة المستمكن، وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله. أرسله بالنور الساطع، والضياء المنير. أكرم خلق الله حسباً، وأشرفهم نسباً. لم يتعلّق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة. بل كان يظلم أما بعد! فإنّ أوّل من بغى على الأرض عناق ابنة آدم. كان مجلسها من الأرض جريباً، وكان لها عشرون إصبعاً، وكان لها ظفران كالمخلبين. فسلّط الله عليها أسداً كالفيل، وذئباً كالبعير، ونسراً كالحمار، وكان ذلك في الخلق الأول فقتلها، وقد قتل الله الجبابرة على أسوء أحوالهم، وانّ الله أهلك فرعون وهامان، وقتل قارون بذنوبهم. ألا وانّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّكم.

والّذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة، ولتغربلنّ غربلة ولتساطن سوط القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم اسفلكم، وليسبقن سابقون كانوا قصروا،وليقصرن سباقون كانوا سبقوا. والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبّئت بهذا اليوم وهذا المقام. ألا وإنّ الخطايا خيلٌ شُمسٌ حمل عليها أهلها، وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار فهم فيها كالحون. ألا وإنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم تأوّدا حتّى إذا جاءوا ظلاً ظليلاً فتحت أبوابها ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٢]. ألا

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٩١ والجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٤٩.
(٢) الزمر: ٧٣

وقد سبقني هذا الأمر من لم أشركه فيه، ومن ليست له منه توبة إلّا بنبي يبعث، ولا نبي بعد محمّد ﷺ أشفى منه على شفا جرف هار. فانهار به في نار جهنّم. أيّها الناس كتاب الله وسنّة نبيّه لا يرعى مرع إلّا على نفسه. شغل من الجنة والنار أمامه. ساع نجا، وطالب يرجو، ومقصّر في النار، ولكلّ أهل، ولعمري لئن أمِرَ الباطل لقديماً فعل، ولئن قلّ الحقّ لربما ولعل، ولقلّما أدبر شيء فأقبل، ولئن ردّ أمركم عليكم إنّكم لسعداء، وما علينا إلّا الجهد. قد كانت أُمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الرأي، ولو أشاء أن أقول لقلت. عفا الله عمّا سلف. سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همّه بطنه. ويله! لو قُصّ جناحاه وقُطع رأسه كان خيراً له. شغل من الجنّة والنار أمامه. ساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر في النار، ثلاثة وإثنان خمسة وليس فيهم سادس. ملك طائر بجناحيه، ونبيّ أخذ الله بضبعيه. هلك من ادّعى، وخاب من افترى. اليمين والشمال مضلّة، ووسط الطريق المنهج، عليه باقي الكتاب، وآثار النبوّة. ألا وإنّ الله قد جعل أدب هذه الأمّة السوط والسيف، ليس عند إمام فيهما هوادة، فاستتروا ببيوتكم، واصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك. ألا وإنّ كلَّ قطيعة أقطعها عثمان وما أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم، ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفرّق في البلدان. فإنّه إنّ لم يسعه الحقّ فالباطل اضيق عنه(١).

ورواه (الارشاد) عن أبيعبيدة مثل ما رواه البيان ورواه (عقد ابن عبد ربه) مثله لكن فيه: «منهج على أُمّ الكتاب» ورواه (عيون ابن قتيبة) لكن بدون زيادة ما عن الصادق عليه السلام، وفي (العقد) و(العيون) «فلا يدّعينّ

(١) شرح ابن ميثم ١: ٢٩٧

مدّع إلّا على نفسه»[1].

وروى (روضة الكافي): عن القمي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، ويعقوب السّراج عن الصادق عليه السلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر. فقال: «الحمد لله الّذي علا فاستعلى، ودنا فتعالى، وأرتفع فوق كل منظر -إلى أن قال-

أما بعد؛ أيّها الناس! فإنّ البغي يقود أصحابه إلى النار، وإنّ أوّل من بغى على الله جل ذكره؛ عناق بنت آدم، وأوّل قتيل قتله عناق، وكان مجلسها جريباً من الأرض في جريب، وكان لها عشرون إصبعاً في كلّ إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلّط الله عزّ وجلّ عليها أسداً كالفيل، وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل فقتلوها، وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم، وآمن ما كانوا، وأمات هامان وأهلك فرعون، وقد قتل عثمان. ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، والّذي بعثه بالحق -إلى أن قال-

فلئن أَمِرَ الباطل؛ لقديماً فعل، ولئن قلّ الحق؛ فلربّما ولعل، ولقلّما أدبر شيء فأقبل، ولئن ردّ عليكم أمركم إنّكم سعداء، وما عليّ إلّا الجهد، وانّي لأخشى أن تكونوا على فترة ملتم عنّي ميلة كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي، ولو اشاء لقلت. عفا الله عمّا سلف. سبق فيه الرجلان، وقام الثالث كالغراب همّه بطنه، ويله لو قُصّ جناحاه، وقُطِعَ رأسُه كان خيراً له. شغل عن الجنة والنار أمامه ثلاثة وإثنان خمسة ليس لهم سادس ملك يطير بجناحيه، ونبي أخذ الله بضبعيه، وساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر في النار. اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادّة، عليها باقي الكتاب، وآثار

(١) رواه المفيد في الارشاد: ١٢٨ وابن عبد ربه في العقد الفريد ٤: ١٣٣ وابن قتيبة في عيون الاخبار ٢: ٢٣٦ ولفظ العيون «لا يدعى مدع».

النبوة. هلك من ادّعى، وخاب من افترى، إنّ الله أدّب هذه الأُمّة بالسيف والسوط، وليس لأحد عند الامام فيهما هوادة. فاستتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحقّ هلك»[١].

ورواه (إثبات المسعودي) مثله، ولكن فيه وقد قتل عثمان، وكان لي حقّ حازه من لم آمنه عليه، ولم أشركه فيه. فهو منه على شفا حفرة من النار لا يستنقذه منها إلّا نبي مرسل يتوب على يديه، ولا نبيّ بعد محمّد[٢].

وروى باب تمحيص (الكافي)، و(غيبة النعماني) من العنوان من «ألا وانّ بليّتكم قد عادت ـ إلى ـ وهذا اليوم»[٣].

قول المصنّف «من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة» هكذا في (المصرية) والصواب: «ومن خطبة له عليه السلام» ـ الخ ـ كما في «حد، وثم، والخطية»[٤] ويشهد له قول المصنّف بعد «ومن هذه الخطبة».

«ذمتي بما أقول رهينة» أي: متعهّدة.

«وأنا به زعيم» أي: كفيل، والجملة لفظ القرآن[٥].

«إنّ من صرّحت» أي: كشفت. وأمّا ما في (الصحاح): «صرح الحق عن محضه: أي انكشف»[٦] فكما ترى.

«له العبر» أي: جمع العبرة.

«عمّا بين يديه» أي: عمّا يستقبله.

---

(١) الكافي ٨: ٦٧، ح ٢٣.

(٢) اثبات الوصية: ١٢٦.

(٣) الكافي ١: ٣٦٩، ح ١ وغيبة النعماني: ١٣٥

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٠ وشرح ابن ميثم ١: ٢٩٦.

(٥) يوسف: ٧٢.

(٦) صحاح اللغة ١: ٢٣٨، مادة (صرح).

«من المثلات» جمع المثلة بالفتح فالضم أي: العقوبة.

«حجزته» هكذا في (المصرية)، والصواب: «حجزه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١]: أي: منعه.

«التقوى عن تقحّم الشبهات» التقحّم من تقحّم به المركب إذا لم يضبطه. قال الشاعر:

أقول والناقة بي تقحم[٢]

هذا، وليس من أوّل العنوان إلى هنا في (مداركه)، وإنّما الجملة الأُولى إلى «زعيم» من كلامه عليه السلام في البدع كما في (الإرشاد)[٣]، وأمّا الجملة الثانية فلم أقف على موضعها.

«ألا وانّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم» هذا الكلام يدلّ على أنّ الإمامة كالنبوّة، وأنّه عليه السلام مثل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في امتحان الله تعالى الخلق به. ففي بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سبق جمع كانوا قصّروا، وقصّر جمع كانوا سبقوا. فاليهود كانوا يبشّرون الناس بظهور النبي الخاتم، ويوعدون الأوس والخزرج به، فلمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كفر به اليهود، وآمن به الأوس والخزرج كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ولمّا جاءهم كتاب من عندالله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به. فلعنة الله على الكافرين. بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾[٤].

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٠ وشرح ابن ميثم ١: ٢٩٦ مثل المصرية أيضاً.

(٢) أورده في لسان العرب ١٢: ٤٦٤، مادة (قحم) وأساس البلاغة: ٣٥٦، مادة (قحم).

(٣) الارشاد: ١٢٣.

(٤) البقرة: ٨٩ ـ ٩٠.

وكان أُميّة بن أبي‌الصلت، وعبدالله بن جحش، وأبو عامر الأوسي ممّن آمن بالله في الجاهلية، ولكن في الاسلام كفروا.

وكذلك بليّة الناس وامتحانهم كانت تعود عند قيام كلّ إمام من أئـمّة الهدى عليهم‌السلام قال النوبختي في (فِرَقِه): فلمّا قتل عليّ عليه‌السلام افترقت الفرقة الّتي ثبتت على إمامته، وانّها فرض من الله تعالى ورسوله فصاروا فرقاً ثلاثاً: فرقة قالت: إنّ عليّاً عليه‌السلام لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتّى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً وهي السبائية، وفرقة قالت بامامة محمّد بن الحنفية لأنّه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه وهي الكيسانية، وفرقة لزمت القول بإمامة الحسن عليه‌السلام ثم بعده بإمامة الحسين عليه‌السلام حتّى قتل فحارب فرقة من أصحابه، وقالت: اختلف فعل الحسن وفعل الحسين لأنّه إن كان الّذي فعله الحسن حقّاً واجباً صواباً من موادعته مع معاوية مع كثرة أنصاره فما فعله الحسين من محاربة يزيد مع قلّة أنصاره كان باطلاً، وإن كان ما فعله الحسين حقّاً صواباً فقعود الحسن كان باطلاً فشكّوا في امامتهما ورجعوا.

واختلف القائلون بامامته بعد أبيه وأخيه. فقالت فرقة بامامة عليّ بن الحسين عليه‌السلام، وفرقة قالت: انقطعت الإمامة بعد الحسين عليه‌السلام انّما كانوا ثلاثة مسمّين بأسمائهم استخلفهم النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وفرقة قالت: انّ الإمامة صارت بعد الحسين عليه‌السلام في ولد الحسن والحسين، من قام منهم ودعا إلى نفسه فهو الإمام وهم السرحوبية.

ولمّا توفي عليّ بن الحسين عليه‌السلام قال القائلون بإمامته بإمامة آبنه الباقر عليه‌السلام غير نفر يسير أصحاب عمر بن رباح.

ولمّا توفّى الباقر عليه‌السلام قالت فرقة بإمامة محمّد بن عبدالله المحض، وهم المغيرية، وقالت فرقة منهم بإمامة آبنه الصادق عليه‌السلام.

ولمّا توفي الصادق عليه السلام افترقت شيعته ستّ فرق: فرقة قالت: إنّه لم يمت ولا يموت وهم الناووسية، وفرقة قالت: الإمام بعده ابنه إسماعيل، وانّه لم يمت في حياة أبيه، وفرقة قالت: الإمام بعده محمّد بن إسماعيل لأنّ إسماعيل مات في حياته وهم المباركية، وقالت فرقة: إنّ الإمام بعده محمّد بن جعفر وهم السمطية، وقالت فرقة منهم: انّ الإمام بعده ابنه عبدالله الأفطح وهم الفطحية، وقالت فرقة: إنّ الإمام بعده ابنه الكاظم عليه السلام.

ولمّا توفّي الكاظم عليه السلام صارت الشيعة خمس فرق: فرقه قالت: إنّ الإمام بعده ابنه الرضا عليه السلام، وهم القطعية، لأنّها قطعت بوفاة أبيه، وقالت فرقة: إنّ الكاظم عليه السلام لم يمت وإنّه اختفى، وبعضهم قال: مات ورجع، وبعضهم قال: لا يرجع إلّا وقت قيامه، وبعضهم قال: مات ورفعه الله، وينزل عند قيامه. وكلهم الواقفة، وفرقة قالت: غاب، واستخلف محمّد بن بشير إلى أن يرجع وهم البشيرية.

ولمّا مات الرضا عليه السلام قالت فرقة: إنّ الامام بعده ابنه الجواد عليه السلام، وفرقة قالت: أخوه أحمد لكون الجواد عليه السلام إذ ذاك ابن سبع.

ولمّا توفّي الجواد عليه السلام قالت شيعته بامامة ابنه الهادي عليه السلام سوى شرذمة قالوا بإمامة أخيه موسى بن محمّد مُدّةً ثم رجعوا إليه عليه السلام.

ولمّا توفي الهادي عليه السلام قالت فرقة: إنّ الامام بعده ابنه محمّد، وإنّه لم يمت في حياة أبيه، وقالت فرقة: إنّ الإمام بعده الحسن ابنه عليه السلام، وقال نفر يسير بإمامة أخيه جعفر.

ولمّا توفّي الحسن عليه السلام افترق أصحابه أربع عشرة فرقة: الأُولى: أنّه لم يمت، والثانية: أنّه مات وعاش، والثالثة: أنّ الامام بعده أخوه جعفر منه

والرابعة: أنّه جعفر من قبل أبيه ـ الخ[١].

كما أنّه تعود بلية الناس عند قيام القائم عليه‌السلام. فعن الصادق عليه‌السلام: إذا خرج القائم عليه‌السلام خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر[٢].

كما أنّ بلية الناس في أميرالمؤمنين عليه‌السلام كانت مرّتين: وقت قيامه كما قاله هنا، وبعد وفاة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وبيعة أبي‌بكر.

«والّذي بعثه» أي: النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

«بالحق لتبلبلنّ بلبلة» بالفتح قال الجوهري: تبلبلت الألسن أي: اختلطت[٣].

«ولتغربلنّ غربلة» أي: تُجعلون في الغربال كالدقيق يغربل.

«ولتساطُنّ» أي: تقلّبنّ.

«سوط» أي: تقلب.

«القِدر» يقال نحن نسوط هذا الأمر أي: نقلّبه ظهراً لبطن.

«حتى يعود أسفلُكم أعلاكم وأعلاكم أسفَلَكم» في حياته عليه‌السلام وبعده.

روي عن الصادق عليه‌السلام قال: والله لتكسَّرنّ تكسر الزجاج، وانّ الزجاج ليعاد فيعود، والله لتكسَّرُنَّ تكسرّ الفخار، وإنّ الفخار ليكسرن ولايعود كما كان، ووالله لتغربلن، ووالله لتميّزن، ووالله لتمحّصن حتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل.

وعن الباقر عليه‌السلام لتمحصن يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل في العين،

---

(١) هذا حاصل كلام النوبختي في كل الكتاب فرق الشيعة.

(٢) أخرجه النعماني في الغيبة: ٢١٧.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٦٤٠، مادة (بلل).

وإنّ صاحب الكحل يدري متى يقع الكحل في عينه، ولا يعلم متى يخرج منها وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا، ويمسي وقد خرج منها، ويمسي على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج منها.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال لشيعته: كونوا كالنحل في الطير. ليس شيء من الطير إلّا وهو يستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك. خالطوا الناس بالسنتكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فو الّذي نفسي بيده ماترون ما تحبّون حتّى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتى لا يبقى منكم إلّا كالكحل في العين، والملح في الطعام. وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيّبه ثم أدخله بيتاً، وتركه فيه ما شاء الله. ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس. فأخرجه ونقّاه وطيّبه ثم أعاده إلى البيت. فتركه ما شاء الله ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس. فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتّى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلّا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً[1].

«وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا» أي: يسبق إلى إمامته حين توليته أمر الخلافة جمع كانوا قصّروا بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه.

وفي رجال الكشي، قال الفضل بن شاذان: إنّ من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أبو الهيثم بن التيهان، وأبو ايّوب، وخزيمة بن ثابت، وجابر بن عبدالله، وزيد بن أرقم، وأبوسعيد الخدري، وسهل بن حنيف، والبراء بن مالك، وعثمان بن حنيف، وعبادة بن الصامت. ثم ممّن دونهم قيس

---

(١) الاحاديث الثلاثة اخرجها النعماني في الغيبة: ١٣٨ ـ ١٤٠.

بن سعد بن عبادة، وعدى بن حاتم، وعمروبن الحمق، وعمران بن الحصين، وبريدة الأسلمي وبشر كثير[١].

«وليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا» كالزبير فإنّه بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تخلّف عن بيعة أبي‌بكر مع أميرالمؤمنين عليه السلام وسلّ سيفه قائلاً لا يبايع إلّا عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام حتّى أخذوا سيفه وكسروه، وكان يعدّ في عداد الهاشميين ولكن بعد قيامه عليه السلام بالأمر كان أوّل من نكث بيعته مع صاحبه طلحة، وقال عليه السلام: ما زال الزبير منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشؤوم[٢] أي: عبدالله ابن الزبير.

كما أنّ تميم البصرة كانوا في حرب الجمل معه عليه السلام، وأزدها مع عائشة، وفي فتنة ابن الحضرمي الّذي بعثه معاوية إلى البصرة صاروا بالعكس.

وقال الخوئي المراد بقوله عليه السلام «وليقصّرن سبّاقون كانوا سبقوا» أهل الجمل، وأهل الشام، وأهل النهروان[٣]وهو كما ترى بلا ربط.

هذا، وممّن قصّر في أمر الدين بعد سبقه لا معه عليه السلام محمّد بن مناذر الشاعر اللغوي قالوا: كان في أوّل أمره ناسكاً يتألّه. ثم ترك ذلك، وهجا الناس وتهتّك، وعن يحيى بن معين أنّه كان يرسل العقارب في المسجد بالبصرة حتّى تلسع الناس: وكان يصبّ المداد بالليل في اماكن الوضوء حتّى تسودّ وجوههم.

«والله ما كتمت» بصيغة المجهول: أي: من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٣٨.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٦٠ وعاصم بن حميد في اصله: ٢٣ وابن عبد البر في الاستيعاب ٢: ٣٠٢ وغيرهم.

(٣) شرح الخوئي ١: ٣٥٠.

«وشمة» أي: كلمة كما عن ابن السكّيت[١]، والأصل فيه شيء حقير كلمة أو غيرها يقال «ما أصابتنا العام وشمة» أي: قطرة، ويقال «ما عصيتك وشمة» أي: أدنى معصية.

«ولا كذبت» أيضاً مجهولاً.

«كذبة» أي: من طرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ما أخبرني.

وفي (تاريخ بغداد): عن أبي جحيفة قال عليّ عليه السلام حين فرغنا من الحرورية: «إنّ فيهم رجلاً محدجاً ليس في عضده عظم أو في عضده حلمة كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف فالتمسوه. فلم يوجد، وأنا في من يلتمس، فما رأيت علياً جزع جزعاً قطّ أشدّ من جزعه يومئذٍ. فقالوا: ما نجده يا أميرالمؤمنين قال: ويلكم! ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: كذبتم. إنّه لفيهم فالتمسوه ـإلى أن قال ـ فالتمسناه في ساقية. فوجدناه فجئنا به. فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم، وعليها حلمة كحلمة ثدي المرأة عليها شعرات طوال عقف[٢].

وروى عن أبي الأحوص قال: كنّا مع عليّ يوم النهروان، فجاءت الحرورية فكانت من وراء النهر، فقال عليّ: والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر ثمّ نزلوا فقالوا لعليّ: قد نزلوا قال: والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر فأعادوا عليه هذه المقالة ـ ثلاثاً ـ كلّ ذلك يقول لهم على مثل قوله الأوّل.

فقالت الحرورية بعضهم لبعض: يرى عليٌّ أنّا نخافه، فأجازوا فقال عليّ لأصحابه: لا تحرّكوا هم حتّى يحدثوا حدثاً ـإلى أن قال بعد ذكر إخراجهم عبدالله بن خباب من منزله على شطّ النهر، وذبحهم له كالشاة،

(١) رواه عنه الجوهري في صحاح اللغة ٥: ٢٠٥٢، مادة (وشم).

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٩٩.

وسيلان دمه في الماء كالشراك ما اختلط، وطلبه منهم قاتله، وجوابهم أنّ كلّهم قاتله ـ فقال عليّ عليه السلام لأصحابه: دونكم القوم. فما لبثوا أن قتلوهم. فقال عليّ: أُطلبوا في القوم رجلاً يده كثدي المرأة فطلبوه. فقالوا: ما وجدنا. فقال: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنّه لفي القوم ـ الخبر[١].

«ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم» أي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما كتم عنّي شيئاً وأخبرني بكلّ ما يجرى عليّ، وقتل الناس لعثمان، وبيعتهم له، وإن كانت قريش غير راضيه بذلك، وكان المتقدّمون عليه من صدّيقهم وفاروقهم أسّسوا لهم ذلك بنصب عثمان لئلّا يرجع الأمر إليه أبداً، ويكون متداولاً بين بطون قريش وبني أُميّة.

ولقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بالكلّ والجزء، وغدر الأمّة به بعده ثم انتقال الأمر إليه بعد ثالثهم حتّى بخصوصيات من ينصره، ويلحق بعسكره في معاركه. ففي (الطبري): روى الشعبي عن أبيالطفيل قال: قال عليّ عليه السلام (بالربذة لمّا أراد البصرة): يأتيكم من الكوفة إثنا عشر ألف رجل ورجل» فقعدت على نجفة ذى قار. فاحصيتهم. فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً[٢].

وهذا أيضاً دليل على بطلان أمر من تقدّم عليه، وحقّية خلافته، وكان أبوبكر تمنّى في حال احتضاره في ما تمنّى ـ كما روى ابن قتيبة وغيره ـ أنّه ليت سأل النبي هل كان له في الأمر نصيب[٣].

وقد قال عمر كما رووا أنفسهم في يوم من أيّام خلافته: والله ما أدرى

---

(١) رواه جمع كثير منهم المدائني في الكتاب الخوارج عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٣، شرح الخطبة ٣٦ لكن لم أظفر به في تاريخ بغداد.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥١٣، سنة ٣٦.

(٣) جاء هذا في الإمامة والسياسة المنسوب الى ابن قتيبة ١: ١٩ وتاريخ الطبري ٢: ٦٢٠، سنة ١٣ ومروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٠٢.

أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فقد ورطت في أمر عظيم[١]. وروى (تاريخ بغداد): أنّ عتبة بن غزوان كان يعتقده ملكاً. فدعا الله أن يميته لئلّا يكون والياً له فاستجيب له[٢].

وقد روى أبو أحمد العسكري أنّ عمر كان يخرج مع الوليد بن المغيرة في تجارة للوليد إلى الشام، وعمر يومئذٍ ابن ثماني عشرة سنة، وكان يرعى للوليد إبله، ويرفع أحماله، ويحفظ متاعه. فلمّا كان بالبلقاء لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر إليه، ويطيل النظر. ثم قال: أظن يا غلام اسمك عامر أو عمران أو نحو ذلك. قال: إسمي عمر. قال: إكشف عن فخذيك. فكشف. فإذا على أحدهما شامة سوداء في قدر راحة. الكف فسأله أن يكشف عن رأسه. فإذا هو أصلع.

فسأله أن يعتمد بيده. فإذا هو أعسر أيسر. فقال: له: أنت ملك العرب فضحك عمر مستهزئاً فقال: أو تضحك؟ وحقّ مريم البتول أنت ملك العرب، وملك الفرس والروم. فتركه عمر وانصرف مستهيناً بكلامه. فكان عمر بعد ذلك يحدّث ويقول: تبعني ذلك الرومي راكب حمار. فلم يزل معي حتّى باع الوليد متاعه وقفل[٣].

وإنّما أخبر النبيّ ﷺ بتصدّيهما للخلافة كما أخبر بتصدّي بني أُميّة الشجرة الملعونة للخلافة أخبر بذلك بنتيهما، واشترط عليهما عدم إظهاره فأظهرتا سرّه، قال البلاذري في (تاريخه): حدّث هشام الكلبي عن أبيه عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وإذ أسرَّ النبي إلى بعض ازواجه

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١١٠، شرح الخطبة ٢٢٦ والطبري في تاريخه ٣: ٢٧٩، سنة ٢٣.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٥٦.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٤٣، شرح الخطبة ٢٢٦،والنقل بتصرف يسير.

حديثاً. فلمّا نبّأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[1] انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أسرّ إلى حفصة أنّ أبابكر يلي الأمر بعده، وأنّ عمر وإليه بعد أبي بكر، فأخبرت بذلك عائشة ـ الخبر[2].

وفي (الكشّاف) في تفسير الآية، روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة. فقال لها: أُكتمي عليَّ، وقد حرّمت مارية على نفسي، وأُبشّرك أنّ أبابكر وعمر يملكان بعدي أمر أمّتي. فأخبرت به عائشة، وكانتا متصادقتين ـ وقيل: خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك، واستكتمها فلم تكتم ـ إلى أن قال ـ وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: ألم أقل لك أكتمي عليّ؟ قالت: والّذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاً ـ الخ[3].

فلو كان مُلكهما حقاً كان الواجب على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إعلانه، لا أن يشترط كتمانه وهو صار سبباً لتكالبهما في طلب الأمر، ولو بإحراق فاطمة والحسنين عليهم السلام وضرب رقبة أميرالمؤمنين عليه السلام لولم يستسلم.

كما أنّ الصادق عليه السلام لمّا أخبر المنصور، وأخاه السفاح بنيلهما الأمردون بني الحسن[4] صار سبباً لتكالبه في الأمر وحبسه لبني الحسن وقتله لهم.

«ألا وإنّ الخطايا خيلٌ شُمسٌ» جمع شموس.

«حمل عليها أهلها وخلعت لجمها» جمع لجام.

---

(١) التحريم: ٣ و٤.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٤٢٤.

(٣) الكشاف ٤: ٥٦٢ و٥٦٦.

(٤) رواه أبو الفرج في المقاتل: ١٧٢.

«**فتقمّحت بهم**» أي: طرحتهم.

«**في النار**» أي: نار جهنم.

روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة. إن القلب ليواقع الخطيئة؛ فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله.

وعنه عليه السلام في قوله الله تعالى ﴿فما أصبرهم على النار﴾[1] قال: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلى النار.

وعنه عليه السلام: كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «لا تبدين عن واضحة، وقد عملت الأعمال الفاضحة، ولا يأمن البيات من عمل السيّئات».

وعنه عليه السلام: «من همّ بسيّئة فلا يعملها فإنّه ربّما عمل العبد السيّئة فيراه الربّ تبارك تعالى فيقول: ﴿وعزّتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً﴾».

وعن الكاظم عليه السلام: «حقّ على الله ألّا يعصى في دارٍ إلّا أضحاها للشمس حتّى تطهّرها، وكلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون، وأنّ لله تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله. فلولا بهائم رتّع، وصبية رضّع، وشيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب صبّا، ترضّون به رضّا».

وعن الباقر عليه السلام: «انّه ما من سنة أقل مطراً من سنة، ولكن الله يضعه حيث يشاء. إن الله عزّ وجلّ إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم، وإلى الفياض والبحار والجبال، وإنّ الله ليعذّب الجعل في جحرها بحبس المطر عن الأرض الّتي هي بمحلها بخطايا من بحضرتها وقد جعل الله لها السبيل في سلك سوى محلة أهل المعاصي».

---

(١) البقرة: ١٧٥.

وعن الرضا عليه السلام : «أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الورى».

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قالوا ربّنا باعد بين أسفارنا﴾[١] الآية: «هؤلاء قوم كانت لهم قرىً متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية وأموال ظاهرة. فكفروا نعم الله تعالى. فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرّق قراهم، وخرّب ديارهم، وأذهب أموالهم، وأبدل مكان جنّاتهم جنّتين ذواتي أكل خمط، وأثل وشيء من سدر قليل، وقال تعالى ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلّا الكفور﴾ »[٢].

والخمط: ضرب من الأراك له حمل يؤكل، والأثل: شجر نوع من الطرفاء.

وعنه عليه السلام قال الله عزّ وجلّ: «إذا عصاني من عرفني سلّطت عليه من لا يعرفني، وانّ الرجل يذنب الذنب. فيحرم صلاة الليل، وانّ العمل السيىء أسرع في صاحبه من السكّين في اللحم»، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وإنّه لينظر إلى أزواجه في الجنّة يتنعّمن».

وعن الباقر عليه السلام : «ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء. فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء. فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذاك السواد حتّى يغطّي البياض. فإذا تغطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا وهو قوله تعالى: ﴿كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ »[٣].

---

(١) سبأ: ١٩.

(٢) سبأ: ١٧.

(٣) هذه الأحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٢: ٢٦٨ ـ ٢٧٦ وما رواه عن الامام الكاظم عليه السلام فهو تلفيق ثلاثة أحاديث ثانيها للامام الرضا عليه السلام . والآية ١٤ من سورة المطففين.

«ألا وإنّ التقوى مطايا» أي: مراكب.

«ذلل» جمع ذلول.

«حمل عليها أهلها واعطوا ازمّتها» الأزمة: جمع الزمام.

«فاوردتهم الجنّة» قال جلّ وعلا: ﴿واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنّة هي المأوى﴾[1].

وفي (الكافي): عن الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنّة. فيضربونه. فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر. فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله. فيقول الله تعالى: صدقوا. أدخلوهم الجنّة، وهو قول الله تعالى: ﴿انّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[2].

وعن الباقر عليه السلام: أعينونا بالورع. يقول تعالى: ﴿من يطع الله والرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقا﴾[3] ومنّا النبيّ، ومنّا الصِّدّيق، والشهداء، والصالحون[4].

«حق وباطل» قد تواتر قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليٍّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[5].

وحيث لا واسطة بينهما. فلابد أنّ من تقدّم عليه كان باطلاً، وصرّح به في الخطبة على رواية الروضة ونقل ابن ميثم من قوله عليه السلام: «ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه، ومن لم أهبه له، ومن ليست له منه توبة إلا

---

(١) النازعات: ٤٠ و٤١.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) النساء: ٦٩.

(٤) أخرجهما الكليني في الكافي ٢: ٧٥ و٧٨، ح ٤ و١٢، والنقل بتصرف يسير.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١ والبيهقي عنه فرائد السمطين ١: ١٧٧، ح ١٤٠ غيرها عن أم سلمة.

بنبيّ يبعث، ولا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله، أشرف منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم»[١].

«ولكلّ» من الحق والباطل.

«أهل» كذلك كان من أوّل الدنيا، وكذلك يكون إلى الأبد ﴿ذلك بأنّ الذين كفروا اتّبعوا الباطل وأنّ الذين آمنوا اتّبعوا الحقّ من ربّهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾[٢].

«فلئن أَمِرَ الباطل (حالاً) لقديما فعل» أي: من القديم تصدّى للأمارة.

والمراد أنّ الثلاثة إن تقدّموا عليه، واستقرّ أمرهم وتزلزل أمره فليس بغرو لأنّه كان كذلك في جميع الأعصار بفرار الناس من أهل الحق، واتّباعهم أهل الباطل، ولذا كان عليه السلام يقول: «أيّها الناس! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله. فانّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل»[٣].

وكان عليه السلام يحمل سيّدة النساء -صلوات الله عليها- على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فما أجابه أحد، مع سماعهم أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفيها عليها السلام، ولمّا خرجت بنت أبي بكر على أميرالمؤمنين عليه السلام أجابها آلاف، من الناس مع قول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى﴾[٤] وضرب الله تعالى لها ولصاحبتها مثل امرأة نوح وامرأة لوط.

«ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ» يكثر بعد ذلك.

«وقلّما أدبر شيء فأقبل» فإنّه وإن رجع الأمر إليه عليه السلام وقرّ الحقّ مقرّه إلّا

---

(١) الكافي ٨ : ٦٨ وشرح ابن ميثم ١: ٢٩٧.

(٢) محمد: ٣

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٨١، الخطبة ١٩٩.

(٤) الاحزاب: ٣٣.

أنّه كان محض صورة. فلم يتمكن عليه السلام من ردع الناس عن بدع من تقدّم عليه، ولذا كان عليه السلام يقول: «لو استقرّت قدماي لغيّرت أشياء»[١] ولم يتمكّن عليه السلام من عزل عمالهم كمعاوية، ولم يستطع صدّ من أراد الخروج عليه كالزبير وطلحة حتّى أنّه عليه السلام لمّا أراد منعهم عن صلاة النوافل بالليل جماعة في شهر رمضان لعدم فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له، وانّما أحدثه لهم عمر؛ لم يقبلوا وصاحوا واعمراه.

وقول المصنّف: «أقول: قال الشريف» هكذا في (المصرية)، وكلّه زائد وليس من النهج أما «أقول» فليس في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم) رأساً، وأما «قال الشريف»: فإنّما قال ابن أبي الحديد إنشاء من نفسه «قال الرضي أبوالحسن» وقال ابن ميثم: «قال السيّد»[٢].

«**إنّ في هذا الكلام الأدنى**» أي: الأقرب، والظاهر كونه إشارة إلى كلامه عليه السلام الأخير «فلئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قلّ الحق فلربما ولعل ولقلّما أدبر شيء فأقبل» ويحتمل أن يكون إشارة إلى قوله قبله «الا وإنّ الخطايا...». فإنّه أيضاً يصدق عليه الأدنى بالنسبة إلى أوّل الكلام.

«**من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان**» والمراد لا يستطاع وصف حسنه.

هذا، وقال أبوالفضل الميكالي في وصف مكتوب «وكاد فرط التعجب مرة وعظم الإعجاب تارة يقف بي عند أوّل فصل من فصوله، ويثبّطني من أستيفاء غرره وحجوله، ويوهمني أن المحاسن ما حوته قلائده، ونظمته فرائده. فليس في قوس احسان وراءها منزع، ولا لاقتراح جَنان فوقها متطلع،

---

(١) لفظ نهج البلاغة ٤: ٦٦، الحكمة ٢٧٢ «لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء».

(٢) الموجود في شرح ابن أبي الحديد ١: ٩١ «أقول» وفي شرح ابن ميثم ١: ٢٩٦ «قال الشريف أقول».

حتّى إذا جاوزته إلى لفقه وتزيينه؛ وأجلت فكري في نكته وعيونه؛ رأيت ما يحيّر الطرف ويعجز الوصف، ويعلو على الأوّل محلاً ومكاناً، ويفوته حسناً وإحساناً، فرتعت كيف شئت في رياضه وحدائقه، واقتبست نور الحكمة من مطالعه ومشارقه، وسلّمت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة، وتلقّيتها بواجبها من النشر، والإذاعة، فإنّها جمعت إلى حسن الإيجاز درجة الإعجاز، وإلى فضيلة الإبداع جلالة الموقع في القلوب، والأسماع.

«إنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ العُجب به» قال الطائي:

أبدت أسى إن رأتني مخلس القصب   وآل ما كان من عُجب إلى عَجب

«وفيه مع الحال الّتي وصفنا» من عدم بلوغ مواقع استحسانه. بمواقع إحسانه، وكون حظّ العَجب منه أكثر من حظّ العُجب به.

«زوائد من الفصاحة» في اللفظ والمعنى. لأنّ المراد بالفصاحة في كلامه ما يعمّ البلاغة.

«لا يقوم بها لسان» لأدائها.

«ولا يطّلع فجّها» قال الجوهري: الفجّ: الطريق الواسع بين الجبلين[1].

«انسان» للوقوف عليها.

«ولا يعرف ما أقول» هكذا في (المصرية) نسخة (ابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم والخطية): «أقوله»: أي في وصف ذاك الكلام الأدنى[2].

«إلّا من ضرب في هذه الصناعة» أي: صناعة البلاغة.

«بحقّ» لا مجرد ظاهر.

«وجرى فيها على عرق» حتّى صار من أهل التعمق فيها.

---

(١) صحاح اللغة ١: ٣٣٣، مادة (فجج).

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٩١ وشرح ابن ميثم ١: ٢٩٧ كليهما «أقول».

«وما يعقلها» أي: صفة الضرب فيها بحقّ، والجري فيها على عرق.

«إلّا العالمون» بذاك الفن لاكلّ من ادّعى.

وحيث إنّ المصنّف قال: «لا يعرف ما أقول إلّا من ضرب في هذه الصناعة بحق» رأيت نقل ما قاله الأُدباء على لسان أهل الصناعات في وصف صناعة الكلام بمناسبة صناعتهم. قالوا: «قال الصيرفي: خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية، ووزنته بمعيار الفصاحة. فلا نظر يزيفه، ولا سماع يهرجه.

وقال الجوهري: أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الكفرة. ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سمّو ألفاظه. فاحتملته نحور الرواة.

وقال العطّار: أطيب الكلام ما عجن عنبر الفاظه بمسك معانيه. ففاح نسيم نشقه، وسطعت رائحة عبقه. فتعلّقت به الرواة، وتعطّرت به السراة.

وقال الصائغ: خير الكلام ما أحميته بكير الفكر، وسبكته بمشاغل النظر، وخلّصته من خبث الإطناب. فبرز بروز الابريز في معنى وجيز.

وقال الحدّاد: أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة، واشعلت عليه نار البصيرة. ثم أخرجته من فحم الاقحام، ورققته بفطيس الأفهام.

وقال النجار: خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقدوم التقدير. وانشرته بمنشار التدبير. فصار باباً لبيت البيان، وعارضة لسقف اللسان.

وقال الخياط: البلاغة قميص فجر بانه البيان، وجيبه المعرفة، وكمّاه الوجازة، ودخاريصه الأفهام، ودروزه الحلاوة، ولا بسه جسد اللفظ، وروح المعنى.

وقال البزاز: أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه، وحسن نشر معانيه. فلم يستعجم عليك نشر، ولم يستبهم عليك طيّ.

وقال النجّاد: أحسن الكلام مالطفت رفارف ألفاظه، وحسنت مطارح معانيه، فتنزهت في زرابيّ محاسنه عيون الناظرين، وأصاخت لنمارق بهجته آذان السامعين.

وقال الصبّاغ: أحسن الكلام ما لم تنض بهجة ايجازه، ولم تكشف صبغة إعجازه. قد صقلته يد الرويّة من كمود الاشكال. فراع كواعب الآداب وأنف عذارى الألباب.

وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى معانيه. فخرج مفوّفاً منيّراً، وموشّى محرّراً.

وقال الماتح: أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه ببكرة معانيه. ثم أرسلته في قليب الفطن. فامتحت به سقاءً يكشف الشبهات. وأستنبطت به معنى يروي من ظمأ المشكلات.

وقال الرائض: خير الكلام ما لم يخرج عن حدّ التخليع إلى منزلة التقريب إلّا بعد الرياضة، وكان كالمهر الّذي أطمع أوّل رياضته في تمام ثقافته.

وقال الجمّال: البليغ من أخذ بخطام كلامه. فأناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالاً، والإيحاز له مجالاً. فلم يندّ عن الآذان، ولم يشذّ عن الأذهان.

وقال المخنّث: خير الكلام ما تكسّرت أطرافه، وتثّنت أعطافه، وكان لفظه حلّة، ومعناه حلية.

وقال الخمّار: أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم، وصفّاه راوق الفهم وضمّته، دنان الحكمة. فتمشّت في المفاصل عذوبته، وفي الافكار رقّته، وفي العقول حدّته.

وقال الفقاعي: خير الكلام ما روّحت ألفاظه غباوة الشك، ورفعت رقّته فظاظة الجهل. فطاب حساء فتنته، وعذب مصّ جرعته.

وقال الطبيب: خير الكلام ما إذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة. استطلقت طبيعة الغباوة. فشفي من سوء التفهّم، واورث صحّة التوهّم.

وقال الكحّال: كما أنّ الرمدقذى الأبصار. فكذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة، واجل رمص الغفلة بمرود اليقظة.

وأجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرقت شمسه. انكشف لبسه، وإذا صدقت أنواؤه. آخضرت أنحاؤه.

قول المصنّف: «ومن هذه الخطبة شغل» أي: عن الاهتمام بالأُمور الراجعة إلى الدنيا.

«من» أي: الذي.

«الجنّة والنار أمامه» فيجعل همّه في حيازة الجنّة، والاحتراز عن النار. وعن الباقر عليه السلام بكى أبوذر من خشية الله عزّ وجلّ حتى آشتكى بصره. فقيل له: يا اباذر لو دعوت الله أن يشفي بصرك. فقال: إنّي عنه لمشغول في ما هو أكبر منه همّي. قالوا: وما يشغلك عنه. قال: العظيمتان الجنّة والنار[1].

وقال عليه السلام: لا تنسوا الموجبتين في دبر كلّ صلاة قيل: وما الموجبتان؟ قال: تسأل الله الجنّة وتعوذ بالله من النار[2] ـ وفي خبر آخر ما معناه أن المصلّي لو لم يسأل الله الجنّة بعد صلاته ولم يستعذ به من النار. قالتا ـ أي

---

(١) أخرجه الصدوق في الخصال ١: ٣٩، ح ٢٥، باب الاثنين عن الباقر عليه السلام وأخرجه الكشي في معرفة الرجال، اختياره: ٢٨، ح ٥٤ وغيره عن الكاظم عليه السلام.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٣: ٣٤٣، ح ١٩ والصدوق في معاني الاخبار: ١٨٣، ح ١ وغيرهما.

بلسان الحال ـ ما أجهله بنعمي، وما أغفله عن نقمي[١].

وفي (الطبري) ـ بعد ذكر أنّ الحر سأل ابن سعد هل أنت مقاتل الحسين؟ فقال له: نعم ـ أنّ الحر أخذ يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً. فقال له رجل من قومه يُقال له المهاجر بن أوس: ما تريد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء. فقال له المهاجر: والله إنّ أمرك لمريب. والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن، ولوقيل لي: من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك. فما هذا الّذي أرى منك؟ قال: إنّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، ووالله لا أختار على الجنّة شيئاً، ولو قطّعت وحرّقت. ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام[٢].

«ساع» في أمر الآخرة.

«سريع» في العمل.

«نجا» من النار.

قال جلّ وعلا: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون* أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٣].

«وطالب» لأمر الآخرة.

«بطيء» في العمل.

«رجا» أن تكون له نجاة وليس بحتم.

قال تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر

---

(١) روى هذا المعنى من طرق عديدة الحر العاملي في الوسائل ٤: ١٠٣٩، باب ٢٢ والمحدث النوري في المستدرك ١: ٣٤٢، باب ٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٥، سنة ٦١.

(٣) المؤمنون: ٦١.

سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم﴾[١].

﴿وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾[٢].

«ومقصّر» أي: مفرّط في أمر آخرته.

«في النار هوى» أي: سقط وهلك.

قال جل اسمه: ﴿بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[٣].

هذا، وقد عرفت أنّ ابن أبي الحديد روى بعد ما مرّ زيادة «ثلاثة واثنان ملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بيده لا سادس» ومثله ابن ميثم حيث روى بعد ما مرّ «ثلاثة واثنان خمسة وليس فيهم سادس ملك طائر بجناحيه ونبي أخذ بضبعيه»[٤].

والصواب رواية الكليني من جعل الزيادة قبل ما مرّ من قوله عليه السلام «ساع سريع ـ إلى ـ في النار هوى» فقد عرفت أنّه روى كلامه عليه السلام هكذا: «ثلاثة وإثنان خمسة ليس لهم سادس. ملك يطير بجناحيه، ونبي أخذ الله بضبعيه، وساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصّر في النار»[٥].

فإنّ رواية ابن أبي الحديد ورواية ابن ميثم تحتاجان إلى تكلّف كثير في معنى «ثلاثة واثنان» بأن يكون الأصل «من مرّ ثلاثة ومن يأتي اثنان» وهو كما ترى بعيد عن كلام مثله عليه السلام لخروجه عن الفصاحة بخلاف رواية الكليني

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) التوبة: ١٠٦.

(٣) التوبة: ٨١.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٢ وشرح ابن ميثم ١: ٢٩٨

(٥) الكافي ٨: ٦٨.

ففي كمال المناسبة والربط.

وكيف كان، فقال ابن أبي الحديد: «كلامه عليه السلام يقتضي أنّ العصمة ليست إلّا للأنبياء والملائكة، ولو كان الامام يجب أن يكون معصوماً لكان قسماً سادساً وقد نفاه»[1].

قلت: بل لا يقتضي ما قاله لأنّ الإمام حاله حال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقوله «ونبي أخذ الله بيده» يدلّ عليه بالدلالة العرفية بالاقتصار على أظهر الفردين وإرادة الأعم كما هو المتداول في المحاورات. فهما من سنخ واحد النبي الآتي بالشريعة والإمام الحافظ للشريعة.

ولرعاية السنخية قال عليه السلام «ثلاثة واثنان» ولم يقل «خمسة» نعم على عقيدتهم في من نصبوه إماماً حتّى ذي نوريهم يمكن أن يكون الإمام داخلاً في قوله عليه السلام: «ومقصّر في النار هوى» لقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار﴾[2].

«**اليمين والشمال مضلّة والطريق الوسطى هي الجادّة**» بتشديد الدال قال تعالى: ﴿وانّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾[3].

«**عليها باقي الكتاب**» أي: الكتاب الباقي من اضافة الصفة. ثم يصدّق المتن من لفظ الجملة رواية ابن أبي الحديد ورواية الروضة وابن ميثم[4] ولكن عرفت أنّ العقد رواه بلفظ «منهج عليه أمّ الكتاب»[5] قال جلّ وعلا: ﴿الحمد لله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) القصص: ٤١.

(٣) الانعام: ١٥٣

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩١ وشرح ابن ميثم ١: ٣٠٢ والكافي ٨: ٦٨.

(٥) العقد الفريد ٤: ١٣٣.

الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً﴾[1].

«وآثار النبوّة» ﴿هو الّذي بعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[2].

«ومنها منفذ السنّة وإليها مصير العاقبة» الجملتان ليستا في رواية ابن أبي الحديد وابن ميثم والروضة وغيرها[3] ـ ثم إنّ الضميرين في «منها» و«إليها» راجعان إلى الطريق الوسطى الّتي هي الجادة. قال تعالى: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الّذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون»[4].

قال ابن أبي الحديد: مثل كلامه عليه السلام خطبة عمر في سنة قتله «قد سننت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على الواضحة الّا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً»[5].

قلت: هل كان نبيّاً حتّى يسنّ هو لهم السنن ويفرض لهم الفرائض؟ نعم هو غيّر سنن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفرائض القرآن. فقال في خطبته: «متعتان كانتا على عهد رسول الله عليه السلام وأنا أنهى عنهما، وأُعاقب عليهما»[6].

ثم كيف تركهم على الواضحة، وهو لم يكن يعرف الطريق من غير

---

(١) الكهف: ١.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) توجد الجملتان في شرح ابن أبي الحديد ١: ٩١ وشرح ابن ميثم ١: ٣٠٢ لكن لم توجدا في الكافي ٨: ٦٨ وفي البيان والتبيين ٢: ٥٠ وان جاء فيهما ما قبله وما بعده.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٢.

(٦) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار وأبو صالح في نسخته عنهما منتخب كنز العمال ٦: ٤٠٤ وغيرهما.

الطريق ففي (تاريخ بغداد) في الهياج بن بسطام قال أبو سعيد الخدري خطبنا عمر. فقال: «إنّي لَعَلِّي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم. وآمركم بأشياء لا تصلح لكم وانّ من آخر القرآن نزولاً آية الربا وانّه قد مات النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يبيّنها لنا»(١).

«هلك من ادّعى» ما ليس له.

«وخاب من افترى» هو لفظ القرآن، قال تعالى: ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾(٢).

قال ابن أبي الحديد: كأنّه يقول هلك من ادّعى الإمامة، وروي من اقتحمها: ولجها عن غير استحقاق لأنّ كلامه عليه السلام في هذه الخطبة كلّه كنايات عن الإمامة لا عن غيرها(٣).

قلت: وفيها تعريضات بل تصريحات بهلاكة الثلاثة كما رواه الجاحظ وأبو عبيدة والكليني(٤)، ولا سيما مع ما في ذيلها «ألا إنّ أبرار عترتي...» كما مرّ.

«من أبدى صفحته للحقّ هلك» قال ابن أبي الحديد: «وفي رواية من أبدى صفحته للحق هلك عند جهله الناس والتأويل المختلف فمراده على الرواية وهي الصحيحة «من كاشف الحقّ مخاصماً له هلك، وهي كلمة جارية مجرى المثل ومراده على الرواية الثانية من أبدى صفحته لنصرة الحق غلبه أهل الجهل لأنّهم العامة وفيهم الكثرة»(٥).

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٨١ ويعنى بآية الربا آيتي ٢٧٥ ـ ٢٧٦ من سورة البقرة.

(٢) طه: ٦١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٢.

(٤) البيان والتبيين ٢: ٥١ نقلاً عن أبي عبيدة وكافي الكليني ٨: ٦٨ لكن رواية الكليني بلا ذيل.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٩١.

قلت: الصواب الأُولى: وان اقتصر ابن ميثم على الثانية لأنّه لم يذكر أبوعبيدة والمفيد والمسعودي والكليني وابن ميثم في أصل العنوان غير الأُولى[١].

ولأنّه كرّر المصنّف الفقرة سهواً في الحكمة (١٨٨) كالأُولى بلا خلاف[٢]، ولأنّه لا معنى للثاني، وما قاله ابن أبي الحديد في معناه بلا محصّل بل الزيادة مفسدة. فانّ من أبدى صفحته يهلك في الواقع لا عند الجهلة. فإنّه مساوق لقوله عليه السلام «من صارع الحق صرعه»[٣].

وبالجملة؛ لا ريب في أنّ المراد من إبداء الصفحة كشف مخاصمته. ففي كتاب معاوية إلى مروان في أمر الحسين عليه السلام «فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته».

وفي خطبة زياد البتراء: «انّي لو علمت أنّ أحدكم قتله السلّ من بغضي لم أكشف له قناعاً ولم اهتك له ستراً حتّى يبدي لي صفحته؛ فإن فعل ذلك لم أُنظره».

وفي كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية في الطلب بدم عثمان: «إنّا على مداحاة ولمّا نبدأ صفحتنا بعد».

وفي خطبة النعمان بن بشير لمّا سمع باختلاف الشيعة إلى مسلم في الكوفة: «إنّي لا أُقاتل من لا يقاتلني، ولكن إن أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم أُقاتلكم».

«وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره» هذه الفقرة والاثنتان بعدها،

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٥٠ نقلاً عن أبي عبيدة وإرشاد المفيد: ١٢٨ واثبات المسعودي: ١٢٦ وكافي الكليني ٨: ٦٨ وشرح ابن ميثم ١: ٣٠٢ و٣٠٧.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٤٣، الحكمة ١٨٨.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٩٥، الحكمة ٤٠٨.

والأخيرتان ليست في شيء من أسانيد العنوان كما عرفت، وإنّما الاثنتان بعدها جزء كلامه عليه السلام في عنوان «من يتصدّى للحكم»(١).

وكيف كان فهو كالمثل، ومن أمثالهم: «كفى بالشك جهلاً»(٢) و«كفى بالمشرفية واعظاً»(٣) و«كفى برغائها منادياً»(٤).

وإنما يكفيه جهلاً عدم عرفان قدره لأنّه يؤدّي به إلى الهلكة بقول ما ليس له قوله وفعل ما ليس له فعله.

«لا يهلك على التقوى سنخ أصل» في (الأساس): «سنخت: إئتكلت أُصولها، وطعام سنخ وأصله من سنخ الاسنان»(٥) هو أيضاً كالمثل.

قال جلّ وعلا: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾(٦) ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيا* ثمّ ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً﴾(٧).

«ولا يظمأ عليها زرع قوم» هو أيضاً كالمثل وقال جلّ وعلا: ﴿تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾(٨).

«فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم» يعني عوضاً من أن تُعلنوا عداوتكم فتهلكوا كما فعل طلحة والزبير؛ استتروا ببيوتكم لإصلاح ذات بينكم لكونه سبب نجاتكم.

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٩٦، الخطبة ١٠١.

(٢) أورده الزمخشري في المستقصى ٢: ٢٢١ والميداني في مجمع الامثال ٢: ١٦١.

(٣) أورده الميداني في مجمع الامثال ٢: ١٦٢.

(٤) أورده الزمخشري في المستقصى ٢: ٢٢١ والميداني في مجمع الامثال ٢: ١٤٢.

(٥) أساس البلاغة: ٢٢١، مادة (سنخ).

(٦) الطلاق: ٢ و٣.

(٧) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٨) مريم: ٦٣.

«والتوبة من ورائكم» أي: التوبة من تقديمكم الثلاثة. فقد عرفت أنّ في الأصل «قد كانت أُمور لم تكونوا عندي فيها محمودين».

«ولا يحمد حامد» في ما يعمل من الخير.

«إلّا ربّه» حيث وفقّه، لا نفسه.

«ولا يلم لائم» في ما يعمل من الشرّ.

«إلّا نفسه» حيث اختار بسوء طويّته الشرّ.

﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وإن تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عندالله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً * ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك﴾[1].

هذا ويأتي[2] شرح باقي الفقرات الّتي كانت في الأسانيد دون النهج فذكرها المصنّف ثمّة.

٢٤
من الخطبة (٨٧)

بعد كلامه عليه السلام في بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فاعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللّهِ، وَٱذْكُرُوا تِيكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ ٱلْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَٱلْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ، وَٱللّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ ٱلْأَوَانِ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ

---

(١) النساء: ٧٨ و ٧٩.

(٢) يأتي في العنوان ٢٤ من هذا الفصل.

مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَاللَّه مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا رِخْواً بِطَانُهَا، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ. فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

«فاعتبروا عباد الله واُذكروا تيك»: أي: تلك. قال الجوهري: «تا»: اسم يشار به إلى المؤنث، فإن خاطبت جئت بالكاف فقلت: «تيك»[١].

«التي آباؤكم وإخوانكم» الذين مضوا.

«بها» الآن.

«مرتهنون» ﴿كلّ نفس بما كسبت رهينة﴾[٢]، ﴿كلّ امرئٍ بما كسب رهين﴾[٣].

«وعليها» أي: على تلك الأعمال.

«محاسبون» ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾[٤] ﴿وأما من أُوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أُوت كتابيه* ولم أدر ما حسابيه* ياليتها كانت القاضية﴾[٥].

«ولعمرى ما تقادمت» أي: ما صارت قديمة.

«بكم ولا بهم العهود» أي: الأعصار من قولهم: «كان ذلك على عهد فلان» أي عصره.

«ولا خلت» أي: مضت.

---

(١) صحاح اللغة ٦: ٢٥٤٧، مادة (تا)، والنقل بتقطيع.

(٢) المدثر: ٣٨.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) البقرة: ٢٨٤.

(٥) الحاقة: ٢٥ ـ ٢٧

«في ما بينكم وبينهم الأحقاب» أي: الدهور.

«والقرون» أي: الأزمنة. قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الّذي أنت فيهم　　　وخلّفت في قرن فأنت غريب(١)

«وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد» قال تعالى حاكياً عن شعيب: ﴿ويا قوم لا يجرمنّكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾(٢).

«والله ما أسمعهم الرسول» هكذا في (المصرية)، وسقط منها بعده: «صلى الله عليه وآله» كما يشهد له (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)(٣).

«شيئاً» فقال لهم في حجّة الوداع: «ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النّار الّا وقد أمرتكم به»(٤).

«الا وها اناذا اليوم مسمعكموه» ففي (تفسير الثعلبي) كما نقل عنه (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال زاذان: سمعت علياً عليه السلام يقول: والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والّذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النار. فقال له رجل: فما آيتك الّتي أُنزلت فيك؟ فقال عليه السلام: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾(٥)

---

(١) اورده لسان العرب ١٣: ٣٣٤، مادة (قرن).

(٢) هود: ٨٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٤ لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٠٩ ايضاً نحو المصرية.

(٤) أخرجه في ضمن الخطبة الكليني في الكافي ٢: ٧٤، ح ٢ وعاصم بن حميد في أصله: ٢٣ وغيرهما.

(٥) هود: ١٧.

فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على بيّنة وأنا شاهد منه[١].

«**وما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس**» فإنّ السامعة الّتي أعطيت أُولئك أعطاهم مثلها.

«**ولا شقّت لهم الأبصار ولا جعلت**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «وجعلت» بدون لا، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٢].

«**لهم الأفئدة في ذلك الأوان**» أي: الزمان.

«**إلّا وقد أُعطيتم مثلها**» من الأبصار والأفئدة.

«**في هذا الزمان**» أي: فكيف سمعوا وأبصروا وعقلوا، وأنتم لا تسمعون ولا تبصرون ولا تعقلون.

«**والله**» هكذا في (المصرية)، والصواب «ووالله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«**ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أُصفيتم به**» أي: اوثرتم به. من: أصفيته بالشيء إذا آثرت به.

«**وحرموه**» بأن يدّعوا أنّا لا نعمل كعملهم لأنّا بصّرنا شيئاً كانوا هم جاهلين به، وأُصفينا بشيء كانوا محرومين منه.

قال ابن أبي الحديد: يمكن أن يجيبه عليه السلام مجيب بأنّ المخاطبين، وإن كانوا متساوين إلّا أنّ المخاطبين مختلفون. فإنّك وإن كنت ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأخاه ولحمه ودمه، وفضائلك مشتّقة من فضائله، وأنت قبس من نوره إلّا أنّك لم ترزق القبول الّذي رزقه، ولا انفعلت لك النفوس انفعالها له،

---

(١) تذكرة الخواص: ١٦.

(٢) يوجد «لا» ايضاً في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٤ وشرح ابن ميثم ٢: ٣١٠.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٤ لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣١٠ مثل المصرية أيضاً.

وتلك خاصية النبوّة الّتي امتاز بها عنك. فإنّه لا يسمع كلامه أحد إلّا أحبّه ومال إليه، ولذلك كانت قريش تسمّي المسلمين قبل الهجرة الصابئة، ويقولون: تخاف أن يصبو الوليد بن المغيرة إلى دين محمّد، ولئن صبا الوليد، وهو ريحانة قريش، لتصبونّ قريش بأجمعها، وقالوا فيه: ما كلامه إلّا السحر، وإنّه ليفعل بالألباب فوق ما يفعل الخمر، ونهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلّا يستميلهم بكلامه وشمائله، وكان إذا صلّى في الحجرة وجهر؛ يجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم، ولذا أسلم الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته، ومشاهدة روائه ومنظره، وهذا من أعظم معجزاته، وهو القبول الّذي منحه الله تعالى، والطاعة الّتي جعلها في قلوب الناس له، وذلك على الحقيقة سرّ النبوّة الّتي تفرّد به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكيف انتظر عليه السلام من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم وإخوانهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[1]؟!

قلت: ليس الفرق بينهما ما ذكر، وإنّما الفرق أنّ الناس في أوّل الأمر كان من تبع منهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تبعه طلباً للحقيقة ورفضاً للخرافات ومنكرات الجاهلية، وليس في يدهم من الدنيا شيء، وفي عصره عليه السلام قست قلوبهم وكانت الدنيا أقبلت عليهم من كلّ وجه.

وما ذكره من تأثير كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّما كان من القرآن الّذي يقرأه عليهم فلمّا سألت قريش الوليد عن القرآن أي شيء هو؟ قال لهم: ﴿إن هذا إلّا سحرٌ يؤثر * إن هذا إلّا قول البشر﴾[2] ولم يكن من خاصية النبوّة، وإلّا فقد قال تعالى: ﴿يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن﴾[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) المدثر: ٢٤، ٢٥.

(٣) يس: ٣٠.

ومقصوده عليه السلام من خطابه وعتابه أنّه كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفعل بهم ما فعل وقال لهم ما قال: وأتمّ عليهم الحجّة كما أتمّ، وليست الخصوصيات بدخيلة، وإلّا فجماعة غلوا في حقّه عليه السلام لم يكونوا غلوا في حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّما كان عليه السلام يدعوهم إلى الحق المحض والآخرة الخالصة، ولا يقنع لهم باللسان كما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقنع فنفروا عنه. فورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[1] انه عليه السلام كان الهادي[2].

ولو كان مجرّد المتابعة من خصوصيات النبوّة لكان أهل الدنيا أولى بالنبوّة. فإنّ الناس يميلون إليهم، ولو كانوا في غاية الفظاظة، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[3].

ولقد كانت المؤلّفة قلوبهم والمنافقون في كمال الموافقة مع الثلاثة المتقدّمين عليه عليه السلام مع بغضهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودخولهم في الدين كرهاً.

والوليد شخصه لم يكن ريحانة قريش بل قالوا مخزوم ـ وهو منهم ـ ريحانة قريش، ولا معنى لإتيان حكم الكلّ للجزء، وإن كانا كلياً وجزئياً.

ثم ما قاله من القبول الّذي منحه الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم. والطاعة الّتي قال جعلها الله له في قلوب الناس لم نرهما في صِدّيقه وفاروقه في جيش أُسامة وفي وصيته صلى الله عليه وآله وسلم.

«ولقد نزلت بكم البلية» أي: البلاء.

«جائلاً» أي: مضطرباً.

«خطامها» أي: زمامها.

---

(١) الرعد: ٧.

(٢) أخرجه جمع كثير منهم ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والديلمي وابن عساكر وابن النجار والضياء المقدسي عنهم الدر المنثور ٤: ٤٥.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

«رخواً بطانها» أي: الحزام الّذي يجعل تحت بطن البعير يقال: التقت حلقتا البطن إذا آشتد الأمر.

قال عليه السلام ذلك لقيام معاوية في قباله، واشتداد أمره بانحياز المنافقين إليه، وكونه ملاذاً للمنحرفين عنه عليه السلام، فمن أراد عليه السلام أخذه بالحقّ؛ لحق بمعاوية، وقد كان المتقدّمون عليه أسّسوا ذلك له.

«فلا يغرّنكم ما أصبح فيه أهل الغرور. فانّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود»

قال تعالى: ﴿يا أيّها الناس آتّقوا ربّكم وآخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إنّ وعد الله حقّ فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[1].

ومراده عليه السلام أن لا ينظر أصحابه إلى أهل الدنيا الذين يتركونه ويلحقون بمعاوية. قال عدي بن حاتم بعد رفع أهل الشام المصاحف: «أيّها الناس! إنّه والله لو غير عليّ عليه السلام دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه، ولا وقع بأمر قطّ إلّا ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب، وانّه وقف عن عثمان بشبهة، وقاتل أهل الجمل على النكث، وأهل الشام على البغي. فانظروا في أُموركم وأمره. فإن كان له عليكم فضل وليس لكم مثله فسلّموا له، وإلّا فنازعوا عليه. والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة، إنّه لأعلم الناس بهما، وإن كان إلى الاسلام إنّه لأخو نبي الله، والرأس في الاسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة؛ إنّه لأظهر الناس زهداً، وأنهكهم عبادة، ولئن كان إلى العقول والنحائز؛ إنّه لأشدّ الناس عقلاً، وأكرمهم نحيزة، ولئن كان إلى الشرف والنجدة، إنّه لأعظم الناس شرفاً ونجدةً[2].

(١) لقمان: ٣٣.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٢١.

وفي (البيان): قال رجل للحسن البصري: بلغنا أنّك تقول: لو كان عليّ بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له ممّا صنع. فقال له: يالكع! أما والله لقد فقدتموه سهماً من مرامي الله. غير سؤوم لأمر الله، ولا سروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه في ما عليه وله. فاحلّ حلاله، وحرّم حرامه، حتّى أورده ذلك رياضا مونقة، وحدائق مغدقة، ذلك علي بن أبي‌طالب، يالكع[1].

٢٥
من الخطبة (١٨٠)

بعد الإشارة إلى المهدي عليه السلام ثم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ ٱلْمَواعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا ٱلْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ ٱلْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. لِلّهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ!

«أيّها الناس! انّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أممهم» وممّن كان من الأنبياء أو مثل الأنبياء لقمان الحكيم الّذي ينقل الله تعالى مواعظه في القرآن في قوله جلّ وعلا: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم* ووصيّنا الإنسان بوالديه حملته أُمّه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير* وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتّبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأُنبئكم بما كنتم تعملون* يا بنيّ إنّها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الارض يأت بها الله إنّ ذلك من عزم الأمور* ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمش

---

(١) رواه الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ١٢١ وابن عبدالبر في الاستيعاب ٣: ٤٧.

في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحب كلّ مختال فخور* واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[1].

وممّن كان في درجة الأنبياء مؤمن آل فرعون وقد نقل الله مواعظه في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم إنّ الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب* يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلّا ما أرى وما أهديكم إلّا سبيل الرشاد* وقال الّذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب* مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد* ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التناد* يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد* ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات فمازلتم في شكّ ممّا جاءكم به حتّى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب* الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عندالله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار* -إلى أن قال- وقال الّذي آمن يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرشاد* يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار* من عمل سيّئة فلا يجزى إلّا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب* ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار* تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار* لا جرم أنّ ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأنّ مردّنا إلى

---

(١) لقمان: ١٣ ـ ١٩.

الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النار* فستذكرون ما أقول لكم وأُفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد* فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾[١].

«واديت اليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم» قال الرضا عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: خلق الله عزّ وجلّ مئة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عزّ وجلّ مئة ألف وصي، وأربعة وعشرين ألف وصي فعليٌّ أكرمهم على الله وأفضلهم[٢].

وروى ابن المغازلي عن ابن بريدة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لكلّ نبي وصي ووارث وإنّ وصيي ووارثي عليّ بن أبي‌طالب[٣].

ولكونه عليه السلام فعل فعل جميع الأنبياء والأوصياء في وعظ الناس ودعوتهم إلى الله تعالى، وترغيبهم في دارهم الآخرة، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما روى أحمد ابن حنبل «من أراد أن ينظر إلى آدم في حلمه، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه ـوفي خبر في مناجاته ـ وإلى إدريس في تمامه وكماله وجماله. فلينظر إلى هذا الرجل المقبل» فتطاول الناس. فإذا هم بعليّ عليه السلام كأنّما ينقلب في صبب، وينحطّ من جبل[٤].

قال ابن أبي الحديد: الأوصياء الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الإلهية وقد يمكن أن لا يكونوا خلفاء بمعنى الإمرة والولاية. فإنّ مرتبتهم

---

(١) غافر: ٢٨ ـ ٤٥.

(٢) أخرجه الصدوق في الخصال ٢: ٦٤١، ح ١٨ وفي أماليه: ١٩٦، ح ١١، المجلس ٤١.

(٣) رواه ابن المغازلي في مناقبه ٢٠٠: ٢٣٨.

(٤) روى الحديثين عن احمد وغيره السروي في مناقبه ٣: ٢٦٣ وروى الاول عن مسند أحمد ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٢٩، شرح الخطبة ١٥٢ لكن لم يوجد في نسختنا من مسند احمد.

أعلى من مراتب الخلفاء[١].

قلت: يمكن أن لا يكون للأنبياء أنفسهم إمرة وولاية. فنوح وابراهيم وموسى وعيسى، وهم من أولي العزم من الرسل لم يكن لهم إمرة وولاية، والإمرة وإن كانت حقّهم إلّا أنّ جبابرة عصرهم لم يدعوها، ونبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيّد الرسل لم تكن له قبل هجرته إمرة، والملك أمرٌ وراء النبوّة ووراء وصاية النبوّة، يؤتيه الله من يشاء وينزعه ممّن يشاء، وأمّا النبوّة والوصاية، فأمران من الله لا يجعلهما إلّا في نفس كاملة ملكوتية، ولا يمكن انتزاعهما منهما، والمتقدّمون على أميرالمؤمنين عليه السلام إنّما أخذوا منه سلطان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحكومته دون وصايته وخلافته. فتعبير ابن أبي الحديد من مراتب الخلفاء غلط.

«وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر» من حدوت الإبل إذا سقتها.

«فلم تستوسقوا» من استوسقت الإبل إذا اجتمعت.

روى (روضة الكافي) عن الاصبغ خطبة له عليه السلام لما طلب منه عليه السلام ولد أبي بكر وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص تفضيلهم في العطاء على غيرهم وفي الخطبة: «وقد عاتبتكم بدرّتي الّتي أُعاتب بها أهلي. فلم تبالوا، وضربتكم بسوطي الّذي أُقيم به حدود ربّي؛ فلم ترعووا، وتريدون أن أضربكم بسيفي أما انّي اعلم الّذي تريدون، ويقيم اودكم، ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي بل يسلّط الله عليكم قوماً؛ فينتقم لي منكم. فلا دنيا استمتعتم بها، ولا آخرة صرتم إليها، فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير»[٢].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٧.

(٢) الكافي ٨: ٣٦١، ح ٥٥١.

والشيء بالشيء يذكر، وقد رأيت أن أنقل بمناسبة كلامه عليه السلام هذا قصّة المغيرة بن شعبة مع حجر بن عدي. فإنّها شبيهة بالصورة مع كلامه عليه السلام، هذا وإن كانت في المعنى بالعكس. ففي (الطبري): أنّ معاوية لمّا ولّى المغيرة الكوفة في سنة (٤١) قال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة. فأنّا تاركها أعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة وهي أن لا تتحمّ عن شتم علي وذمّه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان، والإدناء لهم والاستماع منهم. فقال له المغيرة: قد جرّبت وجرّبت، وعملت قبلك لغيرك. فلم يذمم بي دفع، ولا رفع ولا وضع فستبلو. فأقام عاملاً سبع سنين وأشهراً، وهو من أحسن شيء سيرة، غير أنّه لا يدع ذم عليّ عليه السلام والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتزكية لأصحابه. فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك يقول: «بل إيّاكم ذمم الله ولعن» ثم يقوم فيقول: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله﴾» وأنا أشهد أنّ من تذمّون لأحقّ بالفضل، وأنّ من تزكّون لأولى بالذمّ» فيقول له المغيرة: «لقد رمي بسهمك يا حجر إذ كنت أنا الوالي عليك اتّق يا حجر ويحك غضب السلطان. فإنّ غضبه أحياناً ممّا يهلك أمثالك» ثم يكفّ عنه. فلم يزل كذلك حتّى كان في آخر امارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول، وكانت مقالته: «اللهم أرحم عثمان، وأجزه بأحسن عمله. فإنّه عمل بكتابك، وسنّة نبيّك، وقتل مظلوماً، وارحم أنصاره والطالبين بدمه» ـ ويدعو على قتلته، فقام حجر فنعر بالمغيرة نعرة سمعها من كان خارجاً من المسجد. وقال: «انّك لا تدري بمن تولع من هرمك. أصبحت مولعاً بذمّ أميرالمؤمنين، وتقريظ المجرمين» فنزل المغيرة

فقالوا له: «علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، وأنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط» فقال لهم المغيرة: «إنّي قد قتلته. إنّه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي. فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة انّه قد اقترب أجلي، ولا أحبّ أنّ ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الذنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة» ثم ذكر الطبري موت المغيرة سنة (٥١) وولاية زياد وعمله مع حجر بما هو مذكور في التاريخ[١].

«لله أنتم أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل» وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «الحقّ يدور مع على حيثما دار»[٢].

وفي (بلاغات نساء البغدادي) ـ في وفود أُم الخير البارقية على معاوية ـ فقال معاوية لأصحابه: أيّكم يحفظ كلامها في صفين؟ فقال أحدهم: أنا أحفظه مثل سورة الحمد. كأنّي بها وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: «أيّها الناس! إنّ الله قد أوضح الحق، ونوّر السبيل. فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة. إلى أين تريدون. أفراراً عن أميرالمؤمنين؟ أم رغبة عن الاسلام؟ أم ارتداداً عن الحقّ. هلمّوا إلى الإمام العادل. والوصيّ الوفيّ، والصدّيق الأكبر، فإلى أين تريدون عن ابن عم رسول الله، وزوج ابنته، وأبي إبنيه. الّذي خلق من طينته، وتفرّع من نبعته. الّذي خصّه بسرّه، وجعله باب مدينته، وأبان ببغضه المنافقين، صلّى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون. حتّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وفرّق جمع هوازن. فيالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً وردّة وشقاقاً»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٨٨ و١٨٩، سنة ٥١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٤ والترمذي في سننه ٥: ٦٣٣، ح ٣٧١٤ وغيرهما، والنقل بالمعنى.

(٣) بلاغات النساء: ٥٦، والنقل بتقطيع.

٢٦
الخطبة (١٧٦)

وَإنّي لأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيها مَيْلَةً، كُنْتُم فِيها عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إلّا الجُهْدُ، وَلَوْ أَشاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ. عَفَا ٱللّهُ عَمَّا سَلَفَ.

أقول: قد مرّ أنّ العنوان جزء أوّل خطبة خطبها عليه السلام بعد بيعة الناس له بعد عثمان رواه الجاحظ في بيانه عن أبيعبيدة، ورواه (الإرشاد) و(العقد) ورواه (الروضة)، ورواه (ابن ميثم)[١].

«وانّي لأخشي عليكم أن تكونوا في فترة» قد كان بين عيسى عليه السلام ونبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم زمان الفترة. قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾[٢].

وقد كان بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فترتان: إحداهما ما بين مضي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه عليه السلام في أيّام الثلاثة ـوهي الّتي ذكرها عليه السلام، والثانية بعد مضيّه عليه السلام إلى قيام قائم أهل بيته عليه السلام. فقد قال الصادق عليه السلام: لم ير الناس بعد أميرالمؤمنين عليه السلام عدلاً، ولا يرونه حتى يقوم قائمنا[٣].

ويمكن أن يقال: إنّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فترة واحدة إلى قيام القائم عليه حيث إنّه عليه السلام لم يتمكّن من تغيير بدع من تقدّم، ولا إظهار الحقّ بكون الثلاثة

---

(١) مرّ في العنوان ٢٢ من هذا الفصل.

(٢) المائدة: ١٩.

(٣) روى هذا المعنى الكليني في الكافي ٣: ٥٣٦، ح ١.

غير حقّ، وكلامه عليه السلام غير آبٍ عن ذلك حيث لم يقل عليه السلام: «كنتم في فترة» بل «ان تكونوا في فترة».

«وقد كانت أُمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين» في تقديمهم الثلاثة عليه.

وروى (شواهد التنزيل) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة﴾[1] أنّه لمّا نزلت هذه الآية. قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوّتي، ونبوّة الأنبياء قبلي[2].

وروى أبو عبدالله السراج منهم في كتابه عن ابن مسعود أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له: قد أنزلت هذه الآية ﴿واتّقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة﴾[3] وأنا مستودعكها ومسمّ لك خاصّة الظلمة فكن لما أقول لك واعياً، وعنّي له مؤدّياً. من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبّوتي، ونبوّة من كان قبلي[4].

وقال ابن أبي الحديد[5]: مراده عليه السلام تقديم عثمان عليه، ويبعد أن يريد خلافة الشيخين أيضاً لأنّ المدّة قد طالت، ولم يبق من يعاتبه، ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجّد والتألّم بصرف الخلافة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله عنه، وانّما كلامنا الآن في ألفاظ هذه الخطبة على أنّ قوله عليه السلام فيها «سبق الرجلان» ـ أي في زيادات لم ينقلها الرضي ـ كافٍ في انحرافه عنهما.

قلت: أما قوله: «انّ المدّة قد طالت، ولم يبق من يعاتبه»، ففيه:

---

(١) الانفال: ٢٥.

(٢) أخرجه الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٢٠٦، ح ٢٦٩.

(٣) الانفال: ٢٥.

(٤) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ١: ٣٦، ح ٢٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٤، والنقل بالمعنى.

أولاً: إنّ كثيراً من المهاجرين والأنصار الذين شهدوا السقيفة كانوا موجودين وقت قيامه عليه السلام. فلم يمض إلّا ستّ وعشرون سنة.

وثانياً: إنّ جري الباقين على ذلك يكفي في عتابهم. فعاتب الله تعالى بني اسرائيل الذين كانوا في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما فعل آباؤهم في عصر موسى عليه السلام لرضاهم بما فعلوا في آيات كثيرة، ومنها ﴿وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها﴾[1].

وثالثاً: إنّ تقديم عثمان الّذي سلّمه كان من فعل عمر وتدبيره.

«ولئن ردّ عليكم أمركم» بأن يتولّوه عليه السلام؛ لجعل الله تعالى له عليه السلام وليّهم في قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾[2].

فنزلت الآية لما اعطى عليه السلام خاتمه في الركوع للسائل[3].

وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد تقريره للناس بأنّه أولى بهم من أنفسهم: «من كنت مولاه وأولى به من نفسه فهذا على مولاه وأولى به من نفسه».

«انكم لسعداء» في الآخرة برفضهم الباطل، واعتقادهم بالحق من أُصول الاسلام.

قال أبوسليمان الضبيّ: أرسل عليّ عليه السلام إلى لبيد العطاردي بعض شرطه فمرّوا به على مسجد سماك. فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فحال بينهم وبينه فأرسل عليه السلام إلى نعيم فجيء به، ورفع شيئاً ليضربه. فقال نعيم:

---

(١) البقرة: ٧٢.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) رواه جمع كثير من أهل الأثر، أورد بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٣ و٢٩٤ والمجلسي في بحار الانوار ٣٥: ١٨٣، باب ٤.

«والله إنّ صحبتك لذلّ، وإنّ خلافك لكفر». فقال عليه السلام: وتعلم ذلك؟ قال: نعم. قال: خلّوه[1].

«وما عليّ إلّا الجهد» والسعي بإتمام الحجّة عليكم لئلّا يكون على الله حجّه بعد الرسل وأوصيائهم.

«ولو أشاء ان اقول لقلت. عفا الله عمّا سلف» في ميل من مال عنه أيّام الثلاثة ورجع إليه عليه السلام في أيّامه أو في البين، وهم جمع ذكرهم الكشي في عنوان: «السابقون الّذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام»[2] وذكرهم الرضا عليه السلام للمأمون في خبر.

٢٧
من الخطبة (١٧١)

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ ٱللّهِ. فِيهِ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ. فإِنْ أبى قُوتِلَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَها عامَّةُ النَّاسِ فمَا إِلى ذٰلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ أهلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّي أقاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ٱدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ، أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّهِ بِتَقْوَى ٱللّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى ٱلْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ ٱللّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا ٱلْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ ٱلْحَقِّ، فَامْضُوا لما تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

---

(١) أخرجه السروي في مناقبه ٢: ١١٣ والكليني في الكافي ٧: ٢٦٨، ح ٤٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٨ رقم ٧٨.

أقول: أمّا قوله عليه السلام: «أيّها النّاس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه» فيشهد له قوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحق ان يتّبع أمّن لا يهدّيّ إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[1].

وهو دليل على عدم لياقة غيره وغير أهل بيته، ففي خطبته الّتي خطب بها بعد قتل محمد آبن أبيبكر، وفتح معاوية لمصر في حكايته عليه السلام يوم الشورى، وقد رواها ابن قتيبة في (خلفائه)، وغيره «فما كانوا لولاية أحد منهم أشدّ كراهية لولايتي عليهم. كانوا يستمعونني عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحاجّ أبابكر، وأقول: يا معشر قريش إنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة، ويدين بدين الحقّ، فخشي القوم إن أنا وُلّيت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعاً واحداً فصرفوا الولاية إلى عثمان، وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها، ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوها من قبلي»[2].

وإخواننا أخذوا دينهم عن معاوية. فجعلوا المناط في الخلافة الغدر والمكر، والسياسة الدنيوية دون رعاية الشريعة. فجعلوا أبابكر أحقّ، فكتب معاوية إلى الحسن عليه السلام كما في (المقاتل) وغيره: «ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه (أي أبيبكر) أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم المسلمين ذبّه؛ ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره -إلى أن قال- والحال في ما بيني وبينك اليوم مثل الحال الّتي كنتم عليها أنتم وأبوبكر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولو علمت أنّك أضبط منّي للرعيّة، وأحوط على هذه الأمّة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو؛ لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً،

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٥٥ والثقفي في الغارات ١: ٣٠٧.

ولكنّي قد علمت أنّي اطول منك ولاية...»[١].

ولو كان استدلال أبي بكر صحيحاً كان أبوه أبوسفيان أولى من النبيّ صلى الله عليه وآله بالنبوّة. فالنبوة والإمامة خلافة الله.

«فإن شغب شاغب» قال الجوهري: الشغب تهييج الشرّ وهو شغب الجند[٢].

«استعتب» وقال أيضاً: «استعتب واعتب» بمعنىً واحد أي: عاد إلى المسرّة راجعاً عن الاساءة[٣].

«فإن أبى قوتل» كما أمر الله تعالى في قوله: ﴿فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾[٤].

ولقد استعتب عليه السلام أهل الجمل وصفّين والنهروان. فأبوا؛ فقاتلهم على حسب أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله عموماً وخصوصاً.

«ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى يحضرها عامّة الناس فما» هكذا في (المصرية)، والصواب «ما» بدون فاء. كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٥].

«إلى ذلك سبيل» لأنّه من المحالات العاديّة.

«ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد» للبيعة.

«أن يرجع» عن بيعته وينكثها كأهل الجمل طلحة والزبير.

«ولا للغائب» عن البيعة **«أن يختار»** كمعاوية وأهل الشام.

---

(١) رواه أبوالفرج في المقاتل: ٣٧، والمدائني، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩، شرح الكتاب ٣١.

(٢) صحاح اللغة ١: ١٥٧، مادة (شغب).

(٣) صحاح اللغة ١: ١٧٦، مادة (عتب)، والنقل بالمعنى.

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٣، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٣٩، «فما» أيضاً.

قال عليه السلام: هذا الكلام جدلاً ردّاً على معاوية فكان معاوية كتب إليه عليه السلام كما في (خلفاء ابن قتيبة): «ولعمري ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة، ولا حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة والزبير. لأنّ أهل البصرة بايعوك، ولم يبايعك أحد من أهل الشام، وأنّ طلحة والزبير بايعاك ولم أُبايعك»[1].

فقول ابن أبي الحديد: «هذا الكلام تصريح بصحّة مذهبنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة، ومبطل لما تقوله الامامية من دعوى النصّ عليه»[2] غلط وشطط.

فالواجب أن يدحض الانسان حجّة الخصم بما يقرّ به الخصم لا بما ينكره، ومعاوية كان ينكر النص ولا ينكر البيعة.

«ألا وإنّي أُقاتل رجلين رجلاً ادّعى ما ليس له، وآخر منع الّذي عليه» قال ابن أبي الحديد: «إنّ الأوّل الّذي ادّعى الخلافة، والثاني الّذي لا يدّعيها ولكنّه يمتنع من الطاعة»[3].

قلت: إنّ سعداً وابن عمر، ومحمّد بن مسلمة والمغيرة، وجمعاً آخر لم يدّعوا الخلافة، وامتنعوا من طاعته عليه السلام، ومع ذلك خلّاهم ولم يقاتلهم. فلابدّ أنّه عليه السلام أراد بالأوّل معاوية، وبالثاني طلحة والزبير حيث نكثا وقاما في وجهه.

«أوصيكم عباد الله» ليس كلمة «عباد الله» في (ابن ميثم والخطية)[4].

«بتقوى الله» قال تعالى: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[5].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٠١.

(٢ و ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٣.

(٤) توجد الكلمة في شرح ابن ميثم ٣: ٣٣٩، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٣.

(٥) الحجرات: ١٣.

«**فإنّها خير ما تواصى العباد به**» ﴿والعصر إنّ الانسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر﴾[1].

«**وخير عواقب الأمور عند الله**» قال جلّ وعلا: ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى* وَأْمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقاً* نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[2]، ﴿إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[3] ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[4] ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيا* ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جِثِيّاً﴾[5].

«**وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة**» قال ابن أبي الحديد: «لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون كيفية قتال أهل القبلة، وإنّما تعلّموا فقه ذلك من أميرالمؤمنين عليه السلام وقال الشافعي: «لو لا عليّ عليه السلام لما عرف شيء من أحكام أهل البغي»[6].

«**ولا يحمل هذا العلم**» بفتحتين أي: الراية.

«**إلّا أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحقّ**» في (الطبري): قال أبو عبدالرحمن السلمي: رأيت عمّاراً لايأخذ وادياً من أودية صفين إلّا تبعه من كان هناك من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة المرقال،

---

(١) العصر: ١ ـ ٣.

(٢) طه: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٣) الأعراف: ١٢٨.

(٤) القصص: ٨٣.

(٥) مريم: ٧٢.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٤.

وهو صاحب راية عليّ عليه السلام. فقال: يا هاشم أعوراً وجنباً لا خير في أعور لا يغشى البأس ـ إلى أن قال ـ تقدّم يا هاشم، الجنّة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزيّنت الحور العين. اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه. فلم يرجعا، وقتلا.

وقال السلمي أيضاً: سمعت عماراً بصفين وهو يقول لعمرو بن العاص لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الرابعة ما هي بأبرّ ولا أتقى[1][2].

«ولا تعجلوا في أمر حتّى تتبيّنوا» وجهه وحكمته.

«فإنّ لنا مع كل أمر تنكرونه غِيَراً» أي: منافع ومصالح للمسلمين أنتم لا تعلمونها. «غيرا» من غار يغير ويغور بمعنى نفع وأصلح. قال الهذلي:

«ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما»[3].

قال الجوهري: غاره يغيره ويغوره أي: نفعه وغار أهله يغيرهم غياراً أي يميرهم وينفعهم، وأغارهم الله بمطر يغيرهم ويغورهم أي: سقاهم. يقال: نزل القوم يغيرون أي: يصلحون الرجال «وغارنا الله بخير» كقولك: أعطانا خيراً[4].

وممّا أنكروا عليه عليه السلام قتاله أهل القبلة قال ابن قتيبة في (خلفائه) ـ بعد ذكر اعتزال ابن عمر وسعد، ومحمّد بن مسلمة عن مشاهده وحروبه ـ قال عمار، لعليّ عليه السلام: إيذن لي آتِ ابن عمر فأكلّمه. فقال: نعم. فأتاه فقال له: «قد بايع علياً المهاجرون، والأنصار، ومن إن فضّلناه عليك لم يسخطك، وإن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨، سنة ٣٧.

(٢) أسقط الشارح هنا شرح قوله: «فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عند ما تنهون عنه».

(٣) أورده لسان العرب ٥: ٤٠، مادة (غير).

(٤) صحاح اللغة ٢: ٧٧٥، مادة (غير)، والنقل بتقطيع.

فضّلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة، وقد علمت أنّ على القاتل القتل، وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف، وهذا يقتل بالرجم» فقال ابن عمر «إنّ أبي جمع أهل الشورى فكان أحقّهم بها عليّ، غير أنّه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، ولكن والله ما أحبّ أنّ لي الدنيا وما فيها، وأنّي أضمرت عداوة عليّ»، فانصرف عمار فأخبر علياً عليه السلام بقوله. فقال له: لو أتيت محمّد بن مسلمة الأنصاري. فأتاه فقال له ابن مسلمة: لو لا ما في يدي من النبيّ لبايعته، ولو أنّ الناس كلّهم كانوا عليه لكنت معه، ولكنّه كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي. فقال له عمار: أفتريد من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قولاً بعد قوله يوم حجّة الوداع «دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلّا بحدث» أفتقول: لا نقاتل المحدثين؟ قال: حسبك. ثم أتى عمر سعداً فكلّمه فأظهر الكلام القبيح، فانصرف عمار إلى عليّ عليه السلام فقال له: دع هؤلاء الرهط أمّا ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود، وذنبي إلى محمّد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه يوم مرحب[1].

وأخطأ ابن أبي الحديد فتوهم أنّ غيراً من غيّر، كما أخطأ في بيان المراد من الفقرة فقال: «معناها أنّ عندنا تغييراً لكلّ ما تنكرونه من الأُمور الّتي يثبت أنّه يجب إنكارها وتغييرها أي لست كعثمان أصرّ على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغيّر كل ما ينكره المسلمون، ويقتضي الحال والشرع تغييره»[2].

قلت: إنّ ما قاله ممّا يضحك الثكلى، فلم يستطع أحد من أعدائه حتّى مثل معاوية أن يدّعي عليه أمراً منكراً في الشرع حتّى يقول ابن أبي الحديد إنّه عليه السلام قال «لست كعثمان أصرّ على ارتكاب ما أنهى عنه، بل أغيّر كل ما ينكره المسلمون»[3] وإنّما أنكر المغرضون عليه أُموراً معروفة. فأنكر معاوية عليه

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٣. والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٨٤.

(٣) المصدر نفسه.

ايواءه قتلة عثمان كعمار، ومحمّد بن أبي‌بكر، وعمرو بن الحمق ونظرائهم، وأنكر ابن عمر وسعد ومحمّد بن مسلمة عليه قتاله مع أهل الجمل وصفّين بشبهة لفّقوها، وأنكر الخوارج عليه عليه السلام تحكيم القرآن.

ولو كان عليه السلام أراد المعنى الّذي ذكر، لقال: «فعليّ في كلّ أمر منكر تغييره» لا «أنّ لنا مع كل أمر تنكرونه غيرا» وبالجملة ما قاله في غاية السقوط.

٢٨
من الخطبة (١٥٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام :

«وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ .
دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى . فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ» .

«وناظر» قال الجوهري: الناظر في المقلة؛ السواد الأصغر الّذي فيه إنسان العين[1].

«قلب اللبيب» أي: الشخص العاقل.

«به» أي: بسبب ذلك الناظر.

«يبصر» أي: يرى قلب اللبيب.

«أمده» أي: غايته ومنتهاه.

وأمّا قول الحسن البصري لما قال له الحجاج ما أمدك؟ «سنتان لخلافة عمر» فلا ينافي كون الأمد بمعني الغاية لأنّ المراد: ما غاية ما أدركت من أوّل عمرك؟

«ويعرف غوره» أي: قعره.

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٣١، مادة (نظر).

«ونجده» أي: مرتفعه، وقال الجوهري: الغور من بلاد العرب تهامة والنجد ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق[١].

وكما جعل عليه السلام هنا لقلب اللبيب ناظراً به يبصر أمده، ويعرف غوره، ونجده يمكن أن يجعل له أُذناً يسمع بها الأمور الحقّة. فعن الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أُذنان في جوفه أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذن ينفث فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله تعالى: ﴿وأيّدهم بروح منه﴾[٢].

وعنه عليه السلام: «ما من قلب إلّا وله أُذنان على إحديهما ملك مرشد، وعلى الأُخرى شيطان مفتن هذا يأمره وهذا يزجره الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد* ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾[٣].

«داعٍ دعا» والمراد بالداعي: النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً﴾[٤].

«وراعٍ رعى» المراد بالراعي: هو عليه السلام. روى الثعلبي في تفسير ﴿إذا جاء نصر الله﴾[٥] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام: قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وليس أحد أحقّ منك بمقامي، لقدمك في الاسلام، وقربك منّي، وصهرك، وعندك سيّدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن،

---

(١) صحاح اللغة ١: ٥٣٩، مادة (نجد)، والنقل بالمعنى.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٢٦٧ ح ٣، والآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٢٦٦ ح ١، والآيات ١٧ ـ ١٨ من سورة ق.

(٤) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

(٥) النصر: ١.

وأنا حريص على أن أُراعي ذلك لولده[١].

«فاستجيبوا للدّاعي» قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[٢].

«واتبعوا الراعي» أي: نفسه وكان اتّباعه واجباً لأنّه عليه‌السلام كان على الحقّ، والحقّ كان يدور معه، كما تواتر ذلك عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم واعترف به عمر[٣].

وروى الثعلبي في تفسير: ﴿إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾[٤] أنّه لمّا نزلت الآية وضع النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يده على صدره، وقال: أنا المنذر وأومأ بيده إلى صدر عليّ عليه‌السلام، وقال: أنت الهادي يا علي. بك يهتدي المهتدون من بعدي[٥].

ورواه الحسكاني في (شواهد تنزيله)، والمرزباني في كتاب (ما نزل من القرآن في عليّ عليه‌السلام)، وصنّف ابن عقدة كتاباً فيه كما نقل ذلك السروي[٦].

وروى ابن بابويه باسناده عن الأعمش باسناده قال: قال عليّ عليه‌السلام: ما نزلت من القرآن آية إلّا وقد علمت أين نزلت، وفي من نزلت، وفي أيّ شيء نزلت فقيل له: فما نزل فيك. فقال: لو لا أن سألتموني ما أخبرتكم نزلت فيّ ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[٧] فالنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم المنذر، وأنا الهادي إلى ما جاء به[٨].

---

(١) رواه عن الثعلبي ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٣١، شرح الخطبة ١٥٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الانفال: ٢٤.

(٣) أخرجه البزار في مسنده، عنه مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦، وابن مردويه في مناقبه، عنه ذيل احقاق الحق ٥: ٦٣١، وغيرهما.

(٤) الرعد: ٧.

(٥) رواه عن الثعلبي ابن طاووس في الطرائف ١: ٧٩ ح ١٠٧.

(٦) رواه عنهما السروي في مناقبه ٣: ٨٣، والحديث في شواهد التنزيل ١: ٢٩٣ ـ ٣٠٣ ح ٣٩٨ ـ ٤١٦، بطرق كثيرة.

(٧) الرعد: ٧.

(٨) أخرجه الصدوق في أماليه: ٢٢٧ ح ١٣، المجلس ٤٦، والنقل بتلخيص.

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام: المنذر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والهادي أميرالمؤمنين عليه السلام وبعده الأئمّة عليهم السلام، وهو قوله تعالى: ﴿ولكلّ قوم هاد﴾[1] أي: في كلّ زمان إمام هادٍ مبين. وهو ردّ على من أنكر أنّ في كلّ عصر اماماً[2].

٢٩
الحكمة (٣١١)

وقال عليه السلام لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لمّا جاء إلى البصرة يذكّرهما شيئاً قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معناهما، فَلوى عن ذلك فرجع إليه، فقال: إنّي أُنْسِيتُ ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ، فقال عليه السلام:

إنْ كنتَ كاذباً فضرَبك ٱللّٰهُ بها بيضاءَ لامِعَةً. لا تُوَاريها العِمامةُ.

قالَ: ـيعني البرصَ ـ فأصاب أنَساً هذا الدّاءُ فيما بَعْدُ في وجهِهِ، فكانَ لا يُرَى إلا مُتَبَرْقعاً.

أقول: قال ابن أبي الحديد: المشهور أنّ علياً عليه السلام ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفه. فقال: انشدكم الله رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول لي، وهو منصرف من حجّة الوداع: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقام رجال فشهدوا بذلك. فقال عليه السلام لأنس بن مالك لقد حضرتها فما بالك؟! فقال يا أميرالمؤمنين كبرت سنّي، وصار ما أنساه أكثر ممّا أذكره. فقال له: «إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لاتواريها العمامة» فما مات حتّى أصابه البرص. فأمّا ما ذكره الرضي من أنّه بعث أنساً إلى طلحة

---

(١) الرعد: ٧.

(٢) تفسير القمي ١: ٣٥٩، والنقل بتصرف يسير.

والزبير فغير معروف ـ إلى أن قال ـ وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص، والدعوة الّتي دعا بها أميرالمؤمنين عليه السلام على أنس في كتاب (المعارف) في باب البرص من أعيان الرجال، وابن قتيبة غير متّهم في حقّ عليّ عليه السلام على المشهور من انحرافه عنه[1].

قلت: الأمر كما ذكر ابن أبي الحديد من كون دعائه على أنس بالبرص لإنكاره حديث غدير خم. فروى المفيد في (إرشاده) عن إسماعيل بن عمير قال: حدّثني مسعر بن كدام. قال: حدّثنا طلحة بن عميرة. قال: أنشد عليّ عليه السلام الناس في قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فشهد اثناعشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد. فقال له عليّ عليه السلام: يا أنس! قال: لبيّك. قال: ما يمنعك أن تشهد، وقد سمعت ما سمعوا؟ قال: يا أميرالمؤمنين! كبرت ونسيت. فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض ـ أو بوضح ـ لا تواريه العمامة». قال طلحة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه[2].

ورواه الكشيّ في (رجاله) مع زيادة شهود البراء بن عازب، وعدم شهادته ودعائه عليه السلام عليه بالعمى. فقال: روى عبدالله بن ابراهيم، عن أبي مريم الأنصاري، عن المنهال بن عمرو، عن زرّ بن جيش. قال: خرج عليّ عليه السلام من القصر. فاستقبله ركبان متقلّدون بالسيوف عليهم العمائم. فقالوا: «السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته. السلام عليك يا مولانا» فقال عليّ عليه السلام من هاهنا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقام خالد بن زيد أبو أيوب، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبدالله بن بديل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٨٨.

(٢) الارشاد: ١٨٥.

بن ورقاء فشهدوا جميعاً أنّهم سمعوا النبيّ صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال عليّ عليه السلام لأنس بن مالك، والبراء بن عازب: «ما منعكما أن تقوما فتشهدا فقد سمعتما كما سمع القوم»؟ ثم قال: «اللهمّ إن كانا كتماها معاندة فابتلهما» فعمي البراء بن عازب، وبرص قدما أنس بن مالك. فحلف أنس ان لا يكتم منقبة لعليّ عليه السلام، ولا فضلاً أبداً، وأمّا البراء فكان يسأل عن منزله فيقال هو في موضع كذا وكذا. فيقول: كيف يرشد من اصابته الدعوة[١].

قلت: «وقدما أنس بن مالك»: فيه مصحّف «وقدّام رأس أنس بن مالك» من النسخة. فمثله فيها كثير كما برهنّا عليه في رجالنا.

ورواه الصدوق في (خصاله) وفي (أماليه) مع زيادة البراء، ونفرين آخرين الأشعث، وخالد البجلي. وفي خبره: ثم أقبل على أنس. فقال: إن كنت سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ثم لم تشهد لي اليوم. فلا أماتك الله حتّى يبتليك ببرص لا تغطّيه العمامة. قال جابر الأنصاري: والله لقد رأيت أنساً، وقد ابتلي ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره. الخبر[٢].

ورواه ابن قتيبة في (معارفه) قال: أنس بن مالك: كان بوجهه برص، وذكر قوم أنّ علياً عليه السلام سأله عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقال كبرت سنّي ونسيت. فقال له عليّ عليه السلام: «إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لاتواريها العمامة»[٣].

ورواه ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام «أما إنّه سيظهر عليكم رجل

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٤٥ ح ٩٥.

(٢) الخصال ١: ٢١٩ ح ٤٤، باب الأربعة، والأمالي: ١٠٦ ح ١، المجلس ٢٦، والنقل بتلخيص.

(٣) المعارف: ٥٨٠.

رحب البلعوم» عن شيوخ البغداديّين. قالوا: ناشد عليّ عليه السلام الناس برحبة القصر: أيّكم سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ـ الخ[١].

وقال ابن ميثم: روى عثمان بن مطرف أنّ رجلاً سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن عليّ عليه السلام. فقال: إنّي آليت أن لا أكتم حديثاً سئلت عنه في عليّ بعد يوم الرحبة، ذاك رأس المتّقين يوم القيامة سمعته والله من نبيّكم[٢].

وبالجملة؛ المشهور عند العامة والخاصّة أنّ دعاءه عليه السلام على أنس بالبرص كان لإنكاره قول النبيّ صلى الله عليه وآله في غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ونقل الرضي كونه لمّا أنكر شيئاً سمعه من النبيّ صلى الله عليه وآله في طلحة والزبير كما مرّ، وروى (الأمالي) كونه لمّا أنكر حديث الطير يوم الدار فروى عن أبي‌هدبة قال: رأيت أنس بن مالك معصوباً بعصابة. فسألته عنها ـ فقال: هي دعوة ـ عليّ. فقلت له: وكيف كان ذلك عليه السلام قال: أُهدي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله طائر مشوي. فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير. فجاء عليّ عليه السلام فقلت له: النبيّ صلى الله عليه وآله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي ـ إلى أن قال ـ فلمّا كان يوم الدار استشهدني عليٌّ فكتمته فقلت: إنّي نسيته. فرفع عليّ عليه السلام يده إلى السماء فقال: اللهمّ ارم أنساً بوضح لا يستره ـ ثم كشف العصابة عن رأسه ـ فقال: هذه دعوة عليٍّ، هذه دعوة علي[٣].

وفي (المناقب): نظم ذلك الحميري فقال:

نـبّئت أن أبـانا كـان عـن أنس	يروي حديثاً عجيباً معجباً عجبا
في طائر جـاء مشـويّاً بـه بشـر	يوماً وكـان رسـول الله مـحتجبا

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٦٢، شرح الخطبة ٥٧.

(٢) بل رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٢، شرح الخطبة ٥٧.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٢١ ح ٣، المجلس ٩٤، والنقل بتصرف في اللفظ.

إلى أن قال:

فقد دعا ربّه المحجوب في أنس   بأن يحلّ به سقم حوى كربا
فناله السوء حتّى كان يرفعه   في وجهه الدهر حتّى مات منتقبا[(١)]

وحيث إنّ كلاًّ من الخبرين متواتر يمكن استشهاده عليه السلام من أنس مرة لهذا وأُخرى لذاك، ويكون أنس أنكر كليهما فدعا عليه السلام عليه، ويكون ظهر أثر الدعاء بعد الثاني، ولكن الاستشهاد لخبر الغدير مشهور مستفيض كما عرفت، ولخبر الطير خبر واحد مثل الاستشهاد لما سمع في طلحة والزبير إلّا أنّ خبر الطير واحد مسند، وللأخير خبر مرفوع.

هذا، وقد عرفت من خبر الكشي أنّ البراء بن عازب أيضاً لم يشهد لخبر الغدير لما استنشده عليه السلام فدعا عليه بالعمى.

وروى (الإرشاد): أن زيد بن أرقم أيضاً لم يشهد. فدعا عليه السلام عليه بالعمى أيضاً.

فقال: روى أبو اسرائيل عن الحكم بن أبي‌سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم قال: أنشد عليّ عليه السلام الناس في المسجد. فقال: انشد الله رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» فقام اثنا عشر بدرياً، ستّة من الجانب الأيمن، وستّة من الجانب الأيسر. فشهدوا بذلك فقال زيد بن أرقم: وكنت أنا في من سمع ذلك فكتمته فذهب الله ببصري وكان يندم على ما فاته من الشهادة ويستغفر الله[(٢)].

وروى الجزري في (أُسد غابته) كتمان عبدالرحمن بن مدلج، ويزيد بن وديعه ودعاءه عليه السلام عليهما بالعمى أيضاً، فروى عن أبي‌إسحاق. قال: حدّثني

(١) مناقب السروي ٢: ٢٨٣.

(٢) الإرشاد: ١٨٥.

عمرو بن ذي مر، ويزيد بن نثيع، وسعيد بن وهب، وهاني بن هاني، وحدّثني من لا أحصي أنّ علياً عليه السلام نشد الناس في الرحبة من سمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ، وال من والاه وعاد من عاداه»، فقام نفر فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكتم قوم، فما خرجوا من الدنيا حتّى عموا، وأصابتهم آفة؛ منهم يزيد بن وديعة وعبدالرحمن بن مدلج[1].

وممّن روى استنشاده عليه السلام؛ يعلى بن مرّة. روى أيضاً (أُسد الغابة) عن عمر بن عبدالله بن يعلى بن مرّة عن أبيه عن جدّه قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»، فلمّا قدم عليّ عليه السلام الكوفة نشد الناس من سمع ذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فانتشد له بضعة عشر رجلاً فيهم عامر بن ليلي الغفاري[2].

وروى الخبر في عنوان زيد بن شراحيل الأنصاري، وعدّه في من شهد ورواه في عنوان ناجية بن عمرو الخزاعي وعدّه في من شهد[3].

وممّن روى استنشاده عليه السلام: الأصبغ بن نباتة. روى الجزري أيضاً في (أُسده) بإسناده عنه. قال: نشد عليّ عليه السلام الناس في الرحبة: من سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم ما قال إلّا قام قال: ولا يقوم إلّا من سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبوأيّوب الأنصاري، وأبو عمرة بن محصن، وأبو زينب، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله ابن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة السلولي، وعبيد بن عازب الأنصاري، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن وديعة الأنصاري، وأبو فضالة

(١) أُسد الغابة ٣: ٣٢١.

(٢) أُسد الغابة ٣: ٩٣.

(٣) أُسد الغابة ٢: ٢٣٣ و٥: ٦.

الأنصاري، وعبدالرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «ألا إنّ الله عزّ وجلّ وليّي وأنا وليُّ المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وأعِنْ من أعانه»[1].

ومن هذا الخبر يظهر كون أبي أيوب، وأبي عمرة، وأبي زينب، وسهل بن حنيف، وذي الشهادتين، وعبدالله بن ثابت، وحبشي السلولي، وعبيد الأنصاري والنعمان الأنصاري، وثابت الأنصاري، وأبي فضالة الأنصاري، وعبدالرحمن الأنصاري ممّن سمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله في غدير خم.

كما يظهر من الخبر السابق سماع يعلى بن مرة، وعامر بن ليلى الغفاري، وزيد بن شراحيل الأنصاري، وناجية بن عمرو الخزاعي أيضاً، قوله صلى الله عليه وآله ، من الأخبار الآتية سماع جمع آخر.

وممّن روى استنشاده عليه السلام أبو الطفيل فروى الجزري في (الأسد) أيضاً عنه قال: كنّا عند عليّ عليه السلام . فقال: انشد الله تعالى من شهد يوم غدير خم إلّا قام. فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو قدامة الأنصاري. فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع النبيّ صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، حتى إذا كان الظهر خرج فأمر بشجرات فشددن وألقي عليهنّ ثوب. ثم نادى الصلاة فخرجنا فصلّينا، ثم قام فحمد الله تعالى وأثنى عليه. ثم قال: أيّها الناس! أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بكم من أنفسكم؟ ـ يقول ذلك مراراً ـ قلنا: نعم. وهو آخذ بيدك يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» ـ ثلاث مرّات ـ[2].

---

(١) أُسد الغابة ٣: ٣٠٧.

(٢) أُسد الغابة ٥: ٢٧٦.

ومنهم زاذان فروى (مسند أحمد بن حنبل)، و(سنن الترمذي) كما في (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول في الرحبة، وهو ينشد الناس يقول: انشد الله رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول في يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»! فقام ثلاثة عشر رجلاً من الصحابة. فشهدوا أنّهم سمعوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك.

وزاد الثاني في قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأدِرِ الحقَّ معه كيفما دار، وحيث دار» وحكم بكون الحديث حسناً[1].

ومنهم بريدة. فروى (فضائل أحمد بن حنبل) كما في (التذكرة) أيضاً عن بريدة قال: لمّا أنشد عليٌّ عليه السلام الناس في الرحبة؛ قام خلق كثير فشهدوا له بذلك. وفي لفظ «فقام ثلاثون رجلاً فشهدوا»[2].

ومنهم عمرو بن ذي مر، ويزيد بن نثيع، وسعيد بن وهب، وهاني بن هاني وقد مرّ في رواية (أسد الغابة) عن أبيإسحاق عنهم، وعن جمع آخر لا يحصيهم رواية ذلك.

ومنه يظهر تواتر استنشاده عليه السلام كتواتر أصل قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. وفي (الأغاني) مسنداً عن يزيد بن عيسى بن مروق قال: كنت بالشام زمن ولي عمر بن عبدالعزيز فجئته فقال لي: ممّن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيّهم؟ قلت: من المدينة قال: من أيّهم؟ قلت: من قريش قال: من أيّهم؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أيّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: من عليٌّ: فسكتّ. قال: من؟ قلت: ابن أبيطالب. وكان متّكئاً على إزار وكساء من صوف؛ فجلس

(١) رواه عنهما السبط في التذكرة: ٢٨، والحديث في مسند أحمد ١: ٨٤، وسنن الترمذي ٥: ٦٣٣ ح ٣٧١٣، ولفظ الترمذي «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» بلا زيادة.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٩.

وطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال: أنا والله مولى عليّ. ثم قال: أشهد على عدد ممّن أدرك النبيّ ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ـ الخبر[1].

وكما برص أنس، وعمى البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، ويزيد بن وديعة، وعبدالرحمن بن مدلج، وجمع آخر لادّعائهم النسيان كذباً، كذلك نزل العذاب على الفهري الّذي أنكر على النبيّ ﷺ قوله ذلك عناداً. فروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ أنّ النبيّ ﷺ لمّا قال ما قال في عليّ عليه السلام طار في الأقطار، وشاع في البلاد والأمصار. فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري. فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ثم عقلها، وجاء فدخل المسجد. فجثا بين يدي النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد! إنّك أمرتنا أن نشهد أن لا إلّه إلّا الله، وأنّك رسوله. فقبلنا ذلك منك، وأمرتنا أن نصلّي في اليوم والليلة خمس صلوات، وأن نصوم شهر رمضان، ونحجّ البيت، ونزكّي أموالنا. فقبلنا منك ذلك. ثم لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبع ابن عمك، وفضّلته على الناس وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا شيءٌ منك أو من الله؟ فقال النبيّ ﷺ وقد أحمرّت عيناه: «والله الّذي لا إله إلّا هو إنّه من الله وليس منّي» قالها ثلاثاً. فقام الحرث وهو يقول: «اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأرسل علينا حجارة من السماء أو آئتنا بعذا أليم» فو الله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات، وأنزل تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع* للكافرين ليس له دافع* من الله ذي المعارج﴾[2].

---

(١) الاغاني ٩: ٢٦٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه عن الثعلبي؛ السبط في تذكرة الخواص: ٣٠، والآيات ١ ـ ٣ من سورة المعارج.

ولو أردنا استقصاء رواياته لاحتجنا إلى مجلّدات ضخام قال السروي في (مناقبه): ذكر حديث غدير خم محمّد بن إسحق صاحب المغازي، والبلاذري، ومسلم، وأبو نعيم الاصبهاني، والدارقطني، وابن مردويه، وابن شاهين، والباقلاني، والجويني، والثعلبي، والخركوشي، والسمعاني، وابن أبي‌شيبة، وابن الجعد، وشعبة، والأعمش، وابن عياش، والشعبي، والزهري، وابن البيع وابن ماجة، وابن عبد ربه، والاسكافي، وأبو يعلى الموصلي.

قال: ورواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيّف وسبعين طريقاً في (كتاب الولاية)، وابن عقدة من مئة وخمسة طرق، والجعابي من مئة وخمسة عشر طريقاً.

قال: وصنّف عليُّ بن هلال المهلّبي كتاب (الغدير)، وابن عقدة كتاب (من روى غدير خم)، ومسعود الشجري كتاب (رواة خبر الغدير)، واستخرج منصور الرازي في كتابه أسماء رواته على حروف المعجم[1].

وإخواننا يقولون: لو كان لم يحتجّ به أميرالمؤمنين عليه‌السلام يوم السقيفة، فقد عرفت في المتواتر احتجاجه به أيّام خلافته. فأنكره جمع حتّى دعا عليهم كما مرّ.

ومع كونه فوق التواتر فقد أنكره بعضهم رأساً قال الحموي في أدبائه في عنوان محمّد بن جرير الطبري: قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم، وقال: إنّ علياً كان باليمن في الوقت الّذي كان النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بغدير خم، وبلغ ذلك الطبري فابتدأ بالكلام في فضائل

---

(١) مناقب السروي ٣: ٢٥.

عليّ عليه السلام، وذكر طريق حديث خم[١].

وروى (أمالي المفيد) عن ابن عقدة قال: قال محمّد بن نوفل الصيرفي: كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفي، فدخل علينا أبوحنيفة. فذكرنا عليّاً عليه السلام، ودار بيننا كلام. فقال أبوحنيفة: قلت لأصحابنا: لا تقرّوا لهم بحديث غدير خم فيخصموكم فتغيّر وجه الهيثم وقال: لِمَ لا تقرّون به؟ أما هو عندك؟ قال: بلى وقد رويته. قال: فلم لا تقرّون به، وقد حدّثنا به حبيب بن أبي‌ثابت عن أبي‌الطفيل عن زيد بن أرقم أنّ عليّاً عليه السلام نشد الناس في الرحبة من سمعه. فقال أبوحنيفة: أفلا ترون أنّه قد جرى في ذلك حوض حتّى نشد عليٌّ الناس لذلك؟ فقال الهيثم: فنحن نكذّب عليّاً أو نردّ قوله؟ فقال أبوحنيفة: ما نكذّب عليّاً ولا نردّ قولاً قاله، ولكنّك تعلم أنّ الناس قد غلا منهم قوم. فقال الهيثم: يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويخطب به، ونشفق نحن ونتّقيه بغلوّ غالٍ أو قول قالٍ؟ ثم جاء من قطع الكلام[٢].

ترى انّ إمامهم أباحنيفة أقرّ بإنكارهم لخبر غدير خم تعمّداً في قبال الشيعة لئلّا يغلبوهم، كاليهود الذين كانوا ﴿إذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربّكم أفلا تعقلون، أولا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون﴾.

وعمل أئمّة لغتهم وبلدانهم بقول أبي حنيفة ووصيّته؛ كالجوهري، والفيروزآبادي، والجزري، والحموي في كتبهم، فسكتوا عن الإشارة إلى شيء من ذلك في «غدير» و «خم»[٣] كأن لم يكن شيئاً: ﴿يريدون أن يطفئوا

---

(١) معجم الادباء ١٨: ٨٤، والنقل بتلخيص.

(٢) أمالي المفيد: ٢٦ ح ٩، المجلس ٣، والنقل بتلخيص.

(٣) كذا فعل الجوهري في صحاح اللغة ٢: ٧٦٧ و٥: ١٩١٦، والفيروزآبادي في القاموس ٢: ١٠٠ و٤: ١٠٩، والجزري في النهاية ٣: ٣٤٤، و٢: ٨١، والحموي في معجم البلدان ٢: ٣٨٩، و٤: ١٨٨، نعم ذكر الحموي في خم: «عنده

نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[١]، «وإنّما قال ابن دريد منهم في (جمهرته) في «خم»: «وخم غدير معروف، وهو الموضع الّذي قام فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بفضل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام»[٢] وإن كان هو أيضاً لوّح ولم يصرّح.

ومن العجب أنّ ذاك الشيخ البغدادي الناصبي قال في قصيدته في إنكار الغدير:

ثم مررنا بـغدير خـم كم قائل فيه بزور جم
على عليٍّ والنبيّ الأُمّي

فهل أراد إن مرّ في عصره على الغدير أن يرى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائماً إلى زمانه آخذاً بيد عليّ عليه السلام قائلاً فيه ذاك القول. فإذا كان ذلك مستنداً لإنكاره فلينكر مقام إبراهيم. فإنّه إذا مرّ عليه لم يرَ إبراهيم ثمة.

وبعضهم حمل أخباره على أنّه كان قضيّة خاصّة في واقعة، وأنّه وقع بينه وبين زيد بن حارثة مخاصمة. ففي (العقد الفريد): أنّ المأمون لمّا جمع أربعين من أجلّة علماء العامة، وفيهم يحيى بن أكثم قاضي القضاة، وكان متكلّمهم إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد ليسجّل عليهم أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه كان أولى الناس بالخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لإسحاق في ما قال: «هل تروي حديث الولاية؟ قال: نعم. قال: إروه، ففعل. فقال له: أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ فقال: إنّ الناس ذكروا انّ الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة لشيءٍ

خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٧١.

جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء عليّ. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه» فقال له المأمون: في أيّ موضع قال هذا؟ أليس قاله بعد منصرفه من حجّة الوداع؟ قال: أجل. قال المأمون: فإنّ زيداً قتل بموته قبل الغدير. ثم كيف رضيت بهذا لنفسك، أرأيت لو أنّ إبناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمّي، فاعلموا أيُّها الناس ذلك؛ أكنت منكراً عليه تعريفه الناس ما لا يجهلون؟ فقال إسحاق: اللهمّ نعم. فقال له المأمون: أفتنزّه ابنك عمّا لا تنزّه عنه النبيّ صلى الله عليه وآله ؟! ويحكم! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم. إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[1] لم يصلّوا لهم، ولا صاموا، ولا زعموا أنّهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم[2].

وبعضهم أنكر دلالته بأنّ المولى مجمل لاشتراكه بين معانٍ منها ابن العم كقول الشاعر:

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا[3]

وهو ليس بأقل خبطاً من سابقه فهل كان النبيّ صلى الله عليه وآله مجنوناً يخبر بالأمور الّتي يعلمها كلّ أحد مع أنّه كما أكذب السابق موت زيد قبل قول النبيّ صلى الله عليه وآله ذاك. كذلك يبطل هذا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان ابن عم الطالب وعقيل وجعفر، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ابن عمّهم بل أخاهم. فلا تصدق الجملة.

مع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقل ذاك الكلام بدون المقدّمة، بل قرّرهم أوّلاً كراراً بأنّي ألستُ أولى بكم من أنفسكم حيث جعل الله تعالى ذلك لي في

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) العقد الفريد ٥: ٣٢٤، والنقل بتصرف يسير.

(٣) أورده لسان العرب ١٥: ٤٠٨، مادة (ولي).

القرآن: فقالوا في كلّ مرّة: بلى، ثم أخذ بعضد أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «مَن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه» فيكون الكلام صريحاً في أنّ كلّ من كنت أولى منه بنفسه فعليٌّ أولى منه بنفسه.

وكيف لم يكن الكلام صريحاً، وقد نظم القصّة حسّان بن ثابت. فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم	بخمّ فأسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليّكم؟	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا	ومالك منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

قال سبط ابن الجوزي: روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا سمع حسّاناً ينشد هذه الأبيات. قال له: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا ونافحت عنّا بلسانك.

وكيف ليس بصريح، وقد نظم القصّة قيس بن سعد بن عبادة. فقال:

وعليٌّ إمامنا وإمام لسوانا	به أتى التنزيل
يوم قال النبيّ من كنت مولاه	فهذا مولاه خطب جليل
وانّ ما قاله النبيّ على الأمّة	حتم ما فيه قال وقيل[1]

وكيف ليس بصريح وقد أوضح كتاب الله تعالى فقال: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[2] ولا ريب في انّ الآية نزلت لمّا أعطى أمير المؤمنين خاتمه في الصلاة في الركوع سائلاً سأل[3].

وكيف يكون مجملاً، وقد لقي فاروقهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد قول

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٣.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) رواه جمع كثير، وأورد بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٣ و٢٩٤، والمجلسي في بحار الانوار ٣٥: ١٨٣، باب ٤.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه على ما رواه (فضائل أحمد بن حنبل) فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[1].

هب أولئك الرؤساء لبّسوا لرياستهم. فما بال هؤلاء الأذناب يشرون آخرتهم بدنيا غيرهم؟ وإلّا فأيّ حقّ أوضح من كون أمير المؤمنين عليه السلام أحقّ وقد دلّ عليه محكم الكتاب والسنّة القطعية، والعقل السليم، والإجماع المحقّق.

وقال الصادق عليه السلام: نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين، وما أُعطي أمير المؤمنين عليه السلام حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس ـ يعني الغدير[2].

وقال سبط ابن الجوزي في (تذكرته): حدّثنا شيخي عمرو بن صافي الموصلي: أنشد بعضهم أبيات الكميت في الغدير:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا ... وهمّاً تمتري عنه الدموعا
لدى الرحمن يشفع بالمثاني ... فكان له أبو حسن شفيعا
ويوم الدوح دوح غدير خمٍّ ... أبان له الولاية لو أُطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها ... فلم أرَ مثلها خطراً منيعا

وبات مفكّراً، فرأى عليّاً عليه السلام في المنام فقال له أَعد عليَّ أبياتك للكميت فأنشده إلى قوله «فلم أرَ مثلها خطراً منيعا» فأنشده عليٌّ من قوله بيتاً آخر زيادة فيها.

فلم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم أرَ مثله حقّاً أُضيعا

فانتبه الرجل مذعوراً[3].

نعم. من كان يكتم تقيّة كان معذوراً. فروى (فضائل أحمد بن حنبل): أنّ

(١) رواه عنه السبط في تذكرة الخواص: ٢٩.

(٢) أخرجه السروي في مناقبه ٣: ٢٦.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٣ ـ ٣٤.

عبدالملك العوفي. قال لزيد بن أرقم: إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم الغدير، وأنا أُحبّ أن أسمعه منك. فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم. فقال: ليس عليك منّي بأس. فقال: نعم. كنّا بالجحفة. فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ظهراً، وهو آخذ بعضد عليّ عليه السلام فقال: «أيّها الناس! ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى، فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» قالها أربع مرّات[1].

قول المصنّف وقال عليه السلام «لأنس بن مالك» وهو أخو البراء بن مالك المقتول بتستر في فتحها.

«وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء» يعني: أمير المؤمنين عليه السلام.

«إلى البصرة» من المدينة.

«يذكرهما» يعني أنساً.

«شيئاً قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معناهما»: أي هما المقصودان به والظاهر ان المراد شيء سمعه أنس من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في قيام طلحة والزبير في الجمل بغياً عليه عليه السلام.

وكيف كان فقول من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للزبير في أمر الجمل متواتر، ذكره جميع أهل السير. كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة في نبح كلاب الحوأب عليها في شخوصها إلى الجمل. ففي (الطبري): قال قتادة: سار عليٌّ عليه السلام من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة، وساروا من الفرضة يريدون علياً عليه السلام. فالتقوا عند موضع قصر عبيدالله بن زياد. فلمّا تراءى الجمعان قال عليّ عليه السلام لطلحة والزبير: «لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتّقيا الله سبحانه ولا تكونوا كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً». فقال له

---

(١) رواه عنه السبط في التذكرة: ٢٩، وأخرجه أحمد في مسنده ٤: ٣٦٨، والصحيح «عبدالملك عن عطية العوفي».

طلحة: ألببت الناس على عثمان. فقال علي عليه السلام: ﴿يومئذٍ يوفّيهم الله دينهم الحقّ، ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين﴾. يا طلحة! أتطلبني بدم عثمان؟! فلعن الله قتلة عثمان - يعني منّي ومنكما - ويا زبير! أتذكر يوم مررت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بني غنم فنظر إليّ فضحك إليّ، وضحكتَ إليه. فقلتَ: لا يدع ابن أبي طالب زهوه. فقال لك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «صه. إنّه ليس به زهو ولتقاتلنّه، وأنت له ظالم» فقال: «اللهمّ نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أُقاتلك أبداً»[1].

«فلوى عن ذلك»: من «لواه بدَينه لَيّاً ولَيّاناً» أي: مطله. قال ذو الرمة في الليّان:

تطيلين ليّاني وأنت مليّة وأحسن يا ذات الوشاح التقاضيا[2]

«فرجع إليه. فقال: إنّي أُنسيت ذلك الأمر»: الّذي قلت اذكّرهما.

ومما عرفت من معنى «فلوى عن ذلك» يظهر لك ما في اعتراض ابن أبي الحديد على المصنّف بأنّ ما ذكره من انّه عليه السلام بعث أنساً إلى طلحة والزبير فغير معروف، ولو كان قد بعثه ليذكّرهما بكلام يختصّ بهما من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما أمكنه أن يرجع فيقول: إنّي أُنسيته، لأنّه ما فارقه متوجّهاً نحوهما إلّا وقد أقرّ بمعرفته وذكره، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم. فيقول: إنّي انسيته فينكر بعد الإقرار؟ هذا ممّا لا يقع[3].

فمن أين أنّ المصنّف قال: إنّ أنساً أقرّ أوّلاً، بل قال: أولا «انّه لوى عن ذلك» فكان يمكن أنسا بعد ليّه أو لا أن يقول أخيراً في عذر ليّه بأنّه نسيه.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥١٣، سنة ٣٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أورده لسان العرب ١٥: ٢٦٣، مادة (لوي).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٨٨.

وغاية ما يمكن الاعتراض على المصنّف أنّ حديث دعائه عليه السلام على أنس بالبرص صحيح، لكن المعروف كون دعائه عليه السلام على برص أنس لإنكاره حديث غدير خمّ في رحبة الكوفة كما مرّ، ولعلّ المصنّف وقف على رواية لم نقف عليها، ويحتمل انّه اعتمد على باله بدون مراجعة كتاب فوهم.

«فقال عليه السلام» هكذا في النسخ[1]، وهو زائد بعد قوله أوّلاً «وقال عليه السلام لأنس» ويمكن حمله على التأكيد اللفظي لحصول الفصل الكثير بين القول والمقول.

«إن كنت كاذباً» في ادّعائك النسيان.

«فضربك الله بها» أي: بتلك البليّة المفهومة من المقام كقوله تعالى: ﴿كلّا إذا بلغت التراقي﴾[2].

«بيضاء لامعة» بيضاء سوء، وكان جذيمة الأبرش أبرص فبدّلوا لفظ الأبرص بالأبرش لكونه ملكاً يخاف عقابه.

«لا تواريها العمامة» دعا عليه السلام عليه ببرص لا يمكنه ستره.

ومرّ دعاؤه عليه السلام على البراء وزيد بن أرقم، ويزيد بن وديعة، وعبد الرحمن بن مدلج وغيرهم.

ودعا عليه السلام على عبد الرحمن بن عوف لمّا انتخب عثمان في حكمية عمر له في الشورى. فروى عوانة في (شوراه) عن الشعبي أنّه لمّا بايع عثمان قال له علي عليه السلام: إنّما آثرته بها لتنالها بعده، دقّ الله بينكما عطر منشم[3].

وقال أبو هلال العسكري في أوائله: استجيبت دعوة عليّ عليه السلام في

---

(١) كذا في نهج البلاغة ٤: ٧٤، وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٨٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٩٨.

(٢) القيامة: ٢٦.

(٣) رواه عنه والنقل بتصرف يسير.٢: ٣٩١، شرح الخطبة ١٣٧.

عثمان وعبد الرحمن فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين[١].

ودعاعليه‌السلام على رجل من عبس استخفّ به‌عليه‌السلام فروى (الإرشاد) و (ابن أبي الحديد) عن حكيم بن جبير قال: شهدنا علياًعليه‌السلام على المنبر يقول: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، ورثت نبي الرحمة، ونكحتُ سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنا سيّد الوصيين، وآخر أوصياء النبيّين، لا يدّعي ذلك غيري إلّا أصابه الله بسوء» فقال رجل من عبس كان جالساً بين القوم: «من لا يحسن أن يقول هذا: أنا عبد الله وأخو رسول الله؟» فلم يبرح من مكانه حتى تخبّطه الشيطان فجرّ برجله إلى باب المسجد، فسألنا قومه عنه فقلنا: هل تعرفون به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهمّ لا[٢].

ودعاعليه‌السلام على بسر بن أرطأة لمّا قتل ٱبني عبيد الله بن العباس باليمن. ففي (مروج المسعودي): كان عليّ‌عليه‌السلام حين أتاه خبر قتل بسر لابني عبيد الله دعا على بسر؛ فقال: «اللهمّ أسلبه دينه وعقله» فخرف بسرٌ حتّى ذهب عقله، واشتهر بالسيف. فكان لا يفارقه، فجعل له سيف من خشب، وجعل في يديه زقّ منفوخ كلّما تخرّق أبدل، فلم يزل يضرب ذلك الزقّ بذلك السيف حتّى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه، فيقول: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ٱبنا عبيد الله، وكان ربّما شدّت يداه إلى وراء منعاً من ذلك، فأنجا ذات يوم في مكانه، ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا إلى منعه. فقال: أنتم تمنعوني والغلامان قثم وعبد الرحمن يطعماني. مات في أيّام الوليد بن عبد الملك[٣].

---

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٦٥، شرح الخطبة ٣.

(٢) رواه المفيد في الارشاد: ١٨٦، وابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٠٨، شرح الخطبة ٣٧.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٦٣، والنقل بتصرف يسير.

ودعا عليه السلام على رجل كان يرفع اخباره إلى معاوية. روى (الإرشاد) عن جميع ابن عمير قال: اتّهم علي عليه السلام رجلاً يُقال له العيزار برفع أخباره إلى معاوية. فأنكر ذلك وجحده فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتحلف أنّك ما فعلت؟! قال: نعم. وبدرٍ. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كنت كاذباً أعمى الله بصرك» فما دارت الجمعة حتّى أُخرج أعمى يُقاد قد أذهب الله بصره(١).

ودعا عليه السلام على أحد أجداد أبي العيناء الّذي كان في عصره عليه السلام بعماه وعمى وِلده. قال ياقوت الحموي في (معجم أُدبائه) في عنوان أبي العيناء: لقي جدّه الأكبر علياً عليه السلام. فأساء المخاطبة بينه وبينه. فدعا عليه بالعمى له ولوِلده بعده. فكلّ من عمي من ولد جدّه فهو صحيح النسب(٢).

ودعا عليه السلام على رجل كذّبه بالعمى. فعن فضائل العشرة قال زاذان: كذّب علياً عليه السلام رجل في حديثه. فقال عليه السلام: أدعو عليك إن كنت كذّبتني أن يعمي الله بصرك. قال: نعم. فدعا عليه السلام عليه. فلم ينصرف حتّى ذهب بصره(٣).

وعنه أيضاً: مرّ عليّ عليه السلام على دار في مراد وهم يبنونها. فسقطت عليه قطعة فشجّته فدعا عليه السلام أن لا يتمّ بناؤها فما وضعت عليها لبنة(٤) ـ إلى غير ذلك ممّا لو أُريد استقصاؤها لاحتيج إلى كتاب مستقل.

«يعني البرص» هذا وروى (عيون ابن قتيبة): أنّ الناس انتهبوا ورساً من الحسين عليه السلام يوم قتل. فما تطيّبت منه امرأة إلّا برصت(٥).

وفي (الطبري): أنّ إسحاق الحضرمي سلب قميص

---

(١) الارشاد: ١٨٤.

(٢) معجم الادباء ١٨: ٢٨٩، والنقل بتصرف يسير.

(٣) رواه عنه السروي في مناقبه ٢: ٢٧٩.

(٤) رواه عنه السروي في مناقبه ٢: ٢٨١، والنقل بتلخيص.

(٥) عيون الاخبار ١: ٢١٢.

الحسين عليه السلام فبرص بعد[١].

وفي (عمدة الطالب) في ذكر الأرقط ـ وهو محمّد بن عبدالله الباهر أخي الباقر عليه السلام. قال أبو نصر البخاري: من يطعن فيه لا يطعن فيه من حيث النسب، وإنّما يطعنون فيه بشيء جرى بينه وبين جعفر بن محمّد عليه السلام؛ يُقال إنّه بصق في وجهه؛ فدعا عليه فصار أرقط الوجه به رعش كريه المنظر[٢].

هذا، وفي (الطبري): قال هشام: كان زرادشت ـ في ما زعم قوم من علماء أهل الكتاب من أهل فلسطين ـ خادماً لبعض تلامذة إرميا النبيّ، خاصّاً به، أثيراً عنده فخانه، فكذب عليه؛ فدعا الله عليه فبرص. فلحق ببلاد آذربيجان فشرع بها دين المجوسية. ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسب وهو ببلخ. فأعجبه. فقسر الناس على الدخول في دينه. فقتل في ذلك منهم مقتلة عظيمة[٣].

«فأصاب أنساً هذا الداء في ما بعد في وجهه فكان لا يرى إلّا متبرقعاً» و«مبرقعاً» في (المصرية) تصحيف.

واستجابة دعائه عليه السلام أبداً؛ دلالة إمامته كالنصوص عليه، وكسائر فضائله الجليلة الّتي لم توجد واحدة منها في غيره كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٠
الحكمة (٣١٦)

وقال عليه السلام:

«أنا يَعْسُوبُ المُؤْمنين، والمَالُ يَعْسُوب الْفُجَّارِ».

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٧، سنة ٦١.

(٢) عمدة الطالب: ٢٥٢، والنقل بتصرف يسير.

(٣) تاريخ الطبري ١: ٣٨٤، والنقل بتصرف يسير.

ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني، والفجّار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

«أنا يعسوب المؤمنين» قال ابن أبي الحديد: قال النبيّ ﷺ تارة له عليه السلام: «أنت يعسوب المؤمنين» وأُخرى: «أنت يعسوب الدين» والمعنى واحد كأنّه جعل رئيس المؤمنين وسيّدهم، أو جعل الدين يتبعه ويقفو أثره حيث سلك؛ كما يتّبع النحل اليعسوب. وهذا نحو قوله ﷺ: «وأدر الحقّ معه كيف دار»(١).

قلت: روى قول النبيّ ﷺ له: «أنت يعسوب الدين»، (يقين) ابن طاووس عن (مناقب الطبري)، و(مناقب علي بن محمّد بن الطيب الحلالي المعروف بالعدل)، وروى قوله ﷺ: «أنت يعسوب المؤمنين» هو أيضاً عن (مناقب ابن مردويه)، و(مختصر أربعين يوسف البغدادي)(٢).

«والمال يعسوب الفجّار» روى (يقين ابن طاووس) عن (مناقب ابن مردويه) و(مناقب الكنجي): أنّ النبيّ ﷺ قال: «عليٌّ يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»، وفي خبر: «يعسوب الكفرة» وفي آخر: «يعسوب الظلمة»(٣).

وروى من طرق كثيرة أنّ النبيّ ﷺ قال له: «أنت أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، ويعسوب الدين والمؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، وقائد الغرّ المحجّلين»(٤).

ثم تلك الأخبار ـ لا سيما الأخير ـ تكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٨٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢ و ٣ و ٤) اليقين: ١٨٨ ـ ٢٠٢، وما نقله عن مناقب الكنجي فهو فيه ٧٩.

هذا، وفي (الصحاح): «أَلياء في يعسوب زائدة. لأنّه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق»[1] قلت: ما قاله غير معلوم، ولو كانت الياء زائدة لكانت تسقط في الجمع مع بقائها فيه قال أبو بشر:

أبو صِبْيَةٍ شُعثٍ يطيف بشخصه كوالح أمثال اليعاسيب ضمّر[2]

(١) صحاح اللغة ١: ١٨٢، مادة (عسب).

(٢) أورده لسان العرب ١: ٦٠٠، مادة (عسب).

فهرس المطالب